دارسات ISSA AL-HASSAN

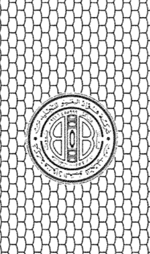
عيسى الحسن

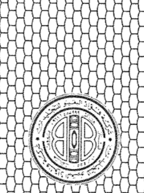
أعظم شخصيّات التاريخ

دينيّة، أدبيّة، سياسيّة، علميّة، فلسفيّة

مراجعة وتدقيق: عبد الله المغربي







أعظم شخصيّات التاريخ

دينيّة، أدبيّة، سياسيّة، علميّة، فلسفيّة



الأهليّة للنشر والتوزيع

e-mail : alahlia@nets.jo

الفرع الأوّل (التوزيع)

المملكة الأردنيّة الهاشميّة ، عمّان ، وسط البلد ، خلف مطعم القدس

هاتف 4638688 6 00962 ، فاكس 4657445 6 00962

ص. ب : 7855 عمّان 11118 ، الأردنّ

الفرع الثاني (المكتبة)

عمّان ، وسط البلد ، شارع الملك حسين ،

بجانب البنك المركزيّ الأردنيّ ، مكتب القاصة - بناية رقم 34

مكتب بيروت

لبنان ، بيروت ، بئر حسن ، شارع السفارات

هاتف : 824203 1 00961 ، مقسم 19

◆

أعظم شخصيّات التاريخ

دينيّة ، أدبيّة ، سياسيّة ، علميّة ، فلسفيّة

عيسى الحسن / الأردنّ

مراجعة وتدقيق : عبد الله المغربي / الأردنّ

الطبعة العربيّة الأولى ، 2010

◆

تصميم الغلاف : **زهير أبو شايب** 95297109 7 00962 ، الأردنّ

دراسات

عيسى الحسن

أعظم شخصيّات التاريخ

دينيّة، أدبيّة، سياسيّة، علميّة، فلسفيّة

◆

مراجعة وتدقيق: عبد الله المغربي





مُقدِّمَة

ربما يكون من الصعب وضع مقدمة وافية شافية لمثل هذا الكتاب الذي يجمع بين دفتيه سيرا مختصرة لعشرات من أبناء البشرية الذين أثروا الحياة الإنسانية وأفادوها على مر القرون بما مكنها من تحسين حياتها ويسر لها عمارة الأرض كهدف من أهداف وجودها عليها، وكواجب - قبل أن يكون حقا - من الواجبات التي فرضها الله سبحانه وتعالى على بني البشر حين شاءت إرادته أن يكون آدم وبنوه خلفاء في الأرض، مصداقا لقوله تعالى (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة) الآية..

وتكمن الصعوبة في هذا المقام في أنه لا رابط بين الشخصيات سوى أنها اشتهرت بين الناس، سواء بسبب خدمتها للبشرية أو بسبب إلحاقها الأذى بها، وبالتالي فإن بعض الطالح له مكان في هذا الكتاب، على الرغم من أن الصالح أعم وأكثر بكثير.

وهناك صعوبة أخرى واجهتنا في تصنيف هؤلاء المشاهير أو العظماء، إذ أن منهم من انحصر إبداعه في زمن معين وتاريخ محدد بينما كان لآخرين امتداد في التأثير على مدى الأزمان ومر العصور، وليس أدل على ذلك من رسول الله محمد ﷺ الذي امتد تأثيره وما يزال على كل أبناء البشرية منذ بعثته ﷺ وإلى اليوم وسوف يستمر إلى يوم القيامة.

مسألة أخرى شغلتنا ونحن نجمع ونصنف معلومات هذا الكتاب ولا بد لنا أن نشير إليها في هذه المقدمة، تلك هي تصنيف المشاهير والمتميزين بين مسلمين وغير مسلمين، فالثابت الذي لا مراء فيه أن المشاهير والمتميزين و «العالقين في ذهن البشرية» من المسلمين لم يكن بينهم واحد ممن يمكن أن يقال إنه أضر بالبشرية أو ألحق بها الأذى، بل على العكس من ذلك، فإن المسلمين من المتميزين كانوا دائما السباقين إلى إثراء الحياة البشرية بكل ما هو مفيد ونافع، بل ومتميز في نفعه للبشرية، وبالتالي فقد كان لزاما علينا وإحقاقا للحق أن نضع هؤلاء قبل غيرهم وأن نقدمهم على من سواهم، ليس فقط لأنهم

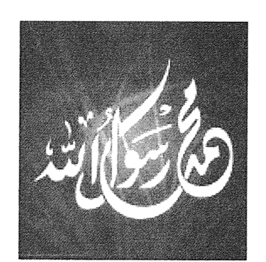
قدموا ما أكثر تميزا وإنما أيضا لأننا واثقون من أن نواياهم ومنطلقاتهم في خدمة البشرية كانت صادقة وصحيحة وخالية من كل غرض رخيص وصغير.

أخيرا نسأل الله سبحانه وتعالى أن نكون قد وفقنا في الوصول إلى هدفنا من هذا الكتاب وهو تعريف القارئ بأهم وأعظم الشخصيات التي تركت أثرا واضح المعالم في حياة بني البشر على مر العصور.. والحمد لله رب العالمين.

عيسى الحسن


أعظم شخصيات التاريخ
الدينية





رسول الله محمد ﷺ

(570 - 632 م)

لا عجب أن يكون رسول الله محمد ﷺ في أول هذه القائمة من الخالدين المتميزين الذين أثروا الحياة الإنسانية وخدموا البشرية، أو ربما يكون البعض منهم قد آذى الإنسانية ، ولكن عظم أذاه لها جعله محفورا في ذاكرتها على مر العصور... نقول لا عجب أن يكون الرسول ﷺ في أول هذه القائمة ذلك أنه الإنسان الوحيد في التاريخ الذي نجح نجاحا مطلقا على المستوى الديني والدنيوي.

وهو قد دعا إلى الإسلام ونشره كواحد من أعظم الديانات وأصبح قائدا سياسيا وعسكريا ودينيا، وبعد 14 قرنا من وفاته فإن أثر الرسول ﷺ ما يزال قويا متجددا، مثلما أنه سيبقى كذلك إلى يوم الدين.

لقد تميز معظم الخالدين بأنهم عايشوا حضارات ونشئوا في مراكز ساعدتهم على الإبداع والتميز إلا سيدنا محمدا ﷺ فهو قد ولد سنة 570 ميلادية في مدينة مكة جنوب شبه الجزيرة العربية في منطقة متخلفة من العالم القديم، بعيدة عن مراكز التجارة والحضارة والثقافة والفن. ولقد مات أبوه وهو لم يخرج بعد إلى الوجود، وأمه وهو في السادسة من عمره، وكانت نشأته في ظروف متواضعة وكان لا يقرأ ولا يكتب.

ولما قارب الأربعين من عمره كانت هناك أدلة كثيرة على أنه ذو شخصية فذة بين الناس.

وكان العرب في ذلك الوقت وثنيين يعبدون الأصنام. وكان يسكن مكة عدد قليل من اليهود والنصارى.

وفي الأربعين من عمره امتلأ قلبه إيمانا بأن الله واحد أحد، وتنزل عليه وحي الله سبحانه من السماء، و اصطفاه الله ليحمل رسالة سامية إلى الناس.

وأمضى محمد ﷺ ثلاث سنوات يدعو لدينه الجديد بين أهله وعدد قليل من الناس.

وفي سنة 613 ميلادية أذن الله لرسوله ﷺ بأن يجاهر بالدعوة إلى الدين الجديد فآمن به قليلون. وفي 622 ميلادية هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة المنورة، وهي تقع على مدى 200 كيلومتر من مكة المكرمة. وفي المدينة المنورة اكتسب الإسلام مزيدا من القوة واكتسب رسوله عددا كبيرا من الأنصار.

وكانت الهجرة إلى المدينة المنورة نقطة تحول في حياة الرسول ﷺ . وإذا كان الذين تبعوه في مكة قليلين، فإن الذين ناصروه في المدينة كانوا كثيرين. وبسرعة اكتسب الرسول والإسلام قوة ومنعة، وأصبح محمد ﷺ أقوى وأعمق أثرا في قلوب الناس.

وفي السنوات التالية تزايد عدد المهاجرين والأنصار، واشتركوا في معارك كثيرة بين أهل مكة من الكفار وأهل المدينة من المهاجرين والأنصار. وانتهت كل هذه المعارك في سنة 630 ميلادية بدخول الرسول ﷺ منتصرا إلى مكة.

وقبل وفاته بسنتين ونصف السنة شهد محمد ﷺ الناس يدخلون في دين الله أفواجا، ولما توفي الرسول ﷺ كان الإسلام قد انتشر في شبه الجزيرة العربية.

وكان البدو من سكان شبه الجزيرة مشهورين بشراستهم في القتال، وكانوا ممزقين أيضا، رغم أنهم قليلو العدد، ولم تكن لهم قوة أو سطوة العرب في الشمال الذين عاشوا على الأرض المزروعة.

ولكن الرسول استطاع لأول مرة في التاريخ أن يوحد بينهم وأن يملأهم بالإيمان وأن يهديهم جميعا بالدعوة إلى الإله واحد. ولذلك استطاعت جيوش المسلمين الصغيرة المؤمنة أن تقوم بأعظم غزوات عرفتها البشرية (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله) فاتسعت الأرض تحت أقدام المسلمين من شمالي شبه الجزيرة العربية وشملت الإمبراطورية الفارسية على عهد الساسانيين وإلى الشمال الغربي واكتسحت بيزنطة والإمبراطورية الرومانية الشرقية. وكان العرب أقل بكثير جدا من كل هذه الدول التي غزوها وانتصروا عليها.

وفي سنة 642 ميلادية انتزع العرب مصر من الإمبراطورية البيزنطية، كما أن العرب سحقوا القوات الفارسية في موقعة القادسية في سنة 637 وفي موقعة نينوى 642.

وهذه الانتصارات الساحقة في عهد الخليفتين أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما لم تكن نهاية الزحف العربي والمد الإسلامي في العالم. ففي سنة 711

ميلادية اكتسحت القوات الإسلامية شمال أفريقيا حتى المحيط الأطلسي، ثم اتجهت القوات الإسلامية بعد ذلك إلى مضيق جبل طارق وعبرت إلى أسبانيا، وساد أوروبا كلها شعور في ذلك الوقت بأن القوات الإسلامية تستطيع أن تستولي على العالم المسيحي كله.

لقد استطاع هؤلاء البدو المؤمنون بالله وكتابه ورسوله أن يقيموا إمبراطورية واسعة ممتدة من حدود الهند حتى المحيط الأطلسي، وهي أعظم إمبراطورية أقيمت في التاريخ حتى اليوم، وفي كل مرة تكتسح هذه القوات بلدا فإنها تنشر الإسلام بين الناس.

ولم يستقر العرب على هذه الأرض التي غزوها، إذ سرعان ما انفصلت عنها بلاد فارس، وإن كانت ظلت على إسلامها. وبعد سبعة قرون من الحكم العربي لأسبانيا والمعارك المستمرة تقدمت نحوها الجيوش المسيحية فاستولت عليها وانهزم المسلمون ولكن الإسلام بقي فيها إلى اليوم. أما مصر والعراق مهدا أقدم الحضارات الإنسانية فقد انفصلتا ولكن بقيتا على دين الإسلام وكذلك كل شمال أفريقيا.

وظل الإسلام يتسع على مدى القرون التالية، فهناك مئات الملايين في وسط أفريقيا وباكستان وإندونيسيا.

بل إن الإسلام قد وحد بين إندونيسيا المتفرقة الجزر والديانات واللهجات، وفي شبه القارة الهندية انتشر الإسلام بشكل واسع رغم وجود عدد من الديانات الأخرى.

لقد كان للرسول الله محمد ﷺ دوره العظيم في نشر الإسلام وتدعيمه وإرساء قواعد الشريعة الإسلامية في الأرض وبين الناس.

كما كان المسؤول الأول والأوحد عن إرساء قواعد السلوك الاجتماعي والأخلاقي وأصول المعاملات بين الناس في حياتهم الدينية والدنيوية، كما أن القرآن قد نزل عليه وحده، وفي القرآن الكريم وجد المسلمون كل ما يحتاجون إليه في دنياهم وآخرتهم.

والقرآن الكريم نزل على الرسول ﷺ كاملا، وسجلت آياته وهو ما يزال حيا، وكان تسجيلا في منتهى الدقة، فلم يتغير منه حرف واحد، وليس في المسيحية مثلا شيء مثل ذلك، فلا يوجد كتاب واحد محكم دقيق لتعاليم المسيحية يشبه القرآن الكريم. وكان أثر القرآن الكريم على الناس بالغ العمق. ولذلك كان أثر محمد ﷺ على الإسلام أكثر وأعمق من الأثر الذي تركه عيسى على السلام على الديانة المسيحية.

فعلى المستوى الديني كان أثر الرسول ﷺ قويا في تاريخ البشرية، وكذلك كان عيسى عليه السلام. وكان الرسول ﷺ على خلاف عيسى عليه السلام رجلا دنيويا، فكان زوجا وأبا، وكان يعمل في التجارة ويرعى الغنم، وكان يحارب ويصاب في الحروب ويمرض، ثم مات.

ولما كان الرسول ﷺ قوة جبارة، فيمكن أن يقال أيضا إنه أعظم زعيم سياسي عرفه التاريخ.

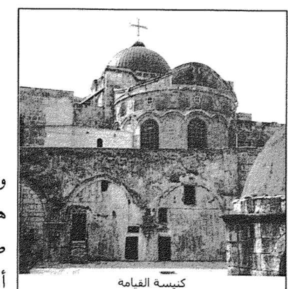
وإذا استعرضنا التاريخ فإننا نجد أحداثا كثيرة من الممكن أن تقع دون أبطالها المعروفين، مثلا: كان من الممكن أن تستقل مستعمرات أمريكا الجنوبية عن إسبانيا دون أن يتزعم حركاتها الاستقلالية رجل مثل سيمون بوليفار، هذا ممكن جدا، على أن يجيء بعد ذلك أي إنسان ويقوم بنفس العمل. لكن من المستحيل أن يقال ذلك عن البدو وعن العرب عموما وعن إمبراطوريتهم الواسعة، دون أن يكون محمد ﷺ ، فلم يعرف العالم كله رجلا بهذه العظمة قبل ذلك ولن يعرف بعد ذلك. وما كان من الممكن أن تتحقق كل هذه الانتصارات الباهرة بغير رعاية الله وحفظه وتوجيهه بالإضافة إلى زعامة الرسول ﷺ وهدايته وإيمان الجميع به.

ربما أورد بعض المؤرخين أمثلة أخرى من الغزوات الساحقة، كالتي قام بها المغول في القرن الثالث عشر، والفضل في ذلك يرجع إلى جنكيز خان، ورغم أن غزوات جنكيز خان كانت أوسع من غزوات المسلمين، فإنها لم تدم طويلا، ولذلك كان أثرها أقل خطرا وعمقا. فقد انكمش المغول وعادوا إلى احتلال نفس الرقعة التي كانوا يحتلونها قبل ظهور جنكيز خان، إلا أن فتوحات المسلمين ليست كذلك، فالعرب يمتدون من العراق إلى المغرب، وهذا الامتداد يحتوي دولا عربية لم يوحد بينها الإسلام فقط، ولكن وحدت بينها اللغة والتاريخ والحضارة، ومن المؤكد أن إيمان العرب بالقرآن، هذا الإيمان العميق، هو الذي حفظ لهم لغتهم العربية وأنقذها من عشرات اللهجات الغامضة. صحيح أن هناك خلافات بين الدول العربية، وهذا طبيعي، ولكن هذه الخلافات يجب ألا تنسينا الوحدة المتينة بينها.

فمثلا لم تشترك إيران المسلمة وإندونيسيا المسلمة في فرض حظر البترول على العالم الغربي فيما بين 1973 و 1974. بينما نجد أن الدول العربية البترولية شاركت جميعا في هذا الحظر!

وهذا الموقف العربي الموحد يؤكد لنا أن الفتوحات العربية الإسلامية التي سادت القرن السابع ما يزال دورها عميقا وأثرها بليغا في تاريخ الإنسانية حتى يومنا هذا. فهذا الامتزاج بين الدين والدنيا هو الذي يجعلنا نؤكد بأن محمدا ﷺ هو أعظم الشخصيات أثرا في تاريخ الإنسانية كلها.

المسيـح عليه السلام
(6 ق.م – 30 م)


كنيسة القيامة

أثر المسيح عليه السلام على البشرية قوي ضخم، ولا أحد يمكنه أن يعترض على كونه في قمة هذه القائمة. والسؤال: كيف أن المسيح وهو صاحب أكثر الأديان أثرا في الإنسانية لم يكن أول هذه القائمة؟

ولا شك أن المسيحية بمرور الوقت أصبحت أكبر الديانات عددا، وعلى كل فليس المهم في هذه الدراسة هو أثر الديانة في الناس، ولكن أثر أصحاب هذه الديانة فيهم. والديانة المسيحية تختلف عن الإسلام، فالمسيحية لم يؤسسها شخص واحد، وإنما أقامها اثنان: المسيح عليه السلام والقديس بولس، ولذلك يجب أن يتقاسم شرف إنشائها هذان الرجلان.

فالمسيح عليه السلام قد أرسى المبادئ الأخلاقية للمسيحية، وكذلك نظرتها الروحية وكل ما يتعلق بالسلوك الإنساني، أما مبادئ اللاهوت فهي من صنع القديس بولس. فالمسيح هو صاحب الرسالة الروحية، ولكن القديس بولس أضاف إليها عبادة المسيح. كما أن القديس بولس هو الذي ألف جانبا كبيرا من «العهد الجديد» وكان المبشر الأول للمسيحية في القرن الأول للميلاد.

وقد رفع المسيح عليه السلام إلى السماء وهو ما يزال شابا (على خلاف الرسول محمد ﷺ) وترك المسيح وراءه عددا من الحواريين، وعند رفع المسيح إلى السماء ألف أتباعه طائفة يهودية صغيرة، ولكن القديس بولس هو الذي جعل هذه الفئة الصغيرة هيئة كبيرة نشطة شملت اليهود وغير اليهود، حتى أصبحت المسيحية واحدة من الديانات الكبرى.

ولهذه الأسباب فإن عددا من الباحثين يرون أن مؤسس هذه الديانة المسيحية هو القديس بولس وليس السيد المسيح. وهذا يؤدي إلى أن نضع القديس بولس قبل السيد المسيح في هذه القائمة، وليس واضحا ما كان سيئول إليه أمر المسيحية لولا القديس بولس، ولكن من المؤكد أيضا أنه لا مسيحية بغير المسيح.

وليس من المنطقي في شيء أن يكون السيد المسيح نفسه مسؤولا عن الذي أضافته الكنيسة أو رجالها إلى الديانة المسيحية، فكثير مما أضافوا يتنافى مع تعاليم المسيح نفسه، فالحروب بين المسيحيين، تناقض تماما كل الذي دعا إليه السيد المسيح، ويستحيل أن يقال إن السيد المسيح هو الذي أوصى بهذا كله.

وإذا كانت العلوم تطورت في العالم الغربي المسيحي، فليس من المنطق أن يقال إن المسيحية هي المسؤولة عن نهضة العلوم في العشرين قرنا الماضية، فلم نجد في شروح رجال الدين المسيحي من يقول إن المسيحية تدعو إلى التأمل في الكون أو الدعوة إلى التفكير العلمي، ومن المؤكد أن تحول الإمبراطورية الرومانية إلى المسيحية قد صاحبه في نفس الوقت انحطاط رهيب المستوى للتكنولوجيا والاهتمام بالعلم.

أما نهضة العلوم في أوروبا فترجع في الحقيقة إلى أن هناك شيئا ما في الحضارة الأوروبية والتراث الفكري يناسب لأسلوب العلمي في التفكير، وهذا الشيء ليس من تعاليم السيد المسيح، وإنما هو التفكير العقلي الإغريقي ممثلا في مؤلفات الفيلسوف أرسطو وهندسة إقليدس. ولم ينتعش العلم في أوروبا في عصر المد المسيحي ولكن في عصر النهضة، تلك الفترة التي عاودت فيها أوروبا تقديم كل ما سبق الديانة المسيحية من تراث إنساني.

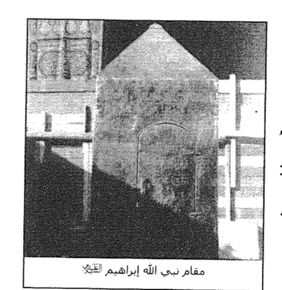
أما قصة حياة السيد المسيح فهي معروفة كما وردت في العهد الجديد، وإن كانت تجدر الإشارة إلى جوانب منها، وأكثر المعلومات عن حياة السيد المسيح ليست مؤكدة.

ومما هو معروف أن الأناجيل يناقض بعضها بعضا، مثلا نجد أن إنجيل «متى» وإنجيل «لوقا» يتناقضان في إيراد الكلمات الأخيرة للسيد المسيح، وإن كانت هذه الكلمات مأخوذة حرفيا من التوراة - أي العهد القديم.

وليس من قبيل الصدفة أن يكون للسيد المسيح كلمات مقتبسة من التوراة، فمؤسس المسيحية يهودي ويهودي مخلص، وقد أشير كثيرا إلى أن السيد المسيح كان يشبه من وجوه كثيرة أنبياء اليهود الذين جاؤوا في التوراة، كما أنه كان قد تأثر بهم أعمق الأثر، ويسوع كالأنبياء كلهم كان عميق الأثر في الناس حوله، وكان في غاية الشجاعة بكل معاني وأعماق هذه الكلمة.

وهو على خلاف محمد ﷺ لم يمارس السياسة ولا السلطة الدينية، فلم يكن ليسوع أي دور سياسي في حياته. ولا كان للمسيحية أثر سياسي والحقيقة أن هذه المبادئ لم تلق رواجا واسعا بين الناس، ولا حتى هي مقبولة عند الناس، فأكثر المسيحيين يرون أن الدعوة لأن «نحب أعدائنا» إسراف في المثالية لا يمكن تطبيقه إلا في عالم خيالي، ونحن عادة لا نطبق هذا المبدأ، ولا نتوقع من الآخرين أن يفعلوا ذلك، ولا حتى ننصح أطفالنا بأن يمشوا على هداه، وكذلك معظم تعاليم السيد المسيح ظلت محيرة، كما أنها نصائح لم يحاول تطبيقها كثيرون!

نبي الله إبراهيم عليه السلام


مقام نبي الله إبراهيم عليه السلام

قال الله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾﴾ [مريم:41]، وقال تعالى: ﴿۞ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [الأنبياء:51].

هو إبراهيم بن تارخ (وهو آزر) بن ناخور ابن ساروغ بن ارغو بن فالَع بن غابر بن شالخ بن قينان بن ارفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام، وقيل: إن إبراهيم عليه السلام كان يكنى أبا الضِّيفان لأنه كان مضيافًا كثير الكرم لمن استضافه.

كان أهلُ بابل في العراق يتنعمون برغد العيش ويتفيأون ظِلال النعم الكثيرة التي أنعمها الله عليهم، ولكنهم كانوا يتخبطون في دياجير الظلم ويتَردّون في وهاد الضلال والكفر، فقد نحتوا بأيديهم الأصنام واتخذوها من دون الله آلهة وعكفوا على عبادتها، وكان عليهم حاكم ظالم مُستبدّ يقال له نُمرود بن كنعان بن كوش، قيل هو الضحاك وقيل غيره، وكان أحد الملوك الذين ملكوا الأرض وأحاط ملكه مشارق الأرض ومغاربها، فلما رأى ما هو عليه من الزعامة وما يتمتعُ به من سطوة المُلك وقوة السلطان، ورأى ما أطبق على قومه من الجهل والفساد ادعى الإلوهية ودعا قومه إلى عبادته، وقيل: كان قوم إبراهيم يعبدون الكواكب السبعة وكان لهم أصنام بشكل الشمس والقمر وأصنام بشكل الكواكب.

في وسط هذه البيئة المنحرفة وفي زمن وعهد هذا الملِك الجبار الكافر النمرود كان مولدُ إبراهيم صلى الله عليه وسلم ، وفي موضع ولادته عليه السلام خلاف قيل: ولد بالسُّوس من أرض الأهواز، وقيل: ولد ببابل وهي أرض الكلدانيين، وقيل: بحران، وقيل: بغُوطة دمشق في قرية يقال لها بَرزة في جبل يقال له قاسيون، والمشهور عند أهل السير والتاريخ أنه ولد ببابل.

قال أهل التواريخ في السير: إنّه لما أراد الله عز وجل أن يبعث إبراهيم عليه السلام وأن يجعله حجة على قومه نبيًّا ورسولاً إليهم، ولم يكن فيما بين نوح وإبراهيم عليهما السلام من نبي قبله إلا هودًا وصالحًا عليهما السلام، ولما تقارب زمان إبراهيم أتى المنجّمون إلى هذا الملِك نمرود وقالوا له: اعلم أننا نجد في علمنا أن غلامًا يُولد في قريتك هذه يقال له إبراهيم، يفارقُ دينكم ويكسرُ أوثانكم في شهر كذا وكذا من سنة كذا وكذا.

فلما دخلت السنة التي وصف أصحاب النجوم لنمرود بعث نمرود هذا إلى كل امرأة حُبلى بقريته فحبسها عنده إلا ما كان من أم إبراهيم زوجة آزر والد إبراهيم عليه السلام فإنه لم يعلم بحبلها، وذلك أنها كانت جارية لم يعرف الحبل في بطنها، فجعل هذا الملك الطاغية لا تلدُ امرأةٌ غلامًا في ذلك الشهر من تلك السنة إلا أمر به فذُبح، فلما وجدت أمّ إبراهيم عليه السلام الطَّلْق خرجت ليلاً إلى مغارة كانت قريبة منها فولدت فيها إبراهيم عليه السلام وأصلحت من شأنه ما يُصنع بالمولود، ثم سدّت عليه المغارة ورجعت إلى بيتها، وكانت تزوره وتطالعه في المغارة لتنظر ما فعل، فكان يشبّ في اليوم ما يشبُّ غيرُه في الشهر وكانت تأتي فتجده حيًّا يمصّ إبهامه، فقد جُعل رزقُ إبراهيم عليه السلام في إبهامه فيما يجيئه من مصّه، ولم يمكث إبراهيم عليه السلام في المغارة إلا خمسةَ عشَر شهرًا، ثم ترعرع وكَبرَ واصطفاه اللهُ تعالى لحمل رسالته وإبانة الحقّ ودعاء قومه إلى عبادة الله وحدَه وإلى العقيدة الصافية من الدنس والشرك، وإلى ترك عبادة الكواكب والأصنام وإلى الدخول في دين الإسلام الذي هو دين جميع الأنبياء.

ذكرت قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام في عدّة مواضع من القرآن، تارة باختصار وتارة بالتطويل وتارة بذكر شأن من شؤونه في سورة، ثم شأن آخر من شؤونه في سورة أخرى.

وقصة إبراهيم عليه السلام تَرتبط بها قصص أخرى كقصة لوط، لأن إبراهيم ولوطًا كانا متعاصرين، ونبي الله لوط هو ابن أخي إبراهيم عليه السلام، وقد آمن لوط بعمّه إبراهيم كما قال تعالى: ﴿ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ ﴾ [العنكبوت:26].

اختارَ الله تبارك وتعالى إبراهيم عليه السلام وجعله نبيًّا رسولاً واصطفاه لهداية قومه ودعوتهم إلى دين الإسلام وتوحيد الله وترك عبادة الكواكب والأصنام التي لا تخلق شيئًا ولا تستحق العبادة، لأن الذي يستحقّ العبادة وحده هو الله تبارك وتعالى خالق كل شيء.

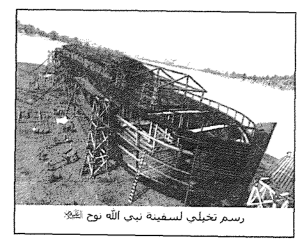
وقد كان إبراهيم عليه السلام كغيره من الأنبياء منذ صغره ونشأته مسلمًا مؤمنًا عارفًا بربّه معتقدًا عقيدة التوحيد مُنزّهًا ربَّه عن مشابهة المخلوقات، ومُدركًا أن هذه الأصنام التي يعبدها قومُه لا تُغني عنهم من الله شيئًا، وأنّها لا تضرّ ولا تنفع لأن الضارّ النافع على الحقيقة هو الله تعالى وحده. يقول الله تبارك وتعالى في حق إبراهيم عليه السلام: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [آل عمران:67]، وقال الله تعالى: ﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ [الأنبياء:51].

ولقد كان نبي الله إبراهيم ﷺ مفعم النفس بالإيمان بربه وعارفًا به ممتلئ الثقة بقدرة الله وأن الله تعالى قادر على كل شيء لا يعجزه شيء، وكان غير شاكّ ولا مُرتاب بوجود الله سبحانه مؤمنًا بما أوحي إليه من بَعث الناس بعد موتهم يوم القيامة وحسابهم في الحياة الأخرى على أعمالهم وما قدموا في هذه الحياة الدنيا.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾﴾ [البقرة:260].

ومعناه أن إبراهيم ﷺ كان مؤمنًا ومصدّقًا بقلبه تصديقًا جازمًا لا ريب فيه أن الله تبارك وتعالى قادرٌ على إحياء الموتى وإعادة الخلق يوم القيامة، ولكنه أراد أن يزداد بصيرةً ويقينًا فسأل الله تعالى أن يُريه كيف يحيي الموتى بعد مَوتهم، وقول الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ﴾ أي أنا مؤمن غير شاكّ ولا مُرتاب ولكن تاقت نفسي لأن أرى بعينيَّ ليطمئنَّ قلبي ويزداد يقيني، فمعنى قول إبراهيم ﴿لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ﴾ أي ليطمئنَّ قلبي بإجابة طلبي، لأنَّه من الجائز أن يعطي الله تعالى بعض الأنبياء جميعَ ما طلب أو أن يعطيَه بعضَ ما طلب ولا يعطيه بعضًا، فسيدنا محمد ﷺ الذي هو أشرفُ خَلق الله وأكرمُهم على الله ما أُعطي جميعَ ما طلب، بل أُعطي بعضَ ما طلب ومُنع بعض ما طلب، وإبراهيم ﷺ ما كان جازمًا وقاطعًا في نفسه بأن الله يعطيه ما سأل، لكنَّه كان مُؤمنًا بأن الله تبارك وتعالى قادرٌ على ذلك، لكن كان عنده احتمال أن الله يريه كيف يحيي الموتى واحتمال أنّه لا يريه، فأجابَ الله تبارك وتعالى سؤال إبراهيم ﷺ وأمرَه أن يأخذ أربعةً من الطير ويتعرف على أجزائها ثم يُفرقها أشلاء وأجزاء ويجعل على كل جبل منهنّ جُزءًا ثم يدْعوهنَّ إليه فيأتينه سعيًا بإذن الله، فلمّا فعل إبراهيمُ خليلُ الرحمنِ ما أمره الله تعالى صارَ كلُّ جُزءٍ ينضمّ إلى مثلِهِ وعادت الأشلاء والأجزاء كما كانت وعادت الروحُ إلى كل طير، ورجعت الطيور الأربعة بقدرة الله تعالى ومشيئته إلى إبراهيم ﷺ، وهو يرى آيات الله البينات وآثار قدرته العظيمة التي تدل أنه تعالى لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء فتبارك الله أحسن الخالقين أي أحسن المقدّرين.

نبي الله نوح عليه السلام


رسم تخيلي لسفينة نبي الله نوح عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١﴾ [نوح:1].

هو نوح بن لامَك بن مَتُّوشَلَخ بن أَخَنوخ - وهو إدريس - بن يرد بن مهلاييل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم أبي البشر. وكان بين نوح وآدم عشرة قرون كما جاء ذلك في حديث ابن حبان.

وبالجملة فنوح عليه السلام أرسله الله إلى قوم يعبدون الأوثان قال تعالى إخبارًا عنهم: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ٢٣﴾ [نوح:23]. وقد قيل أن هذه أسماء رجال صالحين من قوم إدريس وكان لهم رجال يقتدون بهم فلما هلكوا أوحى الشيطان أي بث إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابًا وسموها بأسمائهم، ففعلوا فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وانتسخ العلم عبدت.

بعث الله نوحًا عليه السلام إلى هؤلاء الكفار ليدعوهم إلى الدين الحقّ وهو الإسلام والعبادة الحقّة وهي عبادة الله وحده وترك عبادة غيره، وقال لهم: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٦٥﴾ [الأعراف:65]، وقال: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ٥٩﴾ [الأعراف:59]، وقال: ﴿أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ ٢٦﴾ [هود:26]، وقال: ﴿يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٢ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ٣﴾ [نوح:2-3]، ودعاهم إلى الله بأنواع الدعوة في الليل والنهار والسر والإجهار، وبالترغيب تارة وبالترهيب أخرى، لكن أكثرهم لم يؤمن بل استمروا على الضلال والطغيان وعبادة الأوثان ونصبوا له العداوة ولمن آمن به وتوعدوهم بالرجم ﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٦٠﴾ [الأعراف:60] فأجابهم ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦١ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ

لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف:61-62] وقالوا له فيما قالوا بعد أن تعجبوا أن يكون بشر رسولاً ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [هود:27].

لبث سيدنا نوح في قومه يدعوهم إلى الإسلام ألف سنة إلا خمسين عامًا قال تعالى: ﴿ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾ [العنكبوت:14]، وكان قومه يبطشون به فيخنقونه حتى يغشى عليه، حتى تمادوا في معصيتهم وعظمت منهم الخطيئة فلا يأتي قرن إلا كان أخبث من الذي كان قبله، حتى إن كان الآخر ليقول: قد كان هذا مع آبائنا وأجدادنا مجنونًا لا يقبلون منه شيئًا. ومن جملة ما قال لهم ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ﴾ [هود:34] أي أن الله هو الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء، ولكن اليأس لم يدخل قلب نوح بل أخذ يجاهد في إبلاغ الرسالة ويبسط لهم البراهين، ولم يؤمن به إلا جماعة قليلة استجابوا لدعوته وصدقوا برسالته.

ثم إن الله أوحى إليه أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن قال تعالى: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ ﴾ [هود:36]، فلما يئس من إيمانهم دعا عليهم فقال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾﴾ [نوح:26-27] فلما شكا إلى الله واستنصره عليهم أوحى الله إليه: ﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [هود:37]، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾﴾ [الصافات:75-76].

فأقبل نوح على عمل السفينة وجعل يهيئ عتاد الفلك من الخشب والحديد والقار وغيرها، وجعل قومه يمرون به وهو في عمله فيسخرون منه وكانوا لا يعرفون الفلك قبل ذلك، ويقولون: يا نوح قد صرت نجارًا بعد النبوة! وأعقم الله أرحام النساء فلا يولد لهن. وصنع الفلك من خشب الساج وقيل غير ذلك، ويقال إن الله أمره أن يجعل طوله ثمانين ذراعًا وعرضه خمسين ذراعًا، وطوله في السماء ثلاثين ذراعًا. وقيل: كان طولها ألف ذراع ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع وقيل غير ذلك والله أعلم.

ويقال إن نوحًا جعل الفلك ثلاث طبقات: سفلى ووسطى وعليا، السفلى للدواب والوحوش، والوسطى للناس، والعليا للطيور، حتى إذا فرغ منه وقد عهد الله إليه ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [هود:40] وقد جعل التنور آية، وقيل: إنه طلوع الشمس، وكان تنورًا من حجارة كانت لحواء، وقيل: كان تنورًا من أرض الهند، وقيل: بالكوفة. وأخبرته زوجته بفوران الماء من التنور، ولما فار التنور حمل نوح مَن أمر الله بحمله وكانوا ثمانين رجلاً، وقيل غير ذلك. وكان فيها نوح وثلاثة من بنيه سام وحام ويافث وأزواجهم وتخلف عنه ابنه قيل اسمه يام وقيل كنعان وكان كافرًا. ويقال إن نوحًا حمل معه جسد آدم عليه السلام، وقال تعالى: ﴿ ۞ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ ﴾ [هود:41].

ثم إن المطر جعل ينزل من السماء كأفواه القِرَبِ، فجعلت الوحوش يطلبن وسط الأرض هربًا من الماء حتى اجتمعت عند السفينة فحينئذ حمل فيها من كل زوجين اثنين.

لما اطمأن نوح في الفلك، وأدخل فيه من أمر به جاء الماء كما قال تعالى: ﴿ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ ﴾ [القمر:11-13] والدسر: المسامير. وقوله تعالى: (تجري بأعيننا) أي بحفظنا وحراستنا.

وجعلت الفلك تجري بهم في موج كالجبال قال الله تعالى: ﴿وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ ﴾ [هود:42]، وذلك أن الله تعالى أرسل من السماء مطرًا لم تعهده الأرض قبله وأمر الأرض فنبعت من جميع فِجاجها، ونادى نوح ابنه الذي هلك لأن يؤمن ويصعد وكان في معزل: ﴿ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [هود:42] وكان كافرًا خالف أباه في دينه، ﴿ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ ﴾ [هود:43]، فقال نوح ﴿قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [هود:43].

قال جماعة من المفسرين: أرسل الله المطر أربعين يومًا، ويقال: إنهم ركبوا فيها لعشر ليال مضين من رجب وخرجوا منها يوم عاشوراء من المحرم، وكان الماء نصفين نصفًا من

السماء ونصفًا من الأرض وقد ارتفع الماء على أعلى جبل في الأرض قيل: خمسة عشر ذراعًا، وقيل ثمانين والله أعلم، وقد عم جميع الأرض سهلها وحَزنها وجبالها وقفارها، فلم يبق على وجه الأرض أحد ممن عبد غير الله عز وجل، قال الله تعالى: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [الأعراف:64]، وقال تعالى: ﴿ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الأنبياء:77]. وطافت السفينة بالأرض كلها لا تستقر حتى أتت الحرم فدارت حوله أسبوعًا، ثم ذهبت في الأرض تسير بهم حتى انتهت إلى جبل الجودي وهو بأرض الموصل فاستقرت عليه.

قال تعالى: ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [هود:44]. ثمّ لما غاض الماء أي نقص عما كان وأمكن السعي فيها والاستقرار عليها هبط نوح ومن معه من السفينة التي استقرت بعد سيرها على ظهر جبل الجودي قال الله تعالى: ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ ﴾ [هود:48].

ثم إن نسل أهل السفينة انقرضوا غير نسل ولده فالناس كلهم من ولد نوح، ولم يُجعل لأحد ممن كان معه من المؤمنين نسلٌ ولا عقبٌ سوى نوح عليه السلام قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الصافات:77]، فكل من على وجه الأرض اليوم من سائر أجناس بني آدم ينسبون إلى أولاد نوح الثلاثة.

روى الإمام أحمد عن سمُرة أن النبي ﷺ قال: «سام أبو العرب، وحام أبو الحبش، ويافث أبو الروم» ورواه الترمذيّ عن سمرة مرفوعًا بنحوه، وقيل: المراد بالروم هنا الروم الأول وهم اليونان، وروي عن سعيد بن المسيب انه قال: «ولد نوح ثلاثة: ساما ويافثا وحاما، وولد كل واحد من هؤلاء الثلاثة ثلاثة: فولد سام العرب وفارس والروم، وولد يافث الترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج، وولد حام: القِبط والسودان والبربر».

قيل: بعث سيدنا نوح وله أربعمائة وثمانون سنة وإنه عاش بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسين سنة فيكون قد عاش على هذا ألف سنة وسبعمائة وثمانين سنة والله أعلم.

ويروى أن نوحًا لما حضرته الوفاة قيل له: كيف رأيت الدنيا؟ قال: «كبيت له بابان دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر».

وأما قبره ﷺ فقيل إنه بالمسجد الحرام وهو الأقوى، وقيل: إنه ببلدة في البقاع تعرف اليوم «بكرك نوح» وهناك جامع قد بني بسبب ذلك فيما ذكر، وقيل: إنه بالموصل والله أعلم.

نبي الله آدم عليه السلام

أثر قدم آدم عليه السلام في سيريلانكا

سيدنا آدم عليه السلام هو أبو البشر وأول إنسان خلقه الله تعالى، فهو أول النوع البشري الذي فضله الله على سائر أنواع المخلوقات، فهو أفضل من النوع الملائكي وأفضل من النوع الجني.

وكان خلقه عليه السلام في الجنة آخر ساعة من يوم الجمعة من الأيام الست التي خلق الله فيها السموات والأرض كما جاء في حديث مسلم، وروى مسلم وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال (خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم).

شاء الله سبحانه وتعالى بمشيئته الأزلية التي لا تتبدل ولا تتغير وجود آدم عليه السلام فأبرزه بقدرته من العدم إلى الوجود. فقد أمر الله تعالى ملكا من ملائكته الكرام أن يأخذ من جميع أنواع تراب الأرض التي نعيش عليها ليخلق منه آدم عليه السلام، فأخذ هذا الملك من جميع أنواع تراب الأرض من أبيضها وأسودها وما بين ذلك، ومن سهلها وحزنها أي قاسيها وما بين ذلك،ومن طيبها ورديئها ومما هو بين ذلك.

قال رسول الله ﷺ (إن الله قبض قبضة من الأرض من أبيضها وأسودها وما بين ذلك، ومن طيبها ورديئها وما بين ذلك فجاء ذرية آدم على قدر ذلك) رواه ابن حبان وغيره، وعند أحمد (فجاء بنو آدم على قدر الأرض، فجاء منهم الأبيض والأحمر والأسود وبين ذلك، والسهل والحزم وبين ذلك، والخبيث والطيب وبين ذلك). أي جاءت أحوال وألوان ذرية آدم عليه السلام مختلفة بسبب هذا التراب المختلف الذي خُلق منه آدم عليه السلام.

خلق الله سيدنا آدم جميل الشكل والصورة وحسن الصوت لأن جميع أنبياء الله الذين بعثهم الله لهداية الناس كانوا على صورة جميلة وشكل حسن وكذلك كانوا جميلي الصوت، قال ﷺ (ما بعث الله نبيا إلا حسن الوجه حسن الصوت وإن نبيكم أحسنهم وجها وأحسنهم صوتا).

ولقد كان طول سيدنا آدم عليه السلام ستين ذراعاً شبهه رسول الله في الطول بالنخلة السحُوق، فلما خلقه الله قال: اذهب فسلم على أولئك - نفر من الملائكة جلوس -

فاستمع ما يُحيونك فإنها تحيتك وتحية ذريتك، فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليك ورحمة الله، فزادوه: ورحمة الله. وكل من يدخل الجنة يكون على صورة آدم في الطول فقد ورد في مسند الإمام أحمد بإسناد حسن عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أن أهل الجنة يدخلون الجنة على خلق آدم ستين ذراعاً في عرض سبعة أذرع.

روى الإمام أحمد عن رسول الله ﷺ (إن الله عز وجل لما صور آدم تركه ما شاء الله أن يتركه فجعل إبليس يُطيف به فلما رآه أجوف عرف أنه خلق لا يتمالك) وعند أبي يعلي (فكان إبليس يمر به فيقول: لقد خلقت لأمر عظيم).

ففي هذا الحديث الصحيح دليل على أن إبليس كان في الجنة لما خلق آدم وذلك قبل أن يكفر لأنه كان مسلما يتعبد مع الملائكة ولم يكن منهم من حيث الجنس والأصل لأن الملائكة أصلهم النور وإبليس أصله من مارج من نار أي لهب النار، وفيه أن إبليس كان يدور حول هيكل آدم وذلك قبل أن ينفخ فيه الروح فرآه أجوف أي شيئا غير مصمت بل له جوف، فعرف أنه خلق لا يتمالك أي ليس كالملائكة ولا كالجمادات بل هو أضعف من ذلك.

ومن الكذب الظاهر ما شاع من نظرية ابتدعها بعض الكفار وهي أن أصل البشر قرد أو يشبه القرد وهذا فيه تكذيب لقوله تعالى، فسيدنا آدم عليه السلام هو أول إنسان خلقه الله تبارك وتعالى ولم يكن أصله قرداً ثم ترقى حتى صار إنساناً، فنظرية داروين التي تقول إن الإنسان أصله قرد ثم ترقى بسبب العوامل المجهولة حتى صار هذا الإنسان، هي نظرية باطلة لا تقوم على أساس علمي وتردها دلائل النقل وإن تلقفها المفتونون بكل جديد ولو كان سخيفاً باطلا.

وما جاء في القرآن من مسخ بعض اليهود قردة وخنازير فهو حالة نادرة جعلها الله تبارك وتعالى عذابا لليهود الذين اعتدوا في السبت وعصوا الله تبارك وتعالى وموعظة وعبرة للمتقين. على أن أولئك الذين مسخهم الله تبارك وتعالى قردة لم يعيشوا طويلا بل عاشوا ثلاثة أيام ثم ماتوا ولم يتركوا نسلا من جنس ما مسخوا إليه.

خلق الله تعالى سيدتنا حواء من ضلع آدم الأيسر الأقصر كما جاء في الحديث الذي رواه الشيخان: (ولأم مكانه لحما)، قيل لذلك سميت حواء بهذا الاسم لأنها خلقت من شيء حي، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: (استوصوا بالنساء،

فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوجَ شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء) [الحديث].

ولم يخلق الله تبارك وتعالى حواء طفلة صغيرة ثم طورها إلى الكبر، بل خلقها على هيئتها التي عاشت عليها كبيرة طويلة مناسبة لطول آدم عليه السلام. وقد زوج الله تعالى آدم حواء وجعلها له حلالا في الجنة ثم كانا كذلك في الأرض.

أمر الله تبارك وتعالى الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام فامتثل الملائكة لأمر الله وسجدوا كلهم . أما إبليس فقد استكبر واعترض على الله ولم يمتثل لأمره، فكفر وظهر منه ما قد سبق في علم الله تعالى ومشيئته من كفره واعتراضه باختياره، وقد ورد في الأثر أنه كان قبل كفره يسمى عزرائيل.

وروى مسلم وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول: يا ويله، أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة، وأمرت بالسجود فأبيت فلي النار).

ثم بعد أن عرف إبليس اللعين أنه ملعون طلب من الله أن ينظره أي يؤخره إلى يوم البعث أي يوم الخروج من القبور ولكن الله لم يجبه إلى ذلك بل أخره إلى النفخة الأولى ليذوق الموت الذي حكم الله به على خلقه، ثم إن إبليس اللعين لما اعترض وكفر أمره الله بالخروج من الجنة، لكنه لم يخرج منها فورًا بل أقام فيها مُدة ليوسوس لآدم وحواء بعصيان الله تعالى ليكون سبباً في إخراجهما من الجنة، وقد كان إبليس قبل ذلك الوقت مسلماً مؤمنا من الجن يعبُد الله مع الملائكة، وذلك قبل أن يكفر ويعترض على الله، وليس صحيحاً أنه كان طاووس الملائكة ولا رئيساً لهم كما يزعم بعض الجهال، قال الحسن البصري: لم يكن إبليس من الملائكة طرفة عين قط.

قضى الله على آدم وبنيه باستخلاف الأرض لعمارتها والانتفاع بما أودعه فيها من نبات وحيوان ومعادن ويتولى بعضهم على بعض بالحكم وغير ذلك.

وقد أخبر الله الملائكة وأعلمهم أنه سيجعل بني آدم خليفة في الأرض يسعون فيها ويمشون في مناكبها وينتشر نسلهم في أرجائها، ويأكلون من نباتها ويستخرجون الخيرات من باطنها ويخلف بعضهم بعضاً فيها.

فسألت الملائكة ربها للاستكشاف عن الحكمة في جعله خليفة في الأرض لا للاعتراض على الله وقالت: نحن نعبدك دائما ولا يعصيك منا أحد. فبين الله للملائكة الحكمة من جعل بني آدم خليفة في الأرض وهو أن البشر وإن كان فيهم من يسفك الدماء ويفسد في الأرض، لكن منهم الأنبياء والأولياء، ونصب لهم دليلا على فضل آدم أن علمه أسماء كل شيء فتفوق على الملائكة بذلك.

أمر الله تعالى سيدنا آدم وزوجته حواء التي جعلها حلالا له أن يسكنا الجنة، وهي جنة الخلد التي سيدخلها المؤمنين يوم القيامة.

وقد أباح الله لآدم وحواء سكنى الجنة والأكل من ثمارها والشراب من مياهها والتنعم بنعيمها من غير مشقة ولا تعب يلحقهما في الحصول على ما يريدان من طعام وشراب، إلا شجرة واحدة حرمها عليهما ونهاهما عن الأكل منها، وحذرهما من عداوة إبليس وإغوائه، ولم يرد في القرآن الكريم ولا في الحديث الثابت الصحيح عن رسول الله ﷺ ما هي هذه الشجرة، لذلك اختلف العلماء في تعيينها فقيل: هي الحنطة، وقيل: هي التفاح، وقيل: هي النخلة، وقيل: التين، وقيل غير ذلك، فقد تكون واحدة من هذه وقد تكون من غيرها، وقال بعضهم: هذا الخلاف لا طائل تحته لأنه لا يتعلق بتعيينها حكم شرعي ولا فائدة تاريخية وإلا لعينها القرآن الكريم.

وسكن آدم وحواء الجنة وصارا يتمتعان بما فيها من نعيم وما فيها من كل ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين، فكان يتنقل بين أشجارها ويقطف من ثمارها ويتنعم بفاكهتها ويشرب من عذب أنهارها ومياهها.

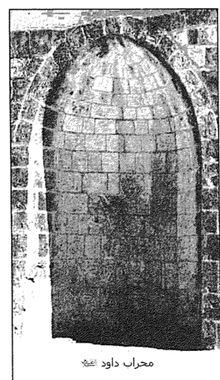
أما السبب في خروج آدم من الجنة فهو أن آدم خالف النهي الذي نهاه الله لأنه أعلمه بالمنع من أكل شجرة واحدة من أشجار الجنة وأباح له ما سواها فوسوس الشيطان له ولحواء أن يأكلا منها.

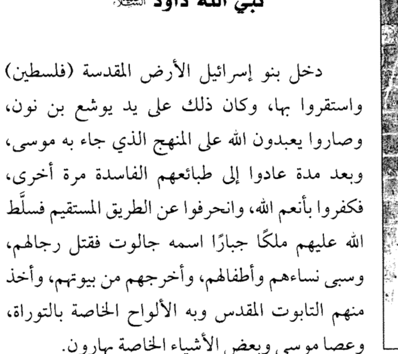
عاش سيدنا آدم عليه السلام ألف سنة، قيل: قضى منها مائة وثلاثين سنة في الجنة وبقية الألف عاشها على هذه الأرض التي نزل إليها، ولما مات بقيت ذريته على دين الإسلام يعبدون الله تعالى وحده ولم يشركوا به شيئاً، فعاش البشر ألف سنة أخرى على دين الإسلام.

ولم يكن فيهم كفر ولا شرك وإنما حصل الكفر والشرك بعد نبي الله إدريس عليه السلام فكان سيدنا نوح عليه السلام أول نبي بعث إلى الكفار.

وقد ورد في الأثر أن آدم عليه السلام دفن في مكة أو في منى قرب مسجد الخيف حيث دفن سبعون نبيا، وقبورهم مخفاة ولا توجد علامات تدل عليها، وقيل دفن عند الجبل الذي أهبط عنده في الهند، وقيل بجبل أبي قبيس بمكة.

نبي الله داود عليه السلام


محراب داود عليه السلام



دخل بنو إسرائيل الأرض المقدسة (فلسطين) واستقروا بها، وكان ذلك على يد يوشع بن نون، وصاروا يعبدون الله على المنهج الذي جاء به موسى، وبعد مدة عادوا إلى طبائعهم الفاسدة مرة أخرى، فكفروا بأنعم الله، وانحرفوا عن الطريق المستقيم فسلَّط الله عليهم ملكًا جبارًا اسمه جالوت فقتل رجالهم، وسبى نساءهم وأطفالهم، وأخرجهم من بيوتهم، وأخذ منهم التابوت المقدس وبه الألواح الخاصة بالتوراة، وعصا موسى وبعض الأشياء الخاصة بهارون.

وأراد بنو إسرائيل قتال جالوت وجنوده، ولم يكن لهم في هذه الفترة ملك يوحد صفوفهم لقتال هذا الملك الجبار، وكان بينهم آنذاك نبي من أنبياء الله فذهبوا إليه وأخبروه أنهم يريدون ملكًا عليهم لمحاربة جالوت، فتعجب نبيهم من هذا الطلب، وذكرهم من أنه يخشى إن فرض عليهم القتال أن يرفضوا القتال، ولكنهم أكدوا له عزمهم على القتال، فقد طردوا من بيوتهم، وابتعدوا عن أبنائهم، فأوحى الله إلى نبيهم أن يخبرهم أن الله قد بعث لكم طالوت ملكًا، فلما أخبرهم بذلك تعجبوا، وغضبوا من هذا الاختيار، حيث كان الكثير منهم خاصة الأغنياء يطمع أن يكون هو الملك الذي يوحد الصفوف لقتال جالوت، وتكون له الهيمنة والسلطان، ويحظى بشرف الحكم والقيادة، ومن أجل ذلك اعترض الكثير منهم على اختيار طالوت ليتولى المُلك من بينهم.

فأخبرهم نبيهم أن هذا اختيار الله، وأنه - سبحانه - قد أعطى طالوت قوة في الجسم، وسعة في العلم، وأن علامة ملك طالوت أن تأتيه الملائكة بالتابوت الذي كان قد أخذه جالوت من قبل، وفي لحظات كانت الملائكة قد أتت بالصندوق ووضعته أمام طالوت، فلما رأى بنو إسرائيل ذلك رضوا به، ووافقوا على حكمه لهم، ثم أوحى الله لنبي بني إسرائيل أن يخبرهم بأن الله يأمرهم بالخروج مع طالوت لقتال عدوهم الذي أذلهم، وأسر وسبى أبناءهم.

ولكنهم امتنعوا عن القتال إلا قليلاً منهم تشجعوا، واستعدوا للقتال، فساروا مع طالوت للقاء جالوت الجبار وجنوده، وبهذه القلة التي آمنت، خرج طالوت وسار في طريق صحراوي ليس فيه ماء، فاشتكى بنو إسرائيل من الظمأ والعطش فطمأنهم ملكهم طالوت وطلب منهم الصبر ومواصلة السير، وبعد لحظات اقترب طالوت وجنوده من نهر من الأنهار، فقال لهم طالوت مبينًا أنهم سيمرون على نهر فمن شرب منه بكثرة، فقد خرج عن طاعته إلا من اغترف غرفة بيده يروى بها ظمأه، ومن خالف هذا الأمر فعليه أن يترك الجيش ويرجع من حيث جاء، فلما وصل طالوت وبنو إسرائيل إلى النهر، لم يستجب أكثرهم لما أمرهم به الملك طالوت، فشربوا من النهر حتى امتلأت بطونهم إلا قليلاً منهم.

فأمر طالوت كل من شرب من النهر حتى شبع أن يترك الجيش ويعتزل الباقين، ثم واصل سيره بالبقية الباقية من بني إسرائيل، وعبر النهر ليلتقي مع جيش جالوت وحتى هذه القلة التي ثبتت تراجع بعضهم وأصابهم الخوف عندما رأوا كثرة جنود جالوت، ولم يصبر معه إلا المؤمنون الصادقون الذين يعلمون أن الله ينصر المؤمنين بقوة إيمانهم لا بكثرة عددهم، ولما ظهر جالوت وجنوده أمامهم، واقترب منهم دعوا الله فقالوا: ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾﴾ [البقرة:250].

وفي الميدان المخصص للقتال وقف جالوت وجنوده في ناحية، وطالوت وبنو إسرائيل في ناحية أخرى، ثم تقدم جالوت على حصانه، مسلحًا بكافة الدروع ونادى بأعلى صوته، هل من مبارز؟ هل من مقاتل؟ وكان في جيش طالوت جندي عظيم، هو نبي الله داود، والذي يرجع نسبه إلى إبراهيم -عليه السلام- فخرج من بين الصفوف ليبارز جالوت الجبار بعد أن امتنع جميع بني إسرائيل عن الخروج إليه، فضرب داود جالوت بحجارة عن طريق مقلاعه، فوقع قتيلاً، ففر الجيش هاربًا، وانتصرت القلة المؤمنة بحول الله وقوته على الكثرة الكافرة المشركة.

وانتهت المعركة، وبدأ عهد نبي جديد وملك جديد، قال تعالى: ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ﴾ [البقرة:251].

وجمع الله لداود الملك والنبوة، فكان ملكًا نبيًّا، وأنزل عليه الزبور، وهو كتاب مقدس فيه كثير من المواعظ والحكم، قال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾﴾ [النساء:163].

وأعطى الله لداود صوتًا جميلاً لم يعطه لأحد من قبله، فكان إذا قرأ كتابه الزبور، وسبح الله، وقف الطير في الهواء يسبح الله معه، وينصت لما يقرؤه وكذلك الجبال فإنها كانت تسبح معه في الصباح والمساء، قال تعالى: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾﴾ [ص:18-19] وأيد الله داود بمعجزات كثيرة دالة على نبوته، فألان له الحديد، حتى يسهل عليه صنع الدروع والمحاريب التي تستخدم في الحروب والقتال.

وأراد الله - سبحانه - أن يعلم داود درسًا في العدل حين يحكم، فبينما كان يجلس في محرابه يصلي ويتعبد، فوجئ باثنين من الرجال يصعدان على سور محرابه حتى وصلا إليه، فدخلا عليه، فخاف منهما وفزع، فقال الرجلان: يا داود لا تخف، خصمان بغى بعضنا على بعض فجئنا لتحكم بيننا بالحق، فسألهم داود عن قضيتهم، فقال أحد الخصمين: إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة، فأراد أن يأخذها مني ليكمل المائة، فتسرع داود في الحكم لهذه القضية قبل أن يسمع كلام الآخر، فقال: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [ص:42] وما إن أكمل داود حكمه حتى اختفى هذان الرجلان فجأة دون أن يخرجا من الباب أو يعودا كما جاءا، فأدرك داود أن هذين ملكان أرسلهما الله ليعلماه أن يسمع من الخصمين قبل أن يحكم بينهما، فاستغفر داود ربه.

وكان داود يتقرب إلى الله بالذكر والدعاء والصلاة، لذلك مدحه الله بقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾﴾ [ص:17] وكان رسول الله ﷺ يقول عنه: (كان أعبد البشر) وقال ﷺ : (أحب الصيام إلى الله صيام داود، كان يصوم يومًا ويفطر يومًا، وأحب الصلاة إلى الله صلاة داود، كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه).

وكان داود لا يأكل إلا من عمل يده، لأنه يعلم أن أفضل الكسب هو ما يكسبه الإنسان من صنع يده، قال ﷺ : (ما أكل أحد طعامًا قط خيرًا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود -عليه السلام- كان يأكل من عمل يده) وقد مات داود عليه السلام وتولى من بعده ابنه سليمان عليه السلام الحكم وجعله الله نبيًّا، قال تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾ [النمل:16].

نبي الله سليمان عليه السلام

مقام نبي الله سليمان عليه السلام

قال الله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾ [النمل:16].

أي: ورثه في النبوة والملك، وليس المراد ورثه في المال؛ لأنه قد كان له بنون غيره، فما كان ليخص بالمال دونهم، ولأنه قد ثبت في الصحيح من غير وجه عن جماعة من الصحابة أن رسول الله ﷺ قال: «لا نورث، ما تركنا فهو صدقة».

وقد علمه الله سبحانه وتعالى منطق الطير وكذلك ما عداها من الحيوانات وسائر صنوف المخلوقات، والدليل على هذا قوله بعد هذا من الآيات: ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ أي: من كل ما يحتاج الملك إليه من العدد والآلات والجنود والجيوش والجماعات من الجن والإنس والطيور والوحوش والشياطين والسارحات والعلوم والفهم والتعبير عن ضمائر المخلوقات من الناطقات والصامتات، ثم قال: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾ أي: من بارئ البريات وخالق الأرض والسماوات، كما قال تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾ [النمل:17-19].

ويذكر تعالى ما كان من أمر سليمان والهدهد، وذلك أن الطيور كانت على كل صنف منها مقدمون، ويقومون بما يطلب منهم، ويحضرون عنده بالنوبة كما هي عادة الجنود مع الملوك. وكانت وظيفة الهدهد على ما ذكره ابن عباس وغيره أنهم كانوا إذا أعوزوا الماء في القفار في حال الأسفار يجيء فينظر لهم هل بهذه البقاع من ماء، وفيه من القوة التي أودعها الله تعالى فيه، أن ينظر إلى الماء تحت تخوم الأرض، فإذا دلهم عليه حفروا عنه، واستنبطوه وأخرجوه واستعملوه لحاجتهم. فلما تطلبه سليمان عليه السلام ذات يوم فقده ولم

يجده في موضعه من محل خدمته ﴿مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ ٢٠﴾ [النمل:20] أي: ما له مفقود من هاهنا، أو قد غاب عن بصري فلا أراه بحضرتي؟ ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابٗا شَدِيدًا﴾ [النمل:21]، توعده بنوع من العذاب اختلف المفسرون فيه، والمقصود حاصل على كل تقدير ﴿أَوۡ لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ أَوۡ لَيَأۡتِيَنِّي بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ٢١﴾ [النمل:21] أي بحجة تنجيه من هذه الورطة.

قال الله تعالى: ﴿فَمَكَثَ غَيۡرَ بَعِيدٖ﴾ [النمل:22] أي: فغاب الهدهد غيبة ليست بطويلة، ثم قدم منها (فقال) لسليمان ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ﴾ [النمل:22] أي: اطلعت على ما لم تطلع عليه ﴿وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ ٢٢﴾ [النمل:22] أي: بخبر صادق ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ٢٣﴾ [النمل:23] يذكر ما كان عليه ملوك سبأ في بلاد اليمن من المملكة العظيمة والتبابعة المتوجين، وكان الملك قد آل في ذلك الزمان إلى امرأة منهم ابنة ملكهم لم يخلف غيرها فملكوها عليهم. وذكر الثعلبي وغيره أن قومها ملكوا عليهم بعد أبيها رجلاً فعم الفساد، فأرسلت إليه تخطبه فتزوجها، فلما دخلت عليه سقته خمراً ثم حزت رأسه ونصبته على بابها، فأقبل الناس عليها وملكوها عليهم وهي بلقيس بنت السيرح وهو الهدهاد. وقيل شراحيل بن ذي جدن بن السيرج بن الحارث بن قيس بن سيفي بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وكان أبوها من أكابر الملوك، وكان قد تأبى أن يتزوج من أهل اليمن، فيقال: إنه تزوج بامرأة من الجن اسمها ريحانه بنت السكن، فولدت له هذه المرأة واسمها تلقمة، ويقال لها: بلقيس.

وقد روى الثعلبي من طريق سعيد بن بشير عن قتادة، عن النضر، عن بشير بن نهيك، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ أنه قال: «كان أحد أبوي بلقيس جنيا» وهذا حديث غريب وفي سنده ضعف.

وقد ثبت في صحيح البخاري من حديث عوف، عن الحسن، عن أبي بكر أن رسول الله ﷺ لما بلغه أن أهل فارس ملكوا عليهم ابنة كسرى قال: «لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة».

ثم ذكر كفرهم بالله وعبادتهم الشمس من دون الله وإضلال الشيطان لهم وصده إياهم عن عبادة الله تعالى وحده لا شريك له الذي يخرج الخبء في السماوات والأرض

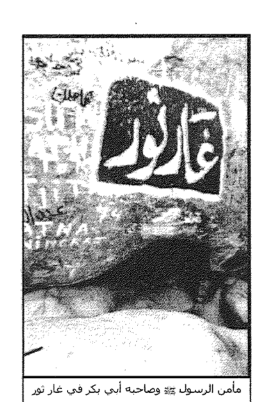
ويعلم ما يخفون وما يعلنون، أي: يعلم السرائر والظواهر من المحسوسات والمعنويات: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾﴾ [النمل:26] أي: له العرش العظيم الذي لا أعظم منه في المخلوقات.

فعند ذلك بعث سليمان عليه السلام كتابه يتضمن دعوته لهم إلى طاعة الله وطاعة رسوله والإنابة والإذعان والدخول في الخضوع لملكه وسلطانه، ولهذا قال لهم: ﴿أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ﴾ [النمل:31] أي: لا تستكبروا عن طاعتي وامتثال أوامري ﴿وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [النمل:31] أي: وأقدموا على سامعين مطيعين بلا معاودة ولا مراودة، فلما جاءها الكتاب مع الطير، ومن ثم اتخذ الناس البطائق ولكن أين الثريا من الثرى! تلك البطاقة كانت هي طائر سامع مطيع فاهم عالم بما يقول ويقال له، فذكر غير واحد من المفسرين وغيرهم أن الهدهد حمل الكتاب، وجاء إلى قصرها، فألقاه إليها وهي في خلوة لها، ثم وقف إلى مشورتها ﴿قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾ [النمل:29] ثم قرأت عليهم عنوانه أولاً: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ﴾ [النمل:30] ثم قرأته: ﴿وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [النمل:30-31] ثم شاورتهم في أمرها وما قد حل بها، وتأدبت معهم وخاطبتهم وهم يسمعون ﴿قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا حَتَّىٰ تَشۡهَدُونِ ﴿٣٢﴾﴾ [النمل:32] تعني: ما كنت لأبت أمراً إلا وأنتم حاضرون ﴿قَالُواْ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ﴾ [النمل:33] يعنون: لنا قوة وقدرة على الجلاد والقتال ومقاومة الأبطال، فإن أردت منا ذلك فإنا عليه من القادرين (و) مع هذا فـ ﴿وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [النمل:33] فبذلوا لها السمع والطاعة وأخبروها بما عندهم من الاستطاعة، وفوضوا إليها ذلك الأمر، لترى فيه ما هو الأرشد لها ولهم.

فكان رأيها أتم وأشد من رأيهم، وعلمت أن صاحب هذا الكتاب لا يغالب ولا يمانع ولا يخالف ولا يخادع ﴿قَالَتۡ إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً أَفۡسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۚ وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [النمل:34] تقول برأيها السديد: إن هذا الملك لو قد غلب على هذه المملكة لم يخلص الأمر من بينكم إلا إلي، ولم تكن الحدة الشديدة والسطوة البليغة إلا علي (وإني مرسلة إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون) أرادت أن تصانع عن نفسها

وأهل مملكتها بهدية ترسلها وتحف تبعثها، ولم تعلم أن سليمان عليه السلام لا يقبل منهم والحالة هذه صرفا ولا عدلاً، لأنهم كافرون، وهو وجنوده عليهم قادرون. ولهذا ﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [النمل:36] هذا وقد كانت تلك الهدايا مشتملة على أمور عظيمة، كما ذكره المفسرون.

ثم قال لرسولها إليه ووافدها الذي قدم عليه والناس حاضرون يسمعون: (ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون) يقول: ارجع بهديتك التي قدمت بها إلي من قد من بها، فإن عندي مما قد أنعم الله علي وأسداه إلي من الأموال والتحف والرجال ما هو أضعاف هذا، وخير من هذا الذي أنتم تفرحون به وتفخرون على أبناء جنسكم بسببه ﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا﴾ [النمل:37] أي: فلأبعثن إليهم بجنود لا يستطيعون دفاعهم ولا نزالهم ولا ممانعتهم ولا قتالهم، ولأخرجنهم من بلدهم وحوزتهم ومعاملتهم ودولتهم أذلة ﴿وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [النمل:37] عليهم الصغار والعار والدمار. فلما بلغهم ذلك عن نبي الله لم يكن لهم بد من السمع والطاعة، فبادروا إلى إجابته في تلك الساعة، واقبلوا بصحبة الملكة أجمعين سامعين مطيعين خاضعين، فلما سمع بقدومهم عليه ووفودهم إليه قال لمن بين يديه ممن هو مسخر له من الجان ما قصه الله عنه في القرآن.



مأمن الرسول ﷺ وصاحبه أبي بكر في غار ثور

أبو بكر الصديق

(573-637م)

هو عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن كعب التيمي القرشي، صحابي ممن رافقوا رسول الله ﷺ منذ بدء الإسلام، ويعتبر الصديق المقرب له. أول الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين بالجنة. أمه سلمى بنت صخر بن عامر التيمي. ولد سنة 51 ق.هـ (573م) بعد عام الفيل بحوالي ثلاث سنوات. كان سيداً من سادات قريش وغنيا من كبار موسريهم، وكان ممن رفضوا عبادة الأصنام في الجاهلية، بل كان حنيفاً على ملة إبراهيم. وكان من أوائل من أسلم من أهل قريش. وهو والد عائشة زوجة الرسول وسانده بكل ما يملك في دعوته، وأسلم على يده الكثير من الصحابة.

يعرف في التراث الإسلامي بأبي بكر الصديق لأنه صدق محمداً في قصة الإسراء والمعراج، وقيل لأنه كان يصدق النبي في كل خبر يأتيه؛ وقد وردت التسمية في آيات قرآنية وأحاديث نبوية. وكان يدعى بالعتيق والأوّاه. وعن تسميته بأبي بكر قيل لحبه للجمال، وقيل لتبكيره في كل شيء.

بويع بالخلافة يوم الثلاثاء 2 ربيع الأول سنة 11هـ واستمرت خلافته قرابة سنتين وأربعة أشهر. توفي في يوم الاثنين في الثاني والعشرين من جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة من الهجرة.

أبوه أبو قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب ابن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. ويلتقي في نسبه مع الرسول ﷺ عند مرة بن كعب، وينسب إلى «تيم قريش»، فيقال: «التيمي».

أمه أم الخير سلمى بنت صخر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب ابن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. وهي بنت عم أبيه، وتُكنّى أم الخير. ولدته بعد عام الفيل

بسنتين وستة أشهر؛ وقيل إنها كان لا يعيش لها ولد، فلما ولدته استقبلت به الكعبة، فقالت: «اللهم إن هذا عتيقك من الموت، فهبه لي» ويقال إن هذا سبب تسميته بالعتيق. يروى أن اسمه كان قبل الإسلام عبد الكعبة؛ وحين أسلم سماه النبي عبد الله. وقد كانت أم الخير من أوائل النساء إسلاماً.

يوصف بأنه كان ابيض نحيف خفيف العارضين (صفحتي الوجه) أجنأ (في ظهره انحناء) لا يستمسك إزاره يسترخي عن حقويه، معروق الوجه (لحم وجهه قليل) غائر العينين ناتئ الجبهة، عاري الاشاجع (هي أصول الأصابع التي تتصل بعصب ظاهر الكف).

نشأ أبو بكر في مكة، ولما جاوز عمر الصبا عمل بزازاً - أي بائع ثياب - ونجح في تجارته وحقق من الربح الكثير. وكانت تجارته تزداد اتساعاً فكان من أثرياء قريش؛ ومن ساداتاها ورؤسائها. تزوج في بداية شبابه قتيلة بنت عبد العزى، ثم تزوج من أم رومان بنت عامر بن عويمر. كان يعرف برجاحة العقل ورزانة التفكير، وأعرف قريش بالأنساب. وكانت له الديات في قبل الإسلام. وكان ممن حرموا الخمر على أنفسهم في الجاهلية، وكان حنيفاً على ملة النبي إبراهيم عليه السلام. كان أبو بكر يعيش في حي حيث يسكن التجار؛ وكان يعيش فيه النبي ﷺ ، ومن هنا بدأت صداقتهما حيث كانا متقاربين في السن والأفكار والكثير من الصفات والطباع.

كان أبو بكر من أوائل من أسلم من الصحابة، حتى قيل إنه أول من أسلم إطلاقاً من الذكور؛ وتقول الروايات إنه الوحيد الذي أسلم دون تردد وصدق دعوة محمد على الفور.

وبعد أن أسلم، ساند النبي في دعوته للإسلام مستغلاً مكانته في قريش وحبهم له، فأسلم على يديه الكثير، منهم خمسة من العشرة المبشرين بالجنة وهم: عثمان بن عفان، والزُّبَير بن العوَّام، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيد الله. كذلك جاهد بماله في سبيل الدعوة للإسلام حيث قام بشراء وعتق الكثير ممن أسلم من العبيد المستضعفين منهم: بلال بن رباح، وعامر بن فهيرة، وزِنِّيرة، والنَّهديَّة، وابنتها، وجارية بني مؤمّل، وأم عُبيس. وقد قاسى أبو بكر من تعذيب واضطهاد قريش للمسلمين، فتعرض للضرب والتعذيب حين خطب في القرشيين، وحين دافع عن الرسول لما اعتدى عليه الوثنيون، وقاسى العديد من مظاهر الاضطهاد.

من مواقفه الهامة كذلك أنه صدَّق النبي في حادثة الإسراء والمعراج على الرغم من تكذيب قريش له، وأعلن حينها دعمه الكامل للنبي وأنه سيصدقه في كل ما يقول، لهذا لُقب بالصِّديق. بقي أبو بكر في مكة ولم يهاجر إلى الحبشة حين سمح النبي لبعض أصحابه بهذا، وحين عزم النبي على الهجرة إلى يثرب؛ صحبه أبو بكر في الهجرة النبوية.

هاجر الكثير من المسلمين إلى يثرب، وبقي النبي في مكة وبعض المسلمين منهم أبو بكر الذي ظل منتظراً قراره بالهجرة حتى يهاجر معه، وكان قد أعد العدة للهجرة، فجهز راحلتين لهذا الغرض واستأجر عبد الله بن أرقد من بني الديل بن بكر وكان مشركًا ليدلهما على الطريق، ولم يعلم بخروجهما غيره وعلي وآل أبي بكر. وفي ليلة الهجرة خرج الرسول ﷺ في الثلث الأخير من الليل وكان أبو بكر في انتظاره ورافقه في هجرته وبات معه في غار ثور ثلاثة أيام حتى هدأت قريش في البحث عنهما فتابعا المسير إلى يثرب، ويروى أنه خلال الأيام الثلاثة جاء كفار قريش يبحثون عنهم في غار ثور إلا أن الله أمر عنكبوتا بنسج خيوطه على الغار وأمر حمامة بوضع بيضها أمامه مما جعلهم يشككون في وجودهما داخل الغار، ووفقاً للروايات قال أبو بكر للنبي: «لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا» فطمأنه قائلاً: «يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟ لا تحزن إن الله معنا». وقد ذُكر هذا في القرآن الكريم. وحسب رواية ابن إسحاق فإن أبا بكر أمر ابنه عبد الله بن أبي بكر أن يتسمع لهما ما يقول الناس فيهما بالنهار ويأتي ويخبرهما في الليل، وأمر عامر بن فهيرة، مولاه، أن يرعى غنمه فيجعل آثار الشاة تغطي أقدامهما، وكانت أسماء بنت أبي بكر تأتيهما بالطعام إذا أمست بما يصلحهما. ويعد المسلمون هجرة أبو بكر مع النبي محمد إحدى مناقبه العظيمة.

بعدما وصل الرسول ﷺ وأبو بكر للمدينة، قام الرسول بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، آخى بين أبي بكر وعمر بن الخطاب. عاش أبو بكر في المدينة طوال فترة حياة النبي وشهد معه الكثير من المشاهد، تقول الروايات إنه ممن حاولوا اقتحام حصن اليهود في غزوة خيبر، وأنه ممن ثبتوا مع النبي في معركة حنين حين انفض عنه المسلمون خوفاً وتفرقوا، كذلك يقال إنه حامل الراية السوداء في غزوة تبوك حيث كانت هناك رايتان إحداهما بيضاء وكانت مع الأنصار والأخرى سوداء وقد اختلفت الروايات على حاملها فقيل علي بن أبي طالب وقيل أبو بكر. تزوج من حبيبة بنت زيد بن خارجة فولدت له أم كلثوم، ثم تزوج من أسماء بنت عميس فولدت له محمدًا.

وفي أثناء مرض الرسول ﷺ أمره أن يصلي بالمسلمين، وبعد وفاة الرسول الكريم بويع أبو بكر بالخلافة في سقيفة بني ساعدة، وكان زاهدا فيها ولم يسع إليها، إذ دخل عليه ذات يوم عمر بن الخطاب ﷺ فوجده يبكي، فسأله عن ذلك فقال له: «يا عمر لا حاجة لي في إمارتكم!!» فرد عليه عمر: «أين المفر؟ والله لا نقيلك ولا نستقيلك» وجهز في فترة حكمه حروب الردة؛ ضد أولئك الذين رفضوا دفع الزكاة، وأرسل جيشاً بقيادة أسامة بن زيد كان قد جهزه النبي قبل وفاته ليغزو الروم.

يقول ابن هشام في سيرته: كان عمر بن الخطاب يَرَى أبا بكر يخرج كل يوم من صلاة الفجر إلى ضاحية من ضواحي المدينة، فكان يتساءل في نفسه إلى أين يخرج! ثم تَبِعَه مرة فإذا هو يدخل إلى خيمة منزوية، فلما خرج أبو بكر دخل عمر فإذا بالخيمة عجوز كسيرة عمياء معها طفلان، فقال لها عمر: يا أمة الله، من أنتِ؟! قالت: أنا عجوز كسيرة عمياء في هذه الخيمة، مات أبونا ومعي بنات لا عائل لنا إلا الله - عز وجل - قال عمر: ومن هذا الشيخ الذي يأتينكم؟ قالت: هذا شيخ لا أعرفه يأتي كل يوم فيكنس بيتنا ويصنع لنا فطورنا ويحلب لنا شياهنا! فبكى عمر وقال: أتعبت الخلفاء من بعدك يا أبا بكر!

توفي في المدينة ليلة الثلاثاء في العام الثالث عشر للهجرة وعمره أربع وستون سنة، وأوصى بالخلافة من بعده لعمر بن الخطاب. فدفن إلى جوار الرسول ﷺ. وترك من الأولاد: عبد الله، وعبد الرحمن، ومحمد، وعائشة وأسماء، وأم كلثوم.

عمر بن الخطاب ﷺ

مسجد عمر بن الخطاب ﷺ في دومة الجندل

الملقب بالفاروق، هو ثاني الخلفاء الراشدين، فكان الصحابة ينادون أبا بكر الصديق بخليفة رسول الله وبعد تولي عمر الخلافة نودي عمر بخليفة خليفة رسول الله، فاتفق الصحابة على تغيير الاسم إلى أمير المؤمنين، ولقد كان من أصحاب الرسول وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، ومن علماء الصحابة وزهادهم. وأول من عمل بالتقويم الهجري. وفي عهده فتحت العراق ومصر وليبيا والشام وفلسطين وصارت القدس تحت ظل الدولة الإسلامية والمسجد الأقصى ثالث الحرمين الشريفين تحت حكم المسلمين، وفي عهده قضى على أكبر قوتين عظميين في زمانهِ: دولة الروم، ودولة الفرس، مع أنه القائد الزاهد الذي ينام تحت الشجرة ويطبخ للفقيرة أم اليتامى وينفخ لها حتى تطعم صغارها.

أبوه: الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. وفي كعب يجتمع نسبه مع نسب رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ.

أمه حنتمة بنت هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة ابن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. وهي ابنة عم أم المؤمنين أم سلمة وسيف الله خالد بن الوليد وعدو الله أبو جهل لحاً. يجتمع نسبها مع النبي محمد ﷺ في كلاب بن مرة.

لقبه الفاروق وكنيته أبو حفص، وقد لقب بالفاروق لأنه أظهر الإسلام في مكة والناس يخفونه ففرق الله به بين الكفر والإيمان. وكان منزل عمر في الجاهلية في أصل الجبل الذي يقال له اليوم جبل عمر، وكان اسم الجبل في الجاهلية العاقر، وكان عمر من أشراف قريش، وإليه كانت السفارة فهو سفير قريش، فإن وقعت حرب بين قريش وغيرهم بعثوه سفيرا. ولد بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة.

كان ﷺ أبيض تعلوه حمرة، حسن الخدين، أصلع الرأس. له لحية مقدمتها طويلة وقد كان يخضبها بالحناء.

أما شاربه فقيل إنه كان طويلاً من أطرافه وقد روى الطبراني في المعجم الكبير ج 1 ص 65: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثني أبي ثنا إسحاق بن عيسى الطباع قال رأيت مالك بن أنس وافر الشارب فسألته عن ذلك فقال حدثني زيد بن أسلم عن عامر بن عبد الله بن الزبير أن عمر بن الخطاب كان إذا غضب فتل شاربه ونفخ.

كان طويلاً جسيماً تصل قدماه إلى الأرض إذا ركب الفرس يظهر كأنه واقف وكان أعسراً سريع المشي وكان قوياً شجاعاً ذا هيبة. قيل إنه صار أسمر في عام الرمادة حيث أصابته مع المسلمين مجاعة شديدة.

نشأ في قريش وامتاز عن معظمهم بتعلم القراءة. عمل راعياً للإبل وهو صغير وكان والده غليظاً في معاملته. وكان يرعى لوالده ولخالات له من بني مخزوم. وتعلم المصارعة وركوب الخيل والفروسية، والشعر. وكان يحضر أسواق العرب وسوق عكاظ ومجنة وذي المجاز، فتعلم بها التجارة، وأصبح يشتغل بالتجارة، فربح منها وأصبح من أغنياء مكة، ورحل صيفاً إلى بلاد الشام وإلى اليمن في الشتاء، وأشتهر بالعدل.

جده نفيل بن عبد العزى ممن تتحاكم إليه قريش والدته حنتمة بنت هاشم بن المغيرة، تزوج وطلق ما مجموعه سبع نساء في الجاهلية والإسلام وله ثلاثة عشر ولدا. تزوج عمر في الجاهلية زينب بنت مظعون أخت عثمان بن مظعون، فولدت له عبد الله وعبد الرحمن الأكبر وحفصة، وتزوج مليكة بنت جرول، فولدت له عبيد الله إلا أنه طلقها فتزوجت من بعده أبو الجهم بن حذيفة. كما تزوج من قريبة بنت أبي أمية المخزومي، ثم تركها لتتزوج من بعده عبد الرحمن ابن أبي بكر. وتزوج أم حكيم بنت الحارث بن هشام أرملة عكرمة بن أبي جهل فولدت له فاطمة واختلفت الأقوال في طلاقه لها. وتزوج من جميلة بنت عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح من الأوس. وتزوج عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل، زوجة عبد الله بن أبي بكر من قبله، والتي تزوجت من الزبير بن العوام بعد اغتيال عمر. وكان قد تقدم لخطبة أم كلثوم ابنة أبي بكر الصديق وهي صغيرة فرفضته، ثم تزوج من أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب فولدت له زيدا ورقية. وتزوج امرأة من اليمن يقال لها لهية فولدت له عبد الرحمن الأصغر.

أسلم عمر في ذي الحجة من السنة السادسة من النبوة وهو ابن سبع وعشرين. وذلك بعد إسلام حمزة بثلاثة أيام. وكان ترتيبه الأربعين في الإسلام. وكان النَّبيُّ ﷺ قال: «اللَّهُمَّ أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك عمر بن الخطاب أو عمرو بن هشام».

ذكر أسامة بن زيد عن أبيه عن جده أسلم قال: قال لنا عمر بن الخطاب: أتحبون أن أُعلِّمكم كيف كان بَدء إسلامي؟ قلنا: نعم. قال: كنت من أشد الناس على رسول الله. فبينا أنا يوماً في يوم حار شديد الحر بالهاجرة في بعض طرق مكة إذ لقيني رجل من قريش، فقال: أين تذهب يا ابن الخطاب؟ أنت تزعم أنك هكذا وقد دخل عليك الأمر في بيتك.

قلت: وما ذاك؟

قال: أختك قد صبأت. فرجعت مغضباً وقد كان رسول الله يجمع الرجل والرجلين إذا أسلما عند الرجل به قوة فيكونان معه ويصيبان من طعامه، وقد كان ضم إلى زوج أختي رجلين. فجئت حتى قرعت الباب، فقيل: من هذا؟ قلت: ابن الخطاب وكان القوم جلوساً يقرأون القرآن في صحيفة معهم. فلما سمعوا صوتي تبادروا واختفوا وتركوا أو نسوا الصحيفة من أيديهم. فقامت المرأة ففتحت لي.

فقلت: يا عدوة نفسها، قد بلغني أنك صبوت! - يريد أسلمت - فأرفع شيئاً في يدي فأضربها به. فسال الدم. فلما رأت المرأة الدم بكت، ثم قالت: يا ابن الخطاب، ما كنت فاعلاً فافعل، فقد أسلمت. فدخلت وأنا مغضب، فجلست على السرير، فنظرت فإذا بكتاب في ناحية البيت، فقلت: ما هذا الكتاب؟ أعطينيه.

فقالت: لا أعطيك. لَسْتَ من أهله. أنت لا تغتسل من الجنابة، ولا تطهر، وهذا ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [الواقعة:79]. فلم أزل بها حتى أعطتنيه فإذا فيه: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ فلما مررت بـ ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ذعرت ورميت بالصحيفة من يدي، ثم رجعت إلى نفسي فإذا فيها: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾﴾ [الحديد:1] فكلما مررت باسم من أسماء الله عزَّ وجلَّ، ذعرت، ثم ترجع إلي نفسي حتى بلغت: ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ﴾ [الحديد:7] حتى بلغت إلى قوله: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾ [الحديد:8]. فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً

رسول اللهّ. فخرج القوم يتبادرون بالتكبير استبشاراً بما سمعوه مني وحمدوا اللهَّ عزَّ وجلَّ. ثم قالوا: يا ابن الخطاب، أبشر فإن رسول الله دعا يوم الاثنين فقال: «اللّهم أعز الإسلام بأحد الرجلين إما عمرو بن هشام وإما عمر بن الخطاب». وإنا نرجو أن تكون دعوة رسول الله لك فأبشر. فلما عرفوا مني الصدق قلت لهم: أخبروني بمكان رسول الله. فقالوا: هو في بيت أسفل الصفا وصفوه. فخرجت حتى قرعت الباب. قيل: من هذا؟ قلت: ابن الخطاب. فما اجترأ أحد منهم أن يفتح الباب.

فقال رسول الله: «افتحوا فإنه إن يرد اللهّ به خيراً يهده». ففتحوا لي وأخذ رجلان بعضدي حتى دنوت من النبيَّ فقال: «أرسلوه». فأرسلوني فجلست بين يديه. فأخذ بمجمع قميصي فجذبني إليه ثم قال: «أسلم يا ابن الخطاب اللَّهُمَّ اهده». قلت: أشهد أن لا إله إلا اللهّ وأنك رسول اللهّ. فكبَّر المسلمون تكبيرة سمعت بطرق مكة.

وقد كان استخفى فكنت لا أشاء أن أرى من قد أسلم يضرب إلا رأيته. فلما رأيت ذلك قلت: لا أحب إلا أن يصيبني ما يصيب المسلمين. فذهبت إلى خالي وكان شريفاً فيهم فقرعت الباب عليه. فقال: من هذا؟

فقلت: ابن الخطاب. فخرج إليَّ فقلت له: أشعرت أني قد صبوت؟ فقال: فعلت؟ فقلت: نعم. قال: لا تفعل. فقلت: بلى، قد فعلت. قال: لا تفعل. وأجاف الباب دوني (رده) وتركني. قلت: ما هذا بشيء. فخرجت حتى جئت رجلاً من عظماء قريش فقرعت عليه الباب. فقال: من هذا؟ فقلت: عمر بن الخطاب. فخرج إليَّ، فقلت له: أشعرت أني قد صبوت؟ قال: فعلت؟ قلت: نعم. قال: لا تفعل. ثم قام فدخل وأجاف الباب. فلما رأيت ذلك انصرفت. فقال لي رجل: تحب أن يعلم إسلامك؟ قلت: نعم. قال: فإذا جلس الناس في الحجر واجتمعوا أتيت فلاناً، رجلاً لم يكن يكتم السر. فأصغ إليه، وقل له فيما بينك وبينه: إني قد صبوت فإنه سوف يظهر عليك ويصيح ويعلنه. فاجتمع الناس في الحجر، فجئت الرجل، فدنوت منه، فأصغيت إليه فيما بيني وبينه. فقلت: أعلمت أني صبوت؟ فقال: ألا إن عمر بن الخطاب قد صبا. فما زال الناس يضربونني وأضربهم. فقال خالي: ما هذا؟ فقيل: ابن الخطاب. فقام على الحجر فأشار بكمه فقال: ألا إني قد أجرت ابن أختي فانكشف الناس عني. وكنت لا أشاء أن أرى أحداً من المسلمين يضرب إلا رأيته وأنا لا أضرب. فقلت: ما هذا بشيء حتى يصيبني مثل ما يصيب المسلمين. فأمهلت حتى إذا جلس الناس في الحجر وصلت إلى خالي فقلت: اسمع. فقال: ما أسمع؟

قلت: جوارك عليك رد. فقال: لا تفعل يا ابن الخطاب. قلت: بلى هو ذاك. قال: ما شئت. فما زلت أضرب وأضرب حتى أعز اللهّ الإسلام.

لم يهاجر أحد من المسلمين إلى المدينة علانية إلا عمر بن الخطاب، حيث لبس سيفه ووضع قوسه على كتفه وحمل أسهما وعصاه القوية، وذهب إلى الكعبة حيث طاف سبع مرات، ثم توجه إلى المقام فصلى، ثم قال لحلقات المشركين المجتمعة: «شاهت الوجوه، لا يُرغم الله إلا هذه المعاطس، من أراد أن تثكله أمه وييتم ولده أو يرمل زوجته فليلقني وراء هذا الوادي». فلم يتبع أحد منهم إلا قوم مستضعفين أرشدهم وعلمهم ومضى.

ووصل عمر المدينة ومعه نحوا من عشرين شخصا من أهله وقومه، منهم أخوه زيد ابن الخطاب، وعمرو وعبد الله أولاد سراقة بن المعتمر، وخنيس بن حذافة السهمي زوج ابنته حفصة، وابن عمه سعيد بن زيد. ونزلوا عند وصولهم في قباء عند رفاعة بن عبد المنذر. وكان قد سبقه مصعب بن عمير و ابن أبي مكتوم وبلال وسعد وعمار بن ياسر.

وفي «المدينة» آخى النبي ﷺ بينه وبين عويم بن ساعدة وقيل عتبان بن مالك، وقيل: معاذ بن عفراء. وقال بعض العلماء إنه لا تناقض في ذلك لاحتمال أن يكون الرسول قد آخى بينه وبينهم في أوقات متعددة.

وقد ورد في طبقات ابن سعد في المجلد الثالث الصفحة 251 الطبعة الأولى تحقيق الدكتور علي محمد عمر في باب هجرة عمر بأن عمر بن الخطاب تواعد سرا مع عياش ابن أبي ربيعة عند إضاءة بني غفار، ولم يخرج عمر علانية.

ثبت أن عمر شهد جميع المواقع والغزوات التي شهدها النبي محمد ﷺ، ففي غزوة بدر كان عمر ثاني من تكلم ردا على الرسول محمد عندما استشارهم قبل الغزوة بعد أبو بكر الصديق، فأحسن الكلام ودعا إلى قتال المشركين. وقد قتل عمر خاله العاص بن هشام في تلك الغزوة. وفي غزوة أحد رد عمر على نداء أبي سفيان حين سأل عمن قتل. وفي غزوة الخندق صلى العصر فائتا مع الرسول (ﷺ) بعد أن غابت الشمس.

قال عمر يوم أن بويع بالخلافة: رحم الله أبا بكر، لقد أتعب من بعده. ولقد كان عمر قريبًا من أبي بكر، يعاونه ويؤازره، ويمده بالرأي والمشورة، فهو الصاحب وهو المشير.

وعندما مرض أبو بكر راح يفكر فيمن يعهد إليه بأمر المسلمين، هناك العشرة المبشرون بالجنة، الذين مات الرسول وهو عنهم راضٍ بغض النظر عن اختلاف المؤرخين

على صحة تبشيرهم بالجنة. وهناك أهل بدر، وكلهم أخيار أبرار، فمن ذلك الذي يختاره للخلافة من بعده؟ إن الظروف التي تمر بها البلاد لا تسمح بالفرقة والشقاق؛ فهناك على الحدود تدور معارك رهيبة بين المسلمين والفرس، وبين المسلمين والروم. والجيوش في ميدان القتال تحتاج إلى مدد وعون متصل من عاصمة الخلافة، ولا يكون ذلك إلا في جو من الاستقرار، إن الجيوش في أمسِّ الحاجة إلى التأييد بالرأي، والإمداد بالسلاح، والعون بالمال والرجال، والموت يقترب، ولا وقت للانتظار، وعمر هو من هو عدلا ورحمة وحزماً وزهداً وورعاً. إنه عبقري موهوب، وهو فوق كل ذلك من تمناه رسول الله يوم قال: اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك، عمر بن الخطاب وعمر بن هشام، فكان عمر بن الخطاب. فلِمَ لا يختاره أبو بكر والأمة تحتاج إلى مثل عمر؟ ولم تكن الأمة قد عرفت عدل عمر كما عرفته فيما بعد، من أجل ذلك سارع الصديق إلى استشارة أولي الرأي من الصحابة في عمر، فما وجد فيهم من يرفض مبايعته، وكتب عثمان كتاب العهد، فقرئ على المسلمين، فأقروا به وسمعوا له وأطاعوا.

لما توفي النبي محمد واستخلف أبو بكر وكان يقال له من بعض مقربيه خليفة رسول الله. فلما توفي أبو بكر بعد أن وصى بالخلافة من بعده لعمر بن الخطاب قيل لعمر خليفة خليفة رسول الله. فاعترض عمر على ذلك قائلاً: فمن جاء بعد عمر قيل له خليفة خليفة خليفة رسول الله فيطول هذا ولكن أجمعوا على اسم تدعون به الخليفة يدعى به من بعده الخلفاء. فقال بعض أصحاب رسول الله نحن المؤمنون وعمر أميرنا. فدُعي عمر أمير المؤمنين.

وإذا أردنا زيادة التحقيق والتدقيق قلنا إنه ليس أول خليفة سُمي بذلك «أمير المؤمنين» لأن هذه التسمية ليست بجديدة فإن عبد الله بن جحش الأسدي هو أول من سمي بأمير المؤمنين في السرية التي بعثه فيها رسول الله ﷺ إلى نخلة حسب الأحاديث الصحيحة الواردة في كتب السنة.

قال عمر في إحدى خطبه بعد توليه الخلافة يصف حاله منها أي من الخلافة: أيها الناس إني قد وليت عليكم ولولا رجاء أن أكون خيركم لكم وأقواكم عليكم وأشدكم استضلاعاً بما ينوب من مهم أموركم ما وليت ذلك منكم ولكفى عمر مهما محزناً انتظار موقفه يوم الحساب بأخذ حقوقكم كيف أخذها ووضعها أين أضعها وبالسير فيكم كيف

أسير فربي المستعان، فإن عمر أصبح لا يثق بقوة ولا حيلة إن لم يتداركه الله عز وجل برحمته وعونه وتأييده.

وقد اتسم عهد الفاروق «عمر» بالعديد من الإنجازات الإدارية والحضارية، لعل من أهمها أنه أول من اتخذ الهجرة مبدأ للتاريخ الإسلامي، كما أنه أول من دون الدواوين، وهو أول من اتخذ بيت المال، وأول من اهتم بإنشاء المدن الجديدة، وهو ما كان يطلق عليه «تمصير الأمصار»، وكانت أول توسعة لمسجد الرسول في عهده، فأدخل فيه دار «العباس بن عبد المطلب»، وفرشه بالحجارة الصغيرة، كما أنه أول من قنن الجزية على أهل الذمة، فأعفى منها الشيوخ والنساء والأطفال، وجعلها ثمانية وأربعين درهمًا على الأغنياء، وأربعة وعشرين على متوسطي الحال، واثني عشر درهمًا على الفقراء.

فتحت في عهده بلاد الشام والعراق وفارس ومصر وبرقة وطرابلس الغرب وأذربيجان ونهاوند وجرجان. وبنيت في عهده البصرة والكوفة وقد سمى الكوفة بجمجمة العرب ورأس الإسلام ويقول حسن العلوي إن عمر هو مؤسس حضارة رافدية مثله مثل سرجون الاكدي وحمورابي ونبوخذنصر. وكان عمر أوّل من أخرج اليهود من الجزيرة.

يقول مؤيدوه انه أول من وضع تأريخا للمسلمين واتخذ التاريخ من هجره رسول الله ﷺ. وهو أول من عسس في الليل بنفسه ولم يفعلها حاكم قبل عمر ولا تعلم أحد عملها بانتظام بعد عمر. وأول من عقد مؤتمرات سنوية للقادة والولاة ومحاسبتهم، وذلك في موسم الحج حتى يكونوا في أعلى حالتهم الإيمانية فيطمئن على رعيته وأخبارهم. وأول من أتخذ الدرة (عصا صغيرة) وأدب بها، حتى أن قال الصحابة والله لدرة عمر أعظم من أسيافكم وأشد هيبة في قلوب الناس. وأول من مصر الأمصار. وأول من مهد الطرق ومنها كلمته الشهيرة (لو عثرت بغلة في العراق لسألني الله تعالى عنها لمَ لم تمهد لها الطريق يا عمر). وأول من جمع الناس على صلاة التراويح. وأول من جعل الخلافة شورى بين عدد محدد. وأول من وسع المسجد النبوي. وأول من أعطى جوائز لحفظة القرآن الكريم. وأول من أخر مقام إبراهيم. وأول من جمع الناس على أربع تكبيرات في صلاة الجنازة.

أما أعماله بعد توليه فمنها أنه أجلى اليهود عن الجزيرة العربية، وأسقط الجزية عن الفقراء والعجزة من أهل الكتاب، وأعطى فقراء أهل الكتاب من بيت مال المسلمين، ومنع هدم كنائس النصارى، وقرر أن تؤخذ الجزية على حسب المستوى المعيشي.

أما في مجال الحرب فقد أقام المعسكرات الحربية الدائمة في دمشق وفلسطين والأردن. وأول من أمر بالتجنيد الإجباري للشباب والقادرين، وأول من حرس الحدود بالجند، وأول من حدد مدة غياب الجنود عن زوجاتهم (4 أشهر)، وأول من أقام قوات احتياطية نظامية (جمع لها ثلاثون ألف فرس)، وأول من أمر قواده بموافاته بتقارير مفصلة مكتوبة بأحوال الرعية من الجيش، وأول من دون ديوانا للجند لتسجيل أسمائهم ورواتبهم، وأول من خصص الأطباء والمترجمين والقضاة والمرشدين لمرافقة الجيش، وأول من أنشأ مخازن للأغذية للجيش.

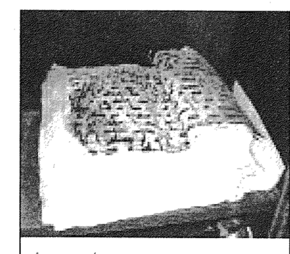
أما في مجال السياسة فهو أول من دون الدواوين، وأول من اتخذ دار الدقيق (التموين)، وأول من أوقف في الإسلام (الأوقاف)، وأول من أحصى أموال عماله وقواده وولاته وطالبهم بكشف حساب أموالهم (من أين لك هذا؟)، وأول من اتخذ بيتا لأموال المسلمين، وأول من ضرب الدراهم وقدر وزنها. وأول من أخذ زكاة الخيل، وأول من جعل نفقة اللقيط من بيت مال المسلمين، وأول من مسح الأراضي وحدد مساحاتها، وأول من اتخذ دارا للضيافة، وأول من أقرض الفائض من بيت المال للتجارة، وأول من حمى الحدود.

عاش عمر يتمنى الشهادة في سبيل الله، فقد صعد المنبر ذات يوم، فخطب قائلاً: إن في جنات عدن قصرًا له خمسمائة باب، على كل باب خمسة آلاف من الحور العين، لا يدخله إلا نبي، ثم التفت إلى قبر رسول الله وقال: هنيئًا لك يا صاحب القبر، ثم قال: أو صديق، ثم التفت إلى قبر أبي بكر، وقال: هنيئًا لك يا أبا بكر، ثم قال: أو شهيد، وأقبل على نفسه يقول: وأنى لك الشهادة يا عمر؟! ثم قال: إن الذي أخرجني من مكة إلى المدينة قادر على أن يسوق إليَّ الشهادة.

واستجاب الله دعوته، وحقق له ما كان يتمناه، فعندما خرج إلى صلاة الفجر يوم الأربعاء (26) من ذي الحجة سنة (23هـ) تربص به أبو لؤلؤة المجوسي، وهو في الصلاة وانتظر حتى سجد، ثم طعنه بخنجر كان معه، ثم طعن اثني عشر رجلا مات منهم ستة رجال، ثم طعن المجوسي نفسه فمات. وأوصى الفاروق أن يكمل الصلاة عبد الرحمن بن عوف وبعد الصلاة حمل المسلمون عمرًا إلى داره، وقبل أن يموت اختار ستة من الصحابة؛ ليكون أحدهم خليفة على أن لا تمر ثلاثة أيام إلا وقد اختاروا من بينهم خليفة للمسلمين، ثم مات الفاروق، ودفن إلى جانب الصديق أبي بكر، وفي رحاب قبر محمد

رسول الإسلام. وعندما سأل عمر عمن طعنه قيل له بأنه أبو لؤلؤة المجوسي فقال (الحمد لله إذ لم يقتلني رجل سجد لله). ودفن في حجرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها إلى جوار النبي وأبي بكر وقد استمرت خلافته عشر سنين وستة أشهر.

عثمان بن عفان رضي الله عنه



مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه الذي كان يقرأ فيه عندما قُتل

عثمان بن عفان (23 - 35 هـ) ثالث الخلفاء الراشدين، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، ومن السابقين إلى الإسلام. وكنيته ذو النورين. وقد لقب بذلك لأنه تزوج اثنتين من بنات الرسول ﷺ: رقية ثم بعد وفاتها أم كلثوم.

أبوه: عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب ابن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. وعفّان هو ابن عم الصحابي أبي سفيان بن حرب لحاً. يلتقي نسبه مع رسول الله في الجد الرابع من جهة أبيه. فهو ينتمي بني أمية من قبيلة قريش.

أمه الصحابية الجليلة: أروى بنت كريز بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. وأروى هي ابنة عمة النبي ﷺ ، لأن أم أروى هي البيضاء بنت عبد المطلب عمة الرسول.

ولد بمكة، كان غنيا شريفا في الجاهلية. وكان أنسب قريش لقريش. أنجبت أروى مرتين من عفان: عثمان وأخته آمنة. وبعد وفاة عفان، تزوجت أروى من عقبة بن أبي معيط، وأنجبت منه ثلاثة أبناء وبنت: الوليد بن عقبة. خالد بن عقبة. عمرو بن عقبة. أم كلثوم بنت عقبة.

أسلم عثمان في أول الإسلام قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم، وكانت سنّه قد تجاوزت الثلاثين. دعاه أبو بكر الصديق إلى الإسلام فأسلم، ولما عرض أبو بكر عليه الإسلام قال له: ويحك يا عثمان واللهِ إنك لرجل حازم ما يخفى عليك الحق من الباطل، هذه الأوثان التي يعبدها قومك، أليست حجارة صماء لا تسمع ولا تبصر ولا تضر ولا تنفع؟ فقال: بلى واللهِ إنها كذلك. قال أبو بكر: هذا محمد بن عبد الله قد بعثه اللهُ برسالته

إلى جميع خلقه، فهل لك أن تأتيه وتسمع منه؟ فقال: نعم. وفي الحال مرَّ رسول اللهَّ فقال: يا عثمان أجب اللهَّ إلى جنته فإني رسول اللهَّ إليك وإلى جميع خلقه. قال: فو الله ما ملكت حين سمعت قوله أن أسلمت، وشهدت أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبد الله ورسوله.وكان عثمان أول مهاجر إلى أرض الحبشة لحفظ الإسلام ثم تابعه سائر المهاجرين إلى أرض الحبشة، ثم هاجر الهجرة الثانية إلى المدينة.

تزوج عثمان رقية بنت رسول الله ﷺ وهاجرت معه إلى الحبشة وأيضاً هاجرت معه إلى المدينة وكان يقال: أحسن زوجين رآهما إنسان رقية وعثمان. ثم إنها مرضت وماتت في السنة الثانية من الهجرة أثناء غزوة بدر فحزن عليها حزنًا شديداً فزوّجه الرسول من أختها أم كلثوم لذلك لقّب بذي النورين لأنه تزوج من بنتي رسول الله ﷺ . وكان رسول اللهَّ يثق به ويحبه ويكرمه لحيائه ودماثة أخلاقه وحسن عشرته وما كان يبذله من المال لنصرة المسلمين، وبشّره بالجنة كأبي بكر وعمر وعلي وبقية العشرة، وأخبره بأنه سيموت شهيدًا.

استخلفه رسول اللهَّ على المدينة في غزوته إلى ذات الرقاع وإلى غطفان، وكان محبوبًا من قريش، وكان حليمًا، رقيق العواطف، كثير الإحسان. وكانت العلاقة بينه وبين أبي بكر وعمر وعليّ على أحسن ما يرام، ولم يكن من الخطباء، وكان أعلم الصحابة بالمناسك، حافظًا للقرآن، ولم يكن متقشفًا مثل عمر بن الخطاب بل كان يأكل اللين من الطعام.

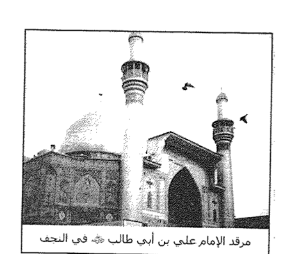
يقال لغزوة تبوك غزوة العُسرة، مأخوذة من قول الله في القرآن: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ ﴾ [التوبة:117]، وندب رسول اللهَّ الناس إلى الخروج وأعلمهم المكان الذي يريد ليتأهبوا لذلك، وبعث إلى مكة وإلى قبائل العرب يستنفرهم وأمر الناس بالصدقة، وحثهم على النفقة والحملان، فجاؤوا بصدقات كثيرة فجهَّز عثمان ثلث الجيش جهزهم بتسعمائة وخمسين بعيرًا وبخمسين فرسًا. قال ابن إسحاق: أنفق عثمان في ذلك الجيش نفقة عظيمة لم ينفق أحد مثلها. وقيل: جاء عثمان بألف دينار في كمه حين جهز جيش العُسرة فنثرها في حجر رسول الله.

ولي عثمان الخلافة وعمره 68 عامًا، وقد تولى الخلافة بعد مقتل عمر بن الخطاب، وفي اختياره للخلافة قصة تعرف بقصة الشورى وهي أنه لما طعن عمر بن الخطاب دعا

ستة أشخاص من الصحابة وهم: علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله ليختاروا من بينهم خليفة. وذهب المدعوون إلى لقاء عمر إلا طلحة بن عبيد الله فقد كان في سفر وأوصاهم باختيار خليفة من بينهم في مدة أقصاها ثلاثة أيام من وفاته حرصا على وحدة المسلمين، فتشاور الصحابة فيما بينهم ثم أجمعوا على اختيار عثمان وبايعه المسلمون في المسجد بيعة عامة سنة 23 هـ فأصبح ثالث الخلفاء الراشدين.

ومن أهم أعمال عثمان فتح مرو وتركيا وتوسيع الدولة الإسلامية وفتحت في أيام خلافة عثمان الإسكندرية ثم أرمينية والقوقاز وخراسان وكرمان وسجستان وإفريقية وقبرص. وتمت في عهده توسعة المسجد النبوي عام 29ـ30 هـ، وقد أنشأ أول أسطول بحري إسلامي لحماية الشواطئ الإسلامية من هجمات البيزنطيين. وكان من أهم إنجازاته جمع كتابة القرآن الكريم الذي كان قد بدء بجمعه في عهد الخليفة أبي بكر الصديق. وجمع القرآن الكريم في مصحف مكتوب برسمه إلى الوقت الحالي. ففي عهده انتشر الإسلام في بلاد كبيرة وتفرق الصحابة مما أدى إلى ظهور قراءات متعددة وانتشرت لهجات مختلفة فكان الخوف من اختلاف كتابة القرآن وتغير لهجته، فجمع عثمان المسلمين على لغة قريش أي لهجة قريش وهي لهجة العرب. وتكتب الكتابة للقرآن بلسان العرب ويسمى (مصحف عثمان) أو المصحف الإمام.

قتل عثمان بن عفان من طرف أهل الفتنة في السنة 35 للهجرة. وكان سنه عند قتله اثنين وثمانين عاما. ودفن بالبقيع. وكان مقتله مقدمة لأحداث عظام في تاريخ المسلمين مثل حرب الجمل وموقعة صفين.


مرقد الإمام علي بن أبي طالب ﷺ في النجف

علي بن أبي طالب ﷺ

هو أبو الحسن علي بن أبي طالب بن عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ابن عمّ رسول الله ﷺ ، أمه فاطمة بنت أسد بن هاشم.

ولد الإمام علي قبل البعثة بعشر سنين وتربى في حجر النبيّ ﷺ وفي بيته، أول من أسلم بعد خديجة وهو صغير، وكان يلقب بحيدرة وكنّاه النبيّ ﷺ أبا تراب.

ولّما هاجر النبيّ ﷺ من مكة إلى المدينة أمر الإمام عليا أن يبيت على فراشه وأجله ثلاثة أيام ليؤدي الأمانات التي كانت عند النبيّ ﷺ إلى أصحابها ثم يلحق به إلى المدينة فهاجر الإمام علي من مكة إلى المدينة المنورة ماشياً.

شهد الإمام علي المشاهد كلها مع النبيّ ﷺ إلا غزوة تبوك واصطفاه النبيّ ﷺ صهراً له وزوجه ابنته فاطمة الزهراء وأعطاه اللواء يوم خيبر ففتحها، واقتلع باب الحصن.

كان الإمام علي ﷺ وكرم وجهه آدم اللون، أدعج العينين عظيمها، حسن الوجه، ربعة القد، كثير الشعر عريض اللحية، أصلع الرأس، ضحوك السن، أشجع الصحابة وأعلمهم في القضاء، وأزهدهم في الدنيا، لم يسجد لصنم قط ﷺ.

ومن فضائله أنه كان غزير العلم، زاهداً ورعاً شجاعاً وقد ورد عن الإمام أحمد ﷺ أنه قال: «ما جاء لأحد من فضائل ما جاء لعلي».

ويكفي الإمام علي خصوصية أنه من المغفور لهم حيث جاء في حديث عبد الله بن مسلمة عن علي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «ألا أعلمك كلمات إذا قلتهن غفر الله لك وإن كنت مغفورا لك؟ قال: قل لا إله إلا الله الحليم الكريم سبحان الله ربّ العرش العظيم الحمد لله ربّ العالمين» أخرجه الترمذي.

وعن عائشة بنت سعد قالت: سمعت أبي يقول: سمعت رسول الله ﷺ يوم الجحفة فأخذ بيد علي فخطب فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أيها الناس إني وليكم»

قالوا: صدقت يا رسول الله ثم أخذ بيد علي فرفعها فقال: «هذا وليي ويؤدي عني دَيني وأنا موالي من والاه ومعادي من عاداه» أخرجه النسائي في خصائص أمير المؤمنين.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ يوم خيبر: «لأعطين هذه الراية رجلا يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه». قال عمر بن الخطاب: ما أحببت الإمارة إلا يومئذ قال: فتساورت لها رجاء أن ادعى لها قال: فدعا علي بن أبي طالب فأعطاه إياها ثم قال: امش ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك. قال فسار علي شيئاً ثم وقف ولم يلتفت فصرخ: يا رسول الله على ماذا أقاتل الناس؟ قال: «قاتلهم حتى يشهدوا أنْ لا إله إلا الله وأنّ محمدا رسول الله فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله». [رواه مسلم].

وكان الإمام علي كرّم الله وجهه لا يجد حراً ولا برداً بعد أن دعا الرسول له قائلا: «اللهم اكفه أذى الحر والبرد». فكان ﷺ يخرج في البرد في الملاءتين ويخرج في الحر في الخشن والثوب الغليظ. أخرجه النسائي في خصائص أمير المؤمنين.

وكان ذا قوة متميزة، فقد روى الطبراني عن أحد الصحابة أنه قال: «خرجنا مع علي ابن أبي طالب حين بعثه رسول الله ﷺ برايته، فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله فقاتلهم فضربه رجل من اليهود فطاح ترسه من يديه، فتناول الإمام علي بابا كان عند الحصن فتترس به عن نفسه فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه، ثم ألقاه الإمام علي من يده حين فرغ فقد رأيتني في نفر سبعة نجهد على أن نقلب ذلك الباب فلم نستطع.

ولمّا كثر أهل الفتن وتعددت فرق الضلال تآمر بعضهم وتواعد لسبع عشرة ليلة من شهر رمضان سنة أربعين هجرية، فوثب ابن ملجم وقد خرج الإمام علي ﷺ إلى صلاة الصبح فضربه بالسيف في جبهته فكانت وفاته لإحدى وعشرين من شهر رمضان سنة أربعين عن ثلاث وستين أو تسع وخمسين سنة من عمره فكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر.

عمر بن عبد العزيز ﷺ


ضريح عمر بن عبدالعزيز ﷺ

عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم ابن أبي العاص بن أمية سابع الخلفاء الأمويين، ويرجع نسبه من أمه إلى عمر بن الخطاب حيث كانت أمه هي أم عاصم ليلى بنت عاصم بن عمر بن الخطاب وبذلك يصبح الخليفة عمر بن الخطاب جد الخليفة عمر بن عبد العزيز. ولد في المدينة المنورة وقد تلقى علومه وأصول الدين على يد صالح بن كيسان في المدينة المنورة واستفاد كثيراً من علمائها ثم استدعاه عمه الخليفة عبد الملك بن مروان إلى دمشق عاصمة الدولة الأموية وزوجه ابنته فاطمة وعينه أميراً على إمارة صغيرة بالقرب من حلب تسمى دير سمعان وظل والياً عليها حتى سنة 86 هـ.

لقِّب بخامس الخلفاء الراشدين لسيره في خلافته سيرة الخلفاء الراشدين. تولى الخلافة بعد سليمان بن عبد الملك في دمشق سنة 99 هجرية وقد سمي الخليفة العادل لمكانته وعدله في الحكم. قال عنه محمد بن علي بن الحسين رحمه الله: «أما علمت أن لكل قوم نجيبًا، وأن نجيب بني أمية عمر بن عبد العزيز، وأنه يبعث يوم القيامة أمة وحده».

في ربيع الأول من عام 87هـ ولاّه الخليفة الوليد بن عبد الملك إمارة المدينة المنورة، ثم ضم إلية ولاية الطائف سنة 91 هـ وبذلك صار واليا على الحجاز كلها واشترط عمر لتوليه الإمارة شروطا منها: أن يعمل في الناس بالحق والعدل ولا يظلم أحدا ولا يجوز على أحد في أخذ ما على الناس من حقوق لبيت المال، ويترتب على ذلك أن يقل ما يرفع للخليفة من الأموال من المدينة. وأن يسمح له بالحج في أول سنة لأن عمر كان في ذلك الوقت لم يحج. فوافق الوليد على هذه الشروط، وباشر عمر بن عبد العزيز عمله بالمدينة وفرح الناس به فرحا شديدا.

من أبرز الأعمال التي قام بها في المدينة إنشاء مجلس الشورى وهو يتكون من عشرة من فقهاء المدينة. ثم عينه الخلفية الأموي سليمان بن عبد الملك وزيراً في عهده.

قال عنه سفيان الثوري: كخامس الخلفاء الراشدين (الخلفاء خمسة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وعمر بن عبد العزيز).

وعن شدة إتباعه للسنة قال حزم بن حزم: قال عمر: لو كان كل بدعة يميتها الله على يدي وكل سنة ينعشها الله على يدي ببضعة من لحمي، حتى يأتي آخر ذلك من نفسي، كان في الله يسيراً.

اتفقت كلمة المترجين على أنه من أئمة زمانه، فقد أطلق عليه كل من الإمامين: مالك وسفيان بن عيينة وصف إمام، وقال مجاهد: أتيناه نعلمه فما برحنا حتى تعلمنا منه، وقال ميمون بن مهران: كان عمر بن عبد العزيز معلم العلماء، قال فيه الذهبي: كان إماما فقيها مجتهدا، عارفا بالسنن، كبير الشأن حافظا قانتا لله أواها منيبا يعد في حسن السيرة والقيام بالقسط مع جده لأمه عمر، وفي الزهد مع الحسن البصري وفي العلم مع الزهري.

بويع بالخلافة بعد وفاة الخليفة سليمان بن عبد الملك وهو لها كاره فأمر فنودي في الناس بالصلاة، فاجتمع الناس في مسجد بني أمية - المسجد الأموي بدمشق، فلما اكتملت جموعهم، قام فيهم خطيبًا، فحمد الله ثم أثنى عليه وصلى على نبيه ثم قال: «أيها الناس إني قد ابتليت بهذا الأمر على غير رأي مني فيه ولا طلب له... ولا مشورة من المسلمين، وإني خلعت ما في أعناقكم من بيعتي، فاختاروا لأنفسكم خليفة ترضونه». فصاح الناس صيحة واحدة: قد اخترناك يا أمير المؤمنين ورضينا بك، فَولِ أمرنا باليمن والبركة. فأخذ يحض الناس على التقوى ويزهدهم في الدنيا ويرغبهم في الآخرة، ثم قال لهم: «أيها الناس من أطاع الله وجبت طاعته، ومن عصى الله فلا طاعة له على أحد، أيها الناس أطيعوني ما أطعت الله فيكم، فإن عصيت الله فلا طاعة لي عليكم» ثم نزل عن المنبر وقد تمت البيعة للخلافة في دمشق سنة 99 هجرية في مسجد دمشق الكبير (الجامع الأموي).

يقول التابعي العالم الجليل رجاء بن حيوة: «لما تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة وقف بنا خطيبا فحمد الله ثم أثنى عليه، وقال في جملة ما قال: يا رب إني كنت أميراً فطمعت بالخلافة فنلتها، يا رب إني أطمع بالجنة، اللهم بلغني الجنة. قال رجاء: فارتج المسجد بالبكاء فنظرت إلى جدران المسجد هل تبكي معنا».

اتجه عمر إلى بيته وأوى إلى فراشه، فما كاد يسلم جنبه إلى مضجعه حتى أقبل عليه ابنه عبد الملك وكان عمره آنذاك سبعة عشر عامًا، وقال: ماذا تريد أن تصنع يا أمير المؤمنين؟ فرد عمر: أي بني أريد أن أغفو قليلاً، فلم تبق في جسدي طاقة. قال عبد الملك: أتغفو قبل أن ترد المظالم إلى أهلها يا أمير المؤمنين؟ فقال عمر: أي بني، إني قد سهرت

البارحة في عمك سليمان، وإني إذا حان الظهر صليت في الناس ورددت المظالم إلى أهلها إن شاء الله. فقال عبد الملك: ومن لك يا أمير المؤمنين بأن تعيش إلى الظهر؟! فقام عمر وقبَّل ابنه وضمه إليه، ثم قال: الحمد لله الذي أخرج من صلبي من يعينني على ديني.

اشتهرت خلافة عمر بن عبد العزيز بأنها الفترة التي عم فيها العدل والرخاء في أرجاء الدولة الأموية حتى أن الرجل كان ليخرج الزكاة من أمواله فيبحث عن الفقراء فلا يجد من هو في حاجة إليها. كان عمر رحمه الله قد جمع جماعة من الفقهاء والعلماء وقال لهم: «إني قد دعوتكم لأمر هذه المظالم التي في أيدي أهل بيتي، فما ترون فيها؟ فقالوا: يا أمير المؤمنين إن ذلك أمرًا كان في غير ولايتك، وإن وزر هذه المظالم على من غصبها»، فلم يرتح عمر إلى قولهم وأخذ بقول جماعة آخرين منهم ابنه عبد الملك الذي قال له: أرى أن تردها إلى أصحابها ما دمت قد عرفت أمرها، وإنك إن لم تفعل كنت شريكا للذين أخذوها ظلما. فاستراح عمر لهذا الرأي وقام يرد المظالم إلى أهلها.

وعن عطاء بن أبي رباح قال: حدثتني فاطمة امرأة عمر بن عبد العزيز أنها دخلت عليه فإذا هو في مصلاه، سائلة دموعه، فقالت: يا أمير المؤمنين، ألشيء حدث؟ قال: يا فاطمة إني تقلدت أمر أمة محمد ﷺ فتفكرت في الفقير الجائع، والمريض الضائع، والعاري المجهود، والمظلوم المقهور، والغريب المأسور، وذي العيال في أقطار الأرض، فعلمت أن ربي سيسألني عنهم، وإن خصمي دونهم محمد ﷺ ، فخشيت أن لا تثبت لي حجة عن خصومته، فرحمت نفسي فبكيت. كان شديد المحاسبة لنفسه وَرِعًا تقيًا، كان يقسم تفاحًا أفاءه الله على المسلمين، فتناول ابن له صغير تفاحة، فأخذها من فمه، وأوجع فمه فبكى الطفل الصغير، وذهب لأمه فاطمة، فأرسلت من أشترى له تفاحًا. وعاد إلى البيت وما عاد معه بتفاحة واحدة، فقال لفاطمة: هل في البيت تفاح؟ إني أَشُمُ الرائحة، قالت: لا، وقصت عليه القصة - قصة ابنه - فَذَرفت عيناه الدموع وقال: والله لقد انتزعتها من فم ابني وكأنما أنتزعها من قلبي، لكني كرهت أن أضيع نفسي بتفاحة من فيْء المسلمين قبل أن يُقَسَّم الفَيءُ.

أشتهى عمر تفاحاً، فقال لو كان لنا شيء من التفاح، فإنه طيب الريح طيب الطعم فقام رجل من أهل بيته فأهدى إليه تفاحاً، فلما جاء به قال عمر: ما أطيب ريحه وأحسنه، أرفعه يا غلام فأقرئ فلاناً منا السلام وقل لهُ: إن هديتك قد وقعت منا بموقع بحيث

تحب. فقال الرجل: يا أمير المؤمنين، ابن عمك ورجل من أهل بيتك وقد بلغك أن النبي محمد ﷺ كان يأكل الهدية، ولا يأكل الصدقة، فقال: ويحك، إن الهدية كانت للنبي وهي لنا اليوم رشوة.

وعن بشير بن الحارث قال: أطرى رجل عمر بن عبد العزيز في وجهه، فقال له عمر: يا هذا لو عرفت من نفسي ما أعرف منها، ما نظرت في وجهي.

وقبل أن يلي عمر بن عبد العزيز الخلافة تمرّس بالإدارة واليًا وحاكمًا، واقترب من صانعي القرار، ورأى عن كثب كيف تُدار الدولة، وخبر الأعوان والمساعدين؛ فلما تولى الخلافة كان لديه من عناصر الخبرة والتجربة ما يعينه على تحمل المسؤولية ومباشرة مهام الدولة، وأضاف إلى ذلك أنه ترفَّع عن أبهة الحكم ومباهج السلطة، وحرص على المال العام، وحافظ على الجهد والوقت، ودقَّق في اختيار الولاة، وكانت لديه رغبة صادقة في تطبيق العدل.

وخلاصة القول إن عمر بن عبد العزيز لم يكن رجل زهد وولاية ووجد نفسهُ فجأة خليفة؛ بل كان رجل دولة استشعر الأمانة، وراقب الله فيما أُوكل إليه، وتحمل مسؤولية دولته الكبيرة بجدٍّ واجتهاد؛ فكان منه ما جعل الناس ينظرون إليه بإعجاب وتقدير.

وكان يختار ولاته بعد تدقيق شديد، ومعرفة كاملة بأخلاقهم وقدراتهم؛ فلا يلي عنده منصبًا إلا من رجحت كفته كفاءة وعلمًا وإيمانًا، وحسبك أن تستعرض أسماء من اختارهم لولاياته؛ فتجد فيهم العالم الفقيه، والسياسي البارع، والقائد الفاتح، من أمثال أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، أمير المدينة وقاضيها، والجراح بن عبد الله الحكيمي، أمير البصرة، وكان قائدًا فاتحًا، وإداريًا عظيمًا، وعابدًا قائدًا، والسمح بن مالك أمير الأندلس، وكان قائدًا فذًا، استُشهد على أرض الأندلس، وكان باقي ولاته على هذه الدرجة من القدرة والكفاءة.

وكان عمر لا يكتفي بحسن الاختيار بعد دراسة وتجربة، بل كان يتابع ويراقب، لكن مراقبته لم تكن مراقبة المتهم، بل كان يراقب تطبيق السياسة العامة التي وضعها للدولة.

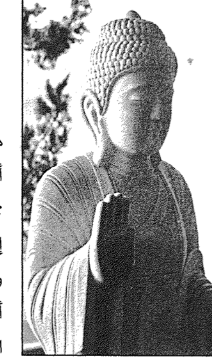
وإذا كان قد أخذ نفسه بالشدة والحياة الخشنة، فإنه لم يلزم بها ولاته، بل وسّع عليهم في العطاء، وفرض لهم رواتب جيدة تحميهم من الانشغال بطلب الرزق، وتصرفهم عن الانشغال بأحوال المسلمين، كما منعهم من الاشتغال بالتجارة، وأعطى لهم الحرية في إدارة

شؤون ولاتهم؛ فلا يشاورونه إلا في الأمور العظيمة، وكان يظهر ضيقه من الولاة إذا استوضحوه في الأمور الصغيرة، حيث كتب إليه أحد ولاته يستوضح منه أمرًا لا يحتاج إلى قرار من الخليفة، فضاق منه عمر، وكتب إليه: «أما بعد، فأراك لو أرسلتُ إليك أن اذبح شاة، ووزِّع لحمها على الفقراء، لأرسلت إلي تسألني: كبيرة أم صغيرة؟ فإن أجبتك أرسلت تسأل: بيضاء أم سوداء؟ إذا أرسلت إليك بأمر، فتبيَّن وجه الحق منه، ثم أمْضِه».

في آخر خطبة خطبها عمر بن عبد العزيز من منبر الجامع الكبير في دمشق قال: إنكم لم تخلقوا عبثاً ولن تتركوا سدى، وإن لكم معاداً ينزل الله فيه للفصل بين عباده، فقد خاب وخسر من خرج من رحمة الله التي وسعت كل شيء وحرم جنة عرضها السموات والأرض. ألا ترون أنكم في أسلاب الهالكين، وسيرثها بعدكم الباقون، كذلك حتى ترد إلى خير الوارثين، وفي كل يوم تشيعون غادياً ورائحاً إلى الله، قد قضى نحبه، وانقضى أجله، فتودعونه وتدعونه في صدع من الأرض غير موسد ولا ممهد، قد خلع الأسباب، وفارق الأحباب، وسكن التراب، وواجه الحساب، غنياً عما خلف، فقيراً إلى ما أسلف، فاتقوا الله عباد الله قبل نزول الموت وانقضاء مواقيته، وأني لأقول لكم هذه المقالة وما أعلم عند أحد من الذنوب أكثر مما أعلم عندي، ولكن أستغفر الله وأتوب إليه. ثم رفع طرف ردائه وبكى حتى شهق ثم نزل فما عاد إلى المنبر بعدها حتى توفي.

توفي الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز سنة 101 للهجرة ودفن في منطقة دير سمعان من أعمال المعرة بالقرب من حلب في سوريا. وقد قال بعض المؤرخين إن عمر عبد العزيز قد قتل مسموما على أيدي بعض أمراء بني أمية بعد أن أوقف عطاياهم وصادر ممتلكاتهم وأعطاها لبيت مال المسلمين وهذا الرأي الأرجح.

استمرت خلافته فترة قصيرة جداً، فلم تطل مدة خلافته سوى عامين ونصف، ثم حضره أجله ولاقى ربه عادلاً في الرعية قائماً فيها بأمر الله. وعندما توفي لم يكن في سجنه رجل واحد. وفي عهده انتشر العلم وكثرت المساجد في أرجاء الدولة الأموية التي تعلم القرآن، وفي عهده القصير أوقف الحرب مع جيرانه ووسع العمل داخل دولته (البنية التحتية للدولة) كالشوارع والطرقات والممرات الآمنة ودور الطعام (التكايا) كما في دمشق وحلب والمدينة وحمص ومدن مصر والمدن الإسلامية في كل البقاع والمدارس ونسخ الكتب والترجمة والتعريب ونقل العلم وإلى غير ذلك من الأعمال الخيرة حتى دعاه المؤرخون بخامس الخلفاء الراشدين.



بـــوذا

(563 ق.م-483 ق.م)

اسمه جواتاما بوذا، واسمه الأصلي الأمير سيد هارتا. مؤسس الديانة البوذية، إحدى الديانات الكبرى. أبوه كان حاكما لإحدى المدن في شمال الهند على حدود مملكة نيبال. تزوج في السادسة عشرة من عمره من إحدى قريباته التي كانت مثل سنه. وقد ولد في الأبهة والفخامة، ولكنه كان في غاية التعاسة. فقد لاحظ أن أكثر الناس فقراء، وأن الأغنياء أشقياء أيضا، وأن الناس جميعا ضحايا المرض والموت بعد ذلك.

وقد فكر بوذا كثيرا، واهتدى إلى أنه لابد أن يكون في هذه الحياة العابرة شيء أبقى وأنقى من كل ذلك.

وعندما بلغ الحادية والعشرين من عمره، وبعد ميلاد ابنه، قرر أن يهجر هذه الحياة وأن يتفرغ تماما للتأمل في أمر هذه الدنيا، وأن يبحث عن الحقيقة.

ترك كل شيء وتحول إلى متسول مفلس، ودرس على أيدي عدد من رجال الدين، وبعد أم أمضى بعض الوقت اكتشف أن الحلول التي يتقدمون بها لمشاكل هذه الحياة ليست كافية. وكان من المعتقد في ذلك الوقت أن الحل الوحيد لمتاعب الدنيا هو الزهد فيها فزهد في كل شيء، وأمضى سنوات لا يأكل إلا القليل ولا يشرب إلا القليل. ولكنه عاد فاكتشف أن تعذيب الجسد يملأ العقل ضبابا ويحجب عن النفس رؤية الحقيقة فعدل عن الزهد إلى حياته العادية يأكل ويشرب ويجلس إلى الناس.

وفي العزلة أمسك بخناق مشاكل الناس.

وفي إحدى الليالي بينما كان يجلس تحت شجرة تين، تساقطت عند قدميه هموم الدنيا كلها، وعرفها، واهتدى إلى حلها، وأمضى بوذا الليل كاملا يتأمل. فلما طلع عليه النهار أيقن تماما أنه عرف الحقيقة، وأنه أصبح «بوذيا» أي إنسانا مستنيرا.

أما التعاليم البوذية فيمكن إيجازها في أنها تنطوي على الحقائق النبيلة الأربع الآتية:

أولا: أن الحياة في أعماقها تعيسة.

ثانيا: أن سبب هذه التعاسة أنانية الإنسان وشهواته.

ثالثا: أن أنانية الإنسان وشهواته يمكن القضاء عليها عندما يصل الإنسان إلى حالة «النرفانا» أي انعدام كل شيء في أعماقه.

رابعا: أن الوسيلة إلى الهرب من الأنانية هي أن نسلك طريق الحقائق الثماني، وهي: النظرة الصحيحة، والفكرة الصحيحة، والكلمة الصحيحة، والعمل الصحيح، والحياة الصحيحة، والجهد الصحيح، والفهم الصحيح، والتأمل الصحيح.

والبوذية مفتوحة على كل الناس دون تفرقة من لون أو جنس، على عكس الديانة الهندوسية المتعصبة.

وبعد وفاة بوذا انتشرت الديانة البوذية على مهل، ففي القرن الثالث قبل الميلاد تحول الإمبراطور الهندي أشوكا إلى الديانة البوذية مما أدى إلى انتشارها في الدول المجاورة جنوبا في سيلان وشرقا في بورما والملايو وإندونيسيا وشمالا إلى أفغانستان. كما أنها دخلت الصين وأصبح لها أتباع كثيرون، ومن الصين انتقلت إلى كوريا واليابان.

أما في الهند نفسها فقد انحسرت الديانة البوذية حتى سنة 500 ميلادية، ثم اختفت تماما في سنة 1200. ولكن بقيت البوذية منتشرة في الصين واليابان وظلت الدين الرسمي في التبت ودول آسيوية أخرى كثيرة.

ولم تسجل تعاليم بوذا إلا بعد وفاته بوقت طويل، كما أن ديانته هذه انشقت بعضها على بعض.

ولاشك أن بوذا نفسه كواحد من مؤسسي الديانات الكبرى يستحق أن يتصدر هذه القائمة، لولا أن عدد البوذيين في العالم لا يتجاوز المئتي مليون، بينما عدد المسلمين أكثر من ألف مليون، وعدد المسيحيين يفوق ذلك. ومعنى ذلك أن أثره كان أقل بكثير من الأثر الذي تركه محمد ﷺ، والسيد المسيح عليه السلام.

أما لماذا انحسرت البوذية في الهند، فلأن الديانة الهندوسية اشتملت على معظم مبادئ البوذية.

ولكن البوذية رغم ذلك تحتوي على قدر من السلام والدعوة إليه أكثر مما جاء في الإسلام والمسيحية، ولاشك أن مبادئ السلام وترك العنف قد كان لها أعمق الأثر في الحياة السياسية لكل الدول التي آمنت بالبوذية.

وقد قيل حقا وبصدق، إنه لو عاد السيد المسيح إلى الأرض لفزع من هذه الجرائم التي ارتكبت باسمه وبين المؤمنين به، فكم من الحروب الدموية قد نشبت بين الشعوب المسيحية في أوروبا، وكذلك لو عاد بوذا إلى الحياة لوجد أن أشياء كثيرة قد قيلت على لسانه، وأن أساليب في الحياة قد اتخذها أتباعه لم يكن يستريح هو إليها.

ومن المؤكد أن أثر بوذا على أتباعه أكبر وأعمق مما تركت تعاليم المسيح على أتباعه.

وقد كان لكل من بوذا الهند وكونفوشيوس الصين أثر متقارب على أتباعهما، فكلاهما عاش في وقت واحد، وليس هناك فارق كبير بين عدد أتباع الرجلين.



مـارتـن لـوثـر
(1483-1546م)

إنه الرجل الذي تحدى الكنيسة الكاثوليكية الرومانية واستهل بذلك مرحلة الاحتجاج أو الإصلاح الاحتجاجي على الكنيسة - أي صاحب نظرية البروتستانتية.

ولد مارتن لوثر سنة 1483 في مدينة إيسليبن في ألمانيا، ودرس في الجامعة، وبتشجيع من والده درس القانون، ثم حصل على الدكتوراه في اللاهوت أي في الشريعة المسيحية من جامعة فيتنبرغ ثم عمل مدرسا بها.

أما احتجاجه على الكنيسة فقد نما بالتدريج، ففي سنة 1510 سافر إلى روما، وصدمه ما رأى عليه رجال الدين من أحوال، لكن الذي صدمه أكثر هو تلك التجارة التي انشغلت بها الكنيسة: تجارة صكوك الغفران، فقد كانت الكنيسة الكاثوليكية تبيع الجنة للمؤمنين، فالكنيسة هي التي تبيع العفو عن الخطايا، وهي التي تقدر سلفا فترات العذاب التي يقضيها المذنبون في النار أو الجنة!!

وفي 31 أكتوبر سنة 1517 علق احتجاجا صارخا على باب كنيسة مدينة فيتنبرغ، وقد ضم هذا الاحتجاج 95 اعتراضا على كنيسة روما، ورفضها واستنكرها تماما، وأدان صكوك الغفران. وأرسل مارتن لوثر صورة من هذا الاحتجاج إلى كبير أساقفة مدينةماينس، وتناقل الناس هذه الاحتجاجات في كل مكان.

واتسع نطاق احتجاج روما على كنيسة لوثر، بل إنه ذهب إلى أبعد من ذلك فاحتج على سلطان البابا نفسه وعلى المجتمع البابوي، ورأى أن كل إنسان يجب أن لا يخضع إلا لسلطان الكتاب المقدس وحده، ولم تسترح الكنيسة لهذه الثورة واستدعته الكنيسة واستمعت إليه وأدانته واتهمته بالإلحاد وحرمت مؤلفاته.

وكان لوثر في غاية النشاط والحيوية، فقد ألف كثيرا ونشر ذلك على أوسع مجال، ومن أعظم أعماله كلها ترجمة الكتاب المقدس إلى اللغة الألمانية، وقد أدى ذلك إلى أنه أصبح من السهل على أي إنسان أن يقرأ الكتاب المقدس دون أن يعتمد على كهانة الكنيسة، كما أن جمال عبارة لوثر قد أثرت في الأدب الألماني المعاصر.

وليس في الإمكان إجمال فلسفة لوثر في اللاهوت أي في الإلهيات، ولكن أهم نظرياته التي استمدها من القديس بولس: أن الإنسان قد لوثته الخطيئة، وأن العمل الطيب لا يمكن أن يطهره من هذه الخطيئة، إنما الإيمان فقط هو الذي يطهره، أي إرادة الله ورحمته وعفوه هو الذي يطهره من الخطيئة. ولذلك فما تقوم به كنيسة روما من بيع العفو عن الناس عمل يتنافى مع الدين، بل هو الكفر نفسه، فليس للكنيسة الحق في أن تكون وسيطا بين الإنسان وربه، وعلى ذلك فلا مبرر لما تقوم به الكنيسة الرومانية، بل لا مبرر لها كلها.

وأنكر لوثر أن يكون القديس أعزب مدى الحياة، ولذلك تزوج في سنة 1525 من راهبة وأنجبا ستة أطفال، وتوفي لوثر في سنة 1546 أثناء زيارته للمدينة التي ولد فيها.

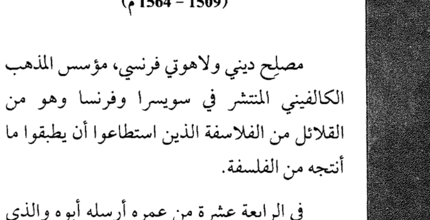
ولم يكن لوثر أول من احتج على الكنيسة الرومانية، فقد سبقه إلى ذلك رجل آخر هو يان هوس في ولاية بوهيميا، وكذلك سبقه الباحث الإنجليزي جون وايكليف في القرن الرابع عشر، وربما اعتبرنا العالم الفرنسي بيير فالدو من القرن الثاني عشر أحد رواد الاحتجاج على الكنيسة الرومانية. ولكن أثر هؤلاء المحتجين كان محليا.

وفي سنة 1517 كان الاحتجاج على الكنيسة الرومانية عاما، أي احتجاجا على كل شيء قديم تقليدي، ولذلك فمن حق لوثر أن يكون أبا للإصلاح في الفكر الأوروبي كله.

ومن الآثار البالغة للاحتجاج الذي قام به لوثر نشوب الحروب الدينية في أوروبا بعد ذلك، ومن بين هذه الحروب: حرب الثلاثين عاما في ألمانيا التي استغرقت من سنة 1618 حتى سنة 1648. وكانت هذه الحروب جميعا دموية صارخة. وكذلك الصراعات السياسية بين الكاثوليك والبروتستانت لعبت دورا خطيرا في تشكيل السياسة الأوروبية طوال القرون التالية.

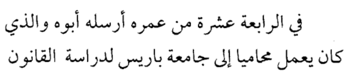
كما أن هذا الإصلاح كان له أثر فكري خطير في أوروبا الغربية، فقبل سنة 1517 لم تكن هناك سوى كنيسة واحدة مستقرة راسخة عي الكنيسة الكاثوليكية، وكل خلاف معها يوصف بأنه نوع من الزندقة والإلحاد، ولكن بعد «الإصلاح» الذي تزعمه لوثر، وبعد أن قبلت كثير من الدول حرية التفكير الديني، لم يعد هناك من خوف من مراجعة كل الأفكار والنظريات القديمة، أي الانطلاق في كل المجالات.

وكان مارتن لوثر أعدى أعداء اليهود لدرجة أنه يمكن أن يقال إنه كان أبا للنازية في القرن العشرين، ويمكن أن يقال أيضا إن ثورة مارتن لوثر لم تكن ضد الكنيسة الكاثوليكية وحدها، وإنما كانت لاعتبارات قومية أيضا، فلا تتحكم إيطاليا في ألمانيا، ولذلك لقي مارتن لوثر الكثير من التأييد الرسمي لفلسفته.



جون كالفِن
(1509 - 1564 م)

مصلِح ديني ولاهوتي فرنسي، مؤسس المذهب الكالفيني المنتشر في سويسرا وفرنسا وهو من القلائل من الفلاسفة الذين استطاعوا أن يطبقوا ما أنتجه من الفلسفة.



في الرابعة عشرة من عمره أرسله أبوه والذي كان يعمل محاميا إلى جامعة باريس لدراسة القانون والعلوم الإنسانية، وفي عام 1532 كان قد تخرج ليعمل دكتورا في القانون في مدينة أورلينز الواقعة في الشطر الشمالي لفرنسا. كان أول أعماله المنشورة كتاب دي كلامنتيا للفيلسوف الروماني لوسيوس أنايوس سنيكا والملقب بسنيكا الأصغر مصحوبا بتعليقاته الشخصية.

كان من أشد أتباع المذهب اللوثري (نسبة إلى مارتن لوثر). أجبرته الظروف على مغادرة باريس والإقامة في شتراسبورغ ثم بال (سويسرا) قبل أن يستقر منذ سنة 1541 م في جنيف. أراد أن يجعل من مدينة جنيف مدينة مثالية، فعمل على تطبيق النظام بطريقة صارمة. من أهم أعماله «تأسيس الديانة المسيحية» (1536 م) ويتعرض فيه للمعتقدات المسيحية.

كان أتباع جون كالفن يؤمنون إيماناً شديداً بأن كل إنسان له عمل في الدنيا يقوده إلى مكانه في الآخرة. وأطلقوا على هذا المبدأ اسم مبدأ «النداء»، أي أن لكل إنسان نداء في هذه الدنيا إذا لبّاه فهو سيقوده إلى تحقيق هدفه في بلوغ مكانة ترضي الله في الآخرة. وعلى الرغم من تغير الأحداث وانفصال الاقتصاد عن الدين في العالم الغربي اليوم إلا أن هذه هي جذوره.

ولد في نويون بفرنسا يوم 10 يوليو عام 1509، وكانت مدينته لها طابع كنسي، يسيطر عليها أسقفها وكاتدرائيتها، وهناك في البداية وجد مثالاً من حكومة يسيطر عليها رجال الدين (حكم رجال الدين لمجتمع باسم الرب).

وكان أبوه جيرار شوفان سكرتيراً للأسقف، ووكيل أعمال في إدارة الكاتدرائية، ووكيلاً للمقاطعة يشرف على الأعمال المالية. وقد ماتت أم جان وهو لا يزال حدثاً فتزوج أبوه للمرة الثانية، ولعل كالفن يدين بجانب من روحه القاتمة إلى ما عاناه من تربية صارمة على يد زوجة أبيه.

ونذر جيرار ثلاثة من أبنائه للكهنوت، وهو على ثقة من أن في وسعه أن يجد لهم مناصب، وحصل لاثنين منهما على صدقات، بيد أن واحداً منهم انقلب إلى هرطيق، ومات وهو يرفض تناول القربان المقدس. وحرم جيرار نفسه من الغفران بعد خلاف مالي مع إدارة الكاتدرائية، ولقي بعض المتاعب قبل أن يوسد جثمانه في الأرض المقدسة.

وأرسل جان إلى كلية دي مارش في جامعة باريس وقيد نفسه باسم جوهانس كالفينوس، وحذق كتابة اللاتينية ببراعة فائقة، ونقل فيها بعد إلى كلية دي مونيجو، ولابد أنه سمع هناك أصداء تتردد عن تلميذها المشهور أرازموس، وظل هناك حتى عام 1528، وهو العام الذي التحق فيه بها صنوه الكاثوليكي أجناتيوس لويولا. ويقول أحد الثقاة من الكاثوليك «إن القصص التي رويت في وقت ما عن شباب كالفن الطائش، لا تستند إلى أساس» والأمر على نقيض ذلك تماماً، فكل الدلائل تشير إلى أنه كان طالباً مثابراً خجولاً معتصماً بالصمت تقياً و «رقيباً صارماً في نقد أخلاقيات زملائه» ومع ذلك فإنه كان محبوباً من أصدقائه حباً خالصاً لا يتزعزع. وفي غمار السعي الحثيث للحصول على معرفة ما وراء الظاهر أو نظرية تفتن العقول قرأ كثيراً في الليل، ولقد طور حتى في تلك السنوات التي قضاها في طلب العلم، بعض الأوصاب الكثيرة التي انتابت حياته الناضجة، وساعدت على تكوين مزاجه.

وفي أواخر عام 1528 جاءه على غير انتظار توجيه من أبيه بأن يذهب إلى أورليانز ويدرس القانون، ويظن كما قال الابن «لأنه رأى أن علم القوانين قد أدر على الذين حصلوه الثراء العريض». وعكف كالفن في غبطة على الدراسة الجديدة، إذ خيل إليه أن القانون، وليس الفلسفة أو الأدب، هو أبرز نتاج فكري حققته البشرية، وأنه يصوغ نوازع الإنسان الفوضوية ويحولها إلى نظام وسلام.

ونقل إلى اللاهوت وعلم الأخلاق، منطق قوانين جستنيان ودقتها وصرامتها، وأطلق على خير مؤلفاته اسماً مماثلاً. وأصبح فوق أي شيء آخر مشرعاً وصار نوما وليكورجوس مدينة جنيف.

وبعد أن حصل على درجة الليسانس في القوانين عام 1531، عاد إلى باريس وعكف في نهم على دراسة الأدب الكلاسيكي، وأحس بالرغبة العارمة الشائعة ليرى لنفسه مؤلفاً مطبوعاً، فنشر 1532 مقالاً باللاتينية عن لسينيكا، وبدأ اشد المشرعين الدينيين صرامة حياته العملية العامة بتحية للرحمة، وأرسل نسخة إلى أرازموس، حياه فيها باعتباره «المعلم الثاني في عالم المجد» (بعد شيشرون) و «أول إشراقة للآداب».

وخيل للناس أنه وقف حياته على الإنسانيات عندما وصلته بعض عظات لوثر وأثارته بما انطوت عليه من جرأة. وكانت الدوائر الناشطة في باريس تناقش الحركة الجديدة، وليس من شك في أنه دار حديث طويل حول الراهب المتهور، الذي أحرق منشور البابا، وتحدى قرار إمبراطور بتحريم التعامل معه، والحق أنه قد سقط في سبيل البروتستانتية شهداء في فرنسا. وكان بعض الرجال الذين يبحثون عن إصلاح الكنيسة من بين أصدقاء كالفن، وكان أحدهم وهو جيرار روسل أثيراً لدى شقيقة الملك مرجريت دي نافار. واختير صديق آخر، وهو نيكولاس كوب، ليشغل منصب مدير الجامعة، ولعل كالفن كان له ضلع في إعداد الخطاب الافتتاحي المشؤوم، الذي ألقاه كوب في أول نوفمبر سنة 1533.

وقد بدأ الخطاب برجاء أرازمس لمسيحية مطهرة، واستطرد ليشرح نظرية لوثر في الخلاص عن طريق الإيمان والعفو، وانتهى بالتماس الإصغاء في تسامح للأفكار الدينية الجديدة. وأثار الخطاب حنقاً بالغاً، وانفجرت جامعة السوربون غضباً، وبدأ البرلمان في اتخاذ إجراءات ضد كوب بتهمة الهرطقة، ففر هارباً، وعرضت مكافأة قدرها ثلاثمائة كراون لمن يقبض عليه حياً أو ميتاً، ولكنه استطاع أن يصل إلى بازيل، وكانت وقتذاك تعتنق البروتستانتية.

وحذر الأصدقاء كالفن وأخبروه أن اسمه أدرج مع اسم روسل في قائمة المطلوبين للقبض عليهم، ويبدو أن مرجريت قد تشفعت له، فغادر باريس في يناير سنة 1534 ووجد ملاذاً له في أنجوليم، ولعله بدأ هناك، بمكتبة لوي دي تييه الغنية بما تضم من كتب قيمة. وفي مايو جازف بالعودة إلى ثويون، وتنازل عن روايته، التي كانت تدر عليه دخلاً يعول به نفسه. وهناك قبض عليه وأطلق سراحه، ثم أعيد القبض عليه، ثم أطلق سراحه مرة أخرى. وعاد سراً إلى باريس، وتحدث مع زعماء البروتستانت، والتقى بسير فيتوس، الذي قدر عليه أن يحرقه. وعندما وضع بعض المتطرفين من البروتستانت إعلانات

ملصوقة مهينة في أماكن متفرقة من باريس، انتقم فرانسس الأول منهم بأن أمعن في اضطهادهم، وفر كالفن في الوقت المناسب (ديسمبر 1534) وانضم إلى كوب في بازيل وهناك أتم، وهو شاب في السادسة والعشرين من عمره، عملاً يعد من أبلغ الأعمال في أدب الثورة الدينية، وأشدها حماسة، وأوضحها معنى، وأكثرها تمشياً مع المنطق، وأعظمها تأثيراً، وأشدها جميعاً إرهاباً.

نشر جون كالفن كتاب باللغة اللاتينية 1536 باسم «مبادئ الدين المسيحي» وفي خلال عام واحد نفد الكتاب واستدعى الأمر إصدار طبعة جديدة، فاستجاب كالفن، وأعد نسخة مطولة عام 1539 باللاتينية أيضاً وترجمها إلى الفرنسية عام 1541. ويعد هذا الشكل من التأليف من أعظم ما أنتجته القرائح تأثيراً في النثر الفرنسي. وحرم برلمان باريس تداول الكتاب باللغتين كلتيهما، وأحرقت نسخ منه علناً في العاصمة، واستمر كالفن طوال حياته يعمل على إضافة فصول إلى هذا الكتاب وإعادة نشره، وبلغ عدد صفحاته 1118 صفحة في شكله النهائي.

واستهلت الطبعة الأولى من الكتاب بـ «مقدمة إلى أعظم ملك مسيحي لفرنسا» وهي مقدمة تفيض بالمشاعر، ولكن بأسلوب رصين. ووقع حادثان أتاحا فرصة الحوار مع فرانسس أولهما: الأمر الملكي الصادر في يناير عام 1535 ضد الفرنسيين البروتستانت، وثانيهما: الدعوة التي وجهها فرانسس في الوقت نفسه تقريباً لميلانكتون وبوسر لكي يحضرا إلى فرنسا، ويرتبا تحالفاً بين الملكية الفرنسية وبين الأمراء اللوفريين ضد شارل الخامس. وكان كالفن يأمل في أن يوطد المأرب السياسي على دعامة من الجدل اللاهوتي، وأن يعاون في استمالة الملك، ومثل أخته، إلى القضية البروتستانتية، وكان تواقاً إلى أن يفرق بين هذه القضية وحركة اللامعمدانيين، التي اقتربت وقتذاك من الشيوعية في منستر. ووصف المصلحين الدينيين الفرنسيين بأنهم وطنيون مخلصون للملك كارهون لكل اضطراب اقتصادي أو سياسي. وتكشف بداية ونهاية هذه المقدمة روعة أفكار كالفن وجزالة أسلوبه.

«عندما بدأت هذا العمل يا مولاي لم يكن هناك شيء أبعد من التفكير في تدبيج كتاب، يقدم فيما بعد إلى جلالتكم، وكنت لا اقصد إلا أن أطرح أمامكم بعض مبادئ أولية يستطيع بها المتسائلون عن أمور الدين أن يفقهوا طبيعة التقوى الصحيحة... ولكنني عندما أدركت أن غضب بعض الأشرار في مملكتكم قد اشتد، إلى حد يجعلهم لا

يسمحون بوجود عقيدة صحيحة في البلاد، رأيت من الواجب أن يستفاد مني ولو في العمل نفسه... لقد عرضت اعترافي عليك، لكي تعلم طبيعة تلك العقيدة، التي يستهدفها هذا الغضب، الذي لا يعرف حدوداً، والذي يعتمل في صدور هؤلاء المجانين، الذين يزعجون البلاد بالسيف والنار، ومن أجل ذلك فأنا لا أخشى التسليم بأن هذه الرسالة تحتوي على ملخص لتلك العقيدة ذاتها، والتي يستحق مَن يعتنقها، طبقاً لما أثاروه حولها من دعاوى، أن يعاقب بالسجن والنفي وإهدار الدم والتحريق وبإبادته من على ظهر الأرض. وإني لأعلم جيداً الدسائس الأثيمة، التي ملأوا بها أذنيك، لكي تبدو قضيتنا بغيضة جداً في نظرك، ولكن حلمك كفيل بأن يهديك إلى التفكير في أنه إذا كان الاتهام يكفي دليلاً على الذنب، فهو القضاء على كل براءة في الأقوال والأفعال... وأنت نفسك يا مولاي تستطيع أن تتبين الوشايات الزائفة، التي كانت تطرق أذنيك عنها (قضيتنا)، وهي تفتضح كل يوم، إن ما تصبو إليه فحسب إنما هو انتزاع صولجانات الملوك من أيديهم، هدم جميع المحاكم... وتقويض دعائم النظام بأسره، وقلب الحكومة، وتعكير صفو السلام والأمن بين الناس، وإلغاء جميع القوانين، وتبديد جميع الأموال الممتلكات، وباختصار جعل كل شيء في حالة اضطراب شامل.

ولهذا أتوسل إليك يا مولاي - وهو بالتأكيد طلب معقول - أن تأخذ على عاتقك الفهم الكامل لهذه القضية، التي أثيرت حتى الآن بصورة مبلبلة، وبلا اكتراث، وبلا سند من القانون، وبدافع من العاطفة الهوجاء أكثر من أي دعامة قانونية. ولا يذهبن بك الظن إلى أني أفكر الآن في إعداد دفاعي عن نفسي، لكي أضمن لنفسي عودة آمنة إلى وطني الحبيب، فأنا، على الرغم مما أكنه له من حب ينبغي على كل إنسان أن يحس به نحوه، لن أندم أبداً، في الظروف الحالية، على انتقالي منه. ولكي أدافع عن القضية أمام كل المتدينين، وبالتالي أمام المسيح نفسه، هل يحتمل أن نفكر في تقويض دعائم الممالك، نحن الذين لم يسمعنا أحد نفوه بكلمة واحدة تثير الفتنة... نحن الذين عرفنا طوال حياتنا أننا نعيش حياة هادئة مستقيمة عندما كنا نعيش تحت حكمك، نحن الذين لم نكف، حتى في منفانا الآن، عن الصلاة لك بالنجاح ولمملكتك بالرخاء... ثم إننا لن ننتفع إلا قليلاً بالإنجيل بفضل الله، ولكن حياتنا يمكن أن تكون مثالاً يحتذى لمن نددوا بعفتنا وكرمنا ورأفتنا وعزوفنا عن المنكر وصبرنا وتواضعنا وكل فضيلة أخرى هنا... وعلى الرغم من بغضك لنا ونفورك منا، بل وغضبك علينا، فإننا لا نيأس أبداً من استعادة عطفك، لو قرأت

بهدوء واطمئنان إقرارنا هذا، الذي نعتزم تقديمه إلى جلالتكم، كدفاع لنا... ولكن إذا كانت أذناك مشغولتين عن النقيض بسماع همسات الحاقدين، التي لا تدع فرصة للمتهمين للدفاع عن أنفسهم، وإذا استمرت تلك العقبات الهوجاء في اضطهادنا بالسجن والتنكيل والتعذيب ومصادرة الأموال والحرق، وتغاضيك عن ذلك، فإننا سوف نغلب على أمرنا حقاً إلى أقصى حد، ونكون مثل قطيع من الأغنام، يساق إلى الذبح. ومع ذلك هل لنا أن نحتفظ في صبر بأرواحنا، وننتظر أن تمتد إلينا يد الرب القوية... لإنقاذ الفقراء من غمهم، ولمعاقبة المستخفين بهم، الذين يبتهجون الآن في أمن واطمئنان تام. وإني لأدعو الرب ملك الملوك أن يوطد عرشك بالعدل والتقوى، وأن ينتشر في مملكتك القسط والإنصاف».

وليس من اليسير علينا، في عصر أسلم فيه اللاهوت مكانه للسياسة، باعتبارها مركزاً لاهتمام بني الإنسان والصراع بينهم، أن نتذكر المزاج الذي ألف به كالفن كتابه القوانين. لقد كان رجلاً هائماً في حب الله - أكثر من سبينوزا، وكان شعور بضآلة الإنسان وعظمة الله.

وكم يكون الأمر منافياً للعقل أن نفترض أن العقل الواهي لهذا السوس، الذي لا يكاد يرى بالعين المجردة، وهو الإنسان، يستطيع أن يدرك العقل المفكر الذي يحكم هذه النجوم الطيعة التي لا تحصى؟ وأن الله، رأفة بعقل الإنسان، قد اظهر لنا نفسه في الكتاب المقدس، وثبت أن هذا الكتاب المقدس هو كلمة الله، (كما يقول كالفن) بما له من سلطان لا نظير له على روح الإنسان.

وفي دولة يمتزج فيها الدين والحكومة في مزيج مسكر، كان من الطبيعي أن تكون أشد المعارك التي خاضها كالفن هي معاركه ضد الوطنيين والمتحررين والذين أقصوه مرة عن البلاد والذين أسفوا الآن لعودته. فقد استاء الوطنيون من أصله الفرنسي ومن أنصاره وكرهوا لاهوته ولقبوه بقابيل، وأطلقوا على كلابهم اسم كالفن، وسبوه في الطرقات، ولعلهم هم الذين أطلقوا في إحدى الليالي خمسين طلقة نارية خارج بيته. وبشر المتحررون بعقيدة تقول بوحدة الوجود، وتخلوا عن ذكر الشياطين أو الملائكة أو جنة عدن أو التكفير أو الكتاب المقدس أو البابا. واستقبلتهم مارجريت ملكة نافار وأيدتهم في بلاطها بنيراك، ولامت كالفن على قسوته معهم. وفي يوم 27 يونيه عام 1547 وجد كالفن إعلاناً كبيراً ملصقاً على منبره جاء فيه: منافق كبير إنك لن تجني أنت ورفقاؤك بآلامك إلا النزر اليسير وإذا لم تنجوا بحياتكم بالهرب فلن يحول أحد دون القضاء عليكم، ولسوف تلعن الساعة

التي تركت فيها ديرك... إن الناس ينتقمون لأنفسهم بعد أن عانوا طويلاً... احذر فلن تعامل مثل السيد فيرل (الذي كان قد قتل)... لم يكون لنا سادة كثيرون إلى هذا الحد.

وقبض على جاك جريه، وهو أحد كبار المتحررين، إذ اشتبه في أنه كتب الإعلان ولم يقدم أي دليل. وادعى بعضهم أنه قبل ذلك ببضعة أيام تفوه بتهديدات ضد كالفن، ووجد في حجرته أوراق قيل إنها بخط يده، يصف فيها كالفن بأنه منافق متعجرف وطموح ويسخر فيها من أن الكتب المقدسة وهي من عند الله ومن خلود الروح. وعذب مرتين كل يوم لمدة ثلاثين يوماً إلى أن اعترف - ولا ندري مدى ما في اعترافه من صدق - بأنه كان قد ثبت الإعلان الكبير وتآمر مع العملاء الفرنسيين ضد كالفن ومدينة جنيف. وفي يوم 26 يوليو ربط إلى خازوق، وهو نصف ميت، وسمرت قدماه فيه وقطع رأسه.

وازدادت حدة التوتر إلى أن جاء الوطنيون والمتحررون يوم 16 ديسمبر عام 1547 وهم مسلحون وحضروا اجتماعاً للمجلس الكبير وطالبوا بوضع حد لسلطة مجمع الكرادلة على المواطنين، وفي ذروة هرج عنيف دخل كالفن إلى الحجرة وواجه الزعماء المعادين له وقال وهو يدق على صدره: «إذا كنتم تريدون سفك دمي فمازالت هنا بضع قطرات فهيا اضربوا» وسحبت السيوف ولكن أحداً لم يجسر على أن يكون القاتل الأول. وخاطب كالفن الجمع بحلم نادر وأخيراً أقنع كل الأطراف بعقد هدنة. ومع ذلك فقد اهتزت ثقته بنفسه. وكتب يوم 17 ديسمبر إلى فيريه يقول: «إن أملي ضعيف في أن تستطيع الكنيسة أن تجد لها عضداً أكثر من هذا، على الأقل من رجالي الذين يقومون بالخدمة الدينية. صدقني إن سلطاني يتحطم، اللهم إلا إذا مد الله إلي يده». وكان المعارضة انقسمت شيعاً وأحزاباً وهدأت إلى أن أتاحت لها محكمة سرفيتوس فرصة أخرى.

زرادشـــت

زرادشت هو مؤسس الديانة الزردشتية أو ما يعرف باسم المجوسية (عاش ما بين 1500-1600 ق.م).

كثيرون أولئك الذين سمعوا باسم «زرادشت» أو «الزردشتية» كديانة كانت في بلاد الفرس القديمة، ولكن القليلين من يعرفون تفاصيل حقيقية هذا الرجل ودعوته، ولا أحد يعلم هل هو نبي؟ أم فيلسوف؟ أم أنه رجل مصلح يحب الخير لقومه.. هذه الشخصية الأسطورية التي دخلت التاريخ من أوسع أبوابها.. والصحيح انه كان أحد الغامضين في التاريخ حتى تم العثور على لوحة تحتوي على صورته في سوريا، ولوحة زرادشت التي عثر عليها المؤرخون ترجع إلى عصر البارتيين.

الذي يؤكده المؤرخون انه ولد في منطقة صحراء توركمان (تركمانستان حالياً) في شمال شرق إيران، وبعض المؤرخين يقولون انه من أصول الأوغوزية وقسم يقول إن أم والده أذرية. وينسب الأذريون زرادشت إليهم ويستدلون على ذلك بقصة تخت سليمان ومكان تخت سليمان الموجود في أذربيجان، ولكن هذا الدليل غير قوي، على الرغم من أن الديانة الزردشتية كانت منتشرة في آسيا الوسطى وأفغانستان وإيران وشمال العراق وحتى سوريا واكبر دليل على صحة ذلك هو مكان ولادة زرادشت في صحراء توركمان.

اسمه «زرادشت بن يورشب» من قبيلة «سبتياما»، وكانت أمه لأبيه من أذربيجان، أما أمه فمن إيران واسمها «دغدويه».. ولد في القرن السادس قبل الميلاد، واختلفت المصادر في التحديد الدقيق لتاريخ مولده، غير أن المؤكد أنه ولد في وقت انتشرت فيه القبائل الهمجية بإيران، وانتشرت معها عبادة الأصنام وسيطرة السحرة والمشعوذين على أذهان البسطاء.

وتقول الأساطير: «إن والد زرادشت كان يرعى ماشيته في الحقل، فتراءى له شبحان، وأعطياه غصنا من نبات، ليمزجه باللبن ويشربه هو وزوجته دغدويه، ففعل

وشرب ما طلبه منه الشبحان، فحملت زوجته، وبعد خمسة أشهر من حملها رأت في منامها أن كائنات مخيفة هبطت من سحابة سوداء، فانتزعت الطفل من رحمها وأرادت القضاء عليه، إلا أن شعاعا من نور هبط من السماء مزق هذه السحابة المظلمة وأنقذ الجنين، وسمعت صوتا من هذا النور يقول لها: «هذا الطفل عندما يكبر سيصبح نبي أهورامزدا».

وتعددت الأساطير حول ميلاد زرادشت، ومنها أنه لما ولد قهقه بصوت عالٍ اهتزت له أركان البيت، وأن كبير سحرة إيران «دوران سورن» رأى أن طفلا سيولد، ويقضي على السحر وعبادة الأصنام، ويطرد الكهنة من جميع البلاد، وتستطرد الحكايات أن هذا الكاهن حاول قتله وهو في المهد مرات ومرات، وكان الفشل هو النتيجة دائمًا.

اهتم والد زرادشت بابنه، ورأى أن يعلمه أفضل تعليم في البلاد؛ لذا أرسله في سن السابعة إلى الحكيم الشهير «بوزين كوروس»، وظل الابن معه ثمانية أعوام درس فيها عقيدة قومه، ودرس الزراعة وتربية الماشية وعلاج المرضى، ثم عاد إلى موطنه بعد هذه الأعوام الطوال.

ولم يكد يستقر بين أبويه حتى غزا التورانيون إيران، فتطوع زرادشت للذهاب إلى ميدان القتال لا ليحارب وإنما ليعالج الجرحى والمصابين، ولما وضعت الحرب أوزارها انتشرت المجاعة في البلاد، وانتشر معها المرض، فتطوع زرادشت ثانية ليضع خبرته وجهده في علاج المرضى، وانقضت خمس سنوات أخرى من عمره في هذا الأمر.

ويبدو أن أباه قد ملّ من ابنه الذي تكاد حياته تضيع في خدمة الناس من حوله؛ لذا فعندما عاد إلى موطنه طلب منه أبوه أن يتخلى عن عمله بين الناس، وأن يتزوج ويعيش كغيره من الشباب ليرعى أرضه وماشيته، غير أن الابن لم ينفذ من وصية أبيه إلا الزواج من الفتاة الحسناء «هافويه».

وقد خلفت الحرب قناعة لدى زرادشت بأن عليه أن يقوم بعمل عظيم أفضل من تربية الماشية وزراعة الأرض؛ ألا وهو علاج المرضى وتخفيف آلامهم؛ لذا ظل عشرة أعوام أخرى بين المرضى يعالجهم، ويبتكر وسائل جديدة لمداواتهم، ووجد أن جهوده لم تضع نهاية لآلام الناس وأحزانهم، وتساءل عن مصدر هذه الشرور في العالم، وكانت هذه الأسئلة هي الباب الذي ولج منه للتأمل العميق والرحلة الطويلة.

استأذن زرادشت زوجته هافويه في أن يعيش بعيدا عنها ناسكا لفترة يفكر في الشر والخير، وانطلق إلى جبل «سابلان»، وعزم ألا يعود لبيته حتى يكتسب الحكمة، وظل هناك وحيدًا يفكر لشهور لعله يجد تفسيرًا للخير والشر، غير أنه لم يهتدِ لشيء، وذات يوم تأمل في غروب الشمس وحلول الظلام بعد النور، وحاول أن يكتشف الحكمة من ذلك، ورأى أن اليوم يتكون من ليل ونهار، نور وظلام، والعالم أيضا يتكون من خير وشر؛ لذلك فالخير لا يمكن أن يصبح شرًا، والشر لا يمكن أن يصبح خيرًا، وإن الكهنة والسحرة الذين يعبدون الأوثان والأصنام لا بد أن يكونوا على خطأ؛ لأن معتقداتهم كانت أن الآلهة والأوثان التي يعبدونها هي آلهة الشر، وأنهم يتقربون إليها اتقاء لشرها ودفعا له، وهم كذلك يتقربون إلى إله الشر ليصنع لهم الخير.

ورأى أن تاريخ العالم يتمثل في الصراع بين الخير الذي يمثله الإله «أهورامزدا»، والشر الذي يمثله الإله «أهرمان»، وأهورامزدا لا يمكن أن يكون مسؤولا عن الشر؛ لأن الشر جوهرٌ، مثله مثل الخير، وأن هاتين القوتين وجهان للموجود الأول الواحد؛ لذلك لا بد أن يكون بعد الموت حياة أخرى، بعدما ينتصر الإله الأوحد على الشر، عندئذ يُبعث الموتى، ويحيا الناس مرة أخرى، وتنطلق الأرواح الخيرة إلى الجنة، أما روح الشر وأتباعها من الخبثاء فيحترقون في المعدن الملتهب.. عندها يبدأ العالم السعيد الخير الذي لا شر فيه ويدوم سرمديًا.

وظل زرادشت على جبل سابلان يستوضح أفكاره، التي تخرج في بطء شديد كأنها ولادة متعثرة، وتزعم الأساطير أنه وهو واقف على الجبل رأى نورًا يسطع فوقه، وإذا به «فاهومانا» كبير الملائكة، قد جاء ليقود زرادشت إلى السماء ليحظى بشرف لقاء الرب، ويستمع إلى تكليفه بأمر النبوة، فصدع بالأمر، ثم قال بعدها: سأنزل إلى الناس، وأقود شعبي باسم أهورامزدا من الظلام إلى النور، ومن الشقاء إلى السعادة، ومن الشر إلى الخير.

قرر زرادشت أن يدعو قومه إلى تعاليمه والإيمان بها، واستمر في دعوتهم عشر سنوات، لقي فيها عنتا واضطهادًا، ولم يؤمن به أحد، وتخلت عنه عشيرته وأسرته، بل طرد من بلده، فتنقل بين البلاد والأقاليم، إلا أن الناس تجنبوه، وأغلقوا دونه الأبواب؛ لأنه رجل يسب الدين والكهنة، فتطرق اليأس إلى قلبه. وتزعم الأساطير أن أهورامزدا ظهر له، وأن الملائكة لقنته أصول الحكمة، وحقيقة النار المقدسة، وكثيرًا من الأسرار؛ فبدأت سحابة اليأس المظلمة تنقشع عن قلبه بعدما آمن به ابن عمه «ميتوماه» الذي

نصحه أن يدعو المتعلمين من قومه إلى تعاليمه؛ لأن تعاليمه الجديدة صعبة على فهم الناس غير المتعلمين.

استرعت نصيحة ميتوماه زرادشت، وعزم أن يبدأ بالمتعلمين لدعوته، وعلى رأسهم الملك «كاشتاسب» وزوجته؛ لذا انطلق إلى مقر إقامة الملك، وشرح له دعوته الجديدة، ودعاه إلى الإيمان بها، وعقد الملك مناظرات بين زرادشت من جانب والكهنة والسحرة من جانب آخر، واستمرت المناظرات لمدة ثلاثة أيام، أجاب فيها زرادشت عن جميع أسئلتهم بعدما أخذ العهد والميثاق من الملك أن يتبع تعاليمه، ويتخلى عن عبادة الأصنام إذا انتصر على هؤلاء الكهنة، ولما تحقق نصر زرادشت عليهم قال الملك: «إنما هو نبي من عند إله حكيم» فآمن به، وانتشرت ديانة زرادشت في إيران والدول المجاورة، وأقبلت جموع الناس على زرادشت للإيمان بهذا الدين الجديد، فملأت السعادة نفسه؛ لأنه انتصر على الأصنام والأوثان.

ولم تستمر سعادته طويلا؛ إذ تآمر الكهنة عليه، ودبروا مكيدة له، انتهت بأن أصدر الملك كاشتاسب أمرا بالقبض عليه وإلقائه في السجن، وأمر الناس أن يعودوا إلى عبادة الآباء والأجداد، ونفض عنه الإيمان بأهورامزدا. وتصادف في ذلك الوقت إصابة جواد الملك بمرض عضال عجز الأطباء عن علاجه، ولم تنفع دعوات الكهنة للآلهة في شفائه، وعلم زرادشت بالأمر، فأرسل إلى الملك أنه يستطيع شفاء الجواد شرط أن يعود الملك إلى تعاليمه التي هجرها، ووافق الملك على ذلك، وشُفي الجواد، وصدر الأمر بالإفراج عن زرادشت، وعاد الملك إلى تعاليمه وآمنت المملكة به، وازداد إيمان الملك عندما رأى كثيرًا من المعجزات تتحقق على يد زرادشت، الذي أصبح كبير كهنة الملك في بلاد بلخ بإيران.

ويقول الزرادشتيون: «إن كاشتاسب أمر بذبح اثني عشر ألف بقرة، دُبغت جلودها، ورُبطت بخيوط الذهب الخالص، وكُتب عليها بحروف من الذهب جميع تعاليم زرادشت، التي عرفت باسم «الأفيستا»، ويقال أن الاسكندر الأكبر أحرقها عندما فتح فارس عام 330 ق.م، وأن بقايا الأفيستا جمعت بعد ذلك، وتمت ترجمتها إلى اللغة الفارسية، كما أن أقدم مخطوط لهذا الكتاب يعود إلى سنة 1258 ميلادية.

وكان لزرادشت ابنة صغيرة جميلة عاقلة تسمى «بوروكيستا» نالت إعجاب الأسرة المالكة، وأحبها رئيس الوزراء وتزوجها، وبذلك دعم الرجل مركزه الديني بمصاهرة

سياسية، ثم تشجع وحضّ الملك على أن ينشر تعاليم أهورامزدا في كل مكان؛ لذلك أرسل الرسل إلى الممالك والأقاليم المجاورة للدعوة إلى الأفيستا، ووصلت هذه التعاليم إلى جميع أنحاء إيران وإلى اليونان والهند.

هذا هو الملخص تقريبا لمسيرة هذا الرجل؛ فقد بدأ أمره طبيبا بارعا، وحكيما وفيلسوفا، حاول الوصول إلى سر الكون بالنظر والتأمل العقلي.. تعرض للاضطهاد في بادئ أمره، ثم لما مرض حصان الملك وعالجه زرادشت كافأه الملك بأن أذاع نبوته، ونشر عقيدته، ولما تزوج رئيس الوزراء ابنته كافأه بأن فرض ديانته على الشعوب المجاورة.. لكن ما لبثت هذه الشعوب أن قتلته!!

ولما بلغ زرادشت ستين سنة رأى أن يفرض الملك تعاليمه على شعب نوران المجاور لإيران، ودارت رحى الحرب بين المملكتين حول عقيدة زرادشت، وبعد معارك رهيبة شرسة انتصر الإيرانيون، وفرضوا عقيدتهم على الشعب المجاور، وأصبح زرادشت بطلا قومياً؛ كلمته قانون، وتعاليمه مقدسة، غير أن العقيدة لا تُفرض على القلوب، ولا تُصَب مبادئها في العقول، والدين اقتناع لا إكراه؛ لذلك كره شعب نوران زرادشت وتعاليمه، ولم يكفوا عن المقاومة طيلة سبعة عشر عامًا، حتى استطاعوا أن يشعلوا نار حرب أخرى كبيرة، والتقى الجمعان في ساحة القتال، أما زرادشت فذهب إلى المعبد مع ثمانين من كبار الكهنة يصلون من أجل أن تنجو أسوار مدينتهم التي تتهاوى أمام شعب نوران، الذي رفض أن تفرض العقيدة عليه.

وتعالت دعوات زرادشت وهو راكع أمام الناس أن ينقذ شعبه وتعاليمه، غير أن الهزيمة كانت أقوى من الدعوات؛ فدخل النورانيون المعبد، وطعنوا زرادشت في ظهره بحربة، وقتلوا جميع الكهنة، وسالت الدماء في المعبد حتى أطفأت النار.

وانتهت حياة زرادشت وهو في السابعة والسبعين من عمره، وانتقم الملك لمقتله بعد ذلك، وانتصر على النورانيين، ولم يقبل منهم صلحا حتى وعدوه باعتناق الزرادشتية.

هناك عشر وصايا لزرادشت يدعو فيها الناس إلى الرأفة بالحيوانات والتعامل معها على أساس أنها كائنات لها أرواح وخلقها الله لمنفعة الإنسان، أيضاً من ضمن تلك الوصايا (احترام الناس وعدم الاعتداء على الآخرين والرأفة بالضعيف، واحترام العلاقات بين القبائل والأقوام الجارة).

ولعل ظهور زرادشت في منطقة جغرافية مجاورة للأراضي العربية، التي أشرقت على أرضها الرسالات السماوية كلها قد لعب دورًا بارزًا في أفكاره ومعتقداته، بل وفي سيرته التي يتناقلها أتباعه من بعده؛ وهذا ما جعل المسلمين يعاملون الزرادشتيين معاملة أهل الكتاب؛ حيث يعتقد الكثير من الباحثين المسلمين أن زرادشت نبي قد ضاعت ديانته، نلمح في بعض كلامه بعضا من ملامح التوحيد، وأفكار موجودة في الدين الإسلامي مثل البعث، ويوم القيامة، والصراط المستقيم، والجنة والنار، ولعل ذلك يرجع إلى الحنيفية دين إبراهيم -عليه السلام- الذي كان منتشرًا في الجزيرة العربية.


أعظم شخصيات التاريخ
الأدبيـــة



أبو الطيب المتنبي

(915-965م)


المتنبي في صورة تقريبية

أبو الطيب المتنبي، أعظم شعراء العرب، وأكثرهم تمكناً من اللغة العربية وأعلمهم بقواعدها ومفرداتها، وله مكانة سامية لم تتح مثلها لغيره من شعراء العربية. فيوصف بأنه نادرة زمانه، وأعجوبة عصره، وظل شعره إلى اليوم مصدر إلهام ووحي للشعراء والأدباء. وهو شاعر حكيم، وأحد مفاخر الأدب العربي. وتدور معظم قصائده حول مدح الملوك. ترك تراثاً عظيماً من الشعر، يضم 326 قصيدة، تمثل عنواناً لسيرة حياته، صور فيها الحياة في القرن الرابع الهجري أوضح تصوير. قال الشعر صبياً. فنظم أول أشعاره و عمره 9 سنوات. اشتهر بحدة الذكاء واجتهاده وظهرت موهبته الشعرية باكراً.

صاحب كبرياء وشجاع طموح محب للمغامرات. في شعره اعتزاز بالعروبة، وتشاؤم وافتخار بنفسه، أفضل شعره في الحكمة وفلسفة الحياة ووصف المعارك، إذ جاء بصياغة قوية محكمة. إنه شاعر مبدع عملاق غزير الإنتاج يعد بحق مفخرة للأدب العربي، فهو صاحب الأمثال السائرة والحكم البالغة والمعاني المبتكرة. وجد الطريق أمامه أثناء تنقله مهيئاً لموهبته الشعرية الفائقة لدى الأمراء والحكام، إذ تدور معظم قصائده حول مدحهم. لكن شعره لا يقوم على التكلف والصنعة، لتفجر أحاسيسه وامتلاكه ناصية اللغة والبيان، مما أضفى عليه لوناً من الجمال والعذوبة.

هو احمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكندي بعد أن نشأ بالعراق انتقل إلى الشام ثم تنقل في البادية السورية يطلب الأدب وعلم العربية. ثم عاد إلى الكوفة حيث أخذ يدرس بعناية الشعر العربي، وبخاصة شعر أبي نؤاس وابن الرومي ومسلم بن الوليد وابن المعتز. وعني على الأخص بدراسة شعر أبي تمام وتلميذه البحتري. انتقل إلى الكوفة والتحق بكُتّاب يتعلم فيه أولاد أشراف الكوفة دروس العلوية شعراً ولغة وإعراباً.

لم يستقر أبو الطيب في الكوفة، فقد اتجه إلى الشام ليعمق تجربته في الحياة وليصبغ شِعره بلونها، أدرك بما يتملك من طاقات وقابليات ذهنية أن مواجهة الحياة تزيد من تجاربه ومعارفه، فرحل إلى بغداد برفقة والده، وهو في الرابعة عشرة من عمره، قبل أن يتصلب عوده، وفيها تعرف على الوسط الأدبي، وحضر بعض حلقات اللغة والأدب، ثم احترف الشعر ومدح رجال الدولة. ورحل بعدها برفقة والده إلى بادية الشام يلتقي القبائل والأمراء هناك، يتصل بهم ويمدحهم، فتقاذفته دمشق وطرابلس واللاذقية وحمص وحلب.

دخل البادية فخالط الأعراب، وتنقل فيها يطلب الأدب واللغة العربية وأيام الناس، وفي بادية الشام والبلاد السورية التقي الحكام والأمراء والوزراء والوجهاء، اتصل بهم ومدحهم، وتنقل بين مدن الشام يمدح الأمراء والوزراء وشيوخ القبائل والأدباء.

وقد شهدت الفترة التي نشأ فيها أبو الطيب تفكك الدولة العباسية وتناثر الدويلات الإسلامية التي قامت على أنقاضها. فقد كانت فترة نضج حضاري وتصدع سياسي وتوتر وصراع عاشها العرب والمسلمون.

فالخلافة في بغداد انحسرت هيبتها والسلطان الفعلي في أيدي الوزراء وقادة الجيش ومعظمهم من غير العرب. ثم ظهرت الدويلات والإمارات المتصارعة في بلاد الشام، وتعرضت الحدود لغزوات الروم والصراع المستمر على الثغور الإسلامية، ثم ظهرت الحركات الدموية في العراق كحركة القرامطة وهجماتهم على الكوفة. لقد كان لكل وزير ولكل أمير في الكيانات السياسية المتنافسة مجلس يجمع فيه الشعراء والعلماء يتخذ منهم وسيلة دعاية وتفاخر ووسيلة صلة بينه وبين الحكام والمجتمع، فمن انتظم في هذا المجلس أو ذاك من الشعراء أو العلماء يعني أنه اتفق وإياهم على إكبار هذا الأمير الذي يدير هذا المجلس وذاك الوزير الذي يشرف على ذاك. والشاعر الذي يختلف مع الوزير في بغداد مثلاً يرتحل إلى غيره فإذا كان شاعراً معروفاً استقبله المقصود الجديد، وأكبره لينافس به خصمه أو ليفخر بصوته.

في هذا العالم المضطرب كانت نشأة أبي الطيب، ولقد وعى بذكائه الفطري وطاقته المتفتحة حقيقة ما يجري حوله، فأخذ بأسباب الثقافة مستغلاً شغفه بالقراءة والحفظ، فكان له شأن في مستقبل الأيام أثمر عن عبقرية في الشعر العربي. كان في هذه الفترة

يبحث عن شيء يلح عليه في ذهنه، أعلن عنه في شعره تلميحاً وتصريحاً حتى أشفق عليه بعض أصدقائه وحذره من مغبة أمره، حذره أبو عبد الله معاذ بن إسماعيل في اللاذقية، فلم يستمع له، إلى أن انتهى به الأمر إلى السجن.

ظل المتنبي باحثاً عن أرضه وفارسه غير مستقر عند أمير ولا في مدينة حتى حط رحاله في إنطاكية حيث أبو العشائر ابن عم سيف الدولة سنة 336 هـ، واتصل بسيف الدولة بن حمدان، أمير وصاحب حلب سنة 337 هـ وكانا في سن متقاربة، فوفد عليه المتنبي وعرض عليه أن يمدحه بشعره على ألا يقف بين يديه لينشد قصيدته كما كان يفعل الشعراء فأجاز له سيف الدولة أن يفعل هذا وأصبح المتنبي من شعراء بلاط سيف الدولة في حلب، وأجازه سيف الدولة على قصائده بالجوائز الكثيرة وقربه إليه فكان من أخلص خلصائه وكانت بينهما مودة واحترام، وخاض معه المعارك ضد الروم، وتعد سيفياته أصفى شعره. غير أن المتنبي حافظ على عادته في إفراد الجزء الأكبر من قصيدته لنفسه وتقديمه إياها على ممدوحه، فكان أن حدثت بينه وبين سيف الدولة جفوة وسّعها كارهوه وكانوا كثراً في بلاط سيف الدولة.

ازداد أبو الطيب اندفاعاً وكبرياء واستطاع في حضرة سيف الدولة أن يلتقط أنفاسه، وظن أنه وصل إلى شاطئه الأخضر، وعاش مكرماً مميزاً عن غيره من الشعراء في حلب. وهو لا يرى إلا أنه نال بعض حقه، ومن حوله يظن أنه حصل على أكثر من حقه. وظل يحس بالظمأ إلى الحياة، إلى المجد الذي لا يستطيع هو نفسه أن يتصور حدوده، إلى أنه مطمئن إلى إمارة حلب العربية التي يعيش في ظلها وإلى أمير عربي يشاركه طموحه وإحساسه. وسيف الدولة يحس بطموحه العظيم، وقد ألف هذا الطموح وهذا الكبرياء منذ أن طلب منه أن يلقي شعره قاعداً وكان الشعراء يلقون أشعارهم واقفين بين يدي الأمير، واحتمل أيضاً هذا التمجيد لنفسه ووضعها أحياناً بصف الممدوح إن لم يرفعها عليه. وربما احتمل سيف الدولة على مضض تصرفاته العفوية، إذ لم يكن المتنبي يحسن مداراة مجالس الملوك والأمراء، فكانت طبيعته على سجيتها في كثير من الأحيان.

وفي المواقف القليلة التي كان المتنبي مضطرا لمراعاة الجو المحيط به، فقد كان يتطرق إلى مدح آباء سيف الدولة في عدد من القصائد، ومنها السالفة الذكر، لكن ذلك لم يكن إعجابا بالأيام الخوالي وإنما وسيلة للوصول إلى ممدوحه، إذ لا يمكن فصل الفروع عن جذع الشجرة وأصولها.

أحس الشاعر بأن صديقه بدأ يتغير عليه، وكانت الهمسات تنقل إليه عن سيف الدولة بأنه غير راض، وعنه إلى سيف الدولة بأشياء لا ترضي الأمير. وبدأت المسافة تتسع بين الشاعر والأمير، وربما كان هذا الاتساع مصطنعاً إلا أنه اتخذ صورة في ذهن كل منهما. وظهرت منه مواقف حادة مع حاشية الأمير، وأخذت الشكوى تصل إلى سيف الدولة منه حتى بدأ يشعر بأن فردوسه الذي لاح له بريقه عند سيف الدولة لم يحقق السعادة التي نشدها. وأصابته خيبة الأمل لاعتداء ابن خالويه عليه بحضور سيف الدولة حيث رمى دواة الحبر على المتنبي في بلاط سيف الدولة، فلم ينتصف له سيف الدولة، ولم يثأر له الأمير، وأحس بجرح لكرامته، لم يستطع أن يحتمله، فعزم على مغادرته، ولم يستطع أن يجرح كبرياءه بتراجعه، وإنما أراد أن يمضي بعزمه. فكانت مواقف العتاب الصريح والفراق، وكان آخر ما أنشده إياه ميميته في سنة 345 هـ ومنها: (لا تطلبن كريماً بعد رؤيته).

بعد تسع سنوات ونيف في بلاط سيف الدولة جفاه الأمير وزادت جفوته له بفضل كارهي المتنبي ولأسباب غير معروفة قال البعض إنها تتعلق بحب المتنبي المزعوم لخولة شقيقة سيف الدولة التي رثاها المتنبي في قصيدة ذكر فيها حسن مبسمها، وكان هذا مما لا يليق عند رثاء بنات الملوك. وهكذا انكسرت العلاقة الوثيقة التي كانت تربط سيف الدولة بالمتنبي.

فارق أبو الطيب سيف الدولة وهو غير كاره له، وإنما كره الجو الذي ملأه حساده ومنافسوه من حاشية الأمير. فأوغروا قلب الأمير، فجعل الشاعر يحس بأن هوة بينه وبين صديقه يملؤها الحسد والكيد، وجعله يشعر بأنه لو أقام هنا فربما تعرض للموت أو تعرضت كبرياؤه للضيم. فغادر حلب، وهو يكن لأميرها الحب، لذا كان قد عاتبه وبقي يذكره بالعتاب، ولم يقف منه موقف الساخط المعادي، وبقيت الصلة بينهما بالرسائل التي تبادلاها حين عاد أبو الطيب إلى الكوفة وبعد ترحاله في بلاد عديدة بقي سيف الدولة في خاطر ووجدان المتنبي.

الشخص الذي تلا سيف الدولة الحمداني أهمية في سيرة المتنبي هو كافور الإخشيدي. فقد فارق أبو الطيب حلباً إلى مدن الشام ومصر وكأنه يضع خطة لفراقها ويعقد مجلساً يقابل سيف الدولة. من هنا كانت فكرة الولاية أملا في رأسه ظل يقوي. دفع به للتوجه إلى مصر حيث كافور الإخشيدي. وكان مبعث ذهاب المتنبي إليه على

كرهه له لأنه طمع في ولاية يوليها إياه. ولم يكن مديح المتنبي لكافور صافياً، بل بطنه بالهجاء و الحنين إلى سيف الدولة الحمداني في حلب، فكان مطلع أول قصيدته مدح بها كافور:

كفى بك داء أن ترى الموت شافياً وحسب المنايا أن يكن أمانيا

فكأنه جعل كافورا الموت الشافي والمنايا التي تتمنى ومع هذا فقد كان كافور حذراً، فلم ينل المتنبي منه مطلبه، بل إن وشاة المتنبي كثروا عنده، فهجاهم المتنبي، وهجا كافور ومصر هجاء مرا ومما نسب إلى المتنبي في هجاء كافور:

لا تشتري العبد إلا والعصا معه ... إن العبيد لأنجاس مناكيد

نامت نواطير مصر عن ثعالبها ... وقد بشمن وما تفنى العناقيد

لا يقبض الموت نفسا من نفوسهم ... إلا وفي يده من نتنها عود

من علم الأسود المخصي مكرمة ... أقومه البيض أم آباؤه السود

أم أذنه في يد النخاس دامية ... أم قدره وهو بالفلسين مردود

واستقر في عزم أن يغادر مصر بعد أن لم ينل مطلبه، فغادرها في يوم عيد، وقال يومها قصيدته الشهيرة التي ضمنها ما بنفسه من مرارة على كافور وحاشيته، والتي كان مطلعها:

عيد بأية حال عدت يا عيد ... بما مضى أم لأمر فيك تجديد

ويقول فيها أيضا:

إذا أردت كميت اللون صافية ... وجدتها وحبيب النفس مفقود

ماذا لقيت من الدنيا وأعجبه ... أني لما أنا شاكٍ مِنْهُ مَحْسُودُ

وفي القصيدة هجوم شرس على كافور وأهل مصر بما وجد منهم من إهانة له وحط من منزلته وطعن في شخصيته، ثم إنه بعد مغادرته لمصر قال قصيدةً يصف بها منازل طريقه وكيف أنه قام بقطع القفار والأودية المهجورة التي لم يسلكها أحد.

لم يكن سيف الدولة وكافور هما الوحيدين اللذين مدحهما المتنبي فقط، فقد قصد أمراء الشام والعراق وفارس. وبعد عودته إلى الكوفة، زار بلاد فارس، فمر بأرجان،

ومدح فيها ابن العميد، وكانت له معه مساجلات. ومدح عضد الدولة ابن بويه الديلمي في شيراز وذالك بعد فراره من مصر إلى الكوفة ليلة عيد النحر سنة 370 هـ.

كان شعر المتنبي صورة صادقة لعصره، وحياته، فهو يحدثك عما كان في عصره من ثورات، واضطرابات، ويدلك على ما كان به من مذاهب، وآراء، ونضج العلم والفلسفة. كما يمثل شعره حياته المضطربة: فذكر فيه طموحه وعلمه، وعقله وشجاعته، وسخطه ورضاه، وحرصه على المال، كما تجلت القوة في معانيه، وأخيلته، وألفاظه، وعباراته. وقد تميز خياله بالقوة والخصب فكانت ألفاظه جزلة، وعباراته رصينة، تلائم قوة روحه، وقوة معانيه، وخصب أخيلته، وهو ينطلق في عباراته انطلاقاً ولا يعنى فيها كثيراً بالمحسنات والصناعة.

ومن أغراضه الشعرية :

المدح: ومن قصائده في مدح سيف الدولة:

وقفت وما في الموت شكٌّ لواقف ... كأنك في جفن الرَّدى وهو نائم

تمر بك الأبطال كَلْمَى هزيمةً ... ووجهك وضاحٌ، وثغرُكَ باسم

تجاوزت مقدار الشجاعة والنهى ... إلى قول قومٍ أنت بالغيب عالم

الوصف: أجاد المتنبي وصف المعارك والحروب البارزة التي دارت في عصره وخاصة في حضرة وبلاط سيف الدولة، فكان شعره يعتبر سجلاً تاريخياً. كما أنه وصف الطبيعة، وأخلاق الناس، ونوازعهم النفسية، كما صور نفسه وطموحه. وقد قال يصف شِعب بوَّان، وهو منتزه بالقرب من شيراز:

لها ثمر تشير إليك منه ... بأشربةٍ وقفن بلا أوان

وأمواهٌ يصِلُّ بها حصاها ... صليل الحَلى في أيدي الغواني

إذا غنى الحمام الوُرْقُ فيها ... أجابته أغانيُّ القيان

الهجاء: لم يكثر الشاعر من الهجاء. وكان في هجائه يأتي بحكم يجعلها قواعد عامة، تخضع لمبدأ أو خلق، وكثيراً ما يلجأ إلى التهكم، أو استعمال ألقاب تحمل في موسيقاها معناها، وتشيع حولها جو السخرية بمجرد اللفظ بها، كما أن السخط يدفعه إلى الهجاء اللاذع في بعض الأحيان. وقال يهجو طائفة من الشعراء الذين كانوا ينفسون عليه مكانته:

أفي كـل يـوم تحـت ضِـبني شُـوَيْعِرٌ ضـعيف يقـاويني، قـصير يطـاول

لـساني بنطقـي صـامت عنـه عـادل وقلبـي بـصمتي ضـاحكٌ منـه هـازل

وأَتْعَـبُ مَـن نـاداك مـن لا تُجيبـه وأَغـيظُ مَـن عـاداك مَـن لا تُـشاكل

ومـا التِّيـهُ طِبِّـى فـيهم، غـير أننـي بغـيضٌ إليّ الجاهـل المتعاقِـلُ

الحكمة: اشتهر المتنبي بالحكمة وذهب كثير من أقواله مجرى الأمثال لأنه يتصل بالنفس الإنسانية، ويردد نوازعها وآلامها. ومن حكمه ونظراته في الحياة:

ومـراد النفـوس أصـغر مـن أن نتعـادى فيـه وأن نتفـانى

غـير أن الفتـى يُلاقـي المنايـا كالحـات، ولا يلاقـي الهوانـا

ولـو أن الحيـاة تبقـى لحـيٍّ لعـددنا أضـلنا الـشجعانا

وإذا لم يكـن مـن المـوت بُـدٌّ فمـن العجـز أن تكـون جبانـا

كان المتنبي قد هجا ضبة بن يزيد الأسدي العيني بقصيدة شديدة مطلعها:

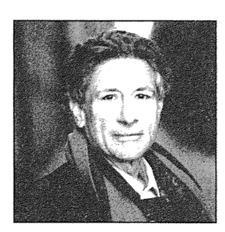
مَـا أنْـصَفَ القَـوْمُ ضـبّهْ وَأُمّـهُ الطُّرْطُبّـهْ وَإنّـمَا قُلْـتُ مـا قُلْـتُ رَحْمَـةً لا مَحَبّـهْ

فلما كان المتنبي عائدًا يريد الكوفة، وكان في جماعة منهم ابنه محسّد وغلامه مفلح، لقيه فاتك بن أبي جهل الأسدي، وهو خال ضبّة، وكان في جماعة أيضًا. فاقتتل الفريقان وقُتل المتنبي وابنه محشد وغلامه مفلح بالنعمانية بالقرب من دير العاقول غربيّ بغداد. ويرى في قصة قتله أنه لما ظفر به فاتك، أراد الهرب فقال له ابنه: أتهرب وأنت القائل:

الخيـل والليـل والبيـداء تعرفنـي والـسيف والـرمح والقرطـاس والقلـم

فقال المتنبي: قتلتني يا هذا، فرجع فقاتل حتى قتل.

ولهذا اشتهر بأن هذا البيت هو الذي قتله. بينما الأصح أن الذي قتله هو تلك القصيدة.



إدوارد سعيد
(2003-1935)

ولد إدوارد سعيد في القدس في الأول من نوفمبر عام 1935 لعائلة مسيحية. بدأ دراسته في كلية فيكتوريا في الإسكندرية في مصر، ثم سافر إلى الولايات المتحدة كطالب، وحصل على درجة البكالوريوس من جامعة برنستون عام 1957م ثم الماجستير عام 1960 والدكتوراه من جامعة هارفارد عام 1964 م.

قضى سعيد معظم حياته الأكاديمية أستاذا في جامعة كولومبيا في نيويورك، لكنه كان يتجول كأستاذ زائر في عدد من كبريات المؤسسات الأكاديمية مثل جامعة يايل وهارفرد وجون هوبكنز. تحدث سعيد العربية والإنجليزية والفرنسية بطلاقة، وألم بالإسبانية والألمانية والإيطالية واللاتينية. إدوارد سعيد هو من أتباع الكنيسة البروتستانتية الإنجيلية.

بالإضافة إلى كونه ناقدًا أدبيًا مرموقا، فإن اهتماماته السياسية والمعرفية متعددة واسعة تتمحور حول القضية الفلسطينية والدفاع عن شرعية الثقافة والهوّية الفلسطينية، وعن عدالة هذه القضية وحقوق الشعب الفلسطيني. كما تتركز اهتماماته والموضوعات التي يتناولها على العلاقة بين القوة والهيمنة الثقافية الغربية من ناحية، وتشكيل رؤية الناس للعالم وللقضايا من ناحية أخرى. ويوضح إدوارد سعيد هذه المسألة بأمثلة عديدة وبتفاصيل تاريخية في مسألة الصهيونية، وترعرعها في الغرب، ونظرة الغرب إلى العرب والإسلام والمسلمين وثقافات العالم الأخرى. ويشرح إدوارد سعيد كيف أن الإعلام الغربي والخبراء وصنّاع السياسة الغربية والإمبريالية الثقافية الغربية تتضافر كلها لتحقيق مصالح غربية غير عادلة في نهاية المطاف، وذلك عن طريق إيجاد خطاب غربي منحاز ثقافيًا إلى الغرب ومصالحه.

أصدر سعيد بحوثا ودراسات ومقالات في حقول أخرى تنوعت من الأدب الإنجليزي، وهو اختصاصه الأكاديمي، إلى الموسيقى وشؤون ثقافية مختلفة.

ومن كتبه: الاستشراق عام 1978م، ثم مسألة فلسطين عام 1979م، وبعد السماء الأخيرة عام 1986م، وكلاهما عن الصراع العربي الإسرائيلي، ثم متتاليات موسيقية عام

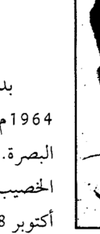
1991، والثقافة والإمبريالية عام 1993 والذي يعتبر تكملة لكتابه الاستشراق، إلى جانب كتب الأدب والمجتمع وتغطية الإسلام ولوم الضحية والسلام والسخط وسياسة التجريد وتمثيلات المثقف وغزة أريحا: سلام أمريكي.

بعد معرفته بإصابته بمرض السرطان في 1999 بدأ بكتابة مذكراته باسم خارج المكان.

يعتبر كتابه الاستشراق من أهم أعماله ويعتبر بداية فرع العلم الذي يعرف بدراسات ما بعد الكولونيالية. كان سعيد منتقدا قويا ودائما للحكومة الأمريكية ولإسرائيل لما كان يعتبره إساءة وإهانة الدولة اليهودية للفلسطينيين. وكان من اشد المعارضين لاتفاقيات أوسلو، وانتقد سعيد الزعيم الفلسطيني ياسر عرفات واعتبر أن اتفاقيات أوسلو كانت صفقة خاسرة للفلسطينيين. لقد كان دائماً من المؤمنين بالحل المبني على قيام دولة ثنائية القومية.

أسس مع الدكتور الراحل حيدر عبد الشافي والدكتور مصطفى البرغوثي والأستاذ إبراهيم القاق «المبادرة الوطنية الفلسطينية» كحركة سياسية فلسطينية تهتم بالنهوض بالشخصية الفلسطينية وإجبار العالم على الاعتراف بالفلسطينيين على أنهم رجال إعلام وسياسيون وإداريون قادرون على تحمل مسؤولية قيادة دولتهم الفلسطينية.

توفي في إحدى مستشفيات نيويورك في 25 سبتمبر 2003 عن 67 عاما نتيجة إصابته بمرض اللوكيميا (سرطان الدم).



بدر شاكر السياب

(1926-1964م)

بدر شاكر السياب التميمي (24 ديسمبر 1926- 1964م) شاعر عراقي ولد بقرية جيكور جنوب شرق البصرة. درس الابتدائية في مدرسة باب سليمان في أبي الخصيب ثم انتقل إلى مدرسة المحمودية وتخرج منها في 1 أكتوبر 1938م. ثم أكمل الثانوية في البصرة ما بين عامي 1938 و 1943م. ثم انتقل إلى بغداد فدخل دار المعلمين العالية من عام 1943 إلى 1948م، والتحق بفرع اللغة العربية، ثم الإنجليزية. ومن خلال تلك الدراسة أتيحت له الفرصة للإطلاع على الأدب الإنجليزي بكل تفرعاته.

اتسم شعره في الفترة الأولى بالرومانسية وبدا تأثره بجيل علي محمود طه من خلال تشكيل القصيد العمودي وتنويع القافية ومنذ 1947 انساق وراء السياسة وبدا ذلك واضحا في ديوانه أعاصير الذي حافظ فيه السياب على الشكل العمودي وبدأ فيه اهتمامه بقضايا الإنسانية وقد تواصل هذا النفس مع مزجه بثقافته الإنجليزية متأثرا بإليوت في أزهار وأساطير وظهرت محاولاته الأولى في الشعر الحر، وقد ذهبت فئة من النقاد إلى أن قصيدته «هل كان حبا» هي أول نص في الشكل الجديد للشعر العربي ومازال الجدل قائما حتى الآن بخصوص الريادة بينه وبين نازك الملائكة.

وفي أول الخمسينات كرس السياب كل شعره لهذا النمط الجديد واتخذ المطولات الشعرية وسيلة للكتابة فكانت «الأسلحة والأطفال» و «المومس العمياء» و «حفار القبور» وفيها تلتقي القضايا الاجتماعية بالشعر الذاتي. مع بداية الستينات نشر السياب ديوانه «أنشودة المطر» الذي انتزع به الاعتراف نهائيا بأنه رائد الشعر الحر من القراء وصار هو الشكل الأكثر ملائمة لشعراء الأجيال الصاعدة وأخذ السياب موقع الريادة بفضل تدفقه الشعري وتمكنه من جميع الأغراض وكذلك للنفس الأسطوري الذي أدخله على الشعر العربي بإيقاظ أساطير بابل واليونان القديمة كما صنع رموزا خاصة بشعره مثل المطر، تموز، عشتار، جيكور، قريته التي خلدها. وتخللت سنوات الشهرة صراعات السياب مع المرض ولكن لم تنقص مردوديته الشعرية وبدأت ملامح جديدة تظهر في شعره وتغيرت

رموزه من تموز والمطر في «أنشودة المطر» إلى السراب والمراثي في مجموعته «المعبد الغريق» ولاحقا توغل السياب في ذكرياته الخاصة وصار شعره ملتصقا بسيرته الذاتية في «منزل الأقنان» و «شناشيل ابنة الجلبي».

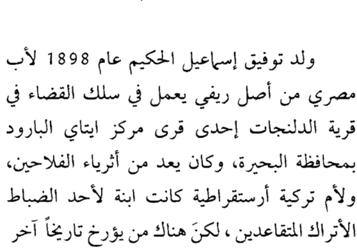
سافر السياب في هذه الفترة الأخيرة من حياته كثيرا للتداوي وكذلك لحضور بعض المؤتمرات الأدبية وكتب في رحلاته هذه بوفرة ربما لإحساسه الدفين باقتراب النهاية. توفي عام 1964م بالمستشفى الأميري في الكويت، عن 38 عاما ونقل جثمانه إلى البصرة ودفن في مقبرة الحسن البصري في الزبير.

أما دواوينه فهي:

- أزهار ذابلة 1947م.
- أعاصير 1948.
- أزهار وأساطير 1950م.
- فجر السلام 1951. '
- حفار القبور 1952م. قصيدة مطولة
- المومس العمياء 1954م. قصيدة مطولة
- الأسلحة والأطفال 1955م. قصيدة مطولة
- أسمعه يبكي
- أنشودة المطر 1960م.
- المعبد الغريق 1962م.
- منزل الأقنان 1963م.
- شناشيل ابنة الجلبي 1964م.
- ديوان إقبال، نشر عام 1965م.

وله قصيدة بين الروح والجسد في ألف بيت تقريبا ضاع معظمها. وقد جمعت دار العودة ديوان بدر شاكر السياب 1971م، وقدم له المفكر العربي المعروف الأستاذ ناجي علوش. وله من الكتب مختارات من الشعر العالمي الحديث، ومختارات من الأدب البصري الحديث. وله مجموعة مقالات سياسية سماها «كنت شيوعيا».





توفيق الحكيم
(1898-1987م)

ولد توفيق إسماعيل الحكيم عام 1898 لأب مصري من أصل ريفي يعمل في سلك القضاء في قرية الدلنجات إحدى قرى مركز ايتاي البارود بمحافظة البحيرة، وكان يعد من أثرياء الفلاحين، ولأم تركية أرستقراطية كانت ابنة لأحد الضباط الأتراك المتقاعدين ، لكنَ هناك من يؤرخ تاريخاً آخر لولادته وذلك حسب ما أورده الدكتور إسماعيل أدهم والدكتور إبراهيم ناجي في دراستهما عن الحكيم حيث أرَّخا تاريخ مولده عام 1903 بضاحية الرمل في مدينة الإسكندرية.

كانت والدته سيدة متفاخرة لأنها من أصل تركي وكانت تقيم العوائق بين الحكيم وأهله من الفلاحين فكانت تعزله عنهم وعن أترابه من الأطفال وتمنعهم من الوصول إليه، ولعل ذلك ما جعله يستدير إلى عالمه العقلي الداخلي، عندما بلغ السابعة عشر من عمره التحق بمدرسة دمنهور الابتدائية حتى انتهى من تعليمه الابتدائي سنة 1915 ثم ألحقه أبوه بمدرسة حكومية في محافظة البحيرة حيث أنهى الدراسة الثانوية، ثم انتقل إلى القاهرة، مع أعمامه، لمواصلة الدراسة الثانوية في مدرسة محمد على الثانوية، بسبب عدم وجود مدرسة ثانوية في منطقته. وفي هذه الفترة وقع في غرام جارة له، ولكن لم تكن النهاية لطيفة عليه. أتاح له هذا البعد عن عائلته نوعا من الحرية فأخذ يهتم بنواحٍ لم يتيسر له العناية بها إلى جانب أمه كالموسيقى والتمثيل ولقد وجد في تردده على فرقة جورج أبيض ما يرضي حاسته الفنية للانجذاب إلى المسرح.

في عام 1919 مع الثورة المصرية شارك مع أعمامه في المظاهرات وقبض عليهم واعتقلوا بسجن القلعة. إلا أن والده استطاع نقله إلى المستشفى العسكري إلى أن أفرج عنه. حيث عاد عام 1920 إلى الدراسة وحصل على شهادة الباكالوريا عام 1921. ثم انضم إلى كلية الحقوق بسبب رغبة أبيه ليتخرج منها عام 1925، التحق الحكيم بعد ذلك بمكتب أحد المحامين المشهورين، فعمل محاميا متدربا فترة زمنية قصيرة، ونتيجة

لاتصالات عائلته بأشخاص ذوي نفوذ تمكن والده من الحصول على دعم أحد المسؤولين في إيفاده في بعثة دراسية إلى باريس لمتابعة دراساته العليا في جامعتها بقصد الحصول على شهادة الدكتوراه في الحقوق والعودة للتدريس في إحدى الجامعات المصرية الناشئة فغادر إلى باريس لنيل شهادة الدكتوراه (1925-1928) وفي باريس، كان يزور متاحف اللوفر وقاعات السينما والمسرح، واكتسب من خلال ذلك ثقافة أدبية وفنية واسعة إذ اطلع على الأدب العالمي واليوناني والفرنسي. وانصرف عن دراسة القانون، واتجه إلى الأدب المسرحي والقصص، وتردد على المسارح الفرنسية ودار الأوبرا، فاستدعاه والداه في سنة 1927 أي بعد ثلاث سنوات فقط من إقامته هناك، وعاد الحكيم صفر اليدين من الشهادة التي أوفد من أجل الحصول عليها. عاد سنة 1928 إلى مصر ليعمل وكيلا للنائب العام سنة 1930، في المحاكم المختلطة بالإسكندرية ثم في المحاكم الأهلية. وفي سنة 1934 انتقل إلى وزارة المعارف ليعمل مفتشاً للتحقيقات، ثم نقل مديراً لإدارة الموسيقى والمسرح بالوزارة عام 1937، ثم إلى وزارة الشؤون الاجتماعية ليعمل مديرا لمصلحة الإرشاد الاجتماعي. استقال في سنة 1944، ليعود ثانية إلى الوظيفة الحكومية سنة 1954 مديرا لدار الكتب المصرية. وفي نفس السنة انتخب عضواً عاملاً بمجمع اللغة العربية وفي عام 1956 عيّن عضوا متفرغا في المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب بدرجة وكيل وزارة. وفي سنة 1959 عيّن كمندوب مصر بمنظمة اليونسكو في باريس. ثم عاد إلى القاهرة في أوائل سنة 1960 إلى موقعه في المجلس الأعلى للفنون والآداب. عمل بعدها مستشاراً بجريدة الأهرام ثم عضواً بمجلس إدارتها في عام 1971.

مزج توفيق الحكيم بين الرمزية والواقعية على نحو فريد يتميز بالخيال والعمق دون تعقيد أو غموض. وأصبح هذا الاتجاه هو الذي يكون مسرحيات الحكيم بذلك المزاج الخاص والأسلوب المتميز الذي عرف به. ويتميز الرمز في أدب توفيق الحكيم بالوضوح وعدم المبالغة في الإغلاق أو الإغراق في الغموض؛ ففي أسطورة إيزيس التي استوحاها من كتاب الموتى فإن أشلاء أوزوريس الحية في الأسطورة هي مصر المتقطعة الأوصال التي تنتظر من يوحدها ويجمع أبناءها على هدف واحد. و(عودة الروح) هي الشرارة التي أوقدتها الثورة المصرية، وهو في هذه القصة يعمد إلى دمج تاريخ حياته في الطفولة والصبا بتاريخ مصر، فيجمع بين الواقعية والرمزية معا على نحو جديد، وتتجلى مقدرة الحكيم الفنية في قدرته الفائقة على الإبداع وابتكار الشخصيات وتوظيف الأسطورة والتاريخ على نحو يتميز بالبراعة والإتقان، ويكشف عن مهارة تمرس وحسن اختيار للقالب الفني

الذي يصب فيه إبداعه، سواء في القصة أو المسرحية، بالإضافة إلي تنوع مستويات الحوار لديه بما يناسب كل شخصية من شخصياته، ويتفق مع مستواها الفكري والاجتماعي؛ وهو ما يشهد بتمكنه ووعيه. ويمتاز أسلوب توفيق الحكيم بالدقة والتكثيف الشديد وحشد المعاني والدلالات والقدرة الفائقة على التصوير؛ فهو يصف في جمل قليلة ما قد لا يبلغه غيره في صفحات طوال، سواء كان ذلك في رواياته أو مسرحياته. ويعتني الحكيم عناية فائقة بدقة تصوير المشاهد، وحيوية تجسيد الحركة، ووصف الجوانب الشعورية والانفعالات النفسية بعمق وإيحاء شديدين.

لقد حاول الحكيم العمل على مطاوعة الألفاظ للمعاني، وإيجاد التطابق بين المعاني في عالمها الذهني المجرد والألفاظ التي تعبر عنها من اللغة. ويلاحظ عليها أنها تمت بشيء من التدرج، وسارت متنامية نحو التمكن من الأداة اللغوية والإمساك بناصية التعبير الجيد. وهذه المرحلة تمثلها مسرحيات شهرزاد، والخروج من الجنة، ورصاصة في القلب، والزمار.

أما ما بعد ذلك فقد تطورت الكتابة الفنية عند الحكيم بما يعكس قدرته على صوغ الأفكار والمعاني بصورة جيدة. وخلال هذه المرحلة ظهرت مسرحياته: (سر المنتحرة)، و(نهر الجنون)، و(براكسا)، و(سلطان الظلام)، و(بجماليون).

وعلى الرغم من الإنتاج المسرحي الغزير للحكيم، الذي يجعله في مقدمة كتاب المسرح العربي وفي صدارة رواده، فإنه لم يكتب إلا عددًا قليلاً من المسرحيات التي يمكن تمثيلها على خشبة المسرح ليشاهدها الجمهور، وإنما كانت معظم مسرحياته من النوع الذي يمكن أن يطلق عليه (المسرح الذهني) الذي كتب ليقرأ فيكتشف القارئ من خلاله عالما من الدلائل والرموز التي يمكن إسقاطها على الواقع في سهولة ويسر؛ لتسهم في تقديم رؤية نقدية للحياة والمجتمع تتسم بقدر كبير من العمق والوعي. وهو يحرص على تأكيد تلك الحقيقة في العديد من كتاباته، ويفسر صعوبة تجسيد مسرحياته وتمثيلها على خشبة المسرح؛ فيقول: (إني اليوم أقيم مسرحي داخل الذهن، وأجعل الممثلين أفكارا تتحرك في المطلق من المعاني مرتدية أثواب الرموز.. لهذا اتسعت الهوة بيني وبين خشبة المسرح، ولم أجد قنطرة تنقل مثل هذه الأعمال إلى الناس غير المطبعة).

ولا ترجع أهمية توفيق الحكيم إلى كونه صاحب أول مسرحية عربية ناضجة بالمعيار النقدي الحديث فحسب، وهي مسرحية (أهل الكهف)، وصاحب أول رواية بذلك

المعنى المفهوم للرواية الحديثة وهي رواية (عودة الروح)، اللتين نشرتا عام 1933، وإنما ترجع أهميته أيضًا إلى كونه أول مؤلف إبداعي استلهم في أعماله المسرحية الروائية موضوعات مستمدة من التراث المصري. وقد استلهم هذا التراث عبر عصوره المختلفة، سواء كانت فرعونية أو رومانية أو قبطية أو إسلامية، كما أنه استمد أيضا شخصياته وقضاياه المسرحية والروائية من الواقع الاجتماعي والسياسي والثقافي المعاصر لأمته.

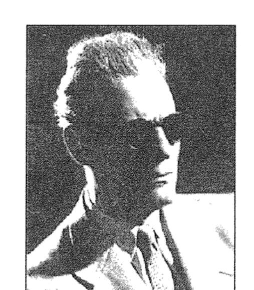
وبالرغم من ميول الحكيم الليبرالية ووطنيته؛ فقد حرص على استقلاله الفكري والفني، فلم يرتبط بأي حزب سياسي في حياته قبل الثورة؛ فلما قامت ثورة يوليو 1952، ارتبط بها وأيدها، ولكن في الوقت نفسه كان ناقدًا للجانب الديكتاتوري غير الديمقراطي الذي اتسمت به الثورة منذ بدايتها. كما تبنى الحكيم عددًا من القضايا القومية والاجتماعية وحرص على تأكيدها في كتاباته، فقد عنى ببناء الشخصية القومية، واهتم بتنمية الشعور الوطني، ونشر العدل الاجتماعي، وترسيخ الديمقراطية، وتأكيد مبدأ الحرية والمساواة. ومع ما أشيع عن توفيق الحكيم من عداوته للمرأة فإن كتاباته تشهد بعكس ذلك تمامًا فقد حظيت المرأة بنصيب وافر في أدب توفيق الحكيم، وتحدث عنها بكثير من الإجلال والاحترام الذي يقترب من التقديس. والمرأة في أدب الحكيم تتميز بالايجابية والتفاعل، ولها تأثير واضح في الأحداث ودفع حركة الحياة، ويظهر ذلك بجلاء في مسرحياته شهرزاد، وايزيس، والأيدي الناعمة، وبجماليون، وقصة الرباط المقدس، وعصفور من الشرق، وعودة الروح.

نزّله جمال عبد الناصر منزلة الأب الروحي لثورة 23 يوليو، بسبب عودة الروح التي أصدرها الحكيم عام 1933، ومهّد بها لظهور البطل المنتظر الذي سيحيي الأمة من رقادها. ومنحه جمال عبد الناصر عام 1958 قلادة الجمهورية، وحصل على جائزة الدولة التقديرية في الآداب عام 1960، ووسام العلوم والفنون من الدرجة الأولى في نفس العام. ولم يذكر أن عبد الناصر منع أي عمل لتوفيق الحكيم، حتى عندما أصدر السلطان الحائر بين السيف والقانون في عام 1959، وبنك القلق عام 1966، حيث انتقد النظام الناصري ودافع عن الديمقراطية. ووصل الأمر أن عبد الناصر كان يستقبل الحكيم في أي وقت وبغير تحديد لموعد. وهو ما أكده الحكيم نفسه في جريدة الأهرام في 15 مارس 1965. بعد وفاة عبد الناصر عام 1970 وأثناء تأبين الزعيم سقط توفيق الحكيم مغمى عليه وهو يحاول تأبينه وبعد أن أفاق قال خطبة طويلة من ضمنها:

اعذرني يا جمال. القلم يرتعش في يدي. ليس من عادتي الكتابة والألم يلجم العقل ويذهل الفكر. لن أستطيع الإطالة، لقد دخل الحزن كل بيت تفجعا عليك. لأن كل بيت فيه قطعة منك. لأن كل فرد قد وضع من قلبه لبنة في صرح بنائك.

إلا أن الحكيم في عام 1972 أصدر كتاب عودة الوعي مهاجما فيه جمال عبد الناصر بعنف. وقد ترتبت على عودة الوعي ضجة إعلامية، حيث اختزل الحكيم موقفه من التجربة الناصرية التي بدأت كما ذكر: يوم الأربعاء 23 يوليو 1952 حتى يوم الأحد 23 يوليو 1973، واصفا هذه المرحلة بأنها كانت مرحلة عاش فيها الشعب المصري فاقدا للوعي، مرحلة لم تسمح بظهور رأي في العلن مخالف لرأي الزعيم المعبود. وأعلن في كتابه أنه أخطأ بمسيرته خلف الثورة بدون وعي قائلا: العجيب أن شخصا مثلي محسوبا على البلد هو من أهل الفكر قد أدركته الثورة وهو في كهولته يمكن أن ينساق أيضا خلف الحماس العاطفي، ولا يخطر لي أن أفكر في حقيقة هذه الصورة التي كانت تصنع لنا، كانت الثقة فيما يبدو قد شلت التفكير سحرونا ببريق آمال كنا نتطلع إليها من زمن بعيد، وأسكرونا بخمرة مكاسب وأمجاد، فسكرنا حتى غاب عنا الوعي. اعتدنا هذا النوع من الحياة الذي جعلتنا فيه الثورة مجرد أجهزة استقبال. ويضيف: كيف استطاع شخص مثلي أن يري ذلك ويسمعه وأن لا يتأثر كثيرا بما رأى وسمع ويظل على شعوره الطيب نحو عبد الناصر. أهو فقدان الوعي. أهي حالة غريبة من التخدير.

في فبراير 1972 كتب بيده بيان المثقفين المؤيدين لحركة الطلاب، ووقعه معه وقتذاك نجيب محفوظ. وساءت بعدها علاقة الحكيم مع محمد أنور السادات حيث قال السادات وقتذاك «رجل عجوز استبد به الخرف، يكتب بقلم يقطر بالحقد الأسود، إنها محنة أن رجلا رفعته مصر لمكانته الأدبية إلى مستوى القمة ينحدر إلى الحضيض في أواخر عمره». حاول بعدها محمد حسنين هيكل جمع الحكيم مع السادات ونجح بذلك بعد حريق مبنى الأوبرا.



طه حسين

(1889-1973م)

طه حسين أديب وناقد مصري كبير، لُقّب بعميد الأدب العربي. غيّر الرواية العربية، خالق السيرة الذاتيّة مع كتابه «الأيام» الذي نشر عام 1929. يعتبر من أبرز الشخصيات في الحركة العربية الأدبية الحديثة.

ولد طه حسين في الرابع عشر من نوفمبر سنة 1889 في عزبة «الكيلو» التي تقع على مسافة كيلو متر من «مغاغة» بمحافظة المنيا بالصعيد الأوسط، وكان والده حسين عليّ موظفًا صغيرًا رقيق الحال في شركة السكر، يعول ثلاثة عشر ولدًا سابعهم طه حسين.

ضاع بصره في السادسة من عمره بعد إصابته بالرمد، نتيجة الفقر والجهل، وحفظ القرآن الكريم قبل أن يغادر قريته إلى الأزهر، وتتلمذ على الإمام محمد عبده. طرد من الأزهر، ولجأ إلى الجامعة المصرية في العام 1908 ودرس الحضارة المصرية القديمة والإسلامية والجغرافيا والتاريخ والفلك والفلسفة والأدب وعكف على إنجاز رسالة الدكتوراه التي نوقشت في ١٥ مايو ١٩١٤ التي حصل منها على درجة الدكتوراه الأولى في الآداب عن أديبه الأثير: أبي العلاء المعري. ثم سافر إلى باريس ملتحقًا بجامعة مونبلييه وفي عام ١٩١٥ أتم البعثة وحصل على دكتوراه في علم الاجتماع عام ١٩١٩ ثم - في نفس العام - حصل على دراسات عليا في اللغة اللاتينية والرومانية وعين أستاذًا لتاريخ الأدب العربي.

عاد من فرنسا سنة 1918 بعد أن فرغ من رسالته عن ابن خلدون، وعمل أستاذًا للتاريخ اليوناني والروماني إلى سنة 1925 حيث تم تعيينه أستاذًا في قسم اللغة العربية مع تحول الجامعة الأهلية إلى جامعة حكومية. وما لبث أن أصدر كتابه «في الشعر الجاهلي» الذي أحدث عواصف من ردود الفعل المعارضة. وكان من أولئك الذين تصدوا لنقد هذه الفكرة الأديب الألمعي والمحقق الكبير محمود محمد شاكر، بل دارت بينهما عدة نقاشات حيال ذلك وكان محمود إذ ذاك في ثاني سنيّه الجامعية، وانتهى ذلك بخروج محمود محمد شاكر من الجامعة.

تواصلت عواصف التجديد حوله، في مؤلفاته المتتابعة، طوال مسيرته التي لم تفقد توهج جذوتها العقلانية قط، سواء حين أصبح عميدًا لكلية الآداب سنة 1930، وحين رفض الموافقة على منح الدكتوراه الفخرية لكبار السياسيين سنة 1932، وحين واجه هجوم أنصار الحكم الاستبدادي في البرلمان، الأمر الذي أدى إلى طرده من الجامعة التي لم يعد إليها إلا بعد سقوط حكومة صدقي باشا.

لم يكف عن حلمه بمستقبل الثقافة أو انحيازه إلى المعذبين في الأرض في الأربعينات التي انتهت بتعيينه وزيرًا للمعارف في الوزارة الوفدية سنة 1950 فوجد الفرصة سانحة لتطبيق شعاره الأثير «التعليم كالماء والهواء حق لكل مواطن».

وظل طه حسين على جذريته بعد أن انصرف إلى الإنتاج الفكري، وظل يكتب في عهد الثورة المصرية، إلى أن توفي عبد الناصر وقامت حرب أكتوبر التي توفي بعد قيامها في الشهر نفسه سنة 1973.

وتحفته «الأيام» أثر إبداعي من آثار العواصف التي أثارها كتابه «في الشعر الجاهلي» فقد بدأ في كتابتها بعد حوالي عام من بداية العاصفة، كما لو كان يستعين على الحاضر بالماضي الذي يدفع إلى حياة الصبا القاسية، ووضعها موضع المسائلة، ليستمد من معجزته الخاصة التي قاوم بها العمى والجهل في الماضي القدرة على مواجهة عواصف الحاضر.

ولذلك كانت «الأيام» طرازًا فريدًا من السيرة التي تستجلي بها الأنا حياتها في الماضي لتستقطر منها ما تقاوم به تحديات الحاضر، حالمة بالمستقبل الواعد الذي يخلو من عقبات الماضي وتحديات الحاضر على السواء، والعلاقة بين الماضي المستعاد في هذه السيرة الذاتية والحاضر الذي يحدد اتجاه فعل الاستعادة أشبه بالعلاقة بين الأصل والمرآة، الأصل الذي هو حاضر متوتر يبحث عن توازنه بتذكر ماضيه، فيستدعيه إلى وعي الكتابة كي يتطلع فيه كما تتطلع الذات إلى نفسها في مرآة، باحثة عن لحظة من لحظات اكتمال المعرفية الذاتية التي تستعيد بها توازنها في الحاضر الذي أضرّ بها.

ونتيجة ذلك الغوص عميقًا في ماضي الذات بما يجعل الخاص سبيلا إلى العام، والذاتي طريقًا إلى الإنساني، والمحلي وجهًا آخر من العالمي، فالإبداع الأصيل في «الأيام» ينطوي على معنى الأمثولة الذاتية التي تتحول إلى مثال حي لقدرة الإنسان على صنع المعجزة التي تحرره من قيود الضرورة والتخلف والجهل والظلم، بحثًا عن أفق واعد من

الحرية والتقدم والعلم والعدل. وهي القيم التي تجسّدها «الأيام» إبداعًا خالصًا في لغة تتميز بثرائها الأسلوبي النادر الذي جعل منها علامة فريدة من علامات الأدب العربي الحديث. ولعل هذه السمة هي التي ستجعل من طه حسين رمزاً مؤثراً فيها بعد على مسيرة الفكر العربي الحديث. تجدر الإشارة إلى أنه نشر معظم كتبه لدى تلميذه في كلية الآداب بهيج عثمان اللبناني صاحب دار العلم للملايين في بيروت. توفي عميد الأدب العربي في 29 أكتوبر 1973 عن عمر يناهز 84 عاماً.

من مؤلفاته: الفتنة الكبرى عثمان. الفتنة الكبرى علي وبنوه. في الأدب الجاهلي. الأيام. دعاء الكروان. شجرة السعادة. المعذبون في الأرض. على هامش السيرة. حديث الأربعاء. من حديث الشعر والنثر. مستقبل الثقافة في مصر. أديب.

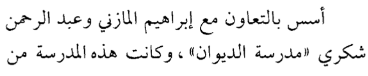


عباس محمود العقاد

(1889-1964م)

أديب ومفكر وصحفي وشاعر مصري.

ولد العقاد في أسوان في 29 شوال 1306 هـ - 28 يونيو 1889، وتخرج من المدرسة الابتدائية سنة 1903.



أسس بالتعاون مع إبراهيم المازني وعبد الرحمن شكري «مدرسة الديوان»، وكانت هذه المدرسة من أنصار التجديد في الشعر والخروج به عن القالب التقليدي العتيق. عمل العقاد بمصنع للحرير في مدينة دمياط، وعمل بالسكك الحديدية لأنه لم ينل من التعليم حظا وافرا حيث حصل على الشهادة الابتدائية فقط، لكنه في الوقت نفسه كان مولعا بالقراءة في مختلف المجالات، وقد أنفق معظم نقوده على شراء الكتب، والتحق بعمل كتابي بمحافظة قنا، ثم نقل إلى محافظة الشرقية.

مل العقاد العمل الروتيني، فعمل بمصلحة البرق، ولكنه لم يعمر فيها كسابقتها، فاتجه إلى العمل بالصحافة مستعينا بثقافته وسعة إطلاعه، فاشترك مع محمد فريد وجدي في إصدار صحيفة الدستور، وكان إصدار هذه الصحيفة فرصة لكي يتعرف العقاد بسعد زغلول ويؤمن بمبادئه. وتوقفت الصحيفة بعد فترة، وهو ما جعل العقاد يبحث عن عمل يقتات منه، فاضطر إلى إعطاء بعض الدروس ليحصل على قوت يومه.

لم يتوقف إنتاجه الأدبي أبدا، رغم ما مر به من ظروف قاسية؛ حيث كان يكتب المقالات ويرسلها إلى مجلة فصول، كما كان يترجم لها بعض الموضوعات. منحه الرئيس المصري جمال عبد الناصر جائزة الدولة التقديرية في الآداب غير أنه رفض تسلمها، كما رفض الدكتوراه الفخرية من جامعة القاهرة. اشتهر بمعاركه الفكرية مع الدكتور زكي مبارك والأديب الفذ مصطفى صادق الرافعي والدكتور العراقي مصطفى جواد والدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، وكان الأستاذ سيد قطب يقف في صف العقاد.

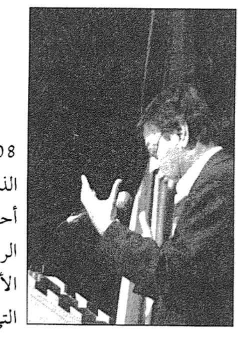
اخْتير العقاد عضوًا في مجمع اللغة العربية بمصر سنة 1940، واخْتير عضوًا مراسلا في مجمع اللغة العربية بدمشق، ونظيره في العراق، وحصل على جائزة الدولة التقديرية في

الآداب سنة 1959 وتُرجمت بعض كتبه إلى اللغات الأخرى، فتُرجم كتابه المعروف «الله» إلى الفارسية، ونُقلت عبقرية محمد وعبقرية الإمام علي، وأبو الشهداء إلى الفارسية، والأردية، والملاوية، كما تُرجمت بعض كتبه إلى الألمانية والفرنسية والروسية. وأطلقت كلية اللغة العربية بالأزهر اسمه على إحدى قاعات محاضراتها، وسمي باسمه أحد أشهر شوارع القاهرة وهو شارع عباس العقاد الذي يقع في مدينة نصر.

تجاوزت مؤلفات العقاد مائة كتاب، شملت جوانب مختلفة من الثقافة الإسلامية، والاجتماعية بالإضافة إلى مقالاته العديدة التي تبلغ الآلاف في الصحف والدوريات، ومن هذه الكتب:

الله جل جلاله – كتاب في نشأة العقيدة الإلهية. إبراهيم أبو الأنبياء. عبقرية المسيح في التاريخ وكشوف العصر الحديث. عبقرية محمد. داعي السماء بلال بن رباح مؤذن الرسول. عبقرية الصديق. عبقرية خالد. عبقرية عمر. عثمان بن عفان ذو النورين. شاعر الغزل عمر بن أبى ربيعة. أبو نواس الحسن بن هانئ. ابن الرومي: حياته من شعره. رجعة أبى العلاء. الرحالة كاف: عبد الرحمن الكواكبي. محمد عبده. شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي. رجال عرفتهم. سعد زغلول زعيم الثورة. مع عاهل الجزيرة العربية. سارة. أنا. الصديقة بنت الصديق. الحسين أبو الشهداء. عمرو بن العاص. معاوية بن أبي سفيان في الميزان. فاطمة الزهراء والفاطميون. حقائق الإسلام وأباطيل خصومه. الفلسفة القرآنية. التفكير فريضة إسلامية. مطلع النور أو طوالع البعثة المحمدية. الديمقراطية في الإسلام. الإنسان في القرآن الكريم. الإسلام في القرن العشرين. ما يقال عن الإسلام. أفيون الشعوب. هذه الشجرة. جحا الضاحك المضحك. غراميات العقاد. روح عظيم المهاتما غاندي. حياة قلم. طوالع البعثة المحمدية. خلاصة اليومية. مذهب ذوي العاهات. لا شيوعية ولا استعمار. الصهيونية وقضية فلسطين. الشطرنج. الشذور. بين الكتب والناس. يسألونك. قيم ومعايير. فلسفة الغزالي. ابن رشد. عقائد المفكرين في القرن العشرين. ما كان وما سيكون. شاعر أندلسي وجائزة عالمية. مطالعات في الكتب والحياة. آراء في الآداب والفنون. عبقرية الإمام علي.

توفي العقاد في 26 شوال 1383 هـ – 12 مارس 1964.



محمود درويش
(1941 - 2008 م)

محمود درويش (13 مارس 1941 - 9 أغسطس 2008)، أحد أهم الشعراء الفلسطينيين واللغة العربية الذين ارتبط اسمهم بشعر الثورة والوطن. يعتبر درويش أحد أبرز من ساهم بتطوير الشعر العربي الحديث وإدخال الرمزية فيه. في شعر درويش يمتزج الحب بالوطن بالحبيبة الأنثى. قام بكتابة وثيقة إعلان الاستقلال الفلسطيني التي تم إعلانها في الجزائر.

ولد عام 1941 في قرية البروة وهي قرية فلسطينية تقع في الجليل قرب ساحل عكا. حيث كانت أسرته تملك أرضا هناك. خرجت الأسرة برفقة اللاجئين الفلسطينيين في العام 1947 إلى لبنان، ثم عادت متسللة العام 1949 بعيد توقيع اتفاقيات السلام المؤقتة، لتجد القرية مهدمة وقد أقيم على أراضيها موشاف (قرية زراعية إسرائيلية) «أحيهود». وكيبوتس يسعور. فعاش مع عائلته في قرية الجديدة.

بعد إنهائه تعليمه الثانوي في مدرسة يني الثانوية في كفرياسيف انتسب إلى الحزب الشيوعي الإسرائيلي وعمل في صحافة الحزب مثل: الاتحاد والجديد التي أصبح في ما بعد مشرفا على تحريرها، كما اشترك في تحرير جريدة الفجر التي كان يصدرها مبام.

اعتقل من قبل السلطات الإسرائيلية مرارا بدءا من العام 1961 بتهم تتعلق بتصريحاته ونشاطه السياسي وذلك حتى عام 1972 حيث توجه إلى الاتحاد السوفييتي للدراسة، وانتقل بعدها لاجئا إلى القاهرة في ذات العام حيث التحق بمنظمة التحرير الفلسطينية، ثم لبنان حيث عمل في مؤسسات النشر والدراسات التابعة لمنظمة التحرير الفلسطينية، علماً إنه استقال من اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير احتجاجاً على اتفاقية أوسلو. كما أسس مجلة الكرمل الثقافية.

شغل منصب رئيس رابطة الكتاب والصحفيين الفلسطينيين وحرر مجلة الكرمل. كانت إقامته في باريس قبل عودته إلى وطنه حيث أنه دخل إلى فلسطين بتصريح لزيارة أمه. وفي فترة وجوده هناك قدم بعض أعضاء الكنيست الإسرائيلي العرب واليهود

اقتراحا بالسماح له بالبقاء وقد سمح له بذلك. ساهم في إطلاقه واكتشافه الشاعر والفيلسوف اللبناني روبير، عندما بدأ هذا الأخير ينشر قصائد لمحمود درويش على صفحات الملحق الثقافي لجريدة الأنوار والتي كان يترأس تحريرها.

حصل على الكثير من التكريم والجوائز، ومن بين الجوائز التي حصل عليها: جائزة لوتس عام 1969. جائزة البحر المتوسط عام 1980. درع الثورة الفلسطينية عام 1981. لوحة أوروبا للشعر عام 1981. جائزة ابن سينا في الإتحاد السوفيتي عام 1982. جائزة لينين في الإتحاد السوفييتي عام 1983. الصنف الأول من وسام الاستحقاق الثقافي تونس 1993. الوسام الثقافي للسابع من نوفمبر 2007 تونس. جائزة الأمير كلاوس الهولندية عام 2004. جائزة القاهرة للشعر العربي عام 2007. كما أعلنت وزارة الاتصالات الفلسطينية في 27 يوليو 2008 عن إصدارها طابعا بريديا يحمل صورة محمود درويش.

بدأ درويش بكتابة الشُعر في جيل مبكر وقد لاقى تشجيعا من بعض معلميه. عام 1958، في يوم الاستقلال العاشر لإسرائيل ألقى قصيدة بعنوان «أخي العبري» في احتفال أقامته مدرسته. كانت القصيدة مقارنة بين ظروف حياة الأطفال العرب مقابل اليهود، استدعي على إثرها إلى مكتب الحاكم العسكري الذي قام بتوبيخه وهدده بفصل أبيه من العمل في المحجر إذا استمر بتأليف أشعار شبيهة. استمر درويش بكتابة الشعر ونشر ديوانه الأول، عصافير بلا أجنحة، عندما كان عمره 19 عاما.

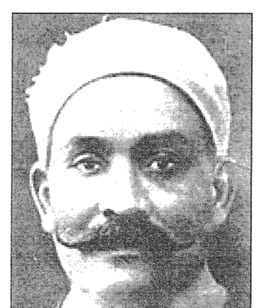
من أعماله: عصافير بلا أجنحة (شعر) – 1960. أوراق الزيتون (شعر).1964 ، عاشق من فلسطين (شعر)1966. آخر الليل (شعر).1967 ، مطر ناعم في خريف بعيد (شعر). يوميات الحزن العادي (خواطر وقصص). يوميات جرح فلسطيني (شعر) حبيبتي تنهض من نومها (شعر).1970 ، محاولة رقم 7 (شعر). مديح الظل العالي (شعر). هي أغنية ... هي أغنية (شعر). لا تعتذر عما فعلت (شعر). عرائس. العصافير تموت في الجليل.1970 ، أحبك أو لا أحبك (شعر).1972 ، تلك صوتها وهذا انتحار العاشق.1975. حصار لمدائح البحر (شعر). شيء عن الوطن (شعر). ذاكرة للنسيان. وداعاً أيتها الحرب وداعا أيها السلم (مقالات). كزهر اللوز أو أبعد، في حضرة الغياب (نص) – 2006 ، لماذا تركت الحصان وحيداً.1995 ، بطاقة هوية (شعر) ، أثر الفراشة

(شعر) - 2008 ، أنت منذ الآن غيرك (17 يونيو 2008 ، وانتقد فيها التقاتل الداخلي الفلسطيني).

توفي في الولايات المتحدة الأمريكية يوم السبت 9 أغسطس 2008 بعد إجرائه لعملية القلب المفتوح في المركز الطبي في هيوستن، التي دخل بعدها في غيبوبة أدت إلى وفاته بعد أن قرر الأطباء نزع أجهزة الإنعاش.

وأعلن رئيس السلطة الفلسطينية محمود عباس الحداد 3 أيام في كافة الأراضي الفلسطينية حزنا على وفاة الشاعر الفلسطيني، واصفا درويش «عاشق فلسطين» و «رائد المشروع الثقافي الحديث، والقائد الوطني اللامع والمعطاء».

وقد وري جثمانه الثرى في 13 أغسطس في مدينة رام الله حيث خصصت له هناك قطعة أرض في قصر رام الله الثقافي. وتم الإعلان عن تسمية القصر بقصر محمود درويش للثقافة. وقد شارك في جنازته الآلاف من أبناء الشعب الفلسطيني وقد حضر أيضا أهله من أراضي 48 وشخصيات أخرى على رأسهم رئيس السلطة الفلسطينية محمود عباس. تم نقل جثمان الشاعر محمود درويش إلى رام الله بعد وصوله إلى العاصمة الأردنية عمّان، حيث كان هناك العديد من الشخصيات من العالم العربي لتوديعه.



مصطفى لطفي المنفلوطي

(1876-1924 م)

هو مصطفى لطفي بن محمد لطفي بن محمد حسن لطفي، أديب مصري من أم تركية قام بالكثير من الترجمة والاقتباس لبعض الروايات الغربية الشهيرة بأسلوب أدبي فذ واستخدام رائع للغة العربية. كتاباه النظرات والعبرات يعتبران من أبلغ ما كتب بالعربية في العصر الحديث.

ولد مصطفى لطفي المنفلوطي في منفلوط إحدى مدن محافظة أسيوط في سنة 1876 م ونشأ في بيت كريم توارث أهله قضاء الشريعة ونقابة الصوفية قرابة مائتي عام ونهج المنفلوطي سبيل آبائه في الثقافة والتحق بكتاب القرية كالعادة المتبعة في البلاد آنذاك فحفظ القرآن الكريم كله وهو دون الحادية عشرة ثم أرسله أبوه إلى الأزهر بالقاهرة تحت رعاية رفاق له من أهل بلده وقد أتيحت له فرصة الدراسة على يد الشيخ محمد عبده وبعد وفاه أستاذه رجع المنفلوطي إلى بلده حيث مكث عامين متفرغا لدراسة كتب الأدب القديم فقرأ لابن المقفع والجاحظ والمتنبي وأبي العلاء المعري وكون لنفسه أسلوبا خاصا يعتمد على شعوره وحساسية نفسه.

المنفلوطي من الأدباء الذين كان لطريقتهم الإنشائية أثر في الجيل الحاضر، كان يميل إلى مطالعة الكتب الأدبية كثيراً، ولزم الشيخ محمد عبده فأفاد منه. وسجن بسببه ستة أشهر لقصيدة قالها تعريضاً بالخديوي عباس حلمي وكان على خلاف مع محمد عبده، ونشر في جريدة المؤيد عدة مقالات تحت عنوان النظرات، وولي أعمالاً كتابية في وزارة المعارف ووزارة الحقانية وأمانة سر الجمعية التشريعية، وأخيراً في أمانة سر المجلس النيابي.

للمنفلوطي أعمال أدبية كثيرة اختلف فيها الرأي وتدابر حولها القول وقد بدأت أعمال المنفلوطي تتبدى للناس من خلال ما كان ينشره في بعض المجلات الإقليمية كمجلة الفلاح والهلال والجامعة والعمدة وغيرها ثم انتقل إلى أكبر الصحف وهى المؤيد وكتب مقالات بعنوان نظرات جمعت في كتاب تحت نفس الاسم على ثلاثة أجزاء.

ومن أهم كتبه وروواياته: النظرات (ثلاث جزاء). يضم مجموعة من مقالات في الأدب الاجتماعي، والنقد، والسياسة، والإسلاميات، وأيضا مجموعة من القصص القصيرة الموضوعة أو المنقولة، جميعها كانت قد نشرت في جرائد، وقد بدأ كتابتها منذ العام 1907.

العبرات. يضم تسع قصص، ثلاثة وضعها المنفلوطي وهي: اليتيم، الحجاب، الهاوية. وواحدة مقتبسة من قصة أمريكية اسمها صراخ القبور، وجعلها بعنوان: العقاب. وخمس قصص ترجمها المنفلوطي وهي: الشهداء، الذكرى، الجزاء، الضحية، الانتقام. وقد طبع في عام 1916.

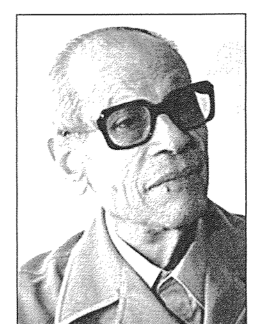
رواية «في سبيل التاج» ترجمها المنفلوطي من الفرنسية وتصرف بها. وهي أساسا مأساة شعرية تمثيلية، كتبها فرانسو كوبيه أحد أدباء القرن التاسع عشر في فرنسا. وأهداها المنفلوطي لسعد زغلول في العام 1920.

رواية «بول وفرجيني» صاغها المنفلوطي بعد ترجمتها له من الفرنسية وجعلها بعنوان «الفضيلة» وهي في الأصل للكاتب برناردين دي سان بيار (من أدباء القرن التاسع عشر في فرنسا) وكتبت في العام 1788م.

رواية «الشاعر» وهي في الأصل بعنوان «سيرانو دي برجراك» للكاتب الفرنسي أدمون روستان. وقد نشرت بالعربية في العام 1921.

رواية «تحت ظلال الزيزفون» صاغها المنفلوطي بعد أن ترجمها (كانت بالفرنسية) وجعلها بعنوان «مجدولين» وهي للكاتب الفرنسي الفونس كار.

كتاب «محاضرات المنفلوطي» وهي مجموعة من منظوم ومنثور العرب في حاضرها وماضيها. جمعها بنفسه لطلاب المدارس وقد طبع من المختارات جزء واحد فقط.



نجيب محفوظ

(1911-2006م)

نجيب محفوظ عبد العزيز إبراهيم أحمد باشا روائي مصري حائز على جائزة نوبل في الأدب. وُلد في 11 ديسمبر 1911، وتوفي في 30 أغسطس 2006. كتب نجيب محفوظ منذ بداية الأربعينيات واستمر حتى 2004. تدور أحداث جميع رواياته في مصر، وتظهر فيها ثيمة متكررة هي الحارة التي تعادل العالم. من أشهر أعماله الثلاثية وأولاد حارتنا التي مُنعت من النشر في مصر منذ صدورها وحتى وقتٍ قريب. بينما يُصنف أدب محفوظ باعتباره أدباً واقعياً، فإن ثيماتٍ وجودية تظهر فيه. وهو أكثرُ أديبٍ عربي حولت أعماله إلى السينما والتلفزيون.

سُمي نجيب محفوظ باسمٍ مركب تقديراً من والده عبد العزيز إبراهيم للطبيب نجيب باشا محفوظ الذي أشرف على ولادته التي كانت متعسرة.

وُلد نجيب محفوظ في القاهرة لعبد العزيز إبراهيم أحمد الباشا الذي كان موظفاً لم يقرأ كتاباً في حياته بعد القرآن الكريم غير حديث عيسى بن هشام لأن كاتبه المويلحي كان صديقاً له، وفاطمة مصطفى قشيشة، ابنة الشيخ مصطفى قشيشة من علماء الأزهر. هو أصغر إخوته، ولأن الفرق بينه وبين أقرب إخوته سناً إليه كان عشر سنواتٍ فقد عومل كأنه طفلٌ وحيد. كان عمره ثمانية أعوامٍ حين قامت ثورة 1919 التي أثرت فيه وتذكرها فيما بعد في بين القصرين أول أجزاء ثلاثيته.

التحق بجامعة القاهرة في 1930 وحصل على ليسانس الفلسفة، شرع بعدها في إعداد رسالة الماجستير عن الجمال في الفلسفة الإسلامية ثم غير رأيه وقرر التركيز على الأدب. انضم إلى السلك الحكومي ليعمل سكرتيراً برلمانياً في وزارة الأوقاف (1938-1945) ثم مديراً لمؤسسة القرض الحسن في الوزارة حتى 1954. وعمل بعدها مديراً لمكتب وزير الإرشاد، ثم انتقل إلى وزارة الثقافة مديراً للرقابة على المصنفات الفنية. وفي 1960 عمل مديراً عاماً لمؤسسة دعم السينما، ثم مستشاراً للمؤسسة العامة للسينما

والإذاعة والتلفزيون. آخر منصبٍ حكومي شغله كان رئيس مجلس إدارة المؤسسة العامة للسينما (1966-1971) وتقاعد بعده ليصبح أحد كتاب مؤسسة الأهرام.

تزوج نجيب محفوظ في فترة توقفه عن الكتابة بعد ثورة 1952 من السيدة عطية الله إبراهيم، وأخفى خبر زواجه عمن حوله لعشر سنوات معللاً عدم زواجه بانشغاله برعاية أمه وأخته الأرملة وأطفالها. في تلك الفترة كان دخله قد ازداد من عمله في كتابة سيناريوهات الأفلام وأصبح لديه من المال ما يكفي لتأسيس عائلة. ولم يُعرف عن زواجه إلا بعد عشر سنواتٍ من حدوثه عندما تشاجرت إحدى ابنتيه أم كلثوم وفاطمة مع زميلة لها في المدرسة، فعرف الشاعر صلاح جاهين بالأمر من والد الطالبة، وانتشر الخبر بين المعارف.

في 21 سبتمبر 1950 بدأ نشر رواية أولاد حارتنا مسلسلةً في جريدة الأهرام، ثم توقف النشر في 25 ديسمبر من العام نفسه بسبب اعتراضات هيئات دينية على «تطاوله على الذات الإلهية». لم تُنشر الرواية كاملة في مصر أبداً، واقتضى الأمر ثمان سنين أخرى حتى تظهر كاملة في طبعة دار الآداب اللبنانية التي طبعتها في بيروت عام 1967.

في أكتوبر 1995 طُعن نجيب محفوظ في عنقه على يد شابٍ قرر اغتياله لاتهامه بالكفر والخروج عن الملة بسبب روايته المثيرة للجدل والتي قد تراجع عنها فيما بعد. لم يمت نجيب محفوظ كنتيجة للمحاولة، وفيما بعد أُعدم الشابان المشتركان في محاولة الاغتيال رغم تعليقه بأنه غير حاقدٍ على من حاول قتله، وأنه يتمنى لو أنه لم يُعدم. وخلال إقامته الطويلة في المستشفى زاره محمد الغزالي الذي كان ممن طالبوا بمنع نشر أولاد حارتنا وعبد المنعم أبو الفتوح القيادي في حركة الإخوان المسلمين وهي زيارة تسببت في هجوم شديد من جانب بعض المتشددين على أبو الفتوح.

تُوفي نجيب محفوظ في 30 أغسطس 2006 إثر قرحة نازفة بعد عشرين يوماً من دخوله مستشفى الشرطة في حي العجوزة في القاهرة لإصابته بمشاكل في الرئة والكليتين. وكان قبلها قد دخل المستشفى في يوليو من الشهر ذاته لإصابته بجرح غائر في الرأس إثر سقوطه في الشارع.

بدأ نجيب محفوظ الكتابة في منتصف الثلاثينيات، وكان ينشر قصصه القصيرة في مجلة الرسالة. في 1939، نشر روايته الأولى عبث الأقدار التي تقدم مفهومه عن الواقعية التاريخية. ثم نشر كفاح طيبة ورادوبيس منهياً ثلاثية تاريخية في زمن الفراعنة. وبدءاً من

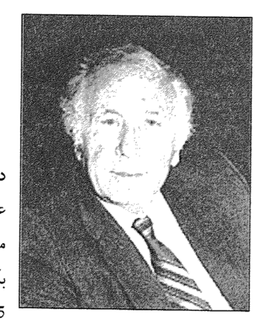
1945 بدأ نجيب محفوظ خطه الروائي الواقعي الذي حافظ عليه في معظم مسيرته الأدبية برواية القاهرة الجديدة، ثم خان الخليلي وزقاق المدق.

جرب محفوظ الواقعية النفسية في رواية السراب، ثم عاد إلى الواقعية الاجتماعية مع بداية ونهاية وثلاثية القاهرة. فيما بعد اتجه محفوظ إلى الرمزية في رواياته الشحاذ، وأولاد حارتنا التي سببت ردود فعلٍ قوية وكانت سبباً في التحريض على محاولة اغتياله.

توقف نجيب محفوظ عن الكتابة بعد الثلاثية، ودخل في حالة صمت أدبي، انتقل خلاله من الواقعية الاجتماعية إلى الواقعية الرمزية. ثم بدأ نشر روايته الجديدة أولاد حارتنا في جريدة الأهرام في 1959. أثارت الرواية ردود أفعالٍ قوية تسببت في وقف نشرها والتوجيه بعدم نشرها كاملة في مصر، رغم صدورها في 1967 عن دار الآداب اللبنانية. جاءت ردود الفعل القوية من التفسيرات المباشرة للرموز الدينية في الرواية، وشخصياتها أمثال: الجبلاوي، أدهم، إدريس، جبل، رفاعة، قاسم، وعرفة. وشكل موت الجبلاوي فيها صدمة عقائدية لكثير من الأطراف الدينية.

أولاد حارتنا واحدة من أربع رواياتٍ تسببت في فوز نجيب محفوظ بجائزة نوبل للأدب، كما أنها كانت السبب المباشر في التحريض على محاولة اغتياله. وبعدها لم يتخل تماماً عن واقعيته الرمزية، فنشر ملحمة الحرافيش في 1977، بعد عشر سنواتٍ من نشر أولاد حارتنا كاملة.

كما أنه قد رفض نشرها بعد ذلك وذلك بعد رجوعه وعدوله عنها ونظرته إليها بأنها كانت كتابات مسيئة إليه كمسلم لذا فقد تراجع عنها.



نـزار قبـانـي

(1923-998 م)

نزار قباني دبلوماسي وشاعر عربي. ولد في دمشق (سوريا) عام 1923 من عائلة دمشقية عريقة هي أسرة قباني، حصل على البكالوريا من مدرسة الكلية العلمية الوطنية بدمشق، ثم التحق بكلية الحقوق بالجامعة السورية وتخرّج فيها عام 1945.

يقول نزار قباني عن نشأته «ولدت في دمشق في آذار (مارس) 1923 في بيت وسيع، كثير الماء والزهر، من منازل دمشق القديمة، والدي توفيق القباني، تاجر وجيه في حيه، عمل في الحركة الوطنية ووهب حياته وماله لها. تميز أبي بحساسية نادرة وبحبه للشعر ولكل ما هو جميل. ورث الحس الفني المرهف بدوره عن عمه أبي خليل القباني الشاعر والمؤلف والملحن والممثل وباذر أول بذرة في نهضة المسرح المصري. امتازت طفولتي بحب عجيب للاكتشاف وتفكيك الأشياء وردها إلى أجزائها ومطاردة الأشكال النادرة وتحطيم الجميل من الألعاب بحثا عن المجهول الأجمل. عنيت في بداية حياتي بالرسم. فمن الخامسة إلى الثانية عشرة من عمري كنت أعيش في بحر من الألوان. أرسم على الأرض وعلى الجدران وألطخ كل ما تقع عليه يدي بحثا عن أشكال جديدة. ثم انتقلت بعدها إلى الموسيقى ولكن مشاكل الدراسة الثانوية أبعدتني عن هذه الهواية».

التحق بعد تخرجه بالعمل الدبلوماسي، وتنقل خلاله بين القاهرة، وأنقرة، ولندن، ومدريد، وبكين. وفي ربيع 1966، ترك نزار العمل الدبلوماسي وأسس في بيروت دارا للنشر تحمل اسمه، وتفرغ للشعر. وكانت ثمرة مسيرته الشعرية إحدى وأربعين مجموعة شعرية ونثرية، كانت أولها «قالت لي السمراء» 1944.

بدأ أولاً بكتابة الشعر التقليدي ثم انتقل إلى الشعر العمودي، وساهم في تطوير الشعر العربي الحديث إلى حد كبير. يعتبر نزار مؤسس مدرسة شعرية وفكرية، تناولت دواوينه الأربعة الأولى قصائد رومانسية. وكان ديوان «قصائد من نزار قباني» الصادر عام 1956 نقطة تحول في شعر نزار، حيث تضمن هذا الديوان قصيدة «خبز وحشيش وقمر»

التي انتقدت بشكل لاذع خمول المجتمع العربي، وأثارت ضده عاصفة شديدة حتى أن رجال الدين طالبوا في سوريا بطرده من الخارجية وفصله من العمل الدبلوماسي. تميز قباني أيضاً بنقده السياسي القوي، من أشهر قصائده السياسية «هوامش على دفتر النكسة» 1967 التي تناولت هزيمة العرب على يد إسرائيل في نكسة حزيران. من أهم أعماله «حبيبتي» (1961)، «الرسم بالكلمات» (1966) و «قصائد حب عربية» (1993).

كان لانتحار شقيقته التي أجبرت على الزواج من رجل لم تحبه، أثر كبير في حياته، قرر بعدها محاربة كل الأشياء التي تسببت في موتها. عندما سئل نزار قباني إذا كان يعتبر نفسه ثائراً، أجاب الشاعر: «إن الحب في العالم العربي سجين و أنا أريد تحريره، أريد تحرير الحس والجسد العربي بشعري، إن العلاقة بين الرجل والمرأة في مجتمعنا غير سليمة».

تزوّج نزار قباني مرتين، الأولى من ابنة عمه «زهراء آقبيق» وأنجب منها هدباء وتوفيق. والثانية عراقية هي «بلقيس الراوي» وأنجب منها عُمر وزينب. توفي ابنه توفيق وهو في السابعة عشرة من عمرة مصاباً بمرض القلب وكانت وفاته صدمة كبيرة لنزار، وقد رثاه في قصيدة إلى الأمير الدمشقي توفيق قباني. وفي عام 1982 قُتلت بلقيس الراوي في انفجار السفارة العراقية ببيروت، وترك رحيلها أثراً نفسياً سيئاً عند نزار ورثاها بقصيدة شهيرة تحمل اسمها بلقيس.

بعد مقتل بلقيس ترك نزار بيروت وتنقل في باريس وجنيف حتى استقر به المقام في لندن التي قضى بها الأعوام الخمسة عشر الأخيرة من حياته. ومن لندن كان نزار يكتب أشعاره ويثير المعارك والجدل. خاصة قصائده السياسة خلال فترة التسعينات مثل: متى يعلنون وفاة العرب؟ والمهرولون.

وافته المنية في لندن يوم 30/ 4/ 1998 عن عمر يناهز 75 عاما قضى منها أكثر من 50 عاماً في الحب والسياسة والثورة.



وليم شكسبير

(1564-1616م)

ولد الشاعر المسرحي العظيم وليم شكسبير في مدينة استراتفورد على نهر أفون في إنجلترا سنة 1564، وكان تعليمه عاديا، ولم يدخل الجامعة.

تزوج في الثامنة عشرة من عمره من فتاة عمرها ستة وعشرون عاما، ورزق منها بثلاثة أطفال قبل أن يكمل الحادية والعشرين من عمره.

وبعد ذلك بسنوات ذهب إلى لندن حيث أصبح ممثلا ومؤلفا مسرحيا، وعندما بلغ الثلاثين من عمره كان نجاحه ملحوظا، ولما بلغ الرابعة والثلاثين صار فنه رائجا، وكان الناس ينظرون إليه على أنه أعظم مؤلف مسرحي. وفي السنوات العشر التالية ظهرت له التحف الأدبية الشهيرة: يوليوس قيصر وهاملت وعطيل وماكبث والملك لير.

وفي العشرين عاما التي عاشها في لندن ظلت زوجته في مدينة استراتفورد، وتوفي شكسبير في عيد ميلاده الثاني والخمسين ولم يعش أحد من أبنائه.

والذي تبقى لنا من أعمال شكسبير هو 38 مسرحية تضم مسرحيات متواضعة جدا ومسرحيات اشترك فيها مع آخرين، كما أنه نظم حوالي 154 قصيدة وثلاث قصائد أخرى طويلة.

وعلى الرغم من عبقرية شكسبير وعظمته المؤكدة فإنه لم يظهر في وقت منكر من قائمة الخالدين، وقد جاء دوره متأخرا قليلا لا لأننا لا نقدر عظمته وعبقريته وإنما لأن البعض يعتقد أن الأدباء والفنانين ليس لهم إلا أثر ضئيل على تاريخ الإنسانية، بينما نجد أن رجال الدين والعلماء والساسة والمكتشفين والفلاسفة والمخترعين لهم أثر كبير في تطوير وتغيير آمال الإنسانية، فمثلا نجد أن الاكتشافات العلمية لها أثر كبير على الاقتصاد والسياسة وعلى الشؤون الدينية والفلسفية والأعمال الفنية.

فمن الممكن أن يكون لفنان كبير أثر في الفن من بعده، ولكن ليس بالضرورة أن يكون أثره بنفس الدرجة على الموسيقى والأدب والعلم والاكتشافات وأية مجالات

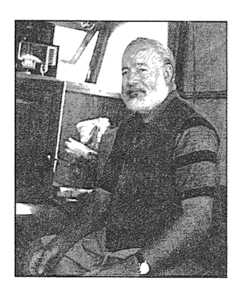
إنسانية أخرى، ونفس الشيء يمكن أن يقال أيضا عن الشعراء والروائيين والموسيقيين. وعلى ذلك فالفنانون يؤثرون في الفن، ولذلك فليس بين الأدباء أو الفنانين من يحتل مكانة متقدمة بين الخالدين.

ولكن لماذا يوجد فنانون في هذه القائمة؟ لأن الفن والاستمتاع به له أثر مباشر على كل من يهتم به، فالإنسان يقضي بعض الوقت في مشاهدة اللوحات الفنية والاستماع إلى الموسيقى أو مشاهدة المسرح، لكنه يفعل ذلك لبعض الوقت فقط، فالفن والأدب ليسا حياته كلها، ولذلك فأثره أقل من أثر الاكتشافات العلمية أو النظريات الدينية أو السياسية على حياته كلها.

ولا جدال في أن شكسبير لا يزال أكثر حيوية وانتشارا من شعراء آخرين من مثل تشوسر وفرجيل وهوميروس، فلا أحد يقرأ لهؤلاء أو عنهم إلا إذا كان متخصصا. وإذا ظهرت إحدى مسرحيات شكسبير على المسرح فإن الناس يقبلون عليها، فشكسبير أقدر الناس على صناعة الكلام، وكثير من عباراته الجميلة يتناقلها الناس دون أن يعرفوا أنها له، أو دون أن يشاهدوا إحدى مسرحياته. ومسرحياته لم تمت، فلا تزال متعة للقارئ والمتفرج منذ قرون عديدة. وقد استطاعت أعمال شكسبير أن تنجح في امتحان الزمن، فعاشت مئات السنين وسوف تعيش مئات أخرى.

وفي تقويم أهمية شكسبير فإننا نقول إنه على الرغم من أنه يكتب بالإنجليزية فأعماله موجودة في كل اللغات وظهرت على كل المسارح.

هناك عدد كبير من الأدباء قد اختلف عليهم النقاد، إلا شكسبير، فهو يلقى عظيم الاحترام من الجميع. فقد درست أجيال كثيرة من مؤلفي المسرح أعمال شكسبير وعكفت على اكتشاف كنوز عظمته، ومن هذا المزيج الهائل من أثره البالغ على المؤلفين ومن شعبيته الواسعة تولدت عظمة شكسبير فاستحق هذه المكانة الرفيعة بين الخالدين.



إرنست همنجواي
(1899-1961م)

كاتب أمريكي يعد من أهم الروائيين وكتاب القصة الأمريكيين. كتب الروايات والقصص القصيرة. لقب بـ «بابا». غلبت عليه النظرة السوداوية للعالم في البداية، إلا أنه عاد ليجدد أفكاره فعمل على تمجيد القوة النفسية لعقل للإنسان في رواياته، غالبا ما تصور أعماله هذه القوة وهي تتحدى القوى الطبيعية الأخرى في صراع ثنائي وفي جو من العزلة والانطوائية. شارك في الحرب العالمية الأولى والثانية حيث خدم على سفينة حربية أمريكية كانت مهمتها إغراق الغواصات الألمانية، وحصل في كل منهما على أوسمة، حيث أثرت الحرب في كتابات همنجواي ورواياته.

كان جزءا من مجموعة المغتربين في باريس في العشرينات، التي أسسها جيروترد شتاين، وعرفت باسم «الجيل الضائع». عاش همنغواي حياة اجتماعية مشاغبة، تزوج أربع مرات وكانت له عدة علاقات عاطفية، وولع غريب بمصارعة الثيران.

عكس أدب همنجواي تجاربه الشخصية في الحربين العالميتين الأولى والثانية والحرب الأهلية الأسبانية. تميز أسلوبه بالبساطة والجمل القصيرة. وترك بصمته على الأدب الأمريكي الذي صار همنغواي واحدا من أهم أعمدته. شخصيات همنغواي دائما أفراد أبطال يتحملون المصاعب دونما شكوى أو الم، وتعكس هذه الشخصيات طبيعة همنغواي الشخصية.

تلقى همنجواي جائزة بوليتزر الأمريكية في الصحافة عام 1953. كما حصل على جائزة نوبل في الأدب في عام 1954 عن رواية العجوز والبحر. حاز أرنست همنجواي بفضل العجوز والبحر على جائزة نوبل في الأدب وجائزة بوليتزر الأمريكية «لأستاذيته في فن الرواية الحديثة ولقوة أسلوبه كما يظهر ذلك بوضوح في قصته الأخيرة العجوز والبحر» كما جاء في تقرير لجنة نوبل.

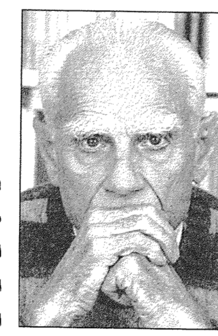
في آخر حياته انتقل للعيش في منزل بكوبا. حيث بدأ يعاني من اضطرابات عقلية. حاول الانتحار في ربيع عام 1961، وتلقى العلاج بالصدمات الكهربائية. بعد حوالي

ثلاثة أسابيع من إكماله الثانية والستين من العمر، وضع حدا لحياته بإطلاق الرصاص على رأسه من بندقيته في منزله.

همنغواي نفسه حمّل العلاج بالصدمات الكهربائية مسؤولية تدميره نفسياً بسبب فقدانه للكثير من ذكرياته. لأسرة همنجواي تاريخ طويل مع الانتحار، حيث انتحر والده (كلارنس همنغواي) أيضاً، وكذلك أختاه غير الشقيقتين أورسولا وليستر، ثم حفيدته مارغاوك همنغواي. ويعتقد البعض وجود مرض وراثي في عائلته يسبب زيادة تركيز الحديد في الدم مما يؤدى إلى تلف البنكرياس ويسبب الاكتئاب أو عدم الاستقرار في المخ، ما دفعه للانتحار في النهاية خوفاً من الجنون. في الوقت الحالي تحول منزله في كوبا إلى متحف يضم مقتنياته وصوره.

من أهم أعماله:

- ثم تشرق الشمس 1926
- وداعا للسلاح 1929
- الذين يملكون والذين لا يملكون 1937
- لمن تقرع الأجراس 1940
- عبر النهر وخلال الأشجار 1950
- العجوز والبحر 1950.



ألبرتو مورافيا

(1907-1990م)

كاتب إيطالي ولد في روما سنة 1907م وتوفى في 26 سبتمبر سنة 1990 في مدينة روما التي عاش فيها جل حياته. يعتبر من أشهر كتاب إيطاليا في القرن العشرين، وهو يكتب بالإيطالية ويتكلم اللغتين الإنجليزية والفرنسية ولد في عائلة ثريّة من الطّبقة الوسطى . أبوه كارلو كان رساما ومهندسا وأمه كانت تدعى تيريزا ليجيانا. لم ينه ألبرتو دراسته لأنه أصيب بالسلّ الذي أقعده في الفراش لخمس سنوات ممّا جعله يحب المطالعة. في سنة 1929 كتب مورافيا أول مؤلفاته *Gli Indifferenti* ثمّ بدأ حياته المهنيّة ككاتب في مجلّة 900 حيث كتب أوّل قصصه القصيرة.

سنة 1967 سافر ألبرتو مورافيا إلى الصين واليابان وكوريا الجنوبية وفي سنة 1972 زار أفريقيا حيث كتب (إلى ايّ قبيلة تنتمي؟) ونشرت في نفس السّنة ثم في سنة 1982 زار هيروشيما في اليابان. وفي سنة 1990 وجد ألبرتو مورافيا ميتا في مرحاضه في روما وفي نفس السنة نشرت سيرته الذاتية (حياة مورافيا).

تميزت أعمال مورافيا الأدبية بالبراعة والواقعية لنفاذه إلى أعماق النفس البشرية، فقد هاجم مورافيا الفساد الأخلاقي في إيطاليا. ترجمت معظم أعماله إلى عدة لغات عالمية، كما تم تحويل العديد من رواياته إلى أفلام سينمائية. يتسم أدب مورافيا بتبسطه في سرد مشاعر الجنس لدى أبطال رواياته والتداخلات في الأحداث التي تنشأ عبر تلبية تلك المشاعر والرغبات، حيث أنه يتسم بالتركيز على التحليل النفسي لنوع العلاقة بين الجنسين أو الزوجين وهذا واضح في روايته (الاحتقار).

من رواياته: زمن اللامبالاة (*Time of Indifference*): وهي روايته الأولى التي كتبها ونشرت سنة 1929 م ويتناول فيها الفلسفة الوجودية حيث تحدث فيها عن أسرة من الطبقة المتوسطة دب فيها الفساد الأخلاقي وصورها وهي تمد يد المساعدة إلى الفاشية الايطالية.

السأم: وهي رواية حازت على أكبر جائزة أدبية في إيطاليا (جائزة فيارجيو).

دولاب الحظ: نشرت سنة 1939 م.

امرأة من روما: نشرت سنة 1947 م، وهاجم فيها قيم الطبقة المتوسطة.

امرأتان: نشرت سنة 1947 م.

العصيان: نشرت سنة 1948 م.

حكايات من روما: نشرت سنة 1954 م.

الفردوس: نشرت سنة 1970 م.

الاحتقار: رواية تصور حياة اجتماعية جرت وقائعها في إيطاليا بين زوجين تفاوتت ثقافتهما فأدت إلى تحطم حياتهما العاطفية.

مراهقون... ولكن: تصور تجربة طفل من الطبقة الثرية مع مجموعة من الأطفال الفقراء الذين يفتحون عينيه على أسرار عالم الكبار.



ألكسندر بوشكين
(1799-1837م)

أمير شعراء روسيا، ولد في موسكو في 6 يونيو عام 1799م. نشأ في أسرة من النبلاء كانت تعيش حياة الترف. كان ولده شاعرًا بارزًا فساهم ذلك في إنماء موهبته الشعرية.

ترجع جذوره إلى أصول حبشية. والدته ناديشد أوسيبافنا كانت حفيدة إبراهيم جانيبال أفريقي ومن الضباط المقربين لدى القيصر بطرس الأول، ورث بعض الملامح الإفريقية، حيث أمتلك شعرا أجعد، وشفتين غليظتين.

يعد من أعظم الشعراء الروس في القرن التاسع عشر، ولقب بأمير الشعراء. ودراسة هذا الشاعر تدفع إلى دراسة الأدب الروسي جملة، ومعرفة مراحل القيصرية الروسية منذ بطرس الأول حتى نيقولا الأول، وكذلك معرفة الحوادث التاريخية التي وقعت في النصف الأول من القرن التاسع عشر. سميت فترة إنتاجه بالعصر الذهبي للشعر الروسي، وهو عصر التقارب بين الأدب الروسي من جهة والآداب العربية والشرقية من جهة أخرى.

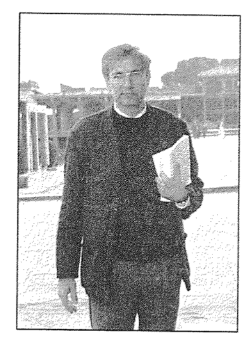
عرف عصره أيضا بالاستبداد الاجتماعي، حيث كانت السلطات مركزة بيد القيصر والنبلاء. كان بوشكين بإنتاجه الشعري يعبر عن انحلال وسطه، ويطالب بحرية الشعب، بوصفه المرجع الأول والأخير للسلطة، وكان أول من دعا إلى الحد من سيادة النبلاء في روسيا، وكان ناقما على مجتمعه مطالبًا بتقييد الحكم القيصري وإعلاء شأن النظام الديمقراطي بين الناس.

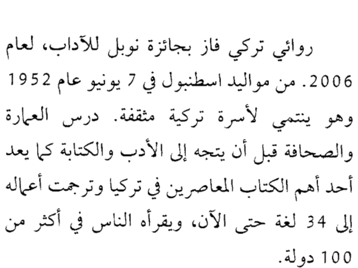
وبالرغم من أن بوشكين لم يعش أكثر من 38 عامًا، توفي عام 1837م، فإنه قد ترك الكثير من الآثار الأدبية؛ لدرجة أن قراءه يشعرون أنه قد عمَّر كثيرًا.

من مؤلفاته: - «زنجي بطرس الأكبر». - قصيدة 1820 «روسلان ولودميلا». - «أسير القفقاس» (1822)، و«نافورة باختشي سراي» (1823)، و«الغجر» (1824)

«بوريس غدونوف». - 1828 قصيدته الوطنية الملحمية «بولتافا» - قصيدة «الفارس النحاسي» (1833). - 1830 روايته الشعرية «يفغيني أونيغين» - «التراجيديات الصغيرة» ودراما اسطورية «عروسة الماء»، وقصيدة «بيت في كولومنا»، «قصص بيلكين». - «ملكة البستوني» عام 1833 - «دوبروفسكي» عام 1841 - «ابنة الآمر» (1836).

أورهان باموق





روائي تركي فاز بجائزة نوبل للآداب، لعام 2006. من مواليد اسطنبول في 7 يونيو عام 1952 وهو ينتمي لأسرة تركية مثقفة. درس العمارة والصحافة قبل أن يتجه إلى الأدب والكتابة كما يعد أحد أهم الكتاب المعاصرين في تركيا وترجمت أعماله إلى 34 لغة حتى الآن، ويقرأه الناس في أكثر من 100 دولة.

وفي فبراير 2003 صرح باموك لمجلة سويسرية بأن «مليون أرمني و30 ألف كردي قتلوا على هذه الأرض، لكن لا أحد غيري يجرؤ على قول ذلك».

وقد تمت ملاحقته قضائيا أمام القضاء التركي بسبب «الإهانة الواضحة للأمة التركية» ولشخصية شبه مقدسة عند الأتراك وهى شخصية (مصطفى كمال أتاتورك) وهما جريمتان يعاقب عليهما القانون وقد أعفي من الملاحقة القضائية أخيرا في نهاية 2006. وبجانب تصريحاته حول «مذابح» الأرمن والأكراد، كان باموك أول كاتب في العالم الإسلامي يدين الفتوى الإيرانية التي تبيح دم الكاتب سلمان رشدي بسبب كتاباته المسيئة للإسلام.

حصل على جائزة نوبل للآداب عام 2006 م.

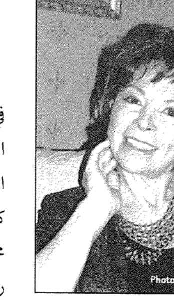
في فبراير 2007 وبعد مقتل أحد الصحفيين الأتراك من أصل ارميني لكتاباته التي تندد بمذابح الأرمن تلقى أورهان باموك تهديدات بالقتل وأخبرته السلطات الأمنية أن هذه التهديدات جدية فقام بسحب ما يقارب المليون دولار وسافر هاربا إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

اختير كعضو في لجنة تحكيم مهرجان كان السينمائي لعام 2007.

من أعماله: جودت بيه وأبناؤه (رواية) صدرت عام 1982م، المنزل الهادئ (رواية) صدرت عام 1991 م، القلعة البيضاء (رواية) صدرت عام 1995. الكتاب الأسود

(رواية) صدرت عام 1997 م، ورد في دمشق (رواية) صدرت عام 2000 م، الحياة الجديدة (رواية) صدرت عام 2001 م، اسمي أحمر (رواية) صدرت عام 2003 م، ثلج (رواية) صدرت عام 2004 م، وله كتاب واحد عن حياته اسطنبول (رواية) صدر عام 2003 م.

إيزابيل ألليندي



إيزابيل أليندي ليونا، روائية تشيلية وُلدت في 2 أغسطس 1942، وحاصلة على العديد من الجوائز الأدبية المهمة، وتعتبر من الأسماء المرشحة دائماً للحصول على جائزة نوبل. تُصنف كتاباتها في إطار الواقعية السحرية، وتنشط في مجال حقوق المرأة والتحرر العالمي. من أهم رواياتها: بيت الأرواح، وإيفالونا.

نتيجة لترحال الأسرة الطويل، اختزنت إيزابيل في ذاكرتها الكثير من الحكايات، والتفاصيل الدقيقة، لتتحول هذه الخبرات الصغيرة إلى تفاصيل حميمية رائعة تشغل رواياتها، وتكسبها زخماً مميزاً.

كان أبوها توماس ألليندي سفيراً، انفصل عن والدتها عام 1945 لتعود الأم بأطفالها الثلاثة وتستقر في تشيلي حتى 1953، ثم انتقلت العائلة إلى بوليفيا، ومن ثم لبنان، حيث ارتادت ألليندي المدرسة البريطانية الخاصة في بيروت، ومن ثم عادت إلى تشيلي عام 1958 لتكمل تعليمها الثانوي، وهناك التقت زوجها الأول ميغيل فرياس الذي تزوجته في 1962.

في الفترة منذ 1959 وحتى 1965 عملت ألليندي في منظمة الغذاء والزراعة التابعة للأمم المتحدة في سانتياغو، وفيما بعد في بروكسل، وأماكن أخرى في أوروبا. عادت ألليندي إلى تشيلي في 1966، وبدأت مُنذ 1967 العمل في هيئة تحرير مجلة باولا، ومن ثم مجلة مامباتو للأطفال. وُلدت ابنتها باولا في 1963، وفي عام 1966 وُلد ابنها نيكولاس.

في 1973، عُرضت مسرحيتها إل إمباجادور، وفي سبتمبر من نفس العام، حصل الانقلاب الدموي على عمها سلفادور ألليندي الذي قُتل خلال الاستيلاء الدموي على لا مونيدا (القصر الرئاسي التشيلي). في 1975 نُفيت ألليندي إلى فنزويلا حيث عملت في جريدة كاراكاس إل ناسيونال، كما عملت معلمة في مدرسة ثانوية.

رافقت ألليندي في عام 1981 جدها البالغ من العمر تسعة وتسعين عاماً خلال موته، وبدأت عندها في كتابة روايتها الأولى بيت الأرواح.

وخلال زيارة إلى كاليفورنيا في 1988 قابلت ألليندي زوجها الحالي المحامي الأمريكي ويليام غوردون، وأقامت في سان رافاييل مُنذ ذلك الوقت.

وسم التنقل طفولة ألليندي بطابع مميز، جعلها تحتفظ بذكريات مميزة عن رحلات خيالية ومُدن سحرية، كما أن زوج أمها الذي كان سفيراً أيضاً امتاز بالتعاطف والمحبة. وتذكر ألليندي كتب ألف ليلة وليلة التي قرأتها في طفولتها، والتي كان زوج أمها يحتفظ بها في خزانة سحرية قديمة، جعلت خيال ألليندي يتسع ليحتفظ بالتفاصيل الصغيرة، ويضفي عليها طابعاً سحرياً. كما أن ميراث الأسرة السياسي لم يغب كذلك عنها، ولم تغب تأثيراته في طفولتها التي تقول عنها إنها كانت وادعة جداً. وامتازت إيزابيل بعلاقتها الدافئة والواثقة بأمها.

حين عادت إلى تشيلي كانت شابة يسارية مُثقفة، قابلت زوجها الأول ميغيل فيرياس والد طفليها، وتزوجته وهي لما تزل بعد في العشرين من عمرها، ورغم طلاقها منه فإن إيزابيل تحتفظ له بذكرى جميلة تمثلت في إيماءتها إليه بتسمية إحدى شخصيات روايتها بيت الأرواح على اسمه، وجعله حبيب الحفيدة وأبو ابنتها.

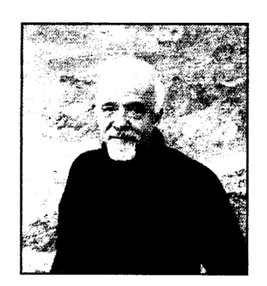
وكما طبع التنقل طفولتها بطابعه، طبع شبابها، فتنقلت في الوظائف بين المدن والعواصم، وعملت في الصحافة، وفي إعداد البرامج التلفزيونية والوثائقية الأمر الذي زودها بذخيرة من المعرفة العميقة، والتأثيرات التي ظهرت في كتاباتها لاحقاً. ولم تكتب في هذه الفترة غير قصتين للأطفال ومسرحية.

أثر عليها الانقلاب الذي أطاح بعمها سلفادور ألليندي كما أثر على الشعب التشيلي، وبسبب قرابتها بالرئيس، فإنها صُنفت تلقائياً كعدوة للنظام، ونُفيت إلى فنزويلا، غير أن تأثيرات الانقلاب الأعمق، ظهرت فيما بعد وبالتفصيل في روايتها الأولى بيت الأرواح. بعد ذلك لم تعد تشيلي بالنسبة لها كما كانت، وكلما زارتها، وجدتها أصغر، وأقل رحابة بكثير.

كانت الصدمة الأعظم في حياة ألليندي وفاة ابنتها باولا في 1993 عن عمر عشرين عاماً بالسرطان، تقول ألليندي: «أخذوا ابنتي شابة حية بحالة جيدة، وأعادوها جثة هامدة».

كانت تأثيرات وفاة باولا على أمها شديدة، لكن ألليندي كانت طوال حياتها امرأة قوية، فحولت ألمها إلى كتاب جميل استعادت فيه طفولتها وذكرياتها، سمته باولا على اسم ابنتها، وخصصت ريعه لدعم مراكز علاج السرطان.

من أعمالها: بيت الأرواح - (رواية) 1982. عن الحب والظلال - (رواية) 1984. إيفا لونا - (رواية) 1985. حكايات إيفا لونا (قصص قصيرة) 1989. الخطة اللانهائية (رواية) 1991 . باولا (كتاب تذكاري) 1994. آفروديت (وصفات، قصص، وأفروديتيات أخرى) 1997. ابنة الحظ (رواية) 1999. صورة عتيقة (رواية) 2000. مدينة البهائم (رواية للأطفال و البالغين) 2002. بلدي المُتخيل (رواية) 2003 . مملكة التنين الذهبي (رواية للأطفال و البالغين) 2003 . غابة الأقزام (رواية للأطفال و البالغين) 2005 . زورو (رواية) 2005 . إنيس.. حبيبة روحي (رواية).



باولو كويلو

روائي وقاص برازيلي، ولد في ريو دي جانيرو عام 1947، وقبل أن يتفرغ للكتابة، كان قد مارس الإخراج المسرحي، والتمثيل، وعمل كمؤلف غنائي، وصحفي. وقد كتب كلمات الأغاني للعديد من المغنين البرازيليين أمثال إليس ريجينا، ريتا لي، راؤول سييكساس، فيما يزيد عن الستين أغنية.

بدأ منذ شبابه كهيبي، حينما جال العالم بحثا عن المجتمعات السرية، وديانات الشرق. نشر أول كتبه عام 1982 بعنوان «أرشيف الجحيم» والذي لم يلاق أي نجاح، وتبعت مصيره أعمال أخرى، ثم في عام 1986 قام كويلو بالحج سيرا للقديس جايمس في كومبوستيلا. تلك التي قام بتوثيقها فيما بعد في كتابه «الحج». في العام التالي نشر كويلو «الخيميائي»، وقد كاد الناشر أن يتخلي عنها في البداية، ولكنها سرعان ما أصبحت أهم الروايات البرازيلية وأكثرها مبيعا.

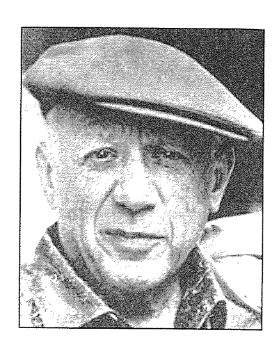
حاز على المرتبة الأولى بين تسع وعشرين دولة. ونال العديد من الأوسمة والتقديرات.

من أعماله:

- رواية الخيميائي – وكان أول من ترجمها للعربية هو بهاء طاهر لكن بعنوان «ساحر الصحراء». بريدا – 1990
- فالكيريس «فتيات فالكيري» – 1992
- على نهر بيدرا جلست وبكيت – 1994
- مكتوب (مجموعة قصص وأشعار كانت قد نشرت في الصحف) 1994.
- إتمامة النصوص الجُمَلية – 1995
- الجبل الخامس – 1996
- دليل محاربي الضوء – 1997
- فيرونيكا تقرر أن تموت – 1998

- الشيطان والسيدة بريم - 2000
- قصص للآباء والأبناء والأحفاد «مجموعة من الحكايات الشعبية» بالانجليزية عام 2001.
- إحدى عشرة دقيقة - 2003
- الزهير - 2005
- كالنهر الجاري - 2006
- ساحرة بورتوبيلو - 2006

وقد باع كويلو أكثر من 75 مليون كتاب حتى الآن، وقد اعتبر أعلى الكتّـاب مبيعا بروايته 11 دقيقة، حتى قبل أن تطرح في الولايات المتحدة أو اليابان، و 10 بلدان أخرى. واحتلت الزهير - 2005 المركز الثالث في توزيع الكتب عالميا وذالك بعد كتابي دان براون شيفرة دافينشي وملائكة وشياطين، وتعد الخيميائي ظاهرة في عالم الكتابة، فقد وصلت إلى أعلى المبيعات في 18 دولة، وترجمت إلى 62 لغة وباعت 30 مليون نسخة في 150 دولة، وقد تم وضع رسومات مصاحبة للنص بواسطة الفرنسي «موابيو».



بابلو بيكاسو
(1881-1973م)

هو بابلو رويز المعروف باسم بيكاسو، ولد في 25 أكتوبر 1881م في مالقة بإسبانيا وتوفي في 8 أبريل 1973م في موجان بفرنسا، وهو ابن لمعلم الرسم «جوزي رويز بلاسكو» ومن أم أندلسية تسمي «ماريا بيكاسو لوبز» التي كانت ربة منزل، واستمر يستخدم اسم رويز حتى عام 1898م.

وقد كان والده يحب كثيرا مصارعة الثيران ولهذا فقد كان ابنه بيكاسو يحب كثيرا مشاهده مصارعة الثيران، لذا فإننا نرى بعضا من رسومه اعتمد فيها على رسم مصارعة الثيران ونرى أيضا رسم الحمام بسبب ولعه الشديد بالحمام إذ كان يوجد قرب بيتهم برج الحمام.

وهو فنان تشكيلي ونقاش ونحات إسباني. أقام أول معرض له في السادسة عشرة من عمره، استقر في باريس عام 1904م، وشكلت أعماله علامة فارقة في تاريخ الفن المعاصر.

أنجز العديد من الأعمال أثناء فترة حياته الفنية الطويلة:

- الفترتين الزرقاء والوردية (1901-1905م).
- التكعيبية (آنسات أفينيون، 1906-1907م).
- الكلاسيكية المحدثة (حتى. 1920م).
- السريالية والتجريدية (1925-1936م).
- الانطباعية (غرنيكا، 1937م).

تعرض أهم أعماله في ثلاثة متاحف رئيسية: نزل سالي في باريس، والآخر في برشلونة، ومتحف اللوفر أكبر متحف في العالم.

كان بيكاسو يستخدم اليد اليسرى في الرسم ومن أهم لوحاته لوحة ليماجا والتي رسمها في عام 1834 وقام بيكاسو بإعادة رسمها عام 1879-1880، وقد عرضت في

معرض ميلكي في سنة 2001-2005 حيث بلغت قيمتها حوالي 76 مليون دولار أمريكي. وقد اختفت هذه اللوحة منذ بداية 2006 ما أدى إلى زيادة كبيرة في سعرها إذ ربما تصل إلى 150 مليون دولار أمريكي.

كانت لديه موهبة كبيرة جدا، وعلى الرغم من انه يستخدم يده اليسرى إلا أن رسوماته مازال الكثير يتحدثون عنها وبصمته موجودة إلى الآن، فهو يعتبر قائد مصممين مبدعين، لديه روح الفن ومنبع الإبداع.

وبيكاسو فنان تشكيلي من طراز فريد بل من أشهر فناني القرن بلا منازع وأعلاهم منزلة وأعظمهم قدرة وأكثرهم تنوعاً وأبعدهم أثراً في الإبداع والتجديد فهو مصور (رسام) وفنان تشكيلي وخزاف ومصمم ومزخرف، كان متعدد المواهب متواصل النشاط متجدد الرؤية متقلب المزاج وفير الإنتاج ويقدر ما صنعت يداه من إبداعات فنية بنحو عشرين ألف عمل منتشرة في كل أرجاء العالم، في المتاحف والمصارف والقصور، وكثير من أعماله يعرض تحت حراسة سرية وإلكترونية مشددة مثل لوحته الضخمة الشهيرة «جورنيكا» التي يحتفظ بها مركز الملكة صوفياً الثقافي بمدريد داخل حواجز كبيرة - تشبه التابوت - من ألواح الزجاج الذي لا ينفذ منه الرصاص، وهى تحت المراقبة الدائمة طوال ساعات الليل والنهار.

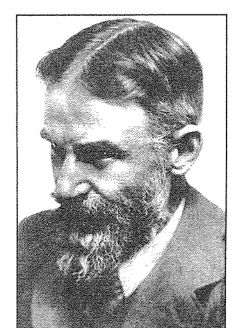
عاش بيكاسو حتى تجاوز التسعين (ولد سنة 1881 ومات سنة 1973) وظل حتى آخر أيام حياته محتفظاً بحيويته وجاذبيته وذكائه وإبداعه، بسيطاً في مظهره بسيطاً في علاقاته، عازفاً عن الثرثرة، عاكفاً على العمل في مرسمه، أو مستمتعا بدفء البيت وصحبة الأصدقاء، وكان أبوه رساما ومعلما للرسم في إسبانيا ويقال إن أول كلمة نطقها بيكاسو كانت «قلم» في عام 1900 سافر لأول مرة من بلده برشلونة إلى باريس، فكان لها تأثير بالغ على أفكاره ورؤيته ومزاجه، وهو يخطو على أول طريقه الفني الطويل وأخذ يتردد مرارا على باريس في الفترة بين عامي 1900 و1904 وهى الفترة التي توافقت مع ما يسميها البعض «المرحلة الزرقاء» لأنه أكثر فيها من استخدام اللون الأزرق الشفاف البارد في لوحاته، واختار لموضوعاته أفقر الأحياء حيث يقيم «المنبوذون» المعدمون من حثالة المجتمع، فاتشحت لوحاته بغلالة من الكآبة والحزن وإثارة الغيظ معا، أراد الفنان «الإنسان» إبرازها. وفي هذه الفترة الزمنية أيضا أنجز كثيراً من أعمال الحفر الفنية التي تحمل كل هذه السمات.

في عام 1904 قرر الإقامة الدائمة في باريس وأصبح محور الارتكاز أو كما يقول العرب «واسطة العقد» - بين ناشئة الكتاب والمفكرين وفناني الطليعة ممن سيكون لهم شأن كبير في المستقبل وفي الفترة القصيرة بين عامي 1904 و1905 اتخذ فنه منحى جديداً أو مختلفاً فقد توارت من لوحاته الألوان الزرقاء متنوعة الدرجات، لتفسح مكاناً للألوان القرمزية والرمادية والوردية (ولذلك أطلق عليها هواة التقسيم المرحلة الوردية) ودخل في لوحاته شخوص جدد هم الراقص والبهلوان وخاصة مهرج السيرك.

التقى في عام 1906 بالفنان الفرنسي «ماتيس» ومع أنه أبدى إعجاباً بلوحات فناني الاتجاه «الوحشي» إلا أنه لم يتبع طريقة أو أسلوب أصحاب هذا الاتجاه في التعبير والزخرفة اللونية.

في الفترة بين عام 1906 و1907 اتجه بيكاسو نحو الفن الإفريقي إذ تأثر بالتماثيل والأشكال الزنجية البدائية بينما أثار انتباهه بدرجة أكبر في تلك الفترة ما فاجأ به الفنان الكبير سيزان عالم الفن بلوحته الشهيرة «فتيات أفينيون» وفيها تشويه متعمد الصياغة في الشكل، وتتناقض تماماً مع كل القواعد التقليدية في مقاييس الجمال المعهودة آنذاك، فكانت بمثابة ثورة على المألوف، مثل ثورة «الوحشيين» في مجال استخدام الألوان وإيحاءاتها وأصبحت اللوحة المرسومة غارقة في الغموض، عسيرة على الفهم، حتى من الفنانين التقليديين ومنعت اللوحات الحديثة الأسلوب والاتجاه من الاشتراك في المعارض الرسمية حتى سنة 1937م. ولامس بيكاسو ذلك كله، وراح يطور، ويجدد ويتخذ لنفسه في كل محاولة أسلوبا خاصاً متميزاً سرعان ما ألقى ظلاله على مدارس الفن الحديث ثم كان المبشر بالأسلوب - أو النمط - «التكعيبي» الذي نماه وطوره مع الفنان براك، في عام 1917 سافر بيكاسو مع صديقه الفنان الأديب «جان كوكتو» إلى روما لعمل تصميمات ملابس ومناظر «باليه» بعنوان «استعراض» وفي السنوات التالية وضع تصميمات لمسرحيات باليه أخرى وقد أوحت إليه زيارته لروما أن يتخذ نهجاً جديداً في أعماله الفنية بعد مشاهدته (وتأثره) بروائع التراث الفني الكلاسيكي الإيطالي، ظهر ذلك في أعماله التي أبدعها في أوائل العشرينيات لكنه تأثر أيضا باتجاه السريالية وان ظل محتفظاً برؤيته الذاتية التحليلية التي عصمته من الجنوح إلى اللاعقلانية، أو الاستغراق في تصوير الأحلام وما يدور في اللاوعي وكانت بداية ذلك مع لوحته «الراقصات الثلاث» عام 1925 وهي محاكاة ساخرة لاذعة لرقص الباليه الكلاسيكي وقد رسمها في فترة معاناته

المؤلمة وتعاسته من زواجه الأول ثم استهواه عالم الأساطير، فانعكست على لوحاته التالية مثل لوحة «الحصان المحتضر» - ولوحة «المينوطور» ولوحة «امرأة باكية» في هذه الفترة من أعوام الثلاثينيات أنجز أشهر أعماله (العشرين ألفا) على الإطلاق، وهي «جورنيكا»، لوحة جدارية ضخمة رسمها لتعرض في الجناح الأسباني في المعرض الدولي في باريس (1937) وهى تعبير صارخ مفزع حزين مشمئز عن تدمير القنابل لعاصمة إقليم الباسك «جورنيكا» - وهى موطنه الأصلي - أثناء الحرب الأهلية بين سنة 1936-1939، والتي جاءت بفرانكو إلى الحكم المطلق، ثم أتبعها بلوحات أخرى مماثلة في التعبير مثل لوحة «البيت المقبرة» وفيها إظهار لبشاعة الحرب وقسوتها المهلكة المخربة وفي هذا الصدد قال بيكاسو: «إن اللوحات لا ترسم من أجل تزيين المساكن، إنها أداة للحرب ضد الوحشية والظلمات».



جورج برنارد شو
(1856-1950م)

جورج برنارد شو مؤلف ايرلندي مشهور حول العالم. وُلِد في دبلن، وانتقل إلى لندن حين أصبح في العشرينات. أول نجاحاته كانت في النقد الموسيقي والأدبي، ولكنه انتقل إلى المسرح، وألف ما يزيد عن ستين مسرحية خلال سني مهنته. نموذجياً أعماله تحتوي على رشّة كوميديا، لكن تقريباً كلها تحمل رسائل اتهامات أمِل برنارد أن يحتضنها جمهوره.

كان أحد مفكري ومؤسسي الاشتراكية الفابية، كانت تشغله نظرية التطور والوصول إلى السوبر مان وفكريا كان من الملحدين المتسامحين مع الأديان. يعد أحد أشهر الكتاب المسرحيين في العالم. هو الوحيد الذي حاز على جائزة نوبل في الأدب للعام 1925 وجائزة الأوسكار لأحسن سيناريو (عن سيناريو بجماليون) في العام 1938.

ولد في 26 يوليو 1856 في دبلن عاصمة ايرلندا لأسرة بروتستانتية، وكان أبوه موظفا في إحدى المحاكم وكان متلافا سكيرا لا يعنى بالدين إلا قليلا، أما أمه فكانت ابنة لأحد الإقطاعيين.

تردد كثيرا في قبول جائزة نوبل حين عرضت عليه عام 1925، ولكنه قبلها أخيرا وقال: «إن وطني ايرلندا سيقبل هذه الجائزة بسرور، ولكنني لا أستطيع قبول قيمتها المادية، إن هذا طوق نجاة يلقى به إلى رجل وصل فعلا إلى بر الأمان، ولم يعد عليه من خطر» وتبرع بقيمة الجائزة لتأسيس مؤسسة تشجع نشر أعمال كبار مؤلفي بلاد الشمال إلى اللغة الإنجليزية.

ظل شو يكتب للمسرح لفترة ست وأربعين سنة، وقد بلغ عدد المسرحيات التي كتبها ما بين مسرحية طويلة ومتوسطة الخمسين مسرحية، وقد أخرج عددا كبيرا من هذه المسرحيات أثناء حياته في عواصم بلدان أوروبا وأمريكا، ومن أشهر مسرحياته:

- بيوت الأرامل (بالإنجليزية).

- مسرحية الأسلحة والإنسان (بالإنجليزية).
- مسرحية جان أوف أرك (بالإنجليزية).
- مسرحية الإنسان والسوبرمان (بالإنجليزية)
- مسرحية سيدتي الجميلة (بالإنجليزية) وهي المسرحية التي نالت جائزة نوبل.
- كانديدا (بالإنجليزية).
- الرائد باربرا (بالإنجليزية).
- بيت القلب الكسير (بالإنجليزية).



عمر الخيام
(1040-1131م)

هو العالم المسلم غياث الدين أبو الفتوح عمر بن إبراهيم الخيام المعروف بـ عمر الخيام، ولد في نيسابور ما بين 1038 و 1048، وتوفي فيها ما بين 1123 و 1124 م.

فيلسوف وشاعر فارسي وتخصص في الرياضيات، والفلك، واللغة، والفقه، والتاريخ.
والخيّام هو لقب والده، حيث كان يعمل في صنع الخيام، وهو صاحب رباعيات الخيام المشهورة. كان أثناء صباه يدرس مع صديقين حميمين، وتعاهد ثلاثتهم على أن يساعد من يؤاتيه الحظ الآخرين، وهذا ما كان. فلما أصبح صديقه نظام الملك وزيراً للسلطان «ألب أرسلان»، ثم لحفيده «ملكشاه»، خصص له راتباً سنوياً مائتين وألف مثقال يتقاضاها من بيت المال كل عام، من خزينة نيسابور فضمن له العيش في رفاهية مما ساعده على التفرغ للبحث والدراسة. وقد عاش معظم حياته في نيسابور وسمرقند. وكان يتنقل بين مراكز العلم الكبرى مثل بخارى وبلخ وأصفهان رغبة منه في التزود من العلم وتبادل الأفكار مع العلماء. وهكذا صار لعمر بن الخيام الوقت الكافي للتفكير بأمور وأسرار الحياة، بعد أن توفّرت له أسباب المعيشة، وكان شاعر حسن الصباح أحد قادة الطائفة الإسماعيلية النزارية.

رغم شهرة الخيام بكونه شاعرا فقد كان من علماء الرياضيات في عصره، واشتهر بالجبر واشتغل في تحديد التقويم السنوي للسلطان ملكشاه، والذي صار التقويم الفارسي المتبع إلى اليوم.

وهو أوّل من اخترع طريقة حساب المثلثات ومعادلات جبرية من الدرجة الثالثة بواسطة قطع المخروط، وهو أول من أستخدم الكلمة العربية «شي» التي رسمت في الكتب العلمية الإسبانية (*Xay*) وما لبثت أن استبدلت بالتدريج بالحرف الأول منها «X» الذي أصبح رمزاً عالمياً للعدد المجهول، وقد وضع الخيام تقويما سنوياً بالغ الدقة، وقد تولى الرصد في مرصد أصفهان.

ترجع شهرته إلى عمله في الرياضيات حيث حلَّ معادلات الدرجة الثانية بطرق هندسية وجبرية. كما نظم المعادلات وحاول حلها كلها، ووصل إلى حلول هندسية جزئية لمعظمها. وقد بحث في نظرية ذات الحدين عندما يكون الأس صحيحاً موجباً، ووضع طرقاً لإيجاد الكثافة النوعية. ولم ينبغ الخيام في الرياضيات فحسب، بل برع أيضاً في الفلك. وقد طلب منه السلطان «ملكشاه» سنة 467هـ/ 1074م مساعدته في تعديل التقويم الفارسي القديم. ويقول «سارطون» إن تقويم الخيام كان أدق من التقويم الجريجوري.

للخيام عدة مؤلفات في الرياضيات والفلسفة والشعر، وأكثرها بالفارسية. أما كتبه بالعربية فمنها: «شرح ما أشكل من مصادرات كتاب إقليدس»؛ «الاحتيال لمعرفة مقداري الذهب والفضة في جسم مركب منهما»، وفيه طريقة قياس الكثافة النوعية؛ «رسالة في الموسيقى».

والرباعيات التي اشتهر بها الخيام هي عبارة عن مقطعات من أربعة أشطار، الشطر الثالث مطلق بينها الثلاثة الأخرى مقيدة، وهى تعرف باسم الدوبيت بالفارسية، وقد ألفها بالفارسية رغم أنه كان يستطيع أن يصوغها بالعربية. كان في أوقات فراغه يتغنى برباعيات في خلوته، وقد نشرها عنه من سمعها من أصدقائه، وبعد عدة ترجمات وصلت لنا كما نعرفها الآن. ويرى البعض أنها لا تنادى إلى التمتع بالحياة والدعوة إلى الرضا أكثر من الدعوة إلى التهكم واليأس، وهذه وجهة نظر بعض من الناس، وقد يكون السبب في ذلك كثرة الترجمات التي تعرضت لها الرباعيات، بالإضافة إلى الإضافات، بعد أن ضاع أغلبها. ومن جهة أخرى هناك اختلاف على كون الرباعيات تخص عمر الخيام فعلا، فهي قد تدعو بجملتها إلى اللهو واغتنام فرص الحياة الفانية، إلا أن المتتبع لحياة الخيام يرى أنه عالم جليل وذو أخلاق سامية، لذلك يعتبر بعض المؤرخين أن الرباعيات نسبت خطأً للخيام وقد أثبت ذلك المستشرق الروسي زوكوفسكي فرد 82 رباعية إلى أصحابها فلم يبق إلا القليل الذي لم يعرف له صاحب.

فسر البعض فلسفته وتصوّفه على أنه إلحاد وزندقة وأحرقت كتبه، ولم يصلنا منها سوى الرباعيات لأنّ القلوب أحبّتها وحفظتها من الضياع، غير أن الخيام كان عالماً عبقرياً وملماً ومبدعاً أكثر بكثير من كونه شاعراً، وضياع كتبه في الرياضيات والفلسفة حرم

الإنسانية من الاستفادة من الإطلاع على ما وضعه في علوم الجبر والرياضيات. وتعتبر تهمة الإلحاد والزندقة من المسائل الجدلية في التاريخ الإسلامي ففي حين أن هذه التهمة أثبتها فريق كبير من الناس على الخيام إلا أن هناك فريق كبير آخر يقر له بأنه مات على الإسلام.



غابرييل غارسيا ماركيز

ولد غابرييل غارسيا ماركيز في 6 مارس 1927 في مدينة أراكاتاكا في مديرية ماجدالينا وعاش معظم حياته في المكسيك وأوروبا ويقضي حالياً معظم وقته في مكسيكو سيتي. نال جائزة نوبل للأدب عام 1982م وذلك تقديرا للقصص القصيرة والروايات التي كتبها.

بدأ ماركيز ككاتب في صحيفة الإسبكتادور الكولومبية اليومية ثمّ عمل بعدها كمراسل أجنبي في كل من روما وباريس وبرشلونة وكاراكاس ونيويورك. كان أول عمل له قصة بحار السفينة المحطمة حيث كتبه كحلقات متسلسلة في صحيفة عام 1955 م. كان هذا الكتاب عن قصة حقيقية لسفينة كولومبية غرقت بسبب إفراط في التحميل والوزن، عملت الحكومة على محاولة درء الحقيقة بإدعاء أنها غرقت في عاصفة. سبب له هذا العمل عدم الشعور بالأمان في كولومبيا، حيث لم يرق للحكومة العسكرية ما نشره ماركيز، مما شجعه على بدء العمل كمراسل أجنبي. نشر هذا العمل في 1970 م واعتبره الكثيرون كرواية.

كثيرا ما يعتبر ماركيز من أشهر كتاب الواقعية العجائبية، والعديد من كتاباته تحوي عناصر شديدة الترابط بذلك الأسلوب، ولكن كتاباته متنوعة جداً بحيث يصعب تصنيفها ككل بأنها من ذلك الأسلوب. وتصنف الكثير من أعماله على أنها أدب خيالي أو غير خيالي وخصوصا عمله المسمى حكاية موت معلن 1981م التي تحكي قصة ثأر مسجلة في الصحف وعمله المسمى الحب في زمن الكوليرا 1985م الذي يحكي قصة الحب بين والديه.

ومن أشهر رواياته مائة عام من العزلة 1967 م، والتي بيع منها أكثر من 10 ملايين نسخة والتي تروي قصة قرية معزولة في أمريكا الجنوبية تحدث فيها أحداث غريبة. ولم تكن هذه الرواية مميزة لاستخدامها السحر الواقعي ولكن للاستخدام الرائع للغة الإسبانية. دائما ما ينظر إلى الرواية عندما تناقش على أنها تصف عصورا من حياة عائلة كبيرة ومعقدة. وقد كتب أيضا سيرة سيمون دو بوليفار في رواية الجنرال في متاهة.

ومن أعماله المشهورة الأخرى خريف البطريرك، عام 1975م، وسرد أحداث موت معلن، عام 1981م، والحب في زمن الكوليرا، عام 1986م.

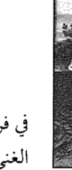
تم اقتباس رواية جارسيا قصة موت معلن وتحويلها إلى عمل مسرحي في حلبة مصارعة الثيران بقيادة المخرج الكولومبي الشهير خورخي علي تريانا.

ومن كتبه كتاب اثنتا عشرة قصة مهاجرة يضم 12 قصة كتبت قبل 18 عاماً مضت، وقد ظهرت من قبل كمقالات صحفية وسيناريوهات سينمائية، ومسلسل تلفزيوني لواحدة منها، فهي قصص قصيرة تستند إلى وقائع صحيفة، ولكنها متحررة من شرطها الأخلاقي بحيل شعرية.

كما أصدر مذكراته بكتاب بعنوان عشت لأروي والتي تتناول حياته حتى عام 1955م، وكتاب مذكرات عاهرات السوء تتحدث عن ذكريات رجل مسن ومغامراته العاطفية.

عام 2002م قدم سيرته الذاتية في جزئها الأول وكان للكتاب مبيعات ضخمة في عالم الكتب الإسبانية. نشرت الترجمة الإنجليزية لهذه السيرة أعيش لأروي على يد ايدث جروسمان عام 2003م وكانت من الكتب الأكثر مبيعا.

في 10 سبتمبر 2004 أعلنت بوغوتا ديلي إيلتيمبو نشر رواية جديدة في أكتوبر بعنوان (*Memoria de mis putas tristes*) وهي قصة حب طبع منها مليون نسخة كطبعة أولى. عرف عن ماركيز صداقته مع القائد الكوبي فيدل كاسترو وكذلك صداقته للقائد الفلسطيني ياسر عرفات وأبدى قبل ذلك توافقه مع الجماعات الثورية في أمريكا اللاتينية وخصوصا في الستينيات والسبعينيات. وكان ناقدًا للوضع في كولومبيا ولم يدعم علنيا الجماعات المسلحة مثل فارك وجيش التحرير الوطني التي تعمل في بلاده.



غوتـه

(1749-1832م)

ولد يوهان فولفغانغ غوته عام 1749 في فرانكفورت حيث ترعرع في كنف والده الغني الذي وفر له تعليماً مدرسياً خاصاً كما لعب اهتمام والديه بالنواحي الأدبية والثقافية دوراً في تكوين شخصيته الأدبية فيما بعد.

عرف غوته منذ نعومة أظفاره بالذكاء والتميز وتعدد المواهب. فإلى جانب اللغة اللاتينية قام بتعلم اللغات الفرنسية والإنجليزية والإيطالية والعبرية.

في عام 1765 بدأ بدارسة القانون في مدينة لايبزغ وستراسبورغ نزولا عند رغبة والده، لكن ذلك لم يمنعه أبداً من الاهتمام بالأدب والفلسفة. وفي عام 1775 انتقل غوته إلى مدينة فايمر وعاش فيها حتى وفاته عام 1832.

كان غوته ومنذ صغره مولعاً بالطبيعة وكان يميل إلى الرسم والشعر، لكن ميله للشعر غلب عليه. لم يكن غوته شاعراً فحسب، بل مؤلفًا مسرحيا وروائياً وعالماً. ومن أشهر إسهاماته العلمية مورفولوجيا النبات ونظرية الألوان.

وقد كان غوته أيضا عاشقاً ومولعاً بالنساء حيث أحبهن وكتب فيهن أجمل قصائده وأعماله الأدبية، ولكنه لم يتزوج أيا منهن لأنه كان يفضل الحرية والاستقلال على ذلك.

كان لهذه الشخصية الأدبية الفذة أثر واضح في إثراء الأدب الألماني من خلال الكتابات والأعمال المتميزة التي تركها في شتى المجالات ومن أشهرها العمل الأدبي المسرحي فاوست الذي يعد بحق من أهم الأعمال الأدبية العالمية الخالدة حيث استطاع غوته من خلاله التعبير عن الكثير من أفكاره الجمالية والفلسفية بلغة غاية في الدقة والروعة.

كان غوته مولعاً بالمشرق وهائماً فيه حيث قام بقراءة حكايات ألف ليلة وليلة وتأثر بشخصياتها ومضامينها وكتب على منوالها كتاب «نزوة العاشق». بالإضافة إلى كتابه «الديوان الشرقي الغربي» والذي تطرق فيه كثيراً إلى الثقافة العربية والإسلامية. ولقد كان غوته معجبا بالإسلام وخصوصا بشخصية النبي محمد ﷺ وبالأفكار الإسلامية ذات الطابع الصوفي، كما أنه اهتم كثيرا بالمعلقات وببنيتها الأدبية من حيث الوقوف على الأطلال ووصف الرحلة ووصف الناقة حتى أنه ترجم جزء منها من اللاتينية إلى الألمانية.



فرانز كافكا

(1883-1924م)

فرانز كافكا كاتب تشيكي كتب بالألمانية، رائد الكتابة الكابوسية. يعد أحد أفضل أدباء الألمانية في فن الرواية والقصة القصيرة.

تعلم كافكا الكيمياء والحقوق والأدب في الجامعة الألمانية في براغ (1901). ولد لعائلة يهودية متحررة، وخلال حياته تقرب من اليهودية. تعلم العبرية لدى معلمة خصوصية. عمل موظفا في شركة تأمين حوادث العمل. أمضى وقت فراغه في الكتابة الأدبية التي رأى بها هدف وجوهر حياته. القليل من كتاباته نشرت خلال حياته، معظمها - يشمل رواياته العظمى (الحكم) و(الغائب) التي لم ينهها - نشرت بعد موته، على يد صديقه المقرب ماكس برود، الذي لم يستجب لطلب كافكا بإبادة كل كتاباته.

حياته كانت مليئة بالحزن والمعاناة، بما في ذلك علاقته بوالده. فكافكا كان مثقفا حساسا وقع تحت حكم والد مستبد وقوي، عنه، هكذا قال، كتبت كل إنتاجاته. فكتب رسالته الطويلة تحت عنوان (رسالة لأب). الأمر يبرز بصورة خاصة في كتابه (الحكم) حيث يقبل الشاب حكم الموت الذي أصدره عليه والده ويغرق. كان كافكا نباتيا واشمأز من أكل اللحوم، وهنالك من يربطون هذا بمهنة جده الذي كان جزارا. عرف كافكا على انه شخص يصعب عليه إتمام الأمور، وهو الأمر الذي ميز كتابته حيث كان يجد صعوبة في إنهاء إنتاجاته.

توفي فرانز كافكا بمرض السل في 3 يونيو 1924 عن عمر يناهز الـ 41، بعد عام على إيجاده الحب الكبير لحياته، المهاجرة اليهودية دورا ديامنط. وتوفي بالقرب من فينا.

من مؤلفاته: المحاكمة، القلعة، الغائب، قصص وفصول تأملية، طبيب قروي وقصص أخرى، وصف نضال، أبحاث عن الكلب، فنان الجوع، الحكم.

جدير بالذكر كذلك أن كتابات كافكا قد تعرضت فيها بعد للحرق على يد هتلر، وتعرضت مؤلفات كافكا لموقفين متناقضين من الدول الشيوعية في القرن الماضي، بدأت بالمنع والمصادرة وانتهت بالترحيب والدعم.



كولن ولسن

كولن هنري ولسون (26 يونيو 1931) كاتب إنجليزي ولد في ليستر في إنجلترا لعائلة فقيرة من الطبقة العاملة. تأخر في دخول المدرسة، وتركها مبكرا في سن السادسة عشر ليساعد والده، عمل في وظائف مختلفة ساعده بعضها على القراءة في وقت الفراغ، بسبب من قراءاته المتنوعة والكثيرة، نشر مؤلفه الأول (اللامنتمي) 1956 وهو في سن الخامسة والعشرين. وتناول فيه عزلة المبدعين (من شعراء وفلاسفة) عن مجتمعهم وعن أقرانهم وتساؤلاتهم الدائمة، وعزا ذلك إلى الرغبة العميقة في إيجاد دين موضوعي وواضح يمكن له أن ينتقل إلى الآخرين، دون أن يقضوا حياتهم في البحث عنه. كان الكتاب ناجحا جدا، وحقق أصداء نقدية قوية، وجعل من الشاب الفقير كولن نجما في دوائر لندن الثقافية، وصارت أخباره الخاصة تتصدر أعمدة النميمة الصحفية، اثر ذلك على كولن كثيرا وصار يتخذ موقفا من الصحفيين والنقاد، الذين سرعان ما بادلوه نفس الموقف، وهاجموا كتابه على أساس أنه «مزيف» وملئ بالنفاق. رغم ذلك، لا يزال ينظر للكتاب على أنه ساهم بشكل أساسي في نشر الفلسفة الوجودية على نطاق واسع في بريطانيا.

نظر إلى كولن ولسون على انه ينتمي إلى مجموعة «الشباب الغاضبين» وهم مجموعة من الشباب المثقف المتمرد قدموا عدة أعمال مسرحية في الخمسينات، رغم أن قليلا جدا كان يربطه بهم من الناحية الفعلية.

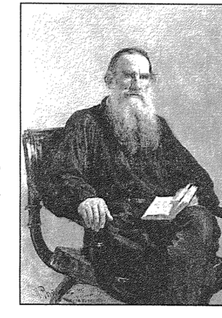
كتابه الثاني (الدين والتمرد) 1957 قوبل بهجوم شديد من النقاد الذين كرروا وصفه بالمزيف والكذاب. كذلك ظل النقاد مع معظم كتبه التالية، لكن الرواج التجاري ظل ملازما لمعظم كتبه التي نالت هجوم النقاد أو لا مبالاتهم. واصل ولسن الإنتاج دون اهتمام لهجوم النقاد، وقد تنوعت موضوعات كتبه بين الفلسفة، وعلم النفس الإجرامي، والرواية. في الفلسفة أكمل سلسلة اللامنتمي: عصر الهزيمة 1959، قوة الحلم 1961، أصول الدافع الجنسي 1963 ما بعد اللامنتمي 1965. في الرواية كتب عدة مؤلفات

روائية منها: طقوس في الظلام 1960، ضياع في سوهو 1961، رجل بلا ظل 1963، القفص الزجاجي 1966، طفيليات العقل 1967. يربو عدد مؤلفات كولن ولسن الآن على المائة كتاب. وقد الفت عنه عدة مؤلفات نقدية.

«اللامنتمي هو الإنسان الذي يدرك ما تنهض عليه الحياة الإنسانية من أساس واهٍ، وهو الذي يشعر بان الاضطراب والفوضوية أكثر عمقاً وتجذراً من النظام الذي يؤمن بهِ قومه.. انه ليس مجنوناً؟ هو فقط أكثر حساسية من الأشخاص المتفائلين صحيحي العقول.. مشكلته في الأساس هي مشكلة الحرية.. هو يريد أن يكون حراً ويرى أن صحيح العقل ليس حراً، ولا نقصد بالطبع الحرية السياسية، وإنما الحرية بمعناها الروحي العميق.. إن جوهر الدين هو الحرية ولهذا: فغالبا ما نجد اللامنتمي يلجأ إلى مثل هذا الحل إذا قُـيِّـض لهُ أن يجد حلاً.. !» كولن ولسن.

إنه لمن الغريب أن كولن ولسن قد حقق شهرة كبيرة في العالم العربي لأنه لا يكاد يكون معروفا في بلدان أوروبية عديدة ولم يعترف به ككاتب جاد أبدا. اتجه بعد كتاباته الأدبية إلى الكتابة عن التصوف والسحر وعالم ما بعد الموت. يصنف كولن ولسن في الغرب باعتباره كاتبا دجالا.

من أعماله: أصول الدافع الجنسي. الإنسان وقواه الخفية. الاستحواذ. الجنس والشباب الذكي. الحالم. الشعر والصوفية. اللامنتمي. المعقول واللامعقول. اله المتاهة. رواية الشك. سقوط الحضارة. طقوس في الظلام. عالم العناكب. فكرة الزمان عبر التاريخ. ما بعد الحياة. ما بعد اللامنتمي. موسوعة الألغاز المستعصية. الحاسة السادسة. راسبوتين وسقوط القياصرة.



ليو تولستوي

(1828-1910م)

كان ليو تولستوي روائيا ومصلحا اجتماعيا وداعية سلام ومفكرا أخلاقيا وعضوا مؤثرا في أسرة تولستوي. أشهر أعماله روايتي (الحرب والسلام) و(أنا كارنينا) وهما يتربعان على قمة الأدب الواقعي، فهما يعطيان صورة واقعية للحياة الروسية في تلك الحقبة الزمنية.

كفيلسوف أخلاقي اعتنق أفكار المقاومة السلمية النابذة للعنف وتبلور ذلك في كتاب (مملكة الرب بداخلك) وهو العمل الذي أثر على مشاهير القرن العشرين مثل المهاتما غاندي ومارتن لوثر كنج في جهادهما الذي اتسم بسياسة المقاومة السلمية النابذة للعنف.

التحق بجامعة كازان عام 1844م، ولكن طريقة التدريس لم تعجبه فهجرها إلى الأعمال الحرة عام 1847 م. وبدأ بتثقيف نفسه، وشرع في الكتابة. في تلك المرحلة الأولى من حياته كتب ثلاثة كتب وهي (الطفولة) 1852م، (الصبا) 1854م، (الشباب) 1857م.

سئم حياته تلك فالتحق بالجيش الذي كان في حرب في القفقاس وشارك في بعض المعارك ضد جيش المريدين بقيادة الإمام شامل. لكنه أحب القفقاس وأثرت فيه حياة شعوب القفقاس وكتب عن تجاربه تلك موضوعات نُشرت في الصحف، وألَّف عنها كتابه (الكوزاك) 1863م الذي يحتوي على عدة قصص.

وبعد تقاعده من الخدمة العسكرية سافر إلى أوروبا الغربية وأعجب بطرق التدريس هناك. ولما عاد لمسقط رأسه بدأ في تطبيق النظريات التربوية التقدمية التي عرفها، وذلك بأن فتح مدرسة خاصة لأبناء المزارعين. وأنشأ مجلة تربوية تدعى ياسنايا بوليانا شرح فيها أفكاره التربوية ونشرها بين الناس.

ويُعد كتاب (الحرب والسلام) 1869م من أشهر أعمال تولستوي، ويتناول هذا الكتاب مراحل الحياة المختلفة، كما يصف الحوادث السياسية والعسكرية التي حدثت في أوروبا في الفترة مابين 1805 و1820م. وتناول فيها غزو نابليون لروسيا عام 1812م.

ومن أشهر كتبه أيضًا (أنا كارنينا) الذي عالج فيه قضايا اجتماعية وأخلاقية وفلسفية في شكل مأساة غرامية كانت بطلتها هي أنّا كارنينا.

ومن كتب تولستوي أيضًا كتاب (ما الفن؟). وأوضح فيه أن الفن ينبغي أن يُوجِّه الناس أخلاقيًا، وأن يعمل على تحسين أوضاعهم، ولابد أن يكون الفن بسيطًا يخاطب عامة الناس.

وقد تعمق تولستوي في القراءات الدينية، وقاوم الكنيسة الأرثوذكسية في روسيا، ودعا للسلام وعدم الاستغلال، وعارض القوة والعنف في شتى صورهما. ولم تقبل الكنيسة آراء تولستوي التي انتشرت في سرعة كبيرة، فكفرته وأبعدته عنها. وأُعجب بآرائه عدد كبير من الناس، وكانوا يزورونه في مقره بعد أن عاش حياة المزارعين البسطاء تاركًا عائلته الثرية المترفة. ويحتمل أن بكون قد أسلم.

وفي أواخر حياته عاد تولستوي لكتابة القصص الخيالية فكتب (موت إيفان إيليتش) 1886 م، كما كتب بعض الأعمال المسرحية مثل (قوة الظلام) 1888م. وأشهر أعماله التي كتبها في أواخر حياته كانت (البعث) وهي قصة كتبها 1899م وتليها في الشهرة قصة (الشيطان) 1889م؛ كريوتزسوناتا 1891م؛ (الحاج مراد) التي نُشرت بعد وفاته والتي توضح عمق معرفته بعلم النفس، ومهارته في الكتابة الأدبية. ومدى حبه ومعرفته بالقفقاس وقد اتصفت كل أعماله بالجدية والعمق وبالطرافة والجمال.

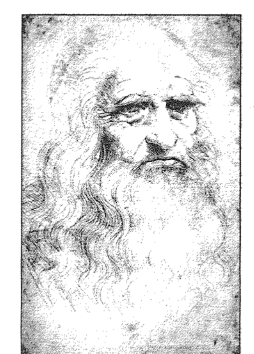
تزوج تولستوي من صوفي بيرز التي أثبتت أنها خير الزوجات وأفضل رفاق الحياة بالرغم من أنها تصغره بستة عشر عاما. خلفا 13 طفلا مات خمسة منهم في الصغر. كان زواجه ملاذه لهدوء البال والطمأنينة، لأنه كان يعيده إلى واقع الحياة هربا من دوامة أفكاره. صوفي كانت خير عون له في كتابته، فقد نسخت مخطوط روايته الحرب والسلام 7 مرات حتى كانت النسخة الأخيرة والتي تم نشرها.

حتى في شيخوخته كان متماسكا، وقوي الذاكرة دون أن تضعف رؤاه، إلا أنه وفي توجهه لزيارة شقيقته في ديرٍ كانت هي رئيسته، في 20 نوفمبر 1910 مات في سريره بهدوء وعلى ما يبدو بسبب البرد الشديد.

والجميل في كتابات تولستوي هو أنك كقارئ لن تتأثر بكتابة تولستوي المحايدة تماماً في رأيه بكل شخصية، إنما يترك الكاتب لك المجال لتحدد رأيك وموقفك وذلك إثارة للنقاش بين كل من يقرأ الرواية. فـ (أنّا كارنينا) ليست ككل الروايات، حيث في الغالب يتأثر القارئ برأي المؤلف بالشخصية على عكس كتابات ليون تولستوي.

كما أن عقلية تولستوي العقلانية أدركت أنه لا توجد أي شخصية لا تنطق إلا بالخير، وأخرى تسخر الشر في كل ما تفعله في الرواية، إنما آمن تولستوي أن لكل شخص قلباً وعقلاً ومصلحة عليا؛ فلا أحد يقوم بأمر ما إلا وله مبرره الخاص الذي قد يكون، وقد لا يكون مطابقاً للمُثُل العليا التي يسعى الروائيون عادة إلى تعزيزها في المجتمعات، حيث كل من في الرواية مثير للشفقة وكلهم أنانيون، وكلهم كان لهم المبرر المقنع والمنطقي لما قام به.

تولستوي وكروائي لم يعتد في كتاباته عن الابتعاد عن أهمية التمسك بالتعاليم الدينية كمَخرج هو الأفضل، لكل ما يواجهه الفرد من أحداث، فربما يكون ذلك نتيجة إيمانه بأن الحكمة الإلهية والتعاليم الدينية تعلو على كل الحلول والحكمة الإنسانية الوضعية، وهذا ما يلمسه القارئ في الرواية.



ليوناردو دافينشي

(1452- 1519م)

يعد ليوناردو دافينشي من أشهر فناني النهضة الإيطاليين على الإطلاق وهو مشهور كرسام، نحات، معماري، وعالم. كانت مكتشفاته وفنونه نتيجة شغفه الدائم للمعرفة والبحث العملي، له آثار عديدة على مدراس الفن بإيطاليا امتد لأكثر من قرن بعد وفاته وإن أبحاثه العلمية خاصة في مجال علم التشريح البصريات وعلم الحركة والماء حاضرة ضمن العديد من اختراعات عصرنا الحالي. وقيل عنه إن ريشته لم تكن لتعبر عما يدور بذهنه من أفكار وثابة حتى قال عنه ب. كاستيلون: «من الطريف جدا أن الرسام الأول في العالم كان يكره الفن، وقد انصرف إلى دراسة الفلسفة، ومن هذه الفلسفة تكونت لديه أغرب المفاهيم، وأحدث التصورات، ولكنه لم يعرف أن يعبر عنها في صوره ورسومه».

ولد ليوناردو في بلدة صغيرة تدعى فينشي قرب فلورنسا بتوسكانا، وهو ابن غير شرعي لعائلة غنية أبوه كاتب العدل وأمه فلاحة تطلقت من زوجها بعد ولادة طفلها بمدة قصيرة مما جعله يفتقد حنان الأم في حياته. في منتصف القرن الرابع عشر استقرت عائلته في فلورنسا والتحق ليوناردو بمدارس فلورنسا حيث تلقى أفضل ما يمكن أن تقدمه هذه المدينة الرائعة من علوم وفنون.

بشكل مثير ولافت كان ليوناردو يحرز مكانة اجتماعية مرموقة، فقد كان وسيما لبق الحديث ويستطيع العزف بمهارة إضافة إلى قدرة رائعة على الإقناع. حوالي سنة 1466 التحق ليوناردو في مشغل للفنون يملكه أندريا دل فروكيو الذي كان فنان ذلك العصر في الرسم والنحت مما مكن ليوناردو من التعرف عن قرب على هذه المهنة ونشاطاتها من الرسم إلى النحت.

سنة 1472 كان قد أصبح عضوا في دليل فلورنسا للرسامين. سنة 1476 استمر الناس بالنظر إليه على أنه مساعد «فيروكيو» حيث كان يساعد «فيروكيو» في أعماله الموكلة

إليه منها لوحة (تعميد السيد المسيح) حيث قام بمساعدة «فيروكيو» برسم الملاك الصغير الجاثم على ركبتيه من اليسار 1470 يوفوزاي فلورنسا.

سنة 1478 استطاع ليوناردو الاستقلال بهذه المهنة وأصبح معلما بحد ذاته. عمله الأول كان رسما جداريا لكنيسة القصر القديم أو كما يدعى بالإيطالية «بالالزو فيكيو» التي لم يتم انجازها.

أول أعماله الهامة كانت لوحة توقير ماغي التي بدأ بها سنة 1481 وتركها دون إنهاء، والتي كانت لدير راهبات القديس سكوبيتو دوناتو فلورنسا.

سنة 1482 التحق ليوناردو بخدمة لودوفيكو سفورزا دوق ميلانو بعد أن صرح له عبر رسالة بأنه قادر على صنع تماثيل من المرمر والطين والبرونز وبناء جسور متنقلة ومعرفته بتقنية صنع قاذفات القنابل والمدافع والسفن والعربات المدرعة إضافة للمنجنيق وأدوات حربية أخرى.

أهم أعماله خلال تواجده في ميلانو كان لوحة (عذراء الصخور) التي رسمها مرتين حيث تم رفض الأولى وقبول الثانية: الأولى رسمها سنة 1483-1485 وهي موجودة في متحف اللوفر. الثانية رسمها سنة 1490-1506 وموجودة ضمن المعرض الوطني - لندن.

وتعتبر لوحة العشاء الأخير إحدى أعظم إبداعات ليونارد وكانت باكورة أعمله وأخذت منه جهدا جبارا وهي عبارة عن لوحة زيتية جدارية في حجرة طعام دير القديسة ماريا ديليه غراتسيه ميلانو.

للأسف فإن استخدامه التجريبي للزيت على الجص الجاف الذي كان تقنياً غير ثابت أدى إلى سرعة دمار اللوحة وبحلول سنة 1500 بدأت اللوحة فعلا بالإهتلاك والتلف.

جرت محاولات خلال سنة 1726 لإعادتها إلى وضعها الأصلي إلا أنها باءت بالفشل.

سنة 1977 جرت محاولات جادة باستخدام آخر ما توصل إليه العلم والحاسب آنذاك لإيقاف تدهور اللوحة وبنجاح تم استعادة معظم تفاصيل اللوحة بالرغم من أن السطح الخارجي كان قد بلي وزال.

خلال إقامته الطويلة في ميلانو قام ليوناردو برسم العديد من اللوحات إلا أن أغلبها فقد أو ضاع كما قام بإنشاء تصاميم لمسارح وتصاميم معمارية ونماذج لقبة كاتدرائية ميلانو.

إلا أن أضخم أعماله في ذلك الوقت كان النصب التذكاري لفرانشيسكو سفورزا وهو والد «لودوفيكو» ضمن فناء (قلعة سفورزيكو) في كانون الأول ديسمبر 1499. لكن عائلة سفورزا كانت قد اقتيدت على يد القوى الفرنسية العسكرية وترك ليوناردو العمل دون إكمال حيث حطم بعد استخدامه كهدف من قبل رماة السهام الفرنسيين فعاد ليوناردو إلى فلورنسا سنة 1500.

سنة 1502 التحق ليوناردو بخدمة تشيزري بورجا دوق منطقة رومانيا ابن البابا إسكندر السادس وكانت وظيفته رئيس المعماريين والمهندسين التابعين للدوق حيث أشرف على عمل خاص بالحصن التابع للمنطقة البابوية في مركز إيطاليا.

سنة 1503 أصبح عضوا ضمن مجموعة من الفنانين مهمتهم تقدير المكان الأمثل لتمثال (دايفيد) المشهور من الصلصال والرخام والذي قام بنحته الفنان مايكل أنجلو سنة 1501-1504 في فلورنسا.

كما خدم ليوناردو في حرب ضد بيزا كمهندس، وفي نهاية العام بدأ ليوناردو بتصميم زخرفة لقاعة (فيتشيو) الضخمة حيث كان موضوع الزخرفة هو معركة أنغياري نصر فلورنسا ضد بيزا.

قام بالعديد من الرسومات وأنجز الرسم التمهيدي بالحجم الطبيعي على القاعة عام 1505 لكن مع الأسف ترك عمله دون إنجاز كما أن الرسوم كانت قد زالت بحلول القرن السابع عشر ولم يبق من عمله هذا إلا بضع مخطوطات وبعض الرسوم المنقولة عن الأصلية.

من أعماله المثيرة للاهتمام آنذاك كانت رسومه لشخصيات متعددة (صور لشخصيات تبرز الوجه) ولم ينج منها إلا لوحته الخالدة والأكثر شهرة على الإطلاق لوحة الموناليزا 1503-1506 الموجودة ضمن متحف اللوفر، وتعرف أيضا باسم الجيوكندا وهو من المفترض اسم العائلة الخاص بزوج السيدة. من المعروف تأثر ليوناردو بهذه اللوحة وشغفه بها حيث لم يكن ليسافر دون اصطحابه لهذه اللوحة معه.

سنة 1506 سافر ليوناردو إلى ميلانو بدعوة من حاكمها الفرنسي شارل دامبواز، وخلال السنوات اللاحقة أصبح رسام القصر المعتمد للملك لويس الثاني عشر في فرنسا.

أصبح يتنقل بين ميلانو وفلورنسا كثيراً فغالبا ما كان يزور أشقائه وشقيقاته ويرعى ميراثه.

انهمك في ميلانو بمشاريعه الهندسية وعمل على تصميم نصب تذكاري على شكل فارس جان جاكومو تريفولزيو قائد القوات الفرنسية في المدينة وعلى الرغم من أن المشروع لم يكتمل إلا أن مخططات المشروع ودراساته تم الاحتفاظ بها.

من سنة 1514 إلى سنة 1516 عاش ليوناردو في روما تحت ضيافة البابا لاون العاشر في قصر بيلفيديري بالفاتيكان وأشغل نفسه بالتجارب العلمية.

سنة 1516 سافر إلى فرنسا ليكون في خدمة الملك فرانسيس الأول. وأمضى سنواته الأخيرة في تشاتيو دو كلو قرب أمبوس حيث توفي سنة 1519 عن عمر يناهز 67 عاماً.

على الرغم من أن ليوناردو كان قد رسم عددا ضئيلا نسبيا من اللوحات وأغلبها قد فقد أو لم يتم إنهاؤها، لكن ليوناردو كان فنان عصره ومبدعه وذا تأثير واضح على مدى قرن من بعده.

في بداية حياته كان فنه يوازي فن معلمه فيروتشيو إلا أنه شيئا فشيئا استطاع أن يخرج من كنف فيروتشيو ليحرر نفسه من أسلوب معلمه الصارم والواقعي تجاه الرسم، فكان ليوناردو في أسلوبه وإبداعه يخلق رسومات تلامس الأحاسيس والذكريات.

ضمن أعماله الأولى لوحة (توقير ماغي) كان قد ابتدع أسلوبا جديدا في الرسم فجمع ما بين الرسم الأساسي والخلفية التي كانت مشهدا يعبر عن بعد خيالي من أطلال حجارة ومشاهد معركة.

أسلوب ليوناردو المبدع كان ظاهرا بشكل أكبر في لوحة العشاء الأخير حيث قام بتمثيل مشهد تقليدي بطريقة جديدة كلياً. فبدلا من إظهار الحواريين الإثني عشر كأشكال فردية، قام بجمعهم في مشهد ديناميكي متفاعل. حيث صور السيد المسيح في المنتصف معزولا وهادئاً، وضمن موقع السيد المسيح قام برسم مشهد طبيعي على مبعدة من السيد المسيح من خلال نوافذ ضخمة مشكلا خلفية ذات بعد درامي.

ومن موقع السيد المسيح بعد أن قام بإعلانه أن أحد الحواريين الجالسين سيخونه اليوم، استطاع ليوناردو تصوير ردة الفعل من هادئ إلى منزعج معبرا بذلك عن طريق حركات إيمائية.

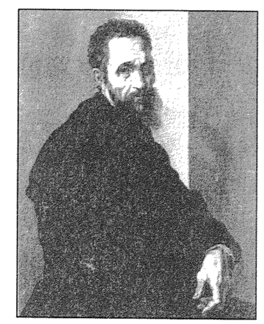
من ضخامة الصورة وعظمة شأنها استطاع ليوناردو أن يسبق الكثيرين من عصره، واستلزمت هذه اللوحة الكثير من عمليات الترميم وآخر عملية انتهت عام 1999 لتعود إلى بعض من رونقها الذي كان.

أما الموناليزا فلها اسم يطلق عليها وهو الجوكندا وهي من أشهر أعمال ليوناردو على الإطلاق. وتأتي شهرتها من سر ابتسامتها الأسطورية فتعتقد تارة أنها تبتسم وتارة أخرى أنها تسخر منك، على كل فقد استخدم ليوناردو تقنيتين هامتين في هذه اللوحة كان ليوناردو رائد هذه التقنيات ومعلمها.

الأولى: سفوماتو وتعني تقنية تمازج الألوان. وهي وصف الشخصية أو رسمها ببراعة وذلك باستخدام تحولات الألوان بين منطقة وأخرى بحيث لا تشعر بتغيير اللون مشكلا بذلك بعدا شفاف أو تأثير مبهم، وتجلت هذه التقنية بوضوح في ثوب السيدة وفي ابتسامتها.

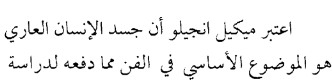
الثانية: كياروسكورو وهي تقنية تعتمد على الاستخدام الأمثل للضوء والظلال لتكوين الشخصية المطلوبة بدقة عالية جدا.

وتظهر هذه التقنية في يدي السيدة الناعمتين حيث قام ليوناردو بإضافة تعديلات عبر الإضاءة والظل مستخدما تباين الألوان لإظهار التفاصيل.



مايكيل انجيلو

اسمه الكامل ميكيل انجيلو دي لودفيكو بوناروتي، وهو رسام ونحات ومهندس وشاعر إيطالي، كان لإنجازاته الفنية الأثر الأكبر على محور الفنون ضمن عصره وخلال المراحل الفنية الأوروبية اللاحقة.



اعتبر ميكيل انجيلو أن جسد الإنسان العاري هو الموضوع الأساسي في الفن مما دفعه لدراسة أوضاع الجسد وتحركاته ضمن البيئات المختلفة. حتى أن جميع فنونه المعمارية كان لابد أن تحتوي على شكل إنساني من خلال نافذة أو جدار أو باب.

كان ميكيل انجيلو يبحث دائما عن التحدي سواء كان تحديا جسديا أو عقليا، وأغلب المواضيع التي كان يعمل بها كانت تستلزم جهدًا بالغاً سواء كانت عبارة عن لوحات جصية أو لوحات فنية.

كان مايكل يختار الوضعيات الأصعب للرسم، إضافة لذلك كان دائما ما يخلق عدة معاني من لوحته من خلال دمج الطبقات المختلفة في صورة واحدة، وأغلب معانيه كان يستقيها من الأساطير والدين، ومواضيع أخرى.

وكان نجاحه في قهر العقبات التي وضعها لنفسه في صنع تحفه مذهلا إلا أنه كثيرا ما كان يترك أعماله دون إنجاز وكأنه يُهزم بطموحهِ نفسه. واثنان من أعظم أعماله النحتية، تمثال داوود وتمثال بيتتا، العذراء تنتحب، قام بإنجازهما وهو دون سن الثلاثين.

ورغم كون ميكيل انجيلو من الفنانين شديدي التدين فقد عبر عن أفكاره الشخصية فقط من خلال أعماله الأخيرة. فقد كانت أعماله الأخيرة من وحي واستلهام الديانة المسيحية مثل صلب السيد المسيح.

خلال مسيرة عمله تعرف مايكل على مجموعة من الأشخاص المثقفين الذين يتمتعون بنفوذ اجتماعي كبير. ورعاته كانوا دائما من رجال الأعمال الفاحشي الثراء أو الرجال ذوي المكانة الاجتماعية القوية وطبعاً من أعضاء الكنيسة وزعمائها، ومن ضمنهم

البابا يوليوس الثاني، كليمنت السابع وبولص الثالث. وقد سعى ميكيل انجيلو دائما ليكون مقبولاً من رعاته لأنه كان يعلم بأنهم الوحيدون القادرون على جعل أعماله حقيقة.

من صفات ميكيل انجيلو أنه كان يعتبر الفن عملا يجب أن يتضمن جهدا كبيراً وعملاً مضنياً فكانت معظم أعماله تتطلب جهداً عضليا وعدداً كبيرا من العمال وقليلاً ما كان يفضل الرسم العادي الذي يمكن أداؤه بلباس نظيف، وتعتبر هذه الرؤية من إحدى تناقضاته التي جعلته يتطور في نفسه من حرفي إلى فنان عبقري قام بخلقه بنفسه.

قام ميكيل انجيلو في فترة من حياته بمحاولة تدمير كافة اللوحات التي قام برسمها ولم يبق من لوحاته إلا عدة لوحات ومنها لوحة باسم دراسة لجذع الذكر التي أكملها أنجلو عام 1550 والتي بيعت في صالة مزادات كريستي بنحو أربعة ملايين دولار، وكانت هذه اللوحة واحدة من عدة رسومات قليلة للأعمال الأخيرة لميكيل انجيلو الذي توفي عام 1564، والتي تبدو أنها تمتّ بصلة إلى شخصية المسيح.

بالرغم من اعتبار رسم اللوحات من الاهتمامات الثانوية عند أنجلو إلا أنه تمكن من رسم لوحات جدارية عملاقة أثرت بصورة كبيرة على منحى الفن التشكيلي الأوروبي مثل تصوير قصة سفر التكوين في العهد القديم على سقف كنيسة سيستاين، ولوحة يوم القيامة على منبر كنيسة سيستاين في روما. ومما يعتبر فريدا في حياة فناني عصر النهضة أن أنجلو كان الفنان الوحيد الذي تمت كتابة سيرته على يد مؤرخين بينما كان على قيد الحياة حيث قام المؤرخ جورجو فازاري بكتابة سيرته وهو على قيد الحياة، ووصف فاساري أنجلو بذروة فناني عصر النهضة.

بلا شك فإن ميكيل انجيلو قد أثر على من عاصروه ومن لحقوه بتأثيرات عميقة فأصبح أسلوبه بحد ذاته مدرسة وحركة فنية تعتمد على تضخيم أساليب مايكل ومبادئه بشكل مبالغ به حتى أواخر عصر النهضة فكانت هذه المدرسة تستقي مبادئها من رسومات مايكل ذات الوضعيات المعقدة والمرونة الأنيقة.

ولد ميكيل انجيلو في قرية كابريزي بتوسكانا وترعرع في فلورنسا حيث كانت مركز النهضة الأوروبية آنذاك، ومن محيطها المليء بمنجزات فناني النهضة السابقين إلى تحف الإغريق المذهلة استطاع مايكل أن يتعلم ويستقي من هذه التحف الكثير عن فن النحت والرسم.

عندما كان صغيرا، كثيرا ما فضل درس الرسم بالمدرسة على عكس رغبة أبيه لودفيكو دي ليوناردو دي بوناروتي دي سيموني الذي كان قاضياً على بلدة كابريزي. وفي النهاية وافق الأب على رغبة مايكل وسمح لهذا الصبي ذي الـ 13 ربيعاً بأن يعمل لدى رسام جص يدعى دومينيكو غيرلاندايو. إلا أن ميكيل انجيلو لم يستطع التوافق مع هذا المعلم وكثيرا ما كان يصطدم معه مما حدا به لينهي عمله لديه بعد أقل من سنة. وعلى الرغم من إنكار ميكيل انجيلو لفضل غيرلاندايو في تعليمه أي شيء إلا أنه من الواضح أن مايكل تعلم فن الرسم الجداري حيث أن رسومه الأولية كانت قد أظهرت طرق ومناهج اتبعها غيرلانדايو.

في سنة 1490-1492 أمضى وقته في منزل لورينزو دي ميديشي المعروف بلورينزو العظيم الراعي الأهم للفنون في فلورنسا وحاكمها. حيث كان المنزل مكانا دائما لاجتماع الفنانين والفلاسفة والشعراء. ومن المفترض أن ميكيل انجيلو قابل وتعلم من المعلم الكهل بيرتولدو الذي كان قد تدرب مع دوناتلو فنان القرن الخامس عشر في فلورنسا.

من خلال مجموعات النخبة الثقافية التي كانت تجتمع في منزل لورينزو شيئا فشيئا أخذ ميكيل انجيلو ينخرط في معتقداتهم ويتبناها فتزايد اهتمامه بالأدب والشعر، كما اهتم بأفكار تدور حول النيوبلاتونيسم (نظام فلسفي يجمع مابين الأفكار الأفلاطونية والمسيحية واليهودية ويدور حول فلسفة تعتبر أن الجسد هو مخزن الروح التي تتوق العودة إلى بارئها، وكثيرا ما فسر النقاد أعمال ميكيل انجيلو على أساس هذه الأفكار وخصوصا أعماله التي تصور الإنسان وكأنه يسعى إلى أفق حر يخلصه من السجن أو الحاجز الذي يعيشه).

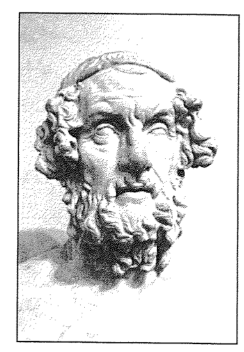
أمنية لورينزو دي ميديشي كانت إحياء الفن الإغريقي واليوناني وهذا ما جعله يجمع مجموعة رائعة من هذه التحف التي أصبحت مادة للدراسة لدى ميكيل انجيلو، ومن خلال هذه المنحوتات والرسوم استطاع مايكل أن يحدد المعايير والمقاييس الحقيقية للفن الأصيل وبدأ يسعى ليتفوق على نفسه من خلال الحدود التي وضعها بنفسه حتى أنه قام مرة بتقليد بعض الأعمال الكلاسيكية الرومانية بإتقان لدرجة أنه تم تداولها على أنها أصلية.

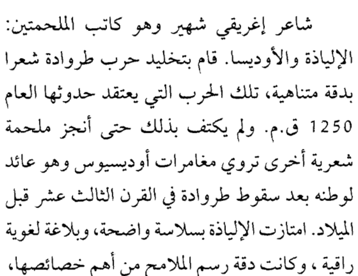
بعد سلسلة من الأحداث السياسية التي أدت إلى تصدع موقع عائلة ميديشي وانهيارها في سنة 1494 في فلورنسا، رحل مايكل إلى البندقية، فبولونيا، وأخيرا إلى روما.

وهناك قام بإبداع أو نحت منحوتة ضخمة لجسد يفوق حجم الإنسان الطبيعي حيث صور باخوس السكير 1496-1498 فلورنسا، إله الخمر الروماني، ويكتسب هذا العمل أهمية خاصة من خلال تصويره لجسد شاب عار يمثل موضوعا من المواضيع الوثنية وليس المسيحية.

كان ميكيل انجيلو إنسانا يتعامل بطريقة متعجرفة مع الآخرين، وكان غير راض عن منجزاته الشخصية. كان أنجلو يعتبر مصدر الفن أحاسيس داخلية متأثرة بالبيئة التي يعيش فيها الفنان، على النقيض من أفكار ليوناردو دا فينشي فقد رأى أنجلو الطبيعة عدوا للفن ويجب القضاء عليه فنرى منحوتاته على هيئة شخصيات قوية وديناميكية منعزلة تماما من البيئة المحيطة الشخصية الرئيسية. فلسفة ميكيل انجيلو الإبداعية كانت تكمن في تحرير الشخصية المحبوسة في رخام التمثال، وكان أنجلو مقتنعا أن لكل صخرة تمثالا مسكونا بداخله وإن وظيفة النحات هو اكتشاف التمثال في ثنايا الصخر.

يعتقد الناقدون أن تركيز أنجلو على جمال الجسد الذكري كانت ضمن موجة عابرة في تلك المرحلة عندما كان إبراز الخصائص العضلية الذكرية إحدى رموز الرجولة في عصر النهضة ولكن البعض يعتقد أن الرسوم والمنحوتات قد تكون تعبيرا عن حب أفلاطوني مكبوت.





هوميروس

شاعر إغريقي شهير وهو كاتب الملحمتين: الإلياذة والأوديسا. قام بتخليد حرب طروادة شعرا بدقة متناهية، تلك الحرب التي يعتقد حدوثها العام 1250 ق.م. ولم يكتف بذلك حتى أنجز ملحمة شعرية أخرى تروي مغامرات أوديسيوس وهو عائد لوطنه بعد سقوط طروادة في القرن الثالث عشر قبل الميلاد. امتازت الإلياذة بسلاسة واضحة، وبلاغة لغوية راقية ، وكانت دقة رسم الملامح من أهم خصائصها، إلى جانب حسن استخدام تقنية التصوير والتشبيه، التي أحصيت - بحسب المترجمين - إلى أكثر من مئة وثمانين تشبيها، تعكس الفعل الملحمي بدقة مفصلة. ويختلف المؤرخون في تحديد الفترة الزمنية التي عاش فيها هوميروس، فمنهم من يقول إنه عاصر حرب طروادة وشارك فيها أي أنه عاش في القرن الثالث عشر ق.م. أما أرجح الأقوال فتؤكد أنه عاش في القرن الثامن أو العاشر ق.م، أي أنه لم يعاصر الحرب ومما يدل على ذلك عدم ورود اسمه بين أسماء المحاربين المشاركين في الحرب.

وتعد الإلياذة أشهر ملاحم الشعوب القديمة قاطبة، وقد أجمع على ذلك النقاد ومؤرخو الأدب وأجمعوا على أنها وزميلتها وقرينتها في الشهرة ملحمة «الأوديسة» هي من تأليف الشاعر الإغريقي القديم هوميروس. وأجمع أكثرهم على أن أحداث الإلياذة وقعت حوالي منتصف القرن الثاني عشر قبل ميلاد المسيح، ولكنهم يختلفون حول شخصية هوميروس نفسه بعضهم يقول إنه لم يكن هناك شاعر بهذا الاسم أصلاً، وبعضهم يقول إن هوميروس شاعر عاش في القرن التاسع قبل الميلاد. أما هيرودوت فيقول إن هوميروس كان من مدينة خيوس القديمة في ولاية يونانية على ساحل الأناضول اسمها ايسونيا ويقول إن هوميروس عاش في القرن السابع قبل الميلاد.

والإلياذة تعنى «قصة اليوم» أو «اليوس» واليوم أو اليوس هي طروادة، المدينة الآسيوية القديمة الواقعة على شاطئ البوسفور حيث وجدت خرائبها تحت تلال الرمال، بعد أن دمرتها القبائل الأيونية والايولية والدورية في حروب طويلة امتدت قرناً كاملاً.

وأغلب الظن أن الحرب نشبت بسبب المنافسة على التجارة والسيطرة البحرية على جزر بحر إيجة وعلى سواحل الأناضول وشمال اليونان. أما هوميروس فقد زعم أن الحرب نشبت بسبب اختطاف الملكة الإغريقية هيلين بيدي الأخير الطروادي، باديس، وزعم أن الحرب استمرت عشر سنوات فحسب. ولكن إلياذة هوميروس لا تحكي قصة الحرب لها. وإنما تحكي قصة «غضب أخيل» بطل أبطال الإغريق في الحرب، وهذه القصة تستغرق العام الأخير من الحرب.

ومن خلال غضب أخيل وأحداث القتال في عامه الأخير يروي هوميروس في حبكة محدودة ومتقنة كيف ولد أخيل، وكيف اختطف باديس هيلين، ويروي تواريخ حياة كل من قادة الإغريق وتاريخ طروادة قبل الحرب، كما يروي ملخصاً لكل ما حدث في السنوات التسع التي استمر خلالها الحصار. فإلياذة هوميروس تبدأ بالمشاجرة التي وقعت بين أخيل وبين «ملك الرجال» أجامنون، وتنتهي الإلياذة بتمزيق جثة هكتور بطل طروادة وابن ملكها. ولكن هوميروس يروي من خلال هذه الحبكة المحددة الضيقة أحداث السنوات التي تسبق المشاجرة، ويروي الأحداث التي تقع زمنياً بعد جنازة هكتور من مقتل أخيل وفتح طروادة وتدميرها.

وقد ترجمت الإلياذة إلى كل لغات العالم تقريباً، وترجمت إلى الإنجليزية أكثر من خمس عشرة ترجمة قام بها عدد من كبار الشعراء الإنجليز. وقد استند دريني خشبة في «صياغته» العربية للإلياذة على أربع من هذه الترجمات الإنجليزية. استند إلى ترجمة جورج تشابمان في القرن السابع عشر، وهي أفضل الترجمات الإنجليزية، وتكاد تكون إعادة لصياغة الملحمة بأسلوب وبناء يتلاءمان مع ذوق العصر الإليزابيثي في انجلترا. واستند «خشبة» أيضاً إلى ترجمة ويليام كاوبر في القرن الثامن عشر، والى ترجمه الكسندر بوب في القرن الثامن عشر أيضاً، وإلى ترجمة ويليام ايرل أوف دربي في القرن التاسع عشر.

واتبع الكاتب العربي في صياغته للإلياذة ثم للأوديسة من بعدها نفس الطريقة التي اتبعها جورج تشابمان هي إعادة كتابة ملحمة هوميروس بالأسلوب وبالبناء اللذين يعتقد أنها أصلح لعصره وأكثر ملاءمة للغته. إن الأحداث التي سيجدها القارئ هنا سابقة لبداية أحداث الملحمة الأصلية أو تالية لنهايتها، موجودة بنفس النسيج داخل الملحمة الأصلية، ولكن «دريني خشبة» حاول أن «يفرد» هذه الأحداث، وأن يضعها في مكان من البناء الفني يتلاءم مع التسلسل الطبيعي للزمن، لكي يحصل على أكبر قدر ممكن من

تسلسل الأحداث للملحمة بحيث لا يخل بحبكتها الرئيسية. وربما كان ما دفعه إلى اتباع هذا المنهج هو ما اعتقده من أن بعد جو الملحمة عن قرائه، وعدم معرفة غالبيتهم بأسماء الأبطال والآلهة وتواريخهم ولا بأسماء الأماكن ومواقعها، قد تؤدي كل هذه العوامل إلى إبهام الملحمة وغموضها أمام القارئ العربي. ومن ناحية أخرى فقد آثر دريني خشبة أن يلخص بعض المقاطع التي لا تروي حادثة متعلقة مباشرة بحبكة الملحمة أو بوقائعها الرئيسية، كما حذف مقاطع أخرى رأى أنها قد تؤذي السياق الجديد في الصياغة العربية بأبعاد القارئ عن مجرى الأحداث.

يجمع العلماء أن هذه الحرب الضروس التي تصور الإلياذة جزءاً هاماً منها وقعت في الفترة من 1280 ـ 1183 ق.م فيما كتب هوميروس تلك الملحمة الخالدة بعد ذلك بثلاثة قرون، ويجمعون على أن هوميروس أهم، شعراء الإغريق، كان عبقريا وكان ضريراً، وأنه صاغ الإلياذة في 16 ألف بيت من الشعر الملحمي فمن أين استمد هوميروس ما كتبه؟

يجيب على هذا السؤال الدكتور أحمد عتمان أستاذ الدراسات الكلاسيكية، ورئيس الجمعية المصرية للدراسات اليونانية والرومانية، وقد قام الدكتور عتمان مؤخراً على رأس فريق من أساتذة الدراسات الكلاسيكية بترجمة الإلياذة من الإغريقية إلى العربية مباشرة.

أما الفريق الذي قام بالعمل معه، فيتكون من: د. لطفي عبد الوهاب يحيى، أستاذ تاريخ الحضارة الكلاسيكية بجامعة الإسكندرية، ود. منيرة كروان، الأستاذ بقسم الدراسات اليونانية واللاتينية بآداب القاهرة، ود. عادل النحاس المدرس بقسم الدراسات اليونانية واللاتينية بآداب القاهرة ود. السيد البراوي المدرس بنفس القسم.. قبل هذه الترجمة التي صدرت عن المجلس الأعلى للثقافة كانت هناك محاولات جادة قام بها سليمان البستاني الذي ترجم الإلياذة عن الفرنسية واستمر عمله لمدة 20 عاما، إلى أن صدرت عام 1904 وكانت هذه الترجمة قد لفتت الأنظار إلى الدراسات الكلاسيكية، فأقام الدكتور طه حسين قسما خاصا بها عام 1925.

وأمام هذه الجهود وجهت لجنة ترجمة الإلياذة بإشراف د. أحمد عتمان التحية إلى سليمان البستاني. وكلمة الإلياذة حسب مقدمة الدكتور عتمان معناها قصة إليوس أو قصة إليون وهما الاسمان اللذان يشيران إلى المدينة التي عُرفت باسم طروادة، إذن الإلياذة هي قصة طروادة وهي المدينة التي عرفت في التاريخ بتربية وترويض الخيول، كما عرفت

بمناجم الذهب وكانت تتحكم في أهم موارد المياه في العالم القديم، ولها أهمية اقتصادية وتجارية تجعل منها مطمعاً للغزاة. تبدأ الإلياذة بأسباب غزو الإغريق لطروادة وهى أسباب أسطورية يسوقها هوميروس الذي عاش في القرن الثامن قبل الميلاد حيث يقوم الأمير الطروادي باريس بخطف هيلين زوجة ملك اسبرطة الإغريقي مينيلاؤس فيقوم الأخير بشن الحرب.

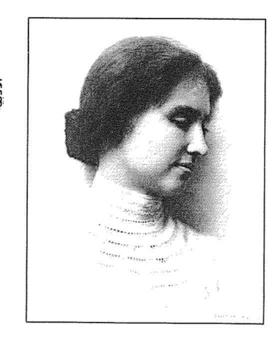
ويرى د. عتمان أن هذا السبب ليس سوى ذريعة لتبرير الحرب والسيطرة على طروادة واحتلالها وهى الرؤية الشاعرية والملحمية لحرب حقيقية. وحرب طروادة حسب الإلياذة حرب أسطورية ملحمية أبطالها من الملوك والأمراء وآلهة الإغريق، الذين ينزلون إلى الحرب بأنفسهم ويخوضون القتال إلى جانب شعبهم، وكان الإغريق قبل كتابة الإلياذة أو بالأحرى قبل صياغتها وتدوينها على يد هوميروس، كانوا لا يعرفون الكتابة والتدوين ولم يكن لديهم أبجدية يقيدون بها أفكارهم، ومن ثم كانت السيادة للشفاهية أي للنقل الشفاهي وكان الشعراء الملحميون الجوالون يرددون على قيثاراتهم في أنحاء بلاد الإغريق أناشيد وأغاني وتراتيل ونصوصا تصف الحرب الطروادية، وتروي بطولات الرجال وفروسيتهم وأمجادهم، وظلت أحداث الحرب على ألسنة الشعراء الملحميين الجوالين يضيفون إليها جيلاً بعد جيل ما تجود به قرائح الخيال، واستمر هذا الحال لمدة ثلاثة قرون، إلى أن جاء هوميروس العبقري الضرير، وأخذ هذه الأغاني والأناشيد والتراتيل وطورها واستمد تشبيهاته الشعرية من بيئته المعاصرة مما يؤكد أنه كتب الإلياذة في عصر مختلف عن عصر الحرب.

وعن أسلوب هوميروس وشاعريته يضيف أحمد عتمان لا يملك المرء وهو يقرأ الإلياذة إلا أن يعبر عن بالغ دهشته وإعجابه بحس هوميروس ووعيه بدقائق النفس الإنسانية وكذا بقوته وليونته ووضوح رؤيته وسعة أفقه وسلامة تأملاته في الإنسان والطبيعة، وانه أروع مثال للفنان العظيم.

أما أوديسا فهي وصف للرحلة العجائبية التي قام بها البطل أوديسا نفسه وأحداثها أيضا تتكلم عن زمن حرب تروي. أوديسا كان عكس اشليز، فلم يكن من الأبطال الشجعان في الحرب، لكنه أصبح مشهورا لقدرته الخارقة في الخداع والمكر.

كانت خطة أوديسا بان يخدع أهالي تروي بان يعطيهم عبر تفاوض حقل (حصان الغابات) الذي هو حقل لم يكن معروفا لهم، فتدخلت الآلهة مرة أخرى وتأخرت الحرب

عشر سنوات بسبب حجز أوديسا في إحدى الجزر مع إحدى الإلهات التي تدعى كاليبسو، وهنا أيضا وبعد عودته وانتهاء المعركة وضع أوديسا أمام خيارين مثل اشليز إما البقاء مع الإلهة كاليبسو (خالدا مثل الآلهة) التي كان يعيش معها خلال تسع سنوات من غيابه أو العودة إلى الوطن والعيش مع زوجته مثل بقية الناس دون أي اثر لخلوده. فاختار العودة إلى وطنه وقضى بقية عمره في البحث عن معنى الخلود والحصول عليه.



هيلين كيلر

(1880-1968م)

أديبة ومحاضرة وناشطة أمريكية، وهي تعتبر إحدى رموز الإرادة الإنسانية، حيث إنها كانت فاقدة السمع والبصر، واستطاعت أن تتغلب على إعاقتها وتم تلقيبها بمعجزة الإنسانية لما قاومته من إعاقتها حيث أن مقاومة تلك الظروف كانت بمثابة معجزة.

ولدت هيلين كيلر في مدينة توسكومبيا في ولاية ألاباما بالولايات المتحدة الأمريكية عام 1880م، وهي ابنة الكابتن ارثر كلير وكايت ادامز كيلير. وتعود أصول العائلة إلى ألمانيا. لم تولد هيلين عمياء وصماء لكن بعد بلوغها تسعة عشر شهرًا أُصيبت بمرض شخصه الأطباء أنه التهاب السحايا والحمى القرمزية أفقدها السمع والبصر، في ذلك الوقت كانت تتواصل مع الآخرين من خلال مارتا واشنطن ابنة طباخة العائلة التي بدأت معها لغة الإشارة وعند بلوغها السابعة أصبح لديها 60 إشارة تتواصل بها مع عائلتها.

في سنة 1886 ألهمت والدتها بقصة لورا بردجمام التي كانت أيضا عمياء وصماء واستطاعت الحصول على شهادة في اللغة الإنجليزية. فذهبت إلى مدينة بالتمور لمقابلة طبيب مختص بحثا عن نصيحة، فأرسلها إلى ألكسندر غراهام بل الذي كان يعمل آنذاك مع الأطفال الصم فنصح والديها بالتوجه إلى معهد بركينس لفاقدي البصر حيث تعلمت لورا بردجهام. وهناك تم اختيار المعلمة آن سوليفان التي كانت في العشرين من عمرها لتكون معلمة هيلين وموجهتها ولتبدأ معها علاقة استمرت 49 سنة.

حصلت آن على إذن وتفويض من العائلة لنقل هيلين إلى بيت صغير في حديقة المنزل بعيدا عن العائلة، لتعلّم الفتاة المدللة بطريقة جديدة فبدأت التواصل معها عن طريق كتابة الحروف في كفها وتعليمها الإحساس بالأشياء عن طريق الكف. فكان سكب الماء على يدها يدل عن الماء وهكذا بدأت التعلم ومعرفة الأشياء الأخرى الموجودة حولها ومن بينها لعبتها الثمينة.

في سنة 1890 عرفت هيلين بقصة الفتاة النرويجية راغنهيلد كاتا التي كانت هي أيضا صماء وبكماء لكنها تعلمت الكلام. فكانت القصة مصدر الهام لها فطلبت من معلمتها تعليمها الكلام وشرعت آن بذلك مستعينة بمنهج تادوما عن طريق لمس شفاه الآخرين وحناجرهم عند الحديث وطباعة الحرف على كفها. لاحقا تعلمت هيلين طريقة برايل للقراءة فاستطاعت القراءة من خلالها ليس فقط باللغة الإنجليزية ولكن أيضا بالألمانية واللاتينية والفرنسية واليونانية.

بعد مرور عام تعلمت هيلين تسعمائة كلمة، واستطاعت كذلك دراسة الجغرافيا بواسطة خرائط صنعت على أرض الحديقة كما درست علم النبات.

وفي سن العاشرة تعلمت هيلين قراءة الأبجدية الخاصة بالمكفوفين وأصبح بإمكانها الاتصال بالآخرين عن طريقها.

ثم في مرحلة ثانية أخذت سوليفان تلميذتها إلى معلمة قديرة تدعى (سارة فولر) تعمل رئيسة لمعهد (هوارس مان) للصم في بوسطن وبدأت المعلمة الجديدة مهمة تعليمها الكلام، بوضعها يديها على فمها أثناء حديثها لتحس بدقة طريقة تأليف الكلمات باللسان والشفتين.

وانقضت فترة طويلة قبل أن يصبح باستطاعة أحد أن يفهم الأصوات التي كانت هيلين تصدرها.

لم يكن الصوت مفهوماً للجميع في البداية، فبدأت هيلين صراعها من أجل تحسين النطق واللفظ، وأخذت تجهد نفسها بإعادة الكلمات والجمل طوال ساعات مستخدمة أصابعها لالتقاط اهتزازات حنجرة المدرسة وحركة لسانها وشفتيها وتعابير وجهها أثناء الحديث.

وتحسن لفظها وازداد وضوحاً عاماً بعد عام في ما يعد من أعظم الانجازات الفردية في تاريخ تربية وتأهيل المعوقين. ولقد أتقنت هيلين الكتابة وكان خطها جميلاً مرتباً.

ثم التحقت هيلين بمعهد كامبردج للفتيات، وكانت الآنسة سوليفان ترافقها وتجلس بقربها في الصف لتنقل لها المحاضرات التي كانت تلقى وأمكنها أن تتخرج من الجامعة عام 1904م حاصلة على بكالوريوس علوم في سن الرابعة والعشرين.

ذاعت شهرة هيلين كيلر فراحت تنهال عليها الطلبات لإلقاء المحاضرات وكتابة المقالات في الصحف والمجلات.

بعد تخرجها من الجامعة عزمت هيلين على تكريس كل جهودها للعمل من أجل المكفوفين، وشاركت في التعليم وكتابة الكتب ومحاولة مساعدة هؤلاء المعاقين قدر الإمكان.

وفي أوقات فراغها كانت هيلين تخيط وتطرز وتقرأ كثيراً، وأمكنها أن تتعلم السباحة والغوص وقيادة العربة ذات الحصانين.

ثم دخلت في كلية (رادكليف) لدراسة العلوم العليا فدرست النحو وآداب اللغة الإنجليزية، كما درست اللغة الألمانية والفرنسية واللاتينية واليونانية.

ثم قفزت قفزة هائلة بحصولها على شهادة الدكتوراه في العلوم والدكتوراه في الفلسفة.

في الثلاثينات من القرن الماضي قامت هيلين بجولات متكررة في مختلف أرجاء العالم في رحلة دعائية لصالح المعوقين للحديث عنهم وجمع الأموال اللازمة لمساعدتهم، كما عملت على إنشاء كلية لتعليم المعوقين وتأهيلهم، وراحت الدرجات الفخرية والأوسمة تنهال عليها من مختلف العالم.

ألفت هيلين كتاب (أضواء في ظلامي) وكتاب (قصة حياتي في 23 فصلا و 132 صفحة في 1902)، وكانت وفاتها عام 1968م عن ثمانية وثمانين عاماً.





أعظم شخصيات التاريخ

السياسية





الشريف الحسين بن علي
شريف وأمير مكة وملك الحجاز
(1854-1931م)

هو الحسين بن علي بن محمد بن عبد المعين ابن عون، من أحفاد أبي نمي ابن بركات الحسني الهاشمي: أول من نادى من الحجاز باستقلال العرب عن الدولة العثمانية، وآخر من حكم مكة من الأشراف الهاشميين. ولد في الآستانة سنة 1270هـ-1854م، وكان أبوه منفياً بها. وانتقل معه إلى مكة، وعمره ثلاث سنوات. قاد الثورة العربية الكبرى عام 1916.

تأدب وتفقه ونظم الشعر، ومارس ركوب الخيل وصيد الضواري. وأحبه عمه الشريف عبد الله باشا، أمير مكة، فوجهه في المهمات، فدخل نجداً، وأحكم صلته بالقبائل. ومات أبوه وعمه، وآلت إمارة مكة إلى عمه الثاني عون الرفيق، فلم يتحمل عمه هذا تدخله في شؤون الإمارة، وكانت تابعة للدولة العثمانية، فطلب إبعاده من الحجاز، فنفي إلى الآستانة سنة 1309هـ، وجعل من أعضاء مجلس شورى الدولة، وأقام إلى أن توفي عون الرفيق، ثم عمه الثالث الشريف عبد الإله، فعين أميراً لمكة سنة 1326هـ، فعاد إليها وقاد حملة إلى بلاد عسير، نجدة للعثمانيين، فقاتل صاحبها يومئذ الإدريسي.

ونشبت الحرب العالمية الأولى سنة 1332هـ-1914م، ونمت روح النقمة على العثمانيين في بلاد الشام والعراق والحجاز، وانتهز البريطانيون الفرصة، وهم في حرب مع دولة آل عثمان والألمان، فاتصلوا بالشريف حسين من مصر، ووعدوه ومَنَّوه بملك عريض وهو آسيا العربية كاملة إن هو عاونهم وثار على العثمانيين (من خلال ما عرف بمراسلات حسين مكماهون) فأعلن الثورة العربية الكبرى، وأطلق رصاصته الأولى بمكة في 9 شعبان 1334هـ-1916م، وخاصر من كان في بلاد الحجاز من العثمانيين، وأمده حلفاؤه الإنجليز بالمال والسلاح، ونُعِت بالملك المنقذ، ووجه ابنه فيصلاً على رأس جيش كبير إلى سورية فدخلها مع الجيش البريطاني.

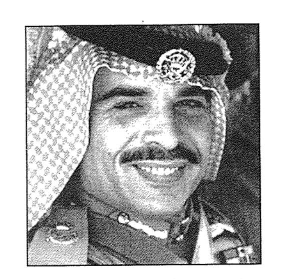
وبانتهاء الحرب سنة 1918م تم استيلاء الحسين على الحجاز كله. وأرسل ابنه الثاني عبدالله بجيش كبير لإخضاع واحتي تَرَبَة والخُرمة في شرقي الطائف، وكانتا مواليتين لابن

سعود، الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن، زعيم نجد في ذلك الحين، فعسكر بينهما. وباغته بعض رجال الواحتين يقودهم بعض الموالين لابن سعود سنة 1337هـ-1919م، فانهزم عبد الله بن الشريف حسين وفر بفلول قليلة من عساكره.

وأضاع الحسين في هذه الحملة أكبر قوة جمعها. وأخرج الفرنسيين ابنه فيصلاً من سورية بعد معركة ميسلون سنة 1920م واحتلوها، فاستنجد بعض زعمائها بالحسين، فوجه عبد الله ليثأر لأخيه، أو ليجمع على حدود سورية قوة تكون نواة لجيش يقلق المحتل. واقترب منها عبد الله ونزل ببلدة عمّان ودعاه الإنجليز إلى القدس فاتفقوا معه على أن تكون له إمارة شرقي الأردن، فأقام بعمّان، واستفحلت ثورة العراق على الإنجليز، فساعدوا فيصلاً على تولي العرش ببغداد، فتولاه. وأصبح للحسين وهو بالحجاز جناحان قويان: فيصل في شمال الجزيرة العربية وعبد الله في شمالها الغربي. وبادره ابن سعود راغباً في مصافاته، لكن ذلك لم يحدث. وزار عمّان سنة 1924م فبايعه أناس بالخلافة وعاد إلى مكة ملقباً بأمير المؤمنين.

واشتد التوتر بينه وبين ابن سعود، فأقبلت جموع من نجد وتَرَبَة والخُرمة إلى مدينة الطائف، وانتصرت على جيش الحسين المرابط فيها، واحتلتها، فاتصل بالقنصل البريطاني في جدة فأجابه هذا بأن حكومته قررت الحياد. واجتمع بجدة بعض ذوي الرأي من أهلها ونصحوا الحسين بالتخلي عن العرش لأكبر أبنائه علي ففعل.

وانتقل من مكة إلى جدة سنة 1343هـ-1924م، فركب البحر إلى العقبة، آخر حدود الحجاز في الشمال، وكانت ولاية ابنه عبد الله. وأقام عدة أشهر. ثم أخبره ابنه بأن البريطانيين يرون أن بقاءه فيها (العقبة) قد يحمل ابن سعود على مهاجمتها. وتلقى إنذاراً بريطانياً بوجوب رحيله عنها. ووصلت إلى مينائها مدرَّعة بريطانية، ركبها (وهو ساخط) إلى جزيرة قبرص سنة 1925م، وأقام فيها ست سنين، ثم إنه مرض فأذن له الإنجليز بالعودة إلى عمّان. وجاءه ولداه فيصل و عبد الله، فصحباه إليها. ومكث معتلاً ستة أشهر وأياماً، ووافته المنية سنة 1350هـ- 1931م، فحمل إلى القدس ودفن فيها.



الملك الحسين بن طلال

(1935-1999م)

ولد في عمّان في 14 نوفمبر سنة 1935، وكان الابن البكر لطلال بن عبد الله والأميرة زين الشرف بنت جميل، وكان له أختان هما أسماء التي ماتت صغيرة وبسمة، وثلاثة إخوة هم محمد ومحسن الذي مات صغيرا والحسن. تلقى تعليمه الابتدائي في عمّان ثم انتقل إلى الإسكندرية حيث درس في كلية فكتوريا، وبعدها سافر إلى بريطانيا ليدرس في أكاديمية ساندهيرست العسكرية الملكية عام 1950.

في 20 يوليو 1951، ذهب الملك عبد الله بن الحسين «الأول» إلى القدس ليؤدي صلاة الجمعة في المسجد الأقصى مع حفيده الأمير حسين، وفي طريقه إلى المسجد، تم اغتيال عبد الله بسلاح ناري أطلقه مصطفى شكري عشي. فارداه قتيلاً على درجات الحرم القدسي. توج الابن الأكبر لعبد الله الملك طلال بن عبد الله كخلف لوالده، ولكن خلال عام، تنحى بسبب مرض ألم به طويلا، فأعلن ابنه الأمير حسين ملكا على الأردن في 11 أغسطس سنة 1952 وكان عمره آنذاك 17 سنة ولم يكن قد بلغ السن القانونية، فشُكّل مجلس للوصاية على العرش، وتم تتويجه ملكا في 2 مايو 1953.

عرّب قيادة الجيش العربي الأردني عام 1956 والذي من ضمنه إعفاء جلوب باشا من مهامّه، وخاض جيشه في حرب 1967، كما خاض الجيش الأردني في عهده معركة الكرامة مع إسرائيل والتي انتصر فيها.

على مستوى التطوير الإنساني، كثف الملك حسين جهده في بداية فترة حكمه عام 1953 في تطوير شبكات الماء والكهرباء وشبكات الصرف التي كانت متوفرة لـ 10٪ فقط من سكان الأردن، وصلت تلك النسبة إلى 99٪ في نهاية فترة حكمه، وفي عام 1960 كان المستوى التعليمي للشعب الأردني متدنيا، إذ كانت نسبة المتعلمين تصل إلى 33٪ من الأردنيين، أما في عام 1996 فوصلت النسبة إلى 85.5٪، وفي عام 1961 كان معدل السعرات الحرارية المتوفرة للفرد الأردني عن طريق الأغذية تقدّر بـ 2198 سعرة

حرارية، حيث ارتفعت هذه النسبة عام 1992 لتصل إلى 3022 سعرة حرارية بزيادة نسبتها 37.5٪. وتشير إحصائيات اليونيسيف إلى انه ما بين عامي 1981 و 1991، حظي الأردنيون بأقل معدل وفيات أطفال في سنتهم الأولى، حيث انخفضت نسبة وفيات الأطفال من 70 حالة وفاة في الألف عام 1981 إلى 37 حالة في الألف عام 1991، أي بانخفاض 47٪.

في 1994 م قاد الملك حسين المفاوضات مع إسرائيل لإنهاء حالة الحرب الرسمية، وأسفرت المفاوضات عن اتفاق سلام أردني إسرائيلي عرف باسم اتفاق وادي عربة.

كان الحسين طيارا متميزا، كما كان قائد درجات نارية وسائق سيارات سباق بارعا، أحب الرياضات المائية، التزلج، التنس، كما كان هاوي راديو، وتصفح الانترنت، كان مطلعا في قراءاته على العلاقات السياسية، التاريخ، القانون الدولي، العلوم العسكرية، وفنون الطيران، كما كان حسين موضوع عدة كتب، ثلاثة منها من تأليفه هي كتاب مشاغل الملوك (1962) والذي تناول طفولته وسنوات حكمه الأولى وكتاب حربي مع إسرائيل (1969) وكتاب مهنتي كملك.

نجا الحسين من عدة محاولات اغتيال، وفي 7 فبراير 1999، مات اثر إصابته بسرطان في جهازه البولي، وكان قد عانى من السرطان لعدة سنوات، وكان يزور مشفى مايو كلينيك في روتشستر في ولاية مينيسوتا الأمريكية بشكل دوري للعلاج، وقبل موته بوقت قصير، غير وصيته بإعلانه ابنه عبد الله بن الحسين خلفا له بدل أخيه الحسن بن طلال، وكان الملك حين وفاته، الحاكم الأطول بقاء في السياسة الدولية. وظهر ذلك في جنازته التي سجلها التاريخ على أنها واحدة من أكثر الجنازات حضورا للزعماء.

وحضر جنازته قادة الدول العربية وقادة الدول الغربية في ذلك الوقت ورؤساء سابقون من بينهم بل كلينتون وجورج بوش الأب وجيمي كارتر وجيرالد فورد، وعكس حضور الرؤساء الأمريكيين العلاقات المتينة والمتميزة التي ربطته بالولايات المتحدة الأمريكية منذ فترة أيزنهاور، وكانت النظرة الأخيرة قد ألقيت على الملك في القاعة الملكية للأسرة الحاكمة.

أرسلت بريطانيا رئيس وزرائها توني بلير والأمير تشارلز، وحضر الرئيس الفرنسي جاك شيراك والمستشار الألماني جيرهارد شرودر. وجمعت الجنازة شخصيات متعددة، من

بينها الرئيس السوري حافظ الأسد والقائد الفلسطيني ياسر عرفات، وأرسل الرئيس الليبي معمر القذافي ابنه الأكبر، وحضر الرئيس التشيكي فاتسلاف هافيل والرئيس الروسي بوريس يلتسن، رغم كونهما مريضين بشكل جدي، وحضر يلتسن رغم نصائح أطبائه بعدم الذهاب، وطبقا للمصادر الأردنية الرسمية، عاد يلتسن إلى الوطن قبل الموعد المقرر لأسباب صحية. خلف الملك حسين ابنه الأكبر الملك عبد الله الثاني بن الحسين.



الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود
(1880-1953 م)

الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود مؤسس المملكة العربية السعودية الحديثة (الدولة السعودية الثالثة). ولد في عام 1880 (وقيل 1876) لأسرة آل سعود الحاكمة في نجد، ولما بلغ العاشرة من عمره انتقل مع عائلته إلى منفاها في الكويت بعد انتصار آل رشيد أمراء حائل على آل سعود، وقضى طفولته فيها.

في عام 1901 وعندما بلغ عبد العزيز 18 سنة، طلب عبد العزيز من والده، الإمام عبدالرحمن، السماح له باستعادة حكم أسرته، إلا أن والده لم يسمح له بذلك، خوفا عليه من عدوه الذي يفوقه في العدد والعدة، لكن عبد العزيز نجح في إقناع والده، فقام بصحبة 60 رجلاً باستعادة الرياض عام 1902 بعد أن قضى زمنا في التدريب في صحراء الأحقاف التي تسمى أحيانا بالربع الخالي وقتل الحاكم المحلي وقام بعمله هذا على تشجيع القبائل في الجزيرة العربية في تقديم الدّعم والتأييد له بعدما فقد آل سعود الدّعم بعد منفاهم إلى الكويت. ثم توجه إلى المقاطعات الجنوبية من نجد، وهي الخرج والحوطة والحريق والأفلاج ووادي الدواسر، فاستردها من آل رشيد سنة 1903 م. ثم استرد القصيم عام 1904.

وفي العامين الذين تليا سقوط الرياض، استمر ابن سعود في السيطرة على باقي الأراضي النجدية حتى تمكّن من السيطرة على نصف نجد مما دعا ابن الرشيد لالتماس العون من الدولة العثمانية. فقامت الدولة العثمانية بإرسال قوّة لدحره، واستطاعت القوة التركية إلحاق الهزيمة بابن سعود إلاّ أنه تمكّن من إعادة تشكيل قوّاته بعد رحيل القوات التركية بسبب مشاكل في التموين في جزيرة العرب.

وفي عام 1915 دخلت بريطانيا في معاهدة القطيف أو دارين مع ابن سعود والتي تقضي بحماية الأراضي التي يسيطر عليها ابن سعود مقابل دحر ابن سعود آل رشيد الموالين للدولة العثمانية.

لم يقم عبد العزيز (الذي حاول الحفاظ على دولته بعيداً عن التورط في الحرب) ولم ينجح في ذلك بالرغم من الإمداد المستمر للسلاح البريطاني والمعونات المالية التي صُرفت

له وكانت 5000 جنيه إسترليني كل شهر، وتعذّر بأن التمويل الإنجليزي غير كاف لشنّ هجوم على آل رشيد ولم يحاول عبد العزيز القيام بأي عمل هجومي على ابن الرشيد غريمه القوي.

وفي عام 1919 شنّ الإخوان الموالون للملك عبد العزيز، هجوماً على الشريف حسين شريف مكة في معركة تربة، وسهل الأشراف للجيش الدخول إلى الطائف وقد انسحب الشريف عبد الله بن الحسين إلى الهدا من ضواحي الطائف وقامت فيها معركة أخرى غير متكافئة لعدم وجود السلاح مع الشريف. وبحلول عام 1922 تمكّن من السيطرة على الأراضي التي كانت تحت سيطرة الشريف الحسين بن علي. وتوّج عبد العزيز انتصاراته بهزيمة الشريف حسين في عام 1925.

أدركت الحكومة البريطانية قوة عبد العزيز وسيطرته على معظم المملكة العربية السعودية الحالية، فدفع ذلك عبد العزيز بن سعود لعقد معاهدة جدة عام 1927 مع بريطانيا لينهى اتفاقية دارين 1915 السابق ذكرها. وفي هذه الأثناء غيّر عبد العزيز لقبه من سلطان نجد إلى ملك نجد والحجاز.

ومن عام 1927 إلى عام 1932 استطاع عبد العزيز السيطرة على الجزيرة العربية بأكملها. فقام بتغيير اسم المنطقة من أرض نجد والحجاز إلى المملكة العربية السعودية، ونصّب نفسه ملكاً على المملكة حديثة النشوء.

في 17 جمادى الأولى 1351هـ/ 1932م، أصدر الملك عبد العزيز قراراً يعلن فيه عن نظام توحيد المملكة، وتحديد يوم الخميس 21 جمادى الأولى يوماً لإعلان توحيدها تحت اسم «المملكة العربية السعودية»؛ فتوحدت جميع أجزاء المملكة العربية السعودية بشكل رسمي يوم 21-5-1351هـ / 22-9-1932م. ثم اتجه بنظره تجاه عسير وعقد معاهدة الطائف بينه وبين اليمن لتحل المشاكل الحدودية بين اليمن والسعودية عام 1934.

موقف الأمير عبد العزيز أثناء الحرب العالمية الأولى هو: من الناحية السياسية إلى جانب الحلفاء، أما من الناحية العسكرية فهو لم يتخذ أي إجراء أو يشارك في أي معركة إلا إذا كانت تصب - أولاً وقبل كل شيء - في مصلحته.

فقد كانت بريطانيا طوال الفترة السابقة للحرب تتجنب الدخول في أي نوع من العلاقات معه وتقف موقفاً سلبياً تجاه ما أبداه مراراً من إيجاد نوع من العلاقة يحفظ بها

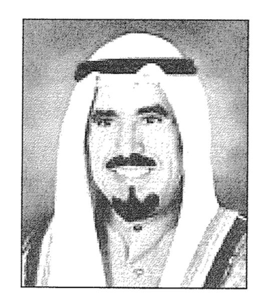
شيئاً من التوازن مع الضغط العثماني المستمر ضده، فإذا هي بعد قيام الحرب تسارع بالاتصال به وتمخضت المفاوضات عن إبرام المعاهدة المعروفة بمعاهدة دارين بتاريخ 18صفر 1334هـ/ 26ديسمبر 1915م. واعتبار الأمير عبد العزيز منحازاً إلى جانب بريطانيا وحلفائها ضد الدولة العثمانية وحلفائها.

امتنع عبد العزيز طوال الحرب العالمية الأولى عن القيام بأي عمل عسكري ضد الشريف حسين حليف بريطانيا، وركز جهوده على مقارعة ابن الرشيد المنحاز للدولة العثمانية، والواقف بالتالي ضد بريطانيا وحلفائها، إلا أنه وقعت مناوشات بين الطرفين في كل من الخرمة وتربة التي عسكرت فيها قوات الحسين حول تبعية بلدتي تربة والخرمة، إذ يرى عبد العزيز أنهما من أراضي نجد، بينما يرى الشريف حسين أنهما من الحجاز، وفي شعبان من عام 1337هـ/ 1918م زحف عبد الله ابن الشريف حسين إلى «تربة» التي احتلها في الرابع والعشرين من الشهر نفسه، وفي الوقت نفسه بعث الملك عبد العزيز بسرية من الإخوان إلى جهة الخرمة لدعم أميرها خالد بن لؤي، فاتجه خالد والسرية التي جاءت لدعمه نحو «تربة»، فهزموا جيش الأمير عبد الله في الخامس والعشرين من شعبان، وبذلك صار الملك عبد العزيز حاكماً على نجد والحجاز منذ عام 1344هـ/ 1925م.

حرص عبد العزيز على اتّخاذ المملكة العربية السعودية موقف المحايد في الحرب العالمية الثانية. شاركت قوات سعودية في حرب عام 1948 في فلسطين.

توفي الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن بقصره بمحافظة الطائف التابعة لمنطقة مكة في الساعة: 4:36 ص. من يوم الاثنين 3\3\1373هـ. اثر نوبة قلبية بعد معاناته من مرض تصلب الشرايين وصلي عليه في الحوية ثم نقل جثمانه من مطار الطائف إلى مطار الرياض حيث دفن في مقابر العود. بعد حكم دام اثنتين وخمسين سنة وبلغ من العمر ثمانين سنة.

الملك عبد العزيز أب لجميع ملوك المملكة العربية السعودية بدءاً من الملك سعود بن عبد العزيز الذي خلف أباه الملك عبد العزيز في عام 1953 ومن ثم الملك فيصل بن عبد العزيز ومن ثمّ الملك خالد بن عبد العزيز ومن ثم الملك فهد بن عبد العزيز وأخيراً الملك عبد الله بن عبد العزيز الملك الحالي للمملكة العربية السعودية وولي العهد الأمير سلطان بن عبد العزيز والنائب الثاني الأمير نايف بن عبد العزيز وينص القانون الملكي السعودي على أن يكون الملك من أبناء الملك عبد العزيز وأبناء الأبناء.



جابر الأحمد الصباح

(1926-2006م)

الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح الحاكم الثالث عشر للكويت والثالث بعد الاستقلال من بريطانيا، من مواليد 29 مايو 1926 وتوفي في 15 يناير 2006، الابن الثالث للشيخ أحمد الجابر الصباح من الشيخة بيبي السالم الصباح ابنة حاكم الكويت التاسع الشيخ سالم المبارك الصباح، تلقى تعليمه في المدرسة المباركية والمدرسة الأحمدية، وفي عام 1949 عينه الشيخ أحمد الجابر الصباح نائبا له في الأحمدي وكان المسؤول العام عن المدينة، وفي عام 1959 عينه الشيخ عبد الله السالم الصباح رئيسا لدائرة المال والأملاك العامة وكان رئيسا لمجلس النقد الكويتي، وقام في 1 ابريل 1961 بإصدار أول عملة في الكويت، وتحمل العملة توقيعه، وعندما استقلت الكويت في 19 يونيو 1961 عين وزيرا للمالية والصناعة في الحكومة الأولى التي كانت برئاسة الشيخ عبد الله السالم الصباح، وعندما تولى الشيخ صباح السالم الصباح رئاسة الحكومة أصبح نائبا لرئيس مجلس الوزراء، وفي 30 نوفمبر 1965 بعد وفاة الشيخ عبد الله السالم الصباح واستلام صباح السالم الصباح الحكم عينه رئيسا لمجلس الوزراء، وفي 5 يونيو 1967 أصبح حاكما عرفيا للكويت بعد تطبيق الأحكام العرفية، وفي 1 يناير 1968 رفعت الأحكام العرفية، وفي 31 ديسمبر 1977 أصبح أميرا للكويت بعد وفاة الشيخ صباح السالم الصباح بعد أن تولى رئاسة مجلس الوزراء لمدة 13 عاما، وكان صاحب فكرة إنشاء مجلس التعاون الخليجي الذي أنشئ في 1981، وفي يوم 25 مايو 1985 تعرض لمحاولة اغتيال نجا منها، وفي 2 أغسطس 1990 غزت العراق الكويت، واستخدم كافة الوسائل لتحرير الكويت، وتحقق ذلك في 26 فبراير 1991 بعد حرب الخليج الثانية. وقد نال شهادة دكتوراه فخرية من قبل جامعة اليابان في 14 أكتوبر 1965.

وقد اختير في عام 1995 شخصية العام الخيرية من قبل مؤسسة المتحدون للإعلام والتسويق البريطانية بعد استبيان شارك فيه 5 ملايين عربي.

كان لوالده الشيخ أحمد الجابر الصباح دور كبير في تنشئته، حيث لم يكن متزمتا أو منفتحا، وكان يطبق الشريعة الإسلامية في العديد من الأمور، وقد كان والده مهتما بالثقافة والتعليم، وقد عاش في فترة الثلاثينات من القرن العشرين بداية النهضة العلمية والثقافية في الكويت، وقد استمد من تجارب والده والشيخ عبد الله السالم الصباح والشيخ صباح السالم الصباح الكثير من الأمور التي ساعدته على الاهتمام بالاقتصاد والسياسة والإدارة.

تلقى تعليمه في المدرسة المباركية والمدرسة الأحمدية، وبعد أن أنهى دراسته في المدرسة الأحمدية قام والده الشيخ أحمد الجابر الصباح بجلب أساتذة متخصصين في الدين واللغة العربية وآدابها واللغة الإنجليزية، وبعدها أتاح له والده السفر للعديد من دول العالم ليتعرف على أحوال الشعوب الأخرى.

في عام 1949 عينه والده نائبا له في مدينة الأحمدي، حيث بدأ حياته العملية، وبدأ يكتسب المهارات القيادية وبدأ يتعرف على شؤون الحكم والإدارة والسياسة، وقد كان مسؤولا عن الأمن العام في المدينة، وكانت له العديد من المهام، منها حفظ الأمن والتعامل مع شركات النفط والتخطيط العمراني للمدينة التي تعتبر مختلفة عن مدينة الكويت من حيث المباني والتصاميم.

من خلال عمله في الأحمدي تكونت لديه دراية كبيرة بأهمية النفط والاقتصاد، واستمر في هذا العمل لمدة عشر سنوات حتى عام 1959، وفي عام 1959 قام الشيخ عبد الله السالم الصباح بإسناد مهمة دائرة المال والأملاك العامة للدولة إليه، وكان مسؤولاً أيضا عن مكتب شؤون النفط والإسكان، وبدأت في تلك الفترة فترة تثمين البيوت والأراضي في مدينة الكويت، حيث حرص على تثمين تلك المنازل بأعلى الأثمان حتى يحصل المواطن على أكبر استفادة. وفي 1 ابريل 1961 أصدرت الكويت أول عملة رسمية لها، وكانت العملة تحمل صورة الشيخ عبد الله السالم الصباح وبعض معالم الكويت، وكانت العملة تحتوي على توقيعه حيث كان يشغل منصب رئيس مجلس النقد.

بعد حصول الكويت على الاستقلال في 19 يونيو 1961، تم تشكيل أول حكومة في الكويت برئاسة الأمير الشيخ عبد الله السالم الصباح وتم اختياره ليصبح وزير للمالية والصناعة وبعدها ضمت إليه وزارة التجارة، وفي يناير 1963، وفي أول حكومة شكلها

الشيخ صباح السالم الصباح تم تعيينه نائباً لرئيس مجلس الوزراء، وفي الحكومة الثالث التي تشكلت في 6 ديسمبر 1964 تم تعيينه وزيراً للمالية والصناعة مع بقائه نائبا لرئيس مجلس الوزراء، وفي الحكومة الرابعة التي تشكلت في 3 يناير 1965 استمر في منصبه كوزير للمالية والصناعة مع إضافة وزارة التجارة إليه.

وعند حدوث الأزمة بين الكويت وعبد الكريم قاسم تم إيفاده على رأس وفد لكي يشرح للدول العربية الموقف الحاصل بين الكويت والعراق، وكان الوفد يضم نصف اليوسف وعبد الحميد الصانع وعبد العزيز حمد الصقر ويوسف إبراهيم الغانم وعبد العزيز الصرعاوي، وقد قام الوفد بزيارة عدد من الدول مثل السعودية ومصر، وقد أدت هذه الزيارات إلى قبول الكويت عضواً في الجامعة العربية ثم في هيئة الأمم المتحدة، وشملت هذه الزيارات أيضا زيارة السودان والمغرب ولبنان وتونس وليبيا.

ومن أهم إنجازاته في شؤون النفط تأسيس ميناء الشويخ وتشغيل معمل تقطير مياه البحر وأول محطة لتكرير المياه وإنشاء التجارب الزراعية، وتأسيس شركة البترول الوطنية الكويتية.

بعد وفاة الشيخ عبد الله السالم الصباح في 24 نوفمبر 1965 عينه أمير الكويت الجديد الشيخ صباح السالم الصباح رئيساً لمجلس الوزراء وذلك في 30 نوفمبر 1965. في 4 ديسمبر 1965 وعندما أراد أن يؤدي القسم أمام مجلس الأمة الكويتي رفض النواب أداءه للقسم بحجة أنه تاجر، والمادة 131 من الدستور تتعارض مع توزير رجال الأعمال كما فسرها المعارضون. وفي 31 مايو 1966 عينه الشيخ صباح السالم الصباح ولياً للعهد، وأصدرت الكويت ثلاثة طوابع تذكارية احتفالا بهذه المناسبة في 11 ديسمبر 1966، وكان الشيخ صباح السالم الصباح يهيئه لاستلام الإمارة من بعده حيث ترك له متابعة القضايا اليومية الداخلية، واستمر في تشكيل الحكومات كرئيس لمجلس الوزراء، ففي 4 فبراير 1967 شكل الحكومة السادسة للكويت، وفي 5 يونيو 1967 وبسبب حرب يونيو أعلنت الأحكام العرفية في الكويت وأصبح الشيخ جابر الأحمد حاكماً عرفياً، وبتاريخ 17 يوليو 1967 صدر مرسوم بالاستمرار بالأحكام العرفية لمدة أقصاها ثلاثة أشهر من 18 يوليو 1967 وحتى 25 سبتمبر 1967، وتم تجديد الأحكام العرفية في 10 أكتوبر 1967 إلى أن رفعت في 1 يناير 1968، وفي 2 فبراير 1971 شكل الحكومة

السابعة للكويت، وفي 9 فبراير 1975 شكل الحكومة الثامنة للكويت، وفي 6 سبتمبر 1976 شكل الحكومة التاسعة للكويت.

بعد وفاة الشيخ صباح السالم الصباح في 31 ديسمبر 1977، أصبح أميرا للكويت، وقام بأداء اليمين الدستورية في اليوم التالي في اجتماع لمجلس الوزراء عقد في قصر المسيلة برئاسة الشيخ جابر العلي السالم الصباح نائب رئيس مجلس الوزراء بالنيابة ووزير الإعلام وذلك لأن مجلس الأمة الكويتي كان منحلا في ذلك الوقت، وقد أصدر أول مرسوم له عقب وصوله للحكم بتعيين الشيخ سعد العبد الله السالم الصباح ولياً للعهد في 31 يناير 1978 ورئيسا لمجلس الوزراء بتاريخ 8 فبراير 1978، وكان قد عين الشيخ سعد في هذا المنصب لمدة 25 سنة، حيث في 13 يوليو 2003 قام بتعيين الشيخ صباح الأحمد الصباح رئيساً لمجلس الوزراء بعد تنازل الشيخ سعد عن المنصب وتفرغه لولاية العهد. وكانت دولة الكويت قد أصدرت ثمانية طوابع في 28 يونيو 1978 وذلك احتفالاً بتوليه مقاليد الحكم.

وفي عام 1979 دشن مشروع الغاز في منطقة الأحمدي. وفي عام 1980 أمر بإنشاء مرصد فلكي في الكويت، وتم الانتهاء منه في عام 1986 وسمي مرصد العجيري الفلكي تكريما للفلكي الكويتي صالح العجيري.

وقد قام بإعادة الحياة النيابية في الكويت في عام 1981 بعد أن تم تقسيم الدوائر الانتخابية من 10 دوائر إلى 25 دائرة انتخابية، وقد استمر مجلس الأمة الكويتي 1981 إلى عام 1985، وبعدها تمت انتخابات مجلس الأمة الكويتي 1985، وفي يوم 3 يوليو 1986 تم حل مجلس الأمة الكويتي وذلك بسبب المواجهات التي حدثت بين المجلس والحكومة، وبعد أن تم حل مجلس الأمة الكويتي 1985 من قبل الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح، تم تعطيل بعض مواد الدستور، وقد اعترض عدد من النواب الذين كانوا في المجلس على ذلك، وفي الفترة من العام 1989 وحتى 1990 تم تنظيم ما يعرف باجتماعات دواوين الاثنين، وهي اجتماعات كانت تضم 26 نائبا من نواب مجلس الأمة الكويتي 1985 في دواوين مختلفة، وقد كان هدف هذه الدواوين أن يتم الرجوع إلى دستور عام 1962 وإعادة الحياة النيابية مرة أخرى في الكويت، وقد حدثت مصادمات كبيرة بين الجماهير التي كانت تحضر إلى تلك الدواوين والشرطة الكويتية، وقد حدثت مداهمات لبعض تلك الدواوين، ولم تتوقف هذه الحركة إلى أن قام بإلقاء خطاب دعا فيه

إلى الحوار الوطني، وتم تأسيس المجلس الوطني بعد ذلك، والذي قاطعه النواب بحجة عدم دستوريته، ولم تتوقف الاعتراضات إلا عندما انعقد المؤتمر الشعبي الكويتي والذي عقد في جدة بالمملكة العربية السعودية في 13 أكتوبر وحتى 15 أكتوبر 1990 في أثناء الغزو العراقي للكويت، حيث وعدت الحكومة بعودة الحياة النيابية مرة أخرى.

قام بالعديد من الرحلات لتوطيد العلاقات مع دول العالم، وكان يوازن خلال الحرب الباردة في زياراته، فكان يزور دول الكتلة الشرقية ودول الكتلة الغربية، وكانت الكويت الدولة الخليجية الأولى التي تقيم علاقات دبلوماسية مع الاتحاد السوفييتي، ولم تتأثر علاقة الكويت والاتحاد السوفييتي بعد إدانة الكويت لغزو الاتحاد السوفييتي لأفغانستان، وكذلك علاقات الكويت مع الصين واعتراف الكويت بالصين. وبعد إنشاء مجلس التعاون الخليجي ترددت شائعات في الكتلة الشرقية بأن هذا المجلس سيكون منحازاً لأحد الطرفين، فقام بزيارة دولة من حلف الناتو هي تركيا وثلاث دول من حلف وارسو هي رومانيا والمجر وبلغاريا واختتم رحلته بزيارة يوغسلافيا العضو في البارز في حركة عدم الانحياز، وقام خلال هذه الزيارة بشرح أهداف مجلس التعاون الخليجي.

كما أنه كان يحاول إصلاح حال اليمن بعد حرب اليمن، فقام بالاجتماع مع علي عبدالله صالح وعبد الفتاح إسماعيل في 30 مارس 1979 في الكويت لتحقيق الوحدة بين اليمن الجنوبي واليمن الشمالي، وفي عام 1981 زار شطري اليمن للاطلاع على الأوضاع فيهما.

وفي فترة غزو العراق للكويت في عام 1990 استطاع أن يجمع العديد من الآراء المؤيدة للكويت، وقد أقنع العديد من الدول والشعوب بضرورة استعادة الكويت، وقد زار الصين والولايات المتحدة الأمريكية لإيضاح قضية الكويت.

وفي المؤتمر الشعبي الكويتي المنعقد في جدة في أكتوبر 1990، أعلن بأن موقف القيادة الفلسطينية لن يؤثر في تضامن الشعب الكويتي مع الشعب الفلسطيني، والأمر مثله للشعب العراقي والشعب الكويتي.

في 16 مايو 1976 زار دولة الإمارات العربية المتحدة لعقد مباحثات مع الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان حول إنشاء مجلس التعاون الخليجي، واقترح فكرة إنشاء مجلس التعاون الخليجي، فلقد خطط ونفذ هذا المشروع لإحساسه بوجوب سد النقص الذي

خلفته بريطانيا بعد خروجها من الخليج، واقترح إنشاء المجلس في قمة للجامعة العربية في الأردن في عمّان في نوفمبر 1980، وفي عام 1996 اقترح إنشاء مجلس شعبي استشاري لدول مجلس التعاون الخليجي وذلك في القمة السابعة عشر في الدوحة، يتكون من ثلاثين عضوا، بمعدل خمسة أشخاص للدولة الواحدة.

ساعد المجتمع الكويتي في العديد من النواحي، حيث أقر العديد من المراسيم الأميرية لمساعدة المجتمع الكويتي في مشاكله، ومنها مساعدة الأيتام ومجهولي الوالدين وإقرار منحة الزواج وبدل السكن ومساعدة الزوجة المتزوجة من غير الكويتي وإرسال الطلبة للدراسة على نفقته الخاصة وإرسال المرضى للعلاج على نفقته، كما طالب بعودة الأسرى الكويتيين بعد حرب الخليج الثانية كثيراً، وأصدر أمرا بإنشاء المكتب التنفيذي لشؤون الأسرى والمفقودين واللجنة الوطنية لشؤون الأسرى ومكتب الشهيد الذي أسس في أغسطس 1991 لتكريم أسر الشهداء، وقام بإنشاء التأمينات الاجتماعية لتأمين العيش الكريم لمن هم في سن الشيخوخة.

قام بإنشاء صندوق احتياطي الأجيال القادمة، وهو صندوق لتجميع المال من عوائد النفط، وهو لحفظ استقرار الأجيال القادمة مادياً حيث أن عمر النفط محدود ومن حق الأجيال القادمة أخذ نصيبها منه، ويقتطع الصندوق 10٪ من إيرادات الدولة العامة لاستثمارها في مشاريع داخلية وخارجية استفاد منها الشعب الكويتي في أثناء حرب الخليج الثانية.

في أول خطاب له بعد حرب الخليج الثانية في 17 أبريل 1991 أشاد بالمرأة الكويتية، وقد وعد في هذا الخطاب بدراسة مشروع إعطاء المرأة الحقوق السياسية، وأصدر في 16 مايو 1999 مرسوما أميرياً يقضي بإعطاء المرأة حقوقها السياسية لكي تصوت في انتخابات عام 2003، ولكنه رفض من قبل مجلس الأمة الكويتي، ولم تنل حقوقها إلا في 16 مايو 2005، وفي 12 يونيو 2005 تم تعيين أول امرأة كوزيرة في الكويت وهي الدكتورة معصومة المبارك والتي عينت وزيره للتخطيط والتنمية.

كان مهتما بالرياضة بشكل كبير، وكان يستقبل الرياضيين بعد كل فوز يحققونه، وقد دعم بطولة كأس الأمير في كرة القدم، ودعا إلى إعادة رحلات الغوص التي أصبحت تقام كل عام، وكان أول أمير يحضر إلى المباراة النهائية في بطولة كأس الأمير، وذلك في بطولة 1993/ 1994.

وكان صاحب فكرة إنشاء شركة المشروعات السياحية للاهتمام بقطاع السياحة في الكويت.

وكان يحرص على تبادل الزيارات مع الشعب الكويتي في المناسبات العامة.

وقام بالمبادرة بإنشاء مؤسسة الكويت للتقدم العلمي وجوائزها لتشجيع البحث العلمي في الكويت في عام 1976، وتبرع بمبلغ ربع مليون دولار أمريكي لترميم بيت ديكسون للمحافظة على التراث الكويتي القديم، وافتتح المركز العلمي الكويتي في 17 ابريل 2000 برفقة الرئيس اللبناني إميل لحود، وقام بإنشاء العديد من مشاريع البنى التحتية الثقافية مثل المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب والمتحف الوطني الكويتي ومتحف الفن الحديث ووضع حجر الأساس للمبنى الجديد للمكتبة الوطنية. كما قام بإلغاء جميع الديون المستحقة على الكويتيين بعد حرب الخليج الثانية.

طالب بأن تسقط فوائد الديون المستحقة على الدول الفقيرة وتخفيض هذه الديون على الدول الأشد فقراً، وكان يهدف من هذا الأمر إلى تقريب الفجوة بين الأغنياء والفقراء أو الشمال والجنوب، وكانت هذه المبادرة في 28 سبتمبر 1988 في إطار الجمعية العامة للأمم المتحدة، وكانت المغرب من الدول التي استفادت من هذه المبادرة التي أسقطت 62 مليون دينار كويتي من ديونها. وكان صاحب فكرة إنشاء صندوق الكويت للتنمية في عام 1961، وكان أول رئيس مجلس إدارة له.

في يوم 25 مايو 1985 تعرض لمحاولة اغتيال باءت بالفشل عندما كان في طريقة للذهاب إلى مكتبه في قصر السيف، وكانت محاولة الاغتيال عن طريقة سيارة مفخخة، وقتل في تلك العملية اثنان من مرافقيه، وقد ألقى كلمة بعد هذه المحاولة وقال «إن عمر جابر الأحمد مهما طال الزمن هو عمر إنسان يطول أو يقصر ولكن الأبقى هو عمر الكويت والأهم هو بقاء الكويت والأعظم هو سلامة الكويت»، ويعتقد بأن سبب هذه المحاولة لاغتياله هو موقف الكويت من حرب الخليج الأولى بين إيران والعراق حيث أيدت الكويت العراق في الحرب، وكانت المحاولة من مناصري إيران في الحرب، ونفذ العملية عضو في حزب الدعوة الإسلامية العراقي، وهو جمال جعفر علي الإبراهيمي المعروف باسم مهدي المهندس، واتهمت الكويت إيران بالوقوف وراء محاولة الاغتيال.

عندما حدث الغزو العراقي للكويت أراد الشيخ سعد العبد الله الصباح المحافظة على الشرعية الكويتية، فذهب إلى قصر دسمان مقر إقامة الأمير وأصر عليه بأن يخرج من

الكويت بالرغم من رغبه الأمير في البقاء مع شعبه، وأتاحت السياسة المتزنة التي كان يتبعها الشيخ جابر تعاطف أغلب دول العالم مع الكويت بعد غزو العراق له في عام 1990، وحتى الاتحاد السوفييتي الذي كان يعد حليفا للعراق والذي كان مرتبطاً باتفاقية تعاون وصداقة مع العراق، وتم عقد العديد من المؤتمرات منها مؤتمر القمة العربية الذي عقد في مصر في 10 أغسطس 1990، ومؤتمر القمة الإسلامي الذي عقد في مكة المكرمة والجمعية العامة للأمم المتحدة في دورتها الخامسة والأربعين، وقام بالاجتماع مع الدول الخمس الدائمة العضوية (الولايات المتحدة الأمريكية، الاتحاد السوفييتي، بريطانيا، فرنسا، والصين) وعدد من الدول الصديقة لشرح قضية الكويت، واتخذت الحكومة الكويتية من الطائف في السعودية مقراً لها، وعندما وصل إلى الطائف قطع كل الشكوك بشأن سلامته، وخطب بالشعب الكويتي يحثه على المقاومة من أجل تحرير الكويت، وكان يطالب الشعب الكويتي في الكويت بالصمود في وجه الجيش العراقي، وكانت الخطبة في يوم 3 أغسطس 1990.

أعلن الأحكام العرفية بعد تحرير الكويت في فبراير 1991 لمدة ثلاثة أشهر، وعين الشيخ سعد العبد الله الصباح حاكماً عرفياً.

عاد إلى الكويت في 14 مارس 1991 على متن الطائرة بوبيان التابعة للخطوط الجوية الكويتية بعد انتهاء حرب الخليج الثانية، وعند نزوله إلى أرض الكويت سجد شكرا لله على عودة الكويت.

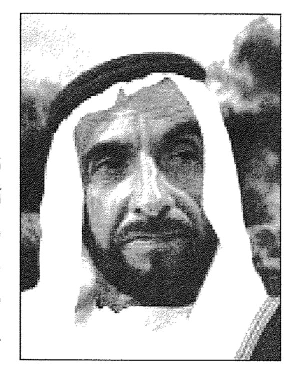
وفي يوم 6 نوفمبر 1991 قام بإطفاء البئر المشتعل الأخير وهو برقان 118 في احتفال شعبي ضم أكثر من 800 شخصية عالمية وعربية وكويتية.

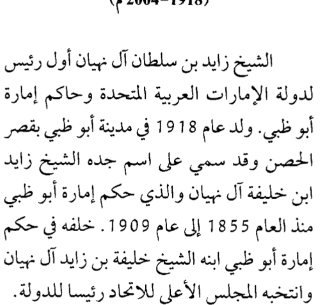
بعد انتهاء حرب الخليج الثانية، طالب بإطلاق الأسرى الكويتيين الموجودين في العراق، وقام بعدد من الزيارات إلى عدد من دول العالم لشرح القضية، وقد اصطحب معه في تلك الزيارات بعض أبناء الأسرى.

عانى من بعض المشاكل الصحية السنوات الأخيرة له، وقد سافر إلى خارج الكويت عدة المرات لتلقي العلاج، ففي 21 سبتمبر 2001 تعرض لوعكة صحية غادر على إثرها الكويت متوجها إلى بريطانيا، وعاد في 15 يناير 2002 إلى الكويت بعد غياب بلغ 117 يوما خارج الكويت، وهي ثاني أكثر فترة يغيب فيها عن الكويت، حيث غاب

في أثناء الغزو العراقي للكويت 225 يوما منذ 2 أغسطس 1990 وحتى 14 مارس 1991، وأجريت له عملية جراحية في العين بتاريخ 12 أغسطس 2002، وفي يوم 23 مايو 2005 أجريت له عملية جراحية في قدمه اليسرى بعد أن كشفت الفحوصات عن اتساع في أحد الأوعية في قدمه اليسرى، وأجريت هذه العملية في الولايات المتحدة الأمريكية.

توفي في 15 يناير 2006 إثر نزيف في المخ. وقد كان رئيس الوزراء الشيخ صباح الأحمد الصباح في زيارة خاصة إلى سلطنة عمان قام بقطعها والعودة فوراً، وتم تنكيس الأعلام في الكويت لمدة أربعين يوما، وأعلن الحداد الرسمي لمدة ثلاثة أيام مع إغلاق الدوائر الرسمية، وقام عدد من الدول بإعلان الحداد الرسمي وتنكيس الأعلام. وحضر تشييعه عدد من الرؤساء.





زايد بن سلطان آل نهيان

(1918-2004 م)

الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان أول رئيس لدولة الإمارات العربية المتحدة وحاكم إمارة أبو ظبي. ولد عام 1918 في مدينة أبو ظبي بقصر الحصن وقد سمي على اسم جده الشيخ زايد ابن خليفة آل نهيان والذي حكم إمارة أبو ظبي منذ العام 1855 إلى عام 1909. خلفه في حكم إمارة أبو ظبي ابنه الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان وانتخبه المجلس الأعلى للاتحاد رئيسا للدولة.

تولى الشيخ زايد حكم العين عام 1946 ولم تكن ندرة الماء والمال وقلة الإمكانيات حجر عثرة أمام تطوير مدينة العين، بفضل تلك التوجهات فقد افتتحت في عام 1959 أول مدرسة بالعين حملت اسم المدرسة النهيانية، كما تم إنشاء أول سوق تجارية وشبكة طرق ومشفى طبي، ولعل أبرز ما تحقق في تلك الفترة الصعبة من تاريخ مدينة العين القرار الذي أصدره صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان والقاضي بإعادة النظر في ملكية المياه وجعلها على ندرتها متوفرة للجميع بالإضافة إلى تسخيرها لزيادة المساحات الزراعية.

وفي 6 أغسطس 1966 تولى الشيخ زايد مقاليد الحكم في إمارة أبو ظبي، بإجماع وموافقة من العائلة الحاكمة خلفاً لشقيقه الشيخ شخبوط بن سلطان آل نهيان.

تولى صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان حكم مدينة العين عام 1946.

كانت رحلة الشيخ زايد إلى بريطانيا الرحلة الأولى له عام 1953.

تولى صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان مقاليد الحكم في إمارة أبو ظبي في 6 أغسطس 1966.

انتخاب صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان حاكماً للإتحاد التساعي في 21 أكتوبر 1969.

انتخاب صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيسا لدولة الإمارات العربية المتحدة في 2 ديسمبر 1971.

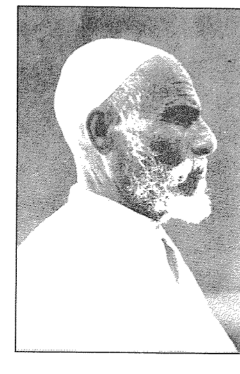
اتخذ صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان قرارا بمنع البترول عن الدول المساندة لإسرائيل في 1973.

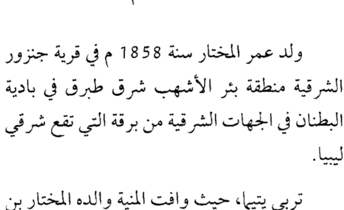
اختير صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رجل البيئة والإنماء عام 1995.

صنع مع الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم دولة الإمارات العربية المتحدة فقد بدأت اتحادا بين إماراتيهما أبو ظبي ودبي، على أن يدعوا باقي حكام الإمارات لهذه الوحدة، فلبوهم عام 1971.

اشتهرت مقولة الشيخ زايد التي أطلقها عام 1973 في حرب أكتوبر حين قال: النفط العربي ليس أغلى من الدم العربي. وبادر بقطع النفط عن دول العالم وتبعته باقي الدول العربية المصدرة للنفط. مما شكل ضغطا فاعلا على القرار الدولي بالنسبة لهذه الحرب.

توفي الشيخ زايد في 2 نوفمبر 2004 ليخلفه في اليوم التالي رئيساً لدولة الإمارات وحاكماً لإمارة أبو ظبي ابنه صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان.

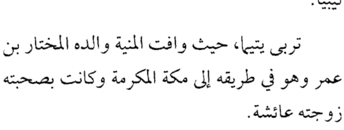




عمر المختار

(1858-1931 م)

ولد عمر المختار سنة 1858 م في قرية جنزور الشرقية منطقة بئر الأشهب شرق طبرق في بادية البطنان في الجهات الشرقية من برقة التي تقع شرقي ليبيا.



تربى يتيما، حيث وافت المنية والده المختار بن عمر وهو في طريقه إلى مكة المكرمة وكانت بصحبته زوجته عائشة.

تلقى تعليمه الأول في زاوية جنزور، ثم سافر إلى الجغبوب ليمكث فيها ثمانية أعوام للدراسة والتحصيل على كبار علماء ومشايخ السنوسية في مقدمتهم الإمام السيد المهدي السنوسي قطب الحركة السنوسية، فدرس علوم اللغة العربية والعلوم الشرعية وحفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب، ولكنه لم يكمل تعليمه كما تمنى.

ظهرت عليه علامات النجابة ورزانة العقل، فاستحوذ على اهتمام ورعاية أستاذه السيد المهدي السنوسى مما زاده رفعة وسموا، فتناولته الألسن بالثناء بين العلماء ومشايخ القبائل وأعيان المدن حتى قال فيه السيد المهدي واصفاً إياه «لو كان عندنا عشرة مثل عمر المختار لاكتفينا بهم». ولثقة السنوسيين به ولوه شيخا على زاوية القصور بالجبل الأخضر.

وقد اختاره السيد المهدي السنوسي رفيقا له إلى (السودان الأوسط تشاد) عند انتقال قيادة الزاوية السنوسية إليها فسافر سنة 1317 هـ. وقد شارك عمر المختار خلال فترة بقائه بتشاد في الجهاد بين صفوف المجاهدين في الحرب الليبية الفرنسية في المناطق الجنوبية (السودان الغربي، تشاد) وحول واداي. وقد استقر المختار فترة من الزمن في قرو مناضلاً ومقاتلاً، ثم عين شيخاً لزاوية (عين كلكه) ليقضي فترة من حياته معلماً ومبشراً بالإسلام في تلك الأصقاع النائية. وبقي هناك إلى أن عاد إلى برقة سنة 1321هـ، وأسندت إليه مشيخة زاوية القصور للمرة الثانية.

عاش عمر المختار حرب التحرير والجهاد منذ بدايتها يوماً بيوم، فعندما أعلنت إيطاليا الحرب على تركيا في 29 سبتمبر 1911م، وبدأت البارجات الحربية بصب قذائفها على مدن الساحل الليبي، درنة وطرابلس ثم طبرق وبنغازي والخمس، كان عمر المختار في تلك الأثناء مقيما في جالو بعد عودته من الكفرة حيث قابل السيد أحمد الشريف، وعندما علم بالغزو الإيطالي فيما عرف بالحرب العثمانية الإيطالية سارع إلى مراكز تجمع المجاهدين حيث ساهم في تأسيس دور بنينه وتنظيم حركة الجهاد والمقاومة إلى أن وصل السيد أحمد الشريف قادماً من الكفرة. وقد شهدت الفترة التي أعقبت انسحاب الأتراك من ليبيا سنة 1912م وتوقيعهم «معاهدة لوزان» التي بموجبها حصلت إيطاليا على ليبيا، أعظم المعارك في تاريخ الجهاد الليبي، منها على سبيل المثال معركة يوم الجمعة عند درنة في 16 مايو 1913م حيث قتل فيها للايطاليين عشرة ضباط وستون جنديا وأربعمائة فرد بين جريح ومفقود إلى جانب انسحاب الإيطاليين بلا نظام تاركين أسلحتهم ومؤنهم وذخائرهم، ومعركة بو شمال عن عين ماره في 6 أكتوبر 1913، وعشرات المعارك الأخرى.

وحينما عين أميليو حاكماً عسكريا لبرقة، رأى أن يعمل على ثلاث محاور:

الأول: قطع الإمدادات القادمة من مصر والتصدي للمجاهدين في منطقة مرمريكا.

الثاني: قتال المجاهدين في العرقوب وسلنطه والمخيلي.

الثالث: قتال المجاهدين في مسوس واجدابيا.

لكن القائد الإيطالي وجد نار المجاهدين في انتظاره في معارك أم شخنب وشليظيمة والزويتينة في فبراير 1914م، ولتتواصل حركة الجهاد بعد ذلك حتى وصلت إلى مرحلة جديدة بقدوم الحرب العالمية الأولى.

بعد الانقلاب الفاشي في إيطاليا في أكتوبر 1922، وبعد الانتصار الذي تحقق في تلك الحرب إلى الجانب الذي انضمت إليه إيطاليا. تغيرت الأوضاع داخل ليبيا واشتدت الضغوط على السيد محمد إدريس السنوسي، واضطر إلى ترك البلاد عاهداً بالأعمال العسكرية والسياسية إلى عمر المختار في الوقت الذي قام أخوه الرضا مقامه في الإشراف على الشؤون الدينية.

بعد أن تأكد للمختار النوايا الإيطالية في العدوان قصد مصر عام 1923م للتشاور مع السيد إدريس فيما يتعلق بأمر البلاد، وبعد عودته نظم أدوار المجاهدين، فجعل حسين الجويفي على دور البراعصة ويوسف بورحيل المسماري على دور العبيدات والفضيل بوعمر على دور الحاسة، والمجاهد المخضرم الذي لم يذكر قط صالح الطلحي (قبيلة الوطن الشرقي الأصليين) وتولى هو القيادة العامة.

بعد الغزو الإيطالي على مدينة اجدابيا مقر القيادة الليبية، أصبحت كل المواثيق والمعاهدات لاغية، وانسحب المجاهدون من المدينة وأخذت إيطاليا تزحف بجيوشها من مناطق عدة نحو الجبل الأخضر، وفي تلك الأثناء تسابقت جموع المجاهدين إلى تشكيل الأدوار والانضواء تحت قيادة عمر المختار، كما بادر الأهالي إلى إمداد المجاهدين بالمؤن والعتاد والسلاح، وعندما ضاق الإيطاليون ذرعا من الهزيمة على يد المجاهدين، أرادوا أن يمنعوا عنهم طريق الإمداد فسعوا إلى احتلال الجنوب ووجهت إليها حملة كبيرة في 8 فبراير 1926م، وقد شكل سقوطها أعباء ومتاعب جديدة للمجاهدين وعلى رأسهم عمر المختار، ولكن الرجل حمل العبء كاملاً بعزم العظماء وتصميم الأبطال.

ولاحظ الإيطاليون أن الموقف يملي عليهم الاستيلاء على منطقة فزان لقطع الإمدادات على المجاهدين، فخرجت حملة في يناير 1928م، ولم تحقق غرضها في احتلال فزان بعد أن دفعت الثمن غاليا. ورغم حصار المجاهدين وانقطاعهم عن مراكز تموينهم، إلا أن الأحداث لم تنل منهم وتثبط من عزمهم، والدليل على ذلك معركة يوم 22 أبريل التي استمرت يومين كاملين، انتصر فيها المجاهدون وغنموا عتادا كثيرا.

وتوالت الانتصارات، الأمر الذي دفع إيطاليا إلى إعادة النظر في خططها وإجراء تغييرات واسعة، فأمر موسوليني بتغيير القيادة العسكرية، حيث عين بادوليو حاكماً عسكريا على ليبيا في يناير 1929م، ويعد هذا التغيير بداية المرحلة الحاسمة بين الطليان والمجاهدين.

تظاهر الحاكم الجديد لليبيا في رغبته بالسلام لإيجاد الوقت اللازم لتنفيذ خططه وتغيير أسلوب القتال لدى جنوده، وطلب مفاوضة عمر المختار، تلك المفاوضات التي بدأت في 20 أبريل 1929م، واستجاب الشيخ لنداء السلام وحاول التفاهم معهم على صيغة ليخرجوا من دوامة الدمار. فذهب كبيرهم للقاء عمر المختار ورفاقه القادة في 19

يونيو 1929م في سيدي ارحومه. ورأس الوفد الإيطالي بادوليو نفسه، الرجل الثاني بعد بنيتو موسليني، ونائبه سيشليانو، ولكن لم يكن الغرض هو التفاوض، ولكن المماطلة وشراء الوقت لتلتقط قواتهم أنفاسها، وقصد الغزاة الغدر به والدس عليه وتأليب أنصاره والأهالي وفتنة الملتفين حوله.

وعندما وجد المختار أن تلك المفاوضات تطلب منه إما مغادرة البلاد إلى الحجاز أو مصر أو البقاء في برقة وإنهاء الجهاد والاستسلام مقابل الأموال والإغراءات، رفض كل تلك العروض، وكبطل شريف ومجاهد عظيم عمد إلى الاختيار الثالث وهو مواصلة الجهاد حتى النصر أو الشهادة.

تبين للمختار غدر الإيطاليين وخداعهم، ففي 20 أكتوبر 1929م وجه نداء إلى أبناء وطنه طالبهم فيه بالحرص واليقظة أمام ألاعيب الغزاة. وصحت توقعات عمر المختار، ففي 16 يناير 1930م ألقت الطائرات بقذائفها على المجاهدين.

دفعت مواقف المختار ومنجزاته إيطاليا إلى دراسة الموقف من جديد وتوصلت إلى تعيين غرسياني وهو أكثر جنرالات الجيش وحشية ودموية. ليقوم بتنفيذ خطة إفناء وإبادة لم يسبق لها مثيل في التاريخ في وحشيتها وفظاعتها وعنفها وقد تمثلت في عدة إجراءات ذكرها غرسياني في كتابه «برقة المهدأة»:

- قفل الحدود الليبية المصرية بالأسلاك الشائكة لمنع وصول المؤن والذخائر.

- إنشاء المحكمة الطارئة في أبريل 1930م.

- فتح أبواب السجون في كل مدينة وقرية ونصب المشانق في كل جهة.

- تخصيص مواقع العقيلة والبريقة من صحراء غرب برقة البيضاء والمقرون وسلوق من أواسط برقة الحمراء لتكون مواقع الاعتقال والنفي والتشريد.

- العمل على حصار المجاهدين في الجبل الأخضر واحتلال الكفرة.

انتهت عمليات الإيطاليين في فزان باحتلال مرزق وغات في شهري يناير وفبراير 1930م ثم عمدوا إلى الاشتباك مع المجاهدين في معارك فاصلة، وفي 26 أغسطس 1930م ألقت الطائرات الإيطالية حوالي نصف طن من القنابل على الجوف والتاج، وفي نوفمبر اتفق بادوليو وغرسياني على خط الحملة من اجدابيا إلى جالو إلى بئر زيغن إلى

الجوف، وفي 28 يناير 1931م سقطت الكفرة في أيدي الغزاة، وكان لسقوط الكفرة آثار كبيرة على حركة الجهاد والمقاومة.

في معركة السانية في شهر أكتوبر عام 1930م سقطت من الشيخ عمر المختار نظارته، وعندما وجدها أحد جنود الطليان وأوصلها لقيادته، فرائها غراتسياني فقال: «الآن أصبحت لدينا النظارة، وسيتبعها الرأس يوماً ما».

وفي 11 سبتمبر من عام 1931م، وبينما كان الشيخ عمر المختار يستطلع منطقة سلنطة في كوكبة من فرسانه، عرفت الحاميات الإيطالية بمكانه فأرسلت قوات لحصاره ولحقتها تعزيزات، واشتبك الفريقان في وادي بوطاقة ورجحت الكفة للعدو فأمر عمر المختار بفك الطوق والتفرق، ولكن قُتلت فرسه تحته وسقطت على يده مما شل حركته نهائياً. فلم يتمكن من تخليص نفسه ولم يستطع تناول بندقيته ليدافع عن نفسه، فسرعان ما حاصره العدو من كل الجهات وتعرفوا على شخصيته، فنقل على الفور إلى مرسى سوسه ومن ثم وضع على طراد نقله رأسا إلى بنغازي حيث أودع السجن الكبير بمنطقة سيدي اخريبيش. ولم يستطع الطليان نقل الشيخ براً لخوفهم من تعرض المجاهدين لهم في محاولة لتخليص قائدهم.

كان لاعتقاله في صفوف العدو، صدىً كبيراً، حتى أن غراسياني لم يصدّق ذلك في بادئ الأمر، وكان غراتسياني في روما حينها كئيباً حزيناً منهار الأعصاب في طريقه إلى باريس للاستجمام والراحة تهرباً من الساحة بعد فشله في القضاء على المجاهدين في برقة، حيث بدأت الأقلام اللاذعة في إيطاليا تنال منه والانتقادات المرة تأتيه من رفاقه مشككة في مقدرته على إدارة الصراع. وإذا بالقدر يلعب دوره ويتلقى برقية مستعجلة من بنغازي مفادها أن عدوه اللدود عمر المختار وراء القضبان. فأصيب غراتسياني بحالة هستيرية كاد لا يصدق الخبر. فتارة يجلس على مقعده وتارة يقوم، وأخرى يخرج متمشياً على قدميه محدثاً نفسه بصوت عال، ويشير بيديه ويقول: «صحيح قبضوا على عمر المختار؟ ويرد على نفسه لا، لا اعتقد». ولم يسترح باله فقرر إلغاء أجازته واستقل طائرة خاصة وهبط ببنغازي في نفس اليوم وطلب إحضار عمر المختار إلى مكتبه لكي يراه بأم عينيه.

وصل غرسياني إلى بنغازي يوم 14 سبتمبر، وأعلن عن انعقاد «المحكمة الخاصة» يوم 15 سبتمبر 1931م، وفي صبيحة ذلك اليوم وقبل المحاكمة رغب غرسياني في الحديث مع عمر المختار، يذكر غرسياني في كتابه (برقة المهدأة):

«وعندما حضر أمام مكتبي تهيأ لي أن أرى فيه شخصية آلاف المرابطين الذين التقيت بهم أثناء قيامي بالحروب الصحراوية. يداه مكبلتان بالسلاسل، رغم الكسور والجروح التي أصيب بها أثناء المعركة، وكان وجهه مضغوطا لأنه كان يغطي رأسه (بالجَرِدْ) ويجر نفسه بصعوبة نظراً لتعبه أثناء السفر بالبحر، وبالإجمال يخيل لي أن الذي يقف أمامي رجل ليس كالرجال له منظره وهيبته رغم أنه يشعر بمرارة الأسر، ها هو واقف أمام مكتبي نسأله ويجيب بصوت هادئ وواضح».

غراتسياني: لماذا حاربت بشدة متواصلة الحكومة الفاشستية؟

أجاب الشيخ: من أجل ديني ووطني.

غراتسياني: ما الذي كان في اعتقادك الوصول إليه؟

فأجاب الشيخ: لا شيء إلا طردكم... لأنكم مغتصبون، أما الحرب فهي فرض علينا وما النصر إلا من عند الله.

غراتسياني: لما لك من نفوذ وجاه، في كم يوم يمكنك أن تأمر الثوار بأن يخضعوا لحكمنا ويسلموا أسلحتهم؟

فأجاب الشيخ: لا يمكنني أن أعمل أي شيء... وبدون جدوى نحن الثوار سبق أن أقسمنا أن نموت كلنا الواحد بعد الآخر، ولا نسلم أو نلقي السلاح...

ويستطرد غرسياني حديثه «وعندما وقف ليتهيأ للانصراف كان جبينه وضاء كأن هالة من نور تحيط به فارتعش قلبي من جلالة الموقف أنا الذي خاض معارك الحروب العالمية والصحراوية ولقبت بأسد الصحراء. ورغم هذا فقد كانت شفتاي ترتعشان ولم أستطع أن أنطق بحرف واحد، فأنهيت المقابلة وأمرت بإرجاعه إلى السجن لتقديمه إلى المحاكمة في المساء».

عقدت للشيخ الشهيد محكمة هزلية صورية في مركز إدارة الحزب الفاشستي ببنغازي مساء يوم الثلاثاء عند الساعة الخامسة والربع في 15 سبتمبر 1931م، وبعد ساعة تحديداً صدر منطوق الحكم بالإعدام شنقاً حتى الموت، وعندما ترجم له الحكم، قال الشيخ «إن الحكم إلا لله... لا حكمكم المزيف... إنا لله وإنا إليه راجعون».

في صباح اليوم التالي للمحاكمة الأربعاء، 16 سبتمبر 1931(الأول من شهر جمادى الأول من عام 1350) اتخذت جميع التدابير اللازمة بمركز سلوق لتنفيذ الحكم

بإحضار جميع أقسام الجيش والميليشيا والطيران، وإحضر 20 ألفا من الأهالي وجميع المعتقلين السياسيين خصيصاً من أماكن مختلفة لمشاهدة تنفيذ الحكم في قائدهم. وإحضر الشيخ عمر المختار مكبل الأيدي، وعلى وجهه ابتسامة الرضا بالقضاء والقدر، وبدأت الطائرات تحلق في الفضاء فوق المعتقلين بأزيز مجلجل حتى لا يتمكن عمر المختار من مخاطبتهم، وفي تمام الساعة التاسعة صباحاً سلم الشيخ إلي الجلاد، وكان وجهه يتهلل استبشاراً بالشهادة وكله ثبات وهدوء، فوضع حبل المشنقة في عنقه، وقيل عن بعض الناس الذين كانوا على مقربة منه إنه كان يؤذن في صوت خافت أذان الصلاة، والبعض قال إنه تتمتم بالآية الكريمة ﴿يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾﴾ [الفجر:27-28] ليجعلها مسك ختام حياته البطولية. وبعد دقائق صعدت روحه الطاهرة النقية إلى ربها تشكو إليه عنت الظالمين وجور المستعمرين.

وسبق إعدام الشيخ أوامر شديدة الحزم بتعذيب وضرب كل من يبدي الحزن أو يظهر البكاء عند إعدام عمر المختار، فقد ضرب جربوع عبد الجليل ضرباً مبرحاً بسبب بكائه عند إعدام عمر المختار. ولكن علت أصوات الاحتجاج ولم تكبحها سياط الطليان، فصرخت فاطمة داروها العبارية وندبت فجيعة الوطن عندما علا الشيخ شامخاً مشنوقاً، ووصفها الطليان «بالمرأة التي كسرت جدار الصمت».

أما المفارقة التاريخية التي أذهلت المراقبين فقد حدثت في سبتمبر 2008 عندما انحنى رئيس الوزراء الإيطالي برلسكوني، وفي حضور الزعيم الليبي معمر القذافي، أمام ابن عمر المختار معتذراً عن المرحلة الاستعمارية وما سببته إيطاليا من مآسٍ للشعب الليبي، وهي الصورة التي قورنت بصورة تاريخية أخرى يظهر فيها عمر المختار مكبلاً بالأغلال قبيل إعدامه.

هواري بومدين
(1932-1978 م)

هو زعيم ورئيس الجزائر، اسمه محمد إبراهيم بوخروبة ومعروف باسم هواري بومدين. شغل منصب رئيس الجزائر من 19 يونيو 1965 إلى 27 ديسمبر 1978. وهو من أبرز رجالات السياسة بالجزائر والعالم العربي في النصف الثاني من القرن العشرين، أصبح أحد رموز حركة عدم الانحياز ولعب دورا هاما على الساحة الإفريقية والعربية وكان أول رئيس من العالم الثالث تحدث في الأمم المتحدة عن نظام دولي جديد.

وهو ابن فلاح بسيط من عائلة كبيرة العدد ومتواضعة ماديا، ولد في 23 أب –أوت سنة 1932 وبالضبط في دوّار بني عدي (العرعرة) مقابل جبل هوارة على بعد بضعة كيلومترات غرب مدينة قالمة وبالضبط في بلدية مجاز عمار، وسجّل في سجلات الميلاد ببلدية عين أحساينية (كلوزال سابقا). دخل الكتّاب (المدرسة القرآنية) في القرية التي ولد فيها وكان عمره آنذاك 4 سنوات، وعندما بلغ سن السادسة دخل مدرسة ألمابير سنة 1938 في مدينة قالمة (وتحمل المدرسة اليوم اسم مدرسة محمد عبده)، وكان يدرس في المدرسة الفرنسية وفي نفس الوقت يلازم الكتّاب. ختم القرآن الكريم وأصبح يدرّس أبناء قريته القرآن الكريم واللغة العربية. توجه إلى المدرسة الكتانية في مدينة قسنطينة حيث درس على يد الشيخ الطيب بن لحنش.

التحق بمدارس قسنطينة معقل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. رفض هواري بومدين خدمة العلم الفرنسي، حيث كانت السلطات الفرنسية تعتبر الجزائريين فرنسيين ولذلك كانت تفرض عليهم الالتحاق بالثكنات الفرنسية لدى بلوغهم السن الثامنة عشرة. فرّ إلى تونس سنة 1949 والتحق في تلك الحقبة بجامع الزيتونة الذي كان يقصده العديد من الطلبة الجزائريين، ومن تونس انتقل إلى القاهرة سنة 1950 حيث التحق بجامع الأزهر الشريف حيث درس هناك وتفوق في دراسته.

مع اندلاع الثورة الجزائرية في 01 تشرين الثاني –نوفمبر 1954 انضم إلى جيش التحرير الوطني في المنطقة الغربية وتطورت حياته العسكرية كالتالي:

1956 : أشرف على تدريب وتشكيل خلايا عسكرية، وقد تلقى في مصر التدريب حيث اختير هو وعدد من رفاقه لمهمة حمل الأسلحة.

1957 : أصبح منذ هذه السنة مشهورا باسمه العسكري «هواري بومدين» تاركا اسمه الأصلي بوخروبة محمد إبراهيم كما تولى مسؤولية الولاية الخامسة.

1958 : أصبح قائد الأركان الغربية.

1960 : أشرف على تنظيم جبهة التحرير الوطني عسكريا ليصبح قائد الأركان.

1962 : وزيرا للدفاع في حكومة الاستقلال.

1963 : نائب رئيس المجلس الثوري.

هذا الرصيد العلمي الذي كان له جعله يحتل موقعا متقدما في جيش التحرير الوطني وتدرّج في رتب الجيش إلى أن أصبح قائدا للمنطقة الغرب الجزائري، وتولى قيادة وهران من سنة 1957 وإلى سنة 1960 ثمّ تولى رئاسة الأركان من 1960 والى تاريخ الاستقلال في 05 تموز –يوليو 1962، وعيّن بعد الاستقلال وزيرا للدفاع ثم نائبا لرئيس مجلس الوزراء سنة 1963 دون أن يتخلى عن منصبه كوزير للدفاع.

وفي 19 حزيران - جوان 1965 قام هواري بومدين بانقلاب عسكري أطاح بالرئيس أحمد بن بلة.

تولى بومدين الحكم في الجزائر بعد انقلاب عسكري من 19 يونيو/ جوان 1965 إلى غاية ديسمبر 1978. فتميزت فترة حكمه بالازدهار في جميع المجالات خاصة منه الزراعي كما قام بتأميم المحروقات الجزائرية (البترول). وأقام أيضا قواعد صناعية كبرى ما زالت تعمل إلى حد الساعة. وكان في أول الأمر رئيسا لمجلس التصحيح الثوري تم انتخابه رئيسا للجمهورية الجزائرية عام 1975.

بعد أن تمكن هواري بومدين من ترتيب البيت الداخلي، شرع في تقوية الدولة على المستوى الداخلي وكانت أمامه ثلاث تحديات وهي الزراعة والصناعة والثقافة، فعلى مستوى الزراعة قام بومدين بتوزيع آلاف الهكتارات على الفلاحين الذين كان قد وفر لهم

المساكن من خلال مشروع ألف قرية سكنية للفلاحين وأجهز على معظم البيوت القصديرية والأكواخ التي كان يقطنها الفلاحون، وأمدّ الفلاحين بكل الوسائل والإمكانات التي كانوا يحتاجون إليها.

وقد ازدهر القطاع الزراعي في عهد هواري بومدين واسترجع حيويته التي كان عليها أيام الاستعمار الفرنسي عندما كانت الجزائر المحتلة تصدّر ثمانين بالمائة من الحبوب إلى كل أوروبا. وكانت ثورة بومدين الزراعية خاضعة لإستراتيجية دقيقة بدأت بالحفاظ على الأراضي الزراعية المتوفرة وذلك بوقف التصحر وإقامة حواجز كثيفة من الأشجار الخضراء السد الأخضر بين المناطق الصحراوية والمناطق الصالحة للزراعة وقد أوكلت هذه المهمة إلى الشباب الجزائريين الذين كانوا يقومون بالخدمة الوطنية.

وعلى صعيد الصناعات الثقيلة قام هواري بومدين بإنشاء مئات المصانع الثقيلة والتي كان خبراء من دول المحور الاشتراكي والرأسمالي يساهمون في بنائها، ومن القطاعات التي حظيت باهتمامه قطاع الطاقة، ومعروف أن فرنسا كانت تحتكر إنتاج النفط الجزائري وتسويقه إلى أن قام هواري بومدين بتأميمه الأمر الذي انتهى بتوتير العلاقات الفرنسية -الجزائرية، وقد أدى تأميم المحروقات إلى توفير سيولة نادرة للجزائر ساهمت في دعم بقية القطاعات الصناعية والزراعية. وفي سنة 1972 كان هواري بومدين يقول إن الجزائر ستخرج بشكل كامل من دائرة التخلف وستصبح يابان العالم العربي.

وبالتوازي مع سياسة التنمية قام هواري بومدين بوضع ركائز الدولة الجزائرية وذلك من خلال وضع دستور وميثاق للدولة وساهمت القواعد الجماهيرية في إثراء الدستور والميثاق رغم ما يمكن أن يقال عنهما إلا أنهما ساهما في ترتيب البيت الجزائري ووضع ركائز لقيام الدولة الجزائرية الحديثة.

إجمالا كانت علاقة الجزائر بكل الدول وخصوصا دول المحور الاشتراكي حسنة للغاية عدا العلاقة بفرنسا وكون تأميم البترول يعد من جهة مثالا لباقي الدول المنتجة يتحدى به العالم الرأسمالي جعل من الجزائر ركن للصمود والمواجهة من الدول الصغيرة كما كانت الثورة الجزائرية درسا للشعوب المستضعفة ومن جهة أخرى وخاصة بعد مؤتمر الأفروأسيوي في يوم 3 أيلول - سبتمبر 1973 يستقبل في الجزائر العالم الثالث كزعيم وقائد واثق من نفسه وبمطالبته بنظام دولي جديد أصبح يشكل تهديدا واضحا للدول المتقدمة.

حضر هواري بومدين عام 1970 إلى جانب الرئيس الموريتاني المختار ولد داده وملك المغرب الراحل الحسن الثاني مؤتمر نواديبو بموريتانيا. لتقسيم الصحراء بين المغرب وموريتانيا، وقد وضعت معالم ذلك التقسيم خلال هذا اللقاء. لجبهة البوليساريو لانتزاع استقلال الإقليم. هدد بومدين الرئيس الموريتاني ولد داده في لقائه معه بمدينة بشار الجزائرية في بداية السبعينات وطلب منه الابتعاد عن الصحراء. سخر بومدين الدبلوماسية الجزائرية لدعم موقف بلاده من قضية النزاع الصحراوي، ونتج عن ذلك أن اعترفت - آنذاك - 98 دولة بالجمهورية العربية الصحراوية التي أعلنتها جبهة البوليساريو، كما أدى إلى انسحاب المغرب من منظمة الوحدة الإفريقية.

أصيب هواري بومدين صاحب شعار «بناء دولة لا تزول بزوال الرجال» بمرض استعصى علاجه وقلّ شبيهه، وفي بداية الأمر ظن الأطباء أنّه مصاب بسرطان المثانة، غير أن التحاليل الطبية فندّت هذا الإدعّاء وذهب طبيب سويدي إلى القول إن هواري بومدين أصيب بمرض «والدن ستروم» وكان هذا الطبيب هو نفسه مكتشف المرض وجاء إلى الجزائر خصيصا لمعالجة بومدين، وتأكدّ أنّ بومدين ليس مصابا بهذا الداء. وقد مات هواري بومدين في صباح الأربعاء 27 ديسمبر 1978 في الساعة الثالثة وثلاثين دقيقة فجراً.



جمال عبد الناصر

(1918-1970م)

هو ثاني رؤساء مصر بعد محمد نجيب. تولى السلطة من العام 1954 حتى وفاته العام 1970. وهو قائد ثورة 23 يوليو 1952، ومن أهم نتائج الثورة هي خلع الملك فاروق عن الحكم، وبدء عهد جديد من التمدن في مصر والاهتمام بالقومية العربية والتي تضمنت فترة قصيرة من الوحدة بين مصر وسوريا ما بين عامي 1958 و 1962، والتي عرفت باسم الجمهورية العربية المتحدة. كما أن عبد الناصر شجع عددا من الثورات في أقطار الوطن العربي وعددا من الدول الأخرى في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية. ولقد كان لعبد الناصر دور قيادي وأساسي في تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية في سنة 1964 وحركة عدم الانحياز الدولية.

يعتبر عبد الناصر زعيم الأمة ومن أهم الشخصيات السياسية في العالم العربي وفي العالم النامي للقرن العشرين والتي أثرت تأثيرا كبيرا في المسار السياسي العالمي. عرف عن عبد الناصر قوميته وانتماؤه للوطن العربي. وأصبحت أفكاره مذهبا سياسيا سمي تيمنا باسمه وهو «المذهب الناصري» والذي اكتسب الكثير من المؤيدين في الوطن العربي خلال فترة الخمسينيات والستينيات. وبالرغم من أن صورة جمال عبد الناصر كقائد اهتزت إبان نكسة 67 إلا أنه مازال يحظى بشعبية وتأييد بين كثير من مؤيديه، والذين يعتبرونه «رمزا للكرامة والحرية العربية ضد استبداد الاستعمار وطغيان الاحتلال». توفي العام 1970، وكانت جنازته جنازة ضخمة جدا خرجت فيها أغلب الجنسيات العربية حزنا على رحيله.

ولد جمال عبد الناصر حسين سلطان بالإسكندرية قبيل أحداث ثورة 1919 التي هزّت مصر، وحركت وجدان المصريين، وألهبت مشاعر الثورة والوطنية في قلوبهم، وبعثت روح المقاومة ضد المستعمرين. وكان أبوه عبد الناصر حسين خليل سلطان قد انتقل من قريته بني مر بمحافظة أسيوط؛ ليعمل وكيلا لمكتب بريد باكوس بالإسكندرية، وقد تزوج من السيدة «فهيمة» ابنة «محمد حماد» تاجر الفحم المعروف في المدينة.

وفي منزل والده رقم 12 «شارع الدكتور قنواتي» بحي فلمنج ولد في (15 يناير 1918). وقد تحول هذا المنزل الآن إلى متحف يضم ممتلكات جمال عبد الناصر في بداية حياته. وكان والده دائم الترحال والانتقال من بلدة إلى أخرى؛ نظراً لطبيعة وظيفته التي كانت تجعله لا يستقر كثيرا في مكان.

لم يكد يبلغ الثامنة من عمره حتى تُوفيت أمه في (18 رمضان 1344هـ/ 2 أبريل 1926) وهي تضع مولودها الرابع «شوقي» بعد أخوته الليثي وعز العرب، وكان عمه «خليل»، الذي يعمل موظفا بالأوقاف في القاهرة متزوجاً منذ فترة، ولكنه لم يرزق بأبناء، فوجد في أبناء أخيه أبوته المفتقدة وحنينه الدائم إلى الأبناء؛ فأخذهم معه إلى القاهرة؛ ليقيموا معه حيث يوفر لهم الرعاية والاستقرار بعد وفاة أمهم.

وبعد أكثر من سبع سنوات على وفاة السيدة «فهيمة» تزوج الوالد عبد الناصر من السيدة «عنايات مصطفى» في مدينة السويس وذلك سنة 1933، ثم ما لبث أن تم نقله إلى القاهرة ليصبح مأمورا للبريد في حي الخرنفش بين الأزبكية والعباسية؛ حيث استأجر بيتا يملكه أحد اليهود المصريين، فانتقل جمال مع إخوته للعيش مع أبيهم. بعد أن تم نقل عمه «خليل» إلى إحدى القرى بالمحلة الكبرى، وكان في ذلك الوقت طالبًا في الصف الأول الثانوي.

وفي 29 يونيه 1944 تزوج جمال عبد الناصر من تحية محمد كاظم – ابنة تاجر من رعايا إيران – كان قد تعرف على عائلتها عن طريق عمه خليل حسين، وقد أنجب ابنتيه هدى ومنى وثلاثة أبناء هم خالد (على اسم أخي تحية المتوفى خالد) وعبد الحكيم (على اسم عبد الحكيم عامر صديق عمره).

لعبت تحية دوراً هاماً في حياته خاصة في مرحلة الإعداد للثورة واستكمال خلايا تنظيم الضباط الأحرار، فقد تحملت أعباء أسرته الصغيرة – هدى ومنى – عندما كان في حرب فلسطين، كما ساعدته في إخفاء السلاح حين كان يدرب الفدائيين المصريين للعمل ضد القاعدة البريطانية في قناة السويس في 1951، 1952 .

بعد حصوله على شهادة الثانوية من مدرسة النهضة المصرية بالقاهرة (في عام 1356 هـ/ 1937) كان يتوق إلى دراسة الحقوق، ولكنه ما لبث أن قرر دخول الكلية الحربية، وبعد أن قضى بضعة أشهر في دراسة الحقوق دخل الكلية الحربية، ولم يكن طلاب

الكلية يتجاوزن 90 طالبا. وبعد تخرجه في الكلية الحربية (عام 1357 هـ/ 1938) التحق بالكتيبة الثالثة بنادق، وتم نقله إلى «منقباد» بأسيوط؛ حيث التقى بأنور السادات وزكريا محيي الدين.

وفي سنة (1358هـ/ 1939) تم نقله إلى الإسكندرية، وهناك تعرف على عبد الحكيم عامر، الذي كان قد تخرج في الدفعة التالية له من الكلية الحربية، وفي عام 1942 تم نقله إلى معسكر العلمين، وما لبث أن نُقل إلى السودان ومعه عامر.

وعندما عاد من السودان تم تعيينه مدرسا بالكلية الحربية، والتحق بكلية أركان الحرب؛ فالتقى خلال دراسته بزملائه الذين أسس معهم «تنظيم الضباط الأحرار».

كانت الفترة ما بين 1945و1947 هي البداية الحقيقية لتكوين نواة تنظيم الضباط الأحرار؛ فقد كان معظم الضباط، الذين أصبحوا فيها بعد «اللجنة التنفيذية للضباط الأحرار»، يعملون في العديد من الوحدات القريبة من القاهرة، وكانت تربطهم علاقات قوية بزملائهم؛ فكسبوا من بينهم مؤيدين لهم.

وكانت حرب 1948 هي الشرارة التي فجّرت عزم هؤلاء الضباط على الثورة، بعد النكبة التي مني بها العالم العربي في فلسطين. وفي تلك الأثناء كان كثير من هؤلاء الضباط منخرطين بالفعل في حرب فلسطين.

وفي صيف 1949 نضجت فكرة إنشاء تنظيم ثوري سري في الجيش، وتشكلت لجنة تأسيسية ضمت في بدايتها خمسة أعضاء فقط، هم: جمال عبد الناصر، وكمال الدين حسين، وحسن إبراهيم، وخالد محيي الدين، وعبد المنعم عبد الرؤوف، ثم زيدت بعد ذلك إلى عشرة، بعد أن انضم إليها كل من: أنور السادات، وعبد الحكيم عامر، وعبد اللطيف البغدادي، وزكريا محيي الدين، وجمال سالم. وظل خارج اللجنة كل من: ثروت عكاشة، وعلي صبري، ويوسف منصور صديق.

وفي ذلك الوقت تم تعيين جمال عبد الناصر مدرسا في كلية أركان الحرب، ومنحه رتبة بكباشي (مقدم)، بعد حصوله على دبلوم أركان الحرب العام 1951 في أعقاب عودته من حرب فلسطين، وكان قد حوصر هو ومجموعة من رفاقه في «الفالوجة» أكثر من أربعة أشهر، وبلغ عدد الغارات الجوية عليها أثناء الحصار 220 غارة. عاد بعد أن رأى بعينه الموت يحصد أرواح جنوده وزملائه، الذين رفضوا الاستسلام لليهود، وقاوموا

برغم الحصار العنيف والإمكانات المحدودة، وقاتلوا بفدائية نادرة وبطولة فريدة؛ حتى تم رفع الحصار في (جمادى الآخرة 1368 هـ / مارس 1949).

دخل دورات خارج مصر منها دورة السلاح أو الصنف في بريطانيا، مما أتاح له التعرف على الحياة الغربية والتأثر بمنجزاتها. كما كان دائم التأثر بالأحداث الدولية وبالواقع العربي وأحداثه السياسية وتداعيات الحرب العالمية الثانية وانقلاب بكر صدقي باشا كأول انقلاب عسكري في الوطن العربي في العراق العام 1936. وثورة رشيد عالي الكيلاني في العراق ضد الإنجليز والحكومة الموالية لهم عام 1941. وتأميم مصدق لنفط إيران عام 1951. والثورات العربية ضد المحتل مثل الثورة التونسية والثورة الليبية. كما أعجب بحركة الإخوان المسلمين ثم ما لبث أن توصل إلى رأي بأن لا جدوى من أحزاب دينية في وطن عربي يوجد فيه أعراق وطوائف وأديان مختلفة.

بعد سلسلة من الإخفاقات التي واجهها الملك داخليا وخارجيا وخصوصا تخبطه في علاقاته أثناء الحرب العالمية الثانية بين دول المحور والحلفاء، مما زعزع موقف مصر كثيرا وأدى إلى إنشاء ثاني أكبر قاعدة بريطانية في المنطقة في السويس «بعد الحبانية في العراق». وكذلك موقفه في حرب 1948 التي خسر فيها الحرب. وقبل ذلك كانت الدعوات والضغوطات داخليا وعربيا تحث قادة الجيش على لعب دور في إصلاح الأوضاع المصرية، منها ما كانت تبثه محطة إذاعة برلين العربية إبان الحرب العالمية الثانية والتي كانت تحت تصرف كل من الشخصية الوطنية العراقية رشيد عالي الكيلاني ومفتي القدس أمين الحسيني، وأخذ الكيلاني بعد أن نجح في العراق عام 1941 بإحداث أول ثورة تحررية قي الوطن العربي ضد الإنجليز ذات أبعاد قومية تنادي بوحدة الأقطار العربية أطلق التصريحات والبيانات للقادة والجيوش العربية بضرورة الانتفاض ضد الهيمنة البريطانية والفرنسية. وحث الجيش المصري على الثورة ضد المستعمر الذي يدعم النظام الملكي، ولقيت دعوة الكيلاني التفهم والترحيب لدى القادة العسكريين المصريين.

وكانت لطروحاته وشعاراته الثورية والتحررية من خلال إذاعة برلين العربية الأثر في نفوس ثوار مصر بالإطاحة بالملك فاروق في حركة يوليو/ تموز 1952، لاسيما بعد أن تعمق هذا الإحساس بعد حرب 1948.

وفي 23 يوليو 1952 قامت الثورة، ولم تلقَ مقاومة تذكر، ولم يسقط في تلك الليلة سوى ضحيتين فقط، هما الجنديان اللذان قتلا عند اقتحام مبنى القيادة العامة. وكان

الضباط الأحرار قد اختاروا محمد نجيب رئيسا لحركتهم، وذلك لما يتمتع به من احترام وتقدير ضباط الجيش؛ وكذلك لسمعته الطيبة وحسه الوطني، فضلا عن كونه يمثل رتبة عالية في الجيش، وهو ما يدعم الثورة ويكسبها تأييدا كبيرا سواء من جانب الضباط، أو من جانب جماهير الشعب.

وكان عبد الناصر هو الرئيس الفعلي للجنة التأسيسية للضباط الأحرار؛ ومن ثم فقد نشأ صراع شديد على السلطة بينه وبين محمد نجيب، ما لبث أن أنهاه عبد الناصر لصالحه في (17 ربيع الأول 1374 هـ / 14 نوفمبر 1954) بعد أن اعتقل محمد نجيب، وحدد إقامته في منزله، وانفرد وحده بالسلطة.

واستطاع أن يعقد اتفاقية مع بريطانيا لجلاء قواتها عن مصر في وذلك في 19 أكتوبر 1954، وذلك بعد أن اتفقت مصر وبريطانيا على أن يتم منح السودان الاستقلال.

في العام 1958 أقام وحدة اندماجية مع سوريا، وسميت الدولة الوليدة بالجمهورية العربية المتحدة، إلا أن هذه الوحدة لم تدم طويلاً، حيث حدث انقلاب في الإقليم السوري في سبتمبر من عام 1961 أدى إلى إعلان الانفصال ثم تم عقد معاهدة وحدة متأنية مع العراق وسوريا العام 1964 إلا أن وفاة الرئيس العراقي المشير عبد السلام عارف عام 1966 ثم حرب 1967 حالت دون تحقيق الوحدة. علما أن مصر استمرت في تبني اسم «الجمهورية العربية المتحدة» وذلك لغاية عام 1971 أي إلى ما بعد رحيل عبد الناصر بعام.

بعد حرب 1967 كما سميت في إسرائيل والغرب أو النكسة كما عرفت عند العرب، خرج عبد الناصر على الجماهير طالباً التنحي من منصبه، إلا أنه خرجت مظاهرات في العديد من مدن مصر وخصوصا في القاهرة طالبته بعدم التنحي عن رئاسة الجمهورية.

ومن إنجازات عبد الناصر أنه وافق على مطلب السوريين بالوحدة مع مصر في الجمهورية العربية المتحدة، والتي لم تستمر أكثر من ثلاث سنين تحت اسم الجمهورية العربية المتحدة (1958-1961) وسط مؤامرات دولية وعربية لإجهاضها.

كما أنه استجاب لدعوة العراق لتحقيق أضخم انجاز وحدوي مع العراق وسوريا بعد تولي الرئيس العراقي المشير عبد السلام عارف رئاسة الجمهورية العراقية بما يسمى باتفاق 16 ابريل 1964.

قام بتأميم قناة السويس وإنشاء السد العالي على نهر النيل.

تأسيسه منظمة عدم الانحياز مع الرئيس اليوغوسلافي تيتو والإندونيسي سوكارنو والهندي نهرو.

تأميم البنوك الخاصة والأجنبية العاملة في مصر.

قوانين الإصلاح الزراعي وتحديد الملكية الزراعية والتي بموجبها صار فلاحو مصر يمتلكون للمرة الأولى الأرض التي يفلحونها ويعملون عليها وتم تحديد ملكيات الإقطاعيين بمائتي فدان فقط.

إنشاء التليفزيون المصري (1960)

قوانين يوليو الاشتراكية (1961)

إبرام اتفاقية الجلاء مع بريطانيا العام 1954، والتي تم بموجبها جلاء آخر جندي إنجليزي عن قناة السويس ومصر كلها في الثامن عشر من يونيو 1956.

بناء إستاد القاهرة الرياضي بمدينة نصر.

إنشاء كورنيش النيل.

إنشاء معرض القاهرة الدولي للكتاب.

التوسع في التعليم المجاني على كل المراحل.

التوسع المطرد في مجال الصناعات التحويلية.

مساندة للحركات الثورية في الوطن العربي، حيث

اعتبر الرئيس ناصر من أبرز الزعماء المنادين بالوحدة العربية وهذا هو الشعور السائد يوم ذاك بين معظم الشعوب العربية. وسبقه في ذلك الزعيم العربي الشريف حسين قائد الثورة العربية الكبرى.

دعم الرئيس عبد الناصر القضية الفلسطينية وساهم شخصيا بحرب العام 1948 وجرح فيها. وعند توليه الرئاسة اعتبر القضية الفلسطينية من أولوياته لأسباب عديدة منها مبدئية ومنها إستراتيجية تتعلق بكون قيام دولة معادية على حدود مصر سيسبب خرقا للأمن الوطني المصري. كما أن قيام دولة إسرائيل في موقعها في فلسطين يسبب قطع

خطوط الاتصال التجاري والجماهيري مع المحيط العربي خصوصا الكتلتين المؤثرتين الشام والعراق لذلك كان يرى قيام وحدة إما مع العراق أو سوريا أو مع كليهما.

وكان لعبد الناصر دور بارز في مساندة ثورة الجزائر وتبني قضية تحرير الشعب الجزائري في المحافل الدولية، وسعى كذلك إلى تحقيق الوحدة العربية؛ فكانت تجربة الوحدة بين مصر وسوريا في فبراير 1958 تحت اسم الجمهورية العربية المتحدة، وقد تولى هو رئاستها بعد أن تنازل الرئيس السوري شكري القوتلي له عن الحكم، إلا أنها لم تستمر أكثر من ثلاث سنوات.

كما ساند عبد الناصر الثورة العسكرية المتمردة التي قام بها الجيش بزعامة المشير عبدالله السلال في اليمن بسنة 1962 ضد الحكم الإمامي الملكي حيث أرسل عبد الناصر نحو 70 ألف جندي مصري إلى اليمن لمقاومة النظام الملكي، وقد يعزى إلى هذا التدخل إرهاق الجيش المصري في اليمن مما سبب الخسارة الفادحة في عام النكسة.

شهدت مصر في الفترة من مطلع الستينيات إلى ما قبل النكسة نهضة اقتصادية وصناعية كبيرة، بعد أن بدأت الدولة اتجاها جديدا نحو السيطرة على مصادر الإنتاج ووسائله، من خلال التوسع في تأميم البنوك والشركات والمصانع الكبرى، وإنشاء عدد من المشروعات الصناعية الضخمة، وقد اهتم عبد الناصر بإنشاء المدارس والمستشفيات، وتوفير فرص العمل لأبناء الشعب، وتوَّج ذلك كله ببناء السد العالي الذي يُعد أهم وأعظم إنجازاته على الإطلاق؛ حيث حمى مصر من أخطار الفيضانات، كما أدى إلى زيادة الرقعة الزراعية بنحو مليون فدان، بالإضافة إلى ما تميز به باعتباره المصدر الأول لتوليد الكهرباء في مصر، وهو ما يوفر الطاقة اللازمة للمصانع والمشروعات الصناعية الكبرى.

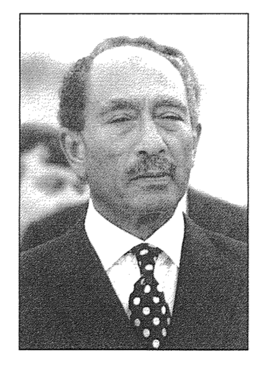
تعرض لمحاولة اغتيال في 26 أكتوبر1954م. عندما كان يلقي خطبة جماهيرية في ميدان المنشية بمدينة الإسكندرية الساحلية في احتفال أقيم تكريماً له ولزملائه بمناسبة اتفاقية الجلاء، حيث أطلقت عليه ثماني رصاصات لم تصبه أي منها لكنها أصابت الوزير السوداني «ميرغني حمزة» وسكرتير هيئة التحرير بالإسكندرية «أحمد بدر» الذي كان يقف إلى جانب جمال عبد الناصر، وألقي القبض على مطلق الرصاص، الذي تبين لاحقا أنه ينتمي إلى تنظيم الإخوان المسلمين.

وما لبث عبد الناصر أن اصطدم بجميع الناشطين السياسيين وعلى رأسهم الشيوعيون وجماعة الإخوان المسلمين وكلاهما جماعات محظور نشاطها في مصر في ذلك

الوقت. وألقت الدولة المصرية آنذاك القبض على الآلاف من أعضاء تلك الجماعات، وأجريت لهم محاكمات عسكرية وحكم بالإعدام على عدد منهم. وامتدت المواجهات إلى النقابات المختلفة؛ فقد تم حلّ مجلس نقابة المحامين بتاريخ 26 ديسمبر 1954، ثم تلتها نقابة الصحفيين في العام 1955. كما ألغيت الحياة النيابية والحزبية ووحدت التيارات في الاتحاد القومي عام 1959، ثم الاتحاد الاشتراكي في عام 1962.

في يونيو 1967 قصف سلاح الطيران الإسرائيلي جميع المطارات العسكرية لدول الطوق واستطاع تدمير سلاح الطيران المصري على الأرض، وقتل آلاف من الجنود المصريين في انسحاب الجيش غير المخطط له من سيناء مما أدى إلى سقوط شبه جزيرة سيناء والضفة الغربية وقطاع غزة ومرتفعات الجولان في يد إسرائيل في غضون ستة أيام.

آخر مهام عبد الناصر كان عقده مؤتمر قمة القاهرة في 26 إلى 28 سبتمبر 1970. حيث عاد من مطار القاهرة بعد أن ودع صباح السالم الصباح أمير الكويت. عندما داهمته نوبة قلبية بعد ذلك، وأعلن عن وفاته في 28 سبتمبر 1970 عن عمر ناهز 52 عاما بعد 18 عاماً قضاها في رئاسة مصر، ليتولى الحكم من بعده نائبه محمد أنور السادات.



محمد أنور السادات

(1918-1981 م)

محمد أنور محمد السادات (25 ديسمبر 1918- 6 أكتوبر 1981) رئيس جمهورية مصر العربية للفترة من 28 سبتمبر 1970 وحتى 6 أكتوبر 1981.

ولد السادات بقرية ميت أبو الكوم بمحافظة المنوفية سنة 1918، وتلقى تعليمه الأول في كتاب القرية على يد الشيخ عبد الحميد عيسى، ثم انتقل إلى مدرسة الأقباط الابتدائية بطوخ دلكا وحصل منها على الشهادة الابتدائية. وفي عام 1935 التحق بالمدرسة الحربية لاستكمال دراساته العليا، وتخرج من الكلية الحربية بعام 1938 ضابطاً برتبة ملازم ثان وتم تعيينه في مدينة منقباد جنوب مصر. وقد تأثر في مطلع حياته بعدد من الشخصيات السياسية والشعبية في مصر والعالم.

في عام 1941 دخل السجن لأول مرة أثناء خدمته العسكرية وذلك إثر لقاءاته المتكررة بعزيز باشا المصري الذي طلب منه مساعدته للهروب إلى العراق، بعدها طلبت منه المخابرات العسكرية قطع صلته بالمصري لميوله المحورية غير إنه لم يعبأ بهذا الإنذار فدخل على إثر ذلك سجن الأجانب في فبراير عام 1942. وقد خرج من سجن الأجانب في وقت كانت فيه عمليات الحرب العالمية الثانية على أشدها، وعلى أمل إخراج الإنجليز من مصر كثف اتصالاته ببعض الضباط الألمان الذين نزلوا مصر خفية فاكتشف الإنجليز هذه الصلة مع الألمان فدخل المعتقل سجيناً للمرة الثانية عام 1943. لكنه استطاع الهرب من المعتقل، ورافقه في رحلة الهروب صديقه حسن عزت. وعمل أثناء فترة هروبه من السجن عتالاً على سيارة نقل تحت اسم مستعار هو الحاج محمد. وفى أواخر عام 1944 انتقل إلى بلدة أبو كبير بالشرقية ليعمل فاعلاً في مشروع ترعة ري. وفي عام 1945 ومع انتهاء الحرب العالمية الثانية سقطت الأحكام العرفية، وبسقوط الأحكام العرفية عاد إلى بيته بعد ثلاث سنوات من المطاردة والحرمان.

وكان قد التقى في تلك الفترة بالجمعية السرية التي قررت اغتيال أمين عثمان وزير المالية في حكومة الوفد ورئيس جمعية الصداقة المصرية - البريطانية لتعاطفه الشديد مع الإنجليز. وعلى أثر اغتيال أمين عثمان عاد مرة أخرى وأخيرة إلى السجن. وقد واجه في سجن قرميدان أصعب محن السجن بحبسه انفراديا، غير أن هرب المتهم الأول في قضية حسين توفيق. وعدم ثبوت الأدلة الجنائية أسقط التهمة عنه فأفرج عنه.

بعد خروجه من السجن عمل مراجعاً صحفياً بمجلة المصور حتى ديسمبر 1948. وعمل بعدها بالأعمال الحرة مع صديقة حسن عزت. وفي عام 1950 عاد إلى عمله بالجيش بمساعدة زميله القديم الدكتور يوسف رشاد الطبيب الخاص بالملك فاروق.

وفي عام 1951 تكونت الهيئة التأسيسية للتنظيم السري في الجيش والذي عرف فيما بعد بتنظيم الضباط الأحرار فانضم إليها. وتطورت الأحداث في مصر بسرعة فائقة بين عامي 1951-1952، فألغت حكومة الوفد معاهدة 1936 وبعدها اندلع حريق القاهرة الشهير في يناير 1952 وأقال الملك وزارة النحاس الأخيرة.

وفي ربيع عام 1952 أعدت قيادة تنظيم الضباط الأحرار للثورة، وفي 21 يوليو أرسل جمال عبد الناصر إليه في مقر وحدته بالعريش يطلب منه الحضور إلى القاهرة للمساهمة في ثورة الجيش على الملك والإنجليز. وقامت الثورة، وأذاع بصوته بيان الثورة. وقد أسندت إليه مهمة حمل وثيقة التنازل عن العرش إلى الملك فاروق.

في عام 1953 أنشأ مجلس قيادة الثورة جريدة الجمهورية وأسند إليه رئاسة تحرير هذه الجريدة. وفي عام 1954 ومع أول تشكيل وزاري لحكومة الثورة تولى منصب وزير دولة وكان ذلك في سبتمبر 1954.

وانتخب عضواً بمجلس الأمة عن دائرة تلا ولمدة ثلاث دورات ابتداءً من عام 1957. وكان قد انتخب في عام 1960 رئيساً لمجلس الأمة وكان ذلك في الفترة من 21 يوليو 1960 ولغاية 27 سبتمبر 1961، كما انتخب رئيساً لمجلس الأمة للفترة الثانية من 29 مارس 1964 إلى 12 نوفمبر 1968. كما أنه في عام 1961 عين رئيساً لمجلس التضامن الأفرو - آسيوي. في عام 1969 اختاره جمال عبد الناصر نائباً له، وظل بالمنصب حتى يوم 28 سبتمبر 1970.

بعد وفاه الرئيس جمال عبد الناصر في 28 سبتمبر 1970 وكونه كان نائباً للرئيس أصبح رئيساً للجمهورية. وقد اتخذ في 15 مايو 1971 قراراً حاسماً بالقضاء على مراكز القوى في مصر وهو ما عرف بثورة التصحيح، وفي نفس العام أصدر دستوراً جديداً لمصر.

وقام في عام 1972 بالاستغناء عن 17000 خبير روسي في أسبوع واحد وذلك لإعادة الثقة بالنفس لجيش مصر حتى إذا ما كسب المصريون المعركة لا ينسب الفضل إلى غيرهم.

وقد أقدم على اتخاذ قرار مصيري له ولمصر وهو قرار الحرب ضد إسرائيل التي بدأت في 6 أكتوبر 1973 عندما استطاع الجيش كسر خط بارليف وعبور قناة السويس فقاد مصر إلى أول انتصار عسكري في العصر الحديث.

وقد قرر في عام 1974 رسم معالم جديدة لنهضة مصر بعد الحرب وذلك بانفتاحها على العالم فكان قرار الانفتاح الاقتصادي.

ومن أهم الأعمال التي قام بها قيامه بإعادة الحياة الديمقراطية التي بشرت بها ثورة 23 يوليو ولم تتمكن من تطبيقها، حيث كان قراره الذي اتخذه بعام 1976 بعودة الحياة الحزبية حيث ظهرت المنابر السياسية ومن رحم هذه التجربة ظهر أول حزب سياسي وهو الحزب الوطني الديمقراطي كأول حزب بعد ثورة يوليو وهو الحزب الذي أسسه وترأسه وكان اسمه في البداية حزب مصر، ثم توالى من بعده ظهور أحزاب أخرى كحزب الوفد الجديد وحزب التجمع الوحدوي التقدمي وغيرها من الأحزاب.

اتخذ في عام 1977 قراره الذي سبب ضجة في العالم بزيارته للقدس وذلك ليدفع بيده عجلة السلام بين مصر وإسرائيل. وقد قام في عام 1978 برحلته إلى الولايات المتحدة الأمريكية من أجل التفاوض لاسترداد الأرض وتحقيق السلام كمطلب شرعي لكل إنسان، وخلال هذه الرحلة وقع اتفاقية السلام في كامب ديفيد برعاية الرئيس الأمريكي جيمي كارتر. وقد وقع معاهدة كامب ديفيد للسلام بين مصر وإسرائيل مع كل من الرئيس الأمريكي جيمي كارتر ورئيس الوزراء الإسرائيلي مناحيم بيجن. والاتفاقية هي عبارة عن إطار للتفاوض يتكون من اتفاقيتين الأولى إطار لاتفاقية سلام منفردة بين مصر وإسرائيل والثانية خاصة بمبادئ للسلام العربي الشامل في الضفة الغربية وقطاع غزة والجولان.

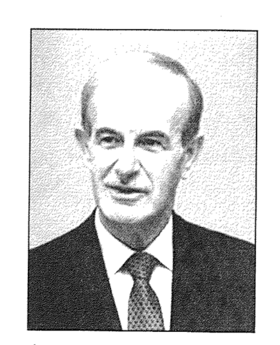
وقد انتهت الاتفاقية الأولى بتوقيع معاهدة السلام المصرية - الإسرائيلية عام 1979 والتي عملت إسرائيل على إثرها على إرجاع الأراضي المصرية المحتلة إلى مصر.

وقد حصل على جائزة نوبل للسلام مناصفة مع رئيس الوزراء الإسرائيلي مناحيم بيجن وذلك على جهودهما الحثيثة في تحقيق السلام في منطقة الشرق الأوسط.

لم تكن ردود الفعل العربية إيجابية لزيارته لإسرائيل، وعملت الدول العربية على مقاطعة مصر وتعليق عضويتها في الجامعة العربية، وتقرر نقل المقر الدائم للجامعة العربية من القاهرة إلى تونس العاصمة، وكان ذلك في القمة العربية التي تم عقدها في بغداد بناء على دعوة من الرئيس العراقي أحمد حسن البكر في 2 نوفمبر 1978، والتي تمخض عنها مناشدة الرئيس المصري للعدول عن قراره بالصلح المنفرد مع إسرائيل مما سيلحق الضرر بالتضامن العربي ويؤدي إلى تقوية وهيمنة إسرائيل وتغلغلها في الحياة العربية وانفرادها بالشعب الفلسطيني، كما دعا العرب إلى دعم الشعب المصري بتخصيص ميزانية قدرها 11 مليار دولار لحل مشاكله الاقتصادية، إلا أنه رفضها مفضلاً الاستمرار بمسيرته السلمية المنفردة مع إسرائيل.

بحلول خريف عام 1981 قامت الحكومة بحملة اعتقالات واسعة شملت المنظمات الإسلامية ومسؤولي الكنيسة القبطية والكتاب والصحفيين ومفكرين يساريين وليبراليين ووصل عدد المعتقلين في السجون المصرية إلى 18000 معتقل وذلك على إثر حدوث بوادر فتن واضطرابات شعبية رافضة للصلح مع إسرائيل ولسياسات الدولة الاقتصادية.

وفي 6 أكتوبر من العام نفسه (بعد 31 يوما من إعلان قرارات الاعتقال) تم اغتياله في عرض عسكري كان يقام بمناسبة ذكرى حرب أكتوبر، وقام بقيادة عملية الاغتيال خالد الإسلامبولي التابع لمنظمة الجهاد الإسلامي التي كانت تعارض بشدة اتفاقية السلام مع إسرائيل ولم ترق لها حملة القمع المنظمة التي قامت بها الحكومة في شهر سبتمبر. خلفه في الرئاسة نائب الرئيس محمد حسني مبارك.



حافظ الأسد

(1930 - 2000 م)

حافظ سليمان الأسد (6 أكتوبر 1930 - 10 يونيو 2000)، رئيس الجمهورية العربية السورية بين أعوام 1970 - 2000.

ولد في مدينة القرداحة بمحافظة اللاذقية لأسرة من الطائفة العلوية كانت تعمل في فلاحة الأرض . أتم تعليمه الأساسي في مدرسة قريته التي أنشأها الفرنسيون عندما أدخلوا التعليم إلى القرى النائية وكان أول من نال تعليماً رسمياً في عائلته، ثم انتقل إلى مدينة اللاذقية حيث أتم تعليمه الثانوي ونال شهادة الفرع العلمي، لكنه لم يتمكن من دخول كلية الطب في الجامعة اليسوعية ببيروت كما كان يتمنى لتردي أوضاعه المادية والاجتماعية لذا التحق بالأكاديمية العسكرية في حمص عام 1952 ومن ثم التحق بالكلية الجوية ليتخرج منها برتبة ملازم طيار عام 1955 ليشارك بعدها ببطولة الألعاب الجوية ويفوز بها.

التحق بحزب البعث عام 1946 عندما شكل رسمياً أول فرع له في اللاذقية. كما اهتم بالتنظيمات الطلابية حيث كان رئيس فرع الاتحاد الوطني للطلبة في محافظة اللاذقية، ثم رئيساً لاتحاد الطلبة في سوريا.

بعد سقوط حكم أديب الشيشكلي واغتيال العقيد عدنان المالكي انحسم الصراع الدائر بين الحزب السوري القومي الاجتماعي وحزب البعث العربي الاشتراكي لصالح البعثيين مما سمح بزيادة نشاطهم وحصولهم على امتيازات استفاد منها هو حيث اختير للذهاب إلى مصر للتدرب على قيادة الطائرات النفاثة ومن ثم أرسل إلى الاتحاد السوفييتي ليتلقى تدريباً إضافياً على الطيران الليلي بطائرات ميغ 15 و ميغ 17 والتي كان سلاح الجو السوري قد تزود بها.

انتقل لدى قيام الوحدة بين سوريا ومصر مع سرب القتال الليلي التابع لسلاح الجو السوري للخدمة في القاهرة وكان حينها برتبة نقيب (حسب بعض المصادر رائد). لم

يتقبل مع عدد من رفاقه قرار قيادة حزب البعث بحل الحزب عام 1958 استجابة لشروط عبد الناصر لتحقيق الوحدة. فقاموا بتشكيل تنظيم سري عام 1960 عرف باللجنة العسكرية (هي التي حكمت سوريا فيما بعد) وكان لها دور بارز في الانقلابات التي حدثت في مطلع الستينات.

قام حزب البعث مع عدد من الأحزاب في سوريا بالتوقيع على وثيقة الانفصال في عام 1961، وعلى إثر ذلك اعتقل مع عدد من رفاقه في اللجنة العسكرية في مصر لمدة 44 يوماً، وأطلق سراحهم بعد ذلك وأعيدوا إلى سوريا في إطار عملية تبادل مع ضباط مصريين كانوا قد احتجزوا في سوريا. وأبعد بعد عودته عن الجيش لموقفه الرافض للانفصال وأحيل إلى الخدمة المدنية في إحدى الوزارات.

بعد أن استولى حزب البعث على السلطة في انقلاب 8 مارس 1963 فيما عرف باسم ثورة الثامن من آذار، أعيد إلى الخدمة من قبل صديقه ورفيقه في اللجنة العسكرية مدير إدارة شؤون الضباط آنذاك المقدم صلاح جديد، ورقي بعدها في عام 1964 من رتبه رائد إلى رتبة لواء دفعة واحدة، وعين قائداً للقوة الجوية والدفاع الجوي. وبدأت اللجنة العسكرية بتعزيز نفوذها وكانت مهمته توسيع شبكة مؤيدي وأنصار الحزب في القوات المسلحة.

وقامت اللجنة العسكرية في 23 فبراير 1966 بقيادة صلاح جديد وبمشاركة منه بالانقلاب على القيادة القومية لحزب البعث والتي ضمت آنذاك مؤسس الحزب ميشيل عفلق ورئيس الجمهورية أمين الحافظ ليتخلى بعدها صلاح جديد عن رتبته العسكرية لإكمال السيطرة على حزب البعث وحكم سوريا بينما تولى هو وزارة الدفاع.

بدأت الخلافات بالظهور بينه وصلاح جديد بعد الهزيمة في حرب 1967، حيث انتقد جديد أداء وزارة الدفاع السورية خلال الحرب وخاصة القرار بسحب الجيش وإعلان سقوط القنيطرة بيد الكيان الصهيوني قبل أن يحدث ذلك فعلياً بالإضافة إلى تأخر غير مفهوم لسلاح الجو السوري في دعم نظيره الأردني مما أدى لتحميله مسؤولية الهزيمة. وتفاقمت هذه الخلافات مع توجه صلاح جديد نحو خوض حرب طويلة مع إسرائيل بينما عارض هو ذلك لإدراكه أن الجيش لم يكن مؤهلاً لمثل هذه الحرب خاصة بعد موجة التسريحات التي أتبعت انقلاب 8 آذار/ مارس 1963 والتي طالت الضباط من غير البعثيين.

وصلت الخلافات بينهما أوجها خلال أحداث أيلول في الأردن عام 1970 حيث أرسل صلاح جديد الجيش السوري لدعم الفلسطينيين، لكنه امتنع عن تقديم التغطية الجوية للجيش وتسبب في إفشال مهمته. وعلى إثر ذلك قام صلاح جديد بعقد اجتماع للقيادة القطرية لحزب البعث والتي قررت بالإجماع إقالته مع رئيس الأركان مصطفى طلاس من منصبيهما. لكنه لم ينصع للقرار وتمكن بمساعدة من القطع الموالية له في الجيش من الانقلاب في 16 نوفمبر 1970 فيما يعرف بالحركة التصحيحية على صلاح جديد ورئيس الجمهورية نور الدين الأتاسي وسجنهما مع العديد من رفاقه.

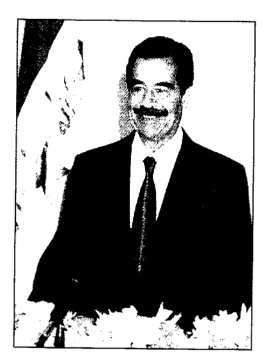
تولى منصب رئاسة مجلس الوزراء ووزير الدفاع في 21 تشرين الثاني/ نوفمبر 1970، ثم ما لبث أن حصل على صلاحيات رئيس الجمهورية في 22 شباط/ فبراير 1971 ليثبت في 12 آذار/ مارس 1971 رئيساً للجمهورية العربية السورية لمدة سبع سنوات بعد إجراء استفتاء شعبي ليكون بذلك أول رئيس في التاريخ السوري. وبعدها أعيد انتخابه في استفتاءات متتابعة أعوام 1978 و1985 و1992 و1999. وتولى الحكم مدعوماً بالجيش، ونال استحسان الجماهير المرهقة في بادئ الأمر نتيجة الإصلاحات التي قام بها وبنائه للجيش السوري المدمر وتحقيق النصر في حرب أكتوبر 1973. لكن ظروف السبعينيات القلقة في المنطقة لم توفر نظامه مما خلق اضطرابات داخلية عنيفة لسنوات. دخل في نزاع عنيف مع حركة الإخوان المسلمين السورية التي أعلنت «العصيان المدني» في سوريا ودعت لإسقاط النظام الحاكم في البلاد وإعادة الحياة البرلمانية وإجراء انتخابات نزيهة لإنهاء استفراد البعث بالسلطة. وتحول الصراع بين الحركة والنظام إلى صراع مسلح بعد أن قام بتكليف الجيش للقضاء على العصيان الذي قام به الإخوان المسلمون.

انخرط بشكل فعلي في الحرب الأهلية اللبنانية بعد اجتياح إسرائيل للبنان مانعاً لحدوث قلاقل أكبر، وطبق هناك سياسة لا غالب ولا مغلوب عن طريق حفظ توازن القوى بين كل الأطراف اللبنانية وذلك إلى أن حصل على تفويض من الجامعة العربية في مؤتمر الطائف لمساعدة الأطراف اللبنانية المتصالحة بالسيطرة على لبنان.

على الصعيد الداخلي مكنته اضطرابات عامي 1982 و 1984 من فرض سيطرته المطلقة وفرض الأحكام العرفية مطوراً نظاماً أمنياً مشابهاً لمعظم الأنظمة العربية بعد السبعينيات، وقد استطاع هذا النظام الأمني إلغاء كل المعارضة وتصفية زعمائها حتى في الخارج، ليحصل على سيطرة مطلقة.

على الصعيد الخارجي استمر في رفضه معاهدة كامب ديفيد التي وقعت بين أنور السادات وإسرائيل منادياً بحل شامل للقضية الفلسطينية إلى أن قامت منظمة التحرير الفلسطينية بتوقيع اتفاقية أوسلو 1993 منفردة وهو الأمر الذي اعتبره خيانة. في عام 1998 تمت عدة محاولات لإتمام اتفاقية سلام بين سوريا وإسرائيل تحت إشراف الراعي الأمريكي، لكن إصراره على استرداد كامل أرض الجولان التي احتلت في حرب 1967 حال دون إتمام أي اتفاق.

استمر على سدة رئاسة سوريا حتى وفاته في 10 يونيو 2000 إثر غيبوبة استمرت يومين بسبب مرض سرطان الدم الذي كان يعاني منه منذ سنوات. خلفه في رئاسة الجمهورية ابنه بشار الأسد بعدما كان يحضره للمنصب لسنوات إثر وفاة ابنه الأكبر باسل في حادث سير مروع على شارع مطار دمشق الدولي عام 1994 م.



صدام حسين
(1937-2006 م)

وُلد صدام حسين في قرية العوجة التابعة لمحافظة صلاح الدين لعائلة تمتهن الزراعة، حيث تقيم عشيرته البو ناصر ولم يعرف صدام قط والده الذي توفي قبل ولادته بخمسة أشهر، ووالدته صبحة طلفاح المسلط التي تزوجت مرتين. وقام خاله، خير الله طلفاح، برعايتهِ حينئذ. تزوجت أم صدام، صبحة طلفاح، للمرة الثانية وأنجبت لهُ ثلاثة أخوة.

في سن العاشرة، انتقل إلى العاصمة بغداد حيث قام بالعيش مع خالِهِ. وتجدر الإشارة إلى أن أقارب له من بلدته تكريت كان لهم الأثر الأكبر على حياتِهِ كرئيس حين تسلموا مناصب الاستشارة والدعم لاحقاً.

وبتوجيهٍ من خاله، التحق صدام بالثانوية الوطنية في بغداد. وفي سن العشرين عام 1957، ارتبط صدام بحزب البعث العربي الاشتراكي، والذي كان خاله خير الله طلفاح داعماً له.

كان الحس الثوري القومي هو طابع تلك الفترة من الخمسينات والذي انتشر مده عبر الشرق الأوسط والعراق والذي كان ذو أثرٍ واضح على شباب البعث. وسقطت الملكية في ظل هذا الخطاب في مصر والعراق وليبيا.

بعد عام من انضمام صدام لحزب البعث العربي الاشتراكي تمكن الضباط الأحرار بقيادة عبد الكريم قاسم من الإطاحة بالنظام الملكي القائم آنذاك بقيادة فيصل الثاني ملك العراق واستحوذوا على الحكم في العراق، ولم يكن البعثيون يستسيغون نظام قاسم الاشتراكي، وفي عام 1959، حاول البعثيون، وكان من بينهم صدام حسين، اغتيال رئيس الوزراء عبد الكريم قاسم وباءت محاولتهم بالفشل، وأصيب صدام بطلق ناري في ساقِهِ ولاذ بالفرار إلى سوريا ومنها إلى القاهرة.

تولى صدام منصب نائب رئيس الجمهورية وأسس جهاز المخابرات العراقي الذي كان يعرف بـ (جهاز حنين) وبدأ بتصفية كل أعدائه وخصومه، وقام بتعيين من يثق به في

المناصب الأمنية المهمة مدعماً مكانته. أصبح صدام رجل السلطة القوي. وأصبح الحاكم الفعلي العراق قبل أن يصل إلى الحكم بشكل رسمي عام 1979 بسنوات. وبدأ ببطء بتدعيم سلطته على الحكومة العراقية وحزب البعث. وتم إنشاء العلاقات مع أعضاء الحزب الآخرين بعناية، وبسرعة أصبح لدى صدام دائرة دعم قوية داخل الحزب.

وحيث أصبح الرئيس العراقي أحمد حسن البكر غير قادر على القيام بمهامه، بدأ صدام يأخذ دوراً أبرز كشخصية رئيسية في الحكومة العراقية، داخلياً وخارجياً. وبسرعة أصبح مهندس السياسات العراقية الخارجية ومثل العراق في جميع المواقف الدبلوماسية. وفي نهاية السبعينات، ظهر صدام كحاكم العراق الفعلي بشكل لا يقبل التأويل.

عزز صدام قوته في دولة متشبعة بالتوترات السابقة. فقبل صدام بزمن كان العراق منقسماً اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً بين القوميين والشيوعيين والإسلاميين فيما بعد، وتبنى صدام إنشاء جهاز أمني لحماية السلطة من الداخل من الانقلابات العسكرية والتمردات.

في عام 1973 ارتفعت أسعار النفط بشكل متزايد نتيجة أزمة النفط العالمية. واستطاع صدام متابعة خططه الطموحة في السيطرة وحكم العراق والوصول به إلى القمة وتطوير العراق بعائدات النفط الكبيرة.

وبفترة لا تتجاوز بضعة سنوات، ونتيجة للطفرة الهائلة في أسعار النفط وتحقيق الدولة موارد مالية كبيرة فقد قامت الدولة بصرف جزء منها للنهوض بواقع الشعب وقدمت الدولة الكثير من الخدمات الاجتماعية للعراقيين، الأمر غير المسبوق في دول الشرق الأوسط الأخرى. وبدأت الحكومة «الحملة الوطنية لمحو الأمية» وحملة «التعليم الإلزامي المجاني في العراق» وأنشأت الحكومة التعليم الكلي المجاني حتى أعلى المستويات العلمية؛ مئات الآلاف تعلموا القراءة في السنوات التي تلت إطلاق تلك البرامج. كما دعمت الحكومة عائلات الجنود، ووفرت العناية الصحية المجانية للجميع، ووفرت المعونات المالية للمزارعين. وأنشأ العراق واحدة من أفضل أنظمة الصحة العامة في الشرق الأوسط.

في 1979 بدأ الرئيس أحمد حسن البكر بعقد معاهدات مع سوريا، التي هي أيضا تحت حكم حزب البعث، كانت ستقود إلى الوحدة بين الدولتين. وسيصبح الرئيس

السوري حافظ الأسد نائبا للرئيس في ذلك الإتحاد، وكان ذلك سيغيّب صدام عن الساحة. ولكن، وقبل حدوث ذلك، استقال أحمد حسن البكر المريض في 16 يوليو 1979. وأصبح صدام بشكل رسمي الرئيس الجديد للعراق.

بعد ذلك بفترة وجيزة، جمع قيادات حزب البعث في 22 يوليو 1979، وخلال الاجتماع، الذي أمر بتصويره، قال صدام بأنه وجد جواسيس ومتآمرين ضمن حزب البعث، وقرأ أسماء هؤلاء الذين توقع أنهم سيعارضونه. وتم وصف هؤلاء بالخيانة وتم اقتيادهم واحدا تلو الآخر ليواجهوا الإعدام، وبعد انتهائه من قراءة القائمة، هنأ صدام الباقين لولائهم في الماضي وفي المستقبل.

سعى صدام حسين أن يلعب العراق دوراً ريادياً في الشرق الأوسط. فوقع العراق اتفاقية تعاون مع الإتحاد السوفييتي عام 1972، وأرسل للعراق أسلحة وعدة آلاف من الخبراء. ولكن الإعدام الجماعي للشيوعيين العراقيين عام 1978، وتحول العلاقات التجارية إلى الغرب وتر' العلاقات مع الاتحاد السوفيتي واتخذ العراق منحى أقرب إلى الغرب منذ ذلك الحين وحتى حرب الخليج الثانية عام 1991.

قام صدام بزيارة إلى فرنسا عام 1976، مؤسساً لعلاقات اقتصادية وطيدة مع فرنسا ومع الدوائر السياسية المحافظة هناك. وقاد صدام المعارضة العربية لتفاهمات كامب ديفيد بين مصر وإسرائيل عام 1979. وفي 1975 تفاوض على تفاهمات مع إيران اشتملت على تنازلات بخصوص الخلاف الحدودي، وبالمقابل وافقت إيران على التوقف عن دعم المعارضة الكردية في العراق.

أطلق صدام مشروع التقدم النووي العراقي في الثمانينات من القرن الماضي، وذلك بدعم فرنسي. وأسس الفرنسيون أول مفاعل نووي عراقي باسم أوسيراك وسماه العراق (تموز 1). وتم تدمير المفاعل بضربة جوية إسرائيلية، بحجة أن إسرائيل شكت في أن العراق كان سيبدأ إنتاج مواد نووية تسليحية.

بعد المفاوضات العراقية الإيرانية واتفاقية عام 1975 مع إيران، أوقف الشاه محمد رضا بهلوي الدعم للأكراد، الذين هزموا بشكل كامل. منذ تأسيس العراق كدولة حديثة عام 1920، وكان على العراق التعامل مع الانفصاليين الأكراد في الأجزاء الشمالية من البلاد. وكان صدام قد تفاوض ووصل إلى اتفاق في 1970 مع القادة الانفصاليين

الأكراد، معطياً إياهم حكماً ذاتياً، ولكن الاتفاق انهار. وكانت النتيجة قتالاً قاسياً بين الحكومة والجماعات الكردية وصل لحد قصف العراق لقرى كردية في إيران مما جعل العلاقات العراقية الإيرانية تسوء.

في 1979 قامت الثورة الإيرانية وتم الإطاحة بالشاه محمد رضا بهلوي، وتمت إقامة الجمهورية الإيرانية بقيادة الخميني. وتنامى تأثير التوجه الثوري الفارسي في المنطقة، وخاصة العراق. فخشي صدام من انتشار الأفكار الشيعية الراديكالية -المعادية لنظام حكمهِ- بين الطائفة الشيعة.

وكان هناك عداء مرير بين صدام والخميني منذ السبعينات. وكون الخميني كان مبعداً من إيران منذ عام 1964، فإنه أقام في العراق في مدينة النجف المقدسة لدى الشيعة. حيث أسس هناك توجها دينيا وسياسيا عالميا. وتحت ضغوط من الشاه، الذي وافق على تقارب بين العراق وإيران في 1975، وافق صدام على إبعاد الخميني عام 1978.

بعد وصول الخميني للسلطة، بدأت المناوشات بين العراق وإيران الثورية لعشرة أشهر حول الأحقية بمعبر شط العرب المائي المختلف عليه حيث قامت إيران بعدة هجمات على القرى الحدودية بين الفترة من 13 يونيو 1979 وحتى آخر هجوم بالطيران يوم 4 سبتمبر 1980 والذي تم إسقاط الكثير من الطائرات الإيرانية في بغداد وضواحيها، (في الهجوم الجوي المكثف على العراق وتم تسجيل سقوط أكثر من عشرين طائرة في اليوم الأول للهجوم)، فما كان من العراق بعد تدارس الوضع ومراسلة مجلس الأمن الدولي إلا أن قام باسترجاع القرى التي احتلتها إيران في 17 سبتمبر 1980 وبعدها تصاعد القصف الإيراني ليطال مدنا بأكملها فكان الرد العراقي يوم 22 سبتمبر 1980، والذي يفصل بين البلدين. فاجتاح العراق إيران بالهجوم على مطار مهراباد قرب طهران ودخل إلى المنطقة الإيرانية الغنية بالنفط خوزستان (الأحواز) في 22 سبتمبر 1980. وخلال الحرب، كانت الولايات المتحدة الأمريكية والإتحاد السوفييتي وكذلك معظم الدول العربية في المنطقة تقدم الدعم المالي والمادي لصدام.

في الأيام الأولى من الحرب كان هناك قتال شديد على الأرض حول الموانئ الإستراتيجية حيث بدأ العراق هجوما على مناطق الثروة النفطية الإيرانية، والمسكونة

بشكل كبير من العرب في خوزستان. وبعد إحراز بعض التقدم الأولي، بدأت القوات العراقية تعاني من الخسائر بسبب المقاومة الشرسة من إيران والأخطاء الإستراتيجية الكبرى لصدام وتفرده بالقرار العسكري رغم عدم امتلاكه أي خلفية عسكرية. وفي شهر مايو 1982 اسر أكثر من 50000 جندي عراقي في معركة المحمرة وأصبح العراق يبحث عن طريقة لإنهاء الحرب.

وبسرعة تبين لصدام بأنه غمس العراق وشعبه في واحدة من أطول حروب الاستنزاف وأكثرها تدميرا في القرن العشرين.

تواصل صدام مع الحكومات العربية الأخرى للدعم المالي والسياسي. وحصل العراق على الدعم الأمريكي في عهد الرئيس الأمريكي رونالد ريغان. وقال الإيرانيون إن على المجتمع الدولي أن يجبر العراق على دفع خسائر الحرب لإيران، رافضة أي اقتراح بوقف إطلاق النار. واستمرت الحرب حتى عام 1988، ساعية لإسقاط حكومة صدام.

انتهت الحرب الدموية التي استمرت 8 سنوات بمأزق، كان هناك مئات الألوف من الضحايا. ولعل مجموع القتلى وصل إلى 1.7 مليون فرد للطرفين. وكلا الاقتصاديين، اللذين كانا قويين ومتوسعين، تحولا إلى دمار.

وأصبح العراق مدينا بتكاليف الحرب. ومقترضا الأموال من الولايات المتحدة الأمريكية مما جعل من العراق دولة تابعة، وهذا ما شكل إحراجا كبيرا لصدام الذي كان يسعى لتكريس فكرة القومية العربية. وواجه صدام الذي اقترض من الدول العربية أيضا مبالغ ضخمة من الأموال أثناء الثمانينات لقتال إيران مشكلة إعادة بناء البنية التحتية العراقية، وحاول الحصول مرة أخرى على الدعم المالي، هذه المرة لأجل إعمار ما دمرته الحرب.

دخل صدام بعد ذلك مجتاحا الكويت في 2 آب أغسطس 1990 وبعد عدة أشهر تولى التحالف الدولي إخراج القوات العراقية من الكويت فيما عرف بحرب الخليج الثانية وضمن العملية التي أطلق عليها (عاصفة الصحراء).

بقيت العلاقات بين الولايات المتحدة الأمريكية والعراق متوترة بعد حرب الخليج الثانية (عاصفة الصحراء). ونتيجة للحرب فقد فرض مجلس الأمن حصارا اقتصاديا شاملا على العراق وعانى العراقيون من أقسى فترات الحياة بسبب نقص المواد الأساسية

الغذائية والمستلزمات الصحية إلى جانب أن نظام صدام في هذه الفترة قد زاد من ضغوطه على أبناء الشعب مما أوقع الشعب العراقي بين مطرقة نظام صدام وعقوبات الأمم المتحدة.

أما على الصعيد الخارجي فقد زادت عزلة الحكومة العراقية التي كانت تتصرف بتهور كبير رغم كل الأزمات نتيجة لهذه السياسات فقد أطلقت الولايات المتحدة الأمريكية أول هجوم صاروخي منذ نهاية الحرب مستهدفة مركز الاستخبارات العراقية في بغداد في 26 يونيو 1993. متذرعة بالخرق المتكرر لمنطقة الحظر الجوي المفروضة بعد حرب الخليج والتوغلات في الأراضي الكويتية. وقد خمّن البعض أن يكون لها علاقة بتهمة اضطلاع العراق بتمويل مخطط لاغتيال رئيس الولايات الأمريكية السابق جورج بوش.

بدأ العراق في عام 1997 ببيع النفط مقابل الغذاء والدواء وفق قرار مجلس الأمن 986 لكن هذا لم يكن ليشكل سوى 10 إلى 40٪ من إنتاج العراق النفطي الحقيقي. في 16 ديسمبر 1998 شنت الولايات المتحدة مع بريطانيا عملية ثعلب الصحراء متذرعة برفض الحكومة العراقية الاستجابة لقرارات الشرعية الدولية ولطرد العراق مفتشي أسلحة الدمار الشامل.

في عام 1998 أقر الكونغرس الأمريكي قانون «حرية العراق» الذي أتاح الإمكانيات المادية والمعنوية للمعارضة العراقية في الخارج لإسقاط نظام حكم صدام حسين وخوّل الإدارة الأميركية اتخاذ كل الإجراءات لتحقيق هذا الهدف، تم ذلك في فترة الرئيس الأمريكي بيل كلينتون وعندها بدأ التحضير وتم صرف المبالغ للقوى العراقية المعارضة في الخارج.

وبعد تولي الرئيس الأسبق جورج بوش الرئاسة بدأ عهد جديد تحولت فيه السياسة الأمريكية من المساعدة المادية والدعم اللوجستي للقوى المعارضة العراقية إلى التدخل العسكري المباشر متحالفةً مع بريطانيا. ولكن أحداث 11 سبتمبر كانت قد دشنت عهدا جديدا في أمريكا وأصرت الإدارة الأمريكية على إسقاط نظام صدام وفي 20 مارس 2003 تحركت القوات الأمريكية البريطانية في سعيها نحو ما تم تسميته بـ (حرية العراق) ليتم احتلال العراق في 9 إبريل 2003.

بقيت أخبار صدام مجهولة في الأسابيع الأولى بعد سقوط النظام وانتهاء العمليات الرئيسية للحرب. تم التبليغ عن عدّة مشاهدات لصدام بعد الحرب ولكن أيا منها لم يكن

مثبتا. سلسلة من التسجيلات الصوتية المنسوبة لصدام تم نشرها في أوقات مختلفة، ولكن مصداقية هذه التسجيلات لا تزال محط تساؤل.

تم وضع صدام على قمة لائحة المطلوبين، وتم اعتقال العديد من أفراد النظام العراقي السابق، ولكن الجهود الحثيثة للعثور عليه باءت بالفشل. أبناؤه وخلفاؤه المتوقعون، عدي وقصي صدام حسين، قتلوا في 23 يوليو 2003 أثناء اشتباك عنيف مع القوات الأمريكية في الموصل.

قام الحاكم المدني في العراق بول بريمر بالإعلان رسميا عن القبض على صدام. تم القبض على صدام بحدود الساعة الثامنة والنصف مساء بتوقيت بغداد بتاريخ 13 ديسمبر 2003 وبحسب ادعاء القوات الأمريكية التي لا تزال محط تساؤل وهو مختبئ بقبو قرب قضاء الدور في محافظة تكريت مسقط رأسه.

وتحوم شبهات عديدة حول عملية ألقاء القبض على صدام حسين. بعض المصادر ذكرت أنه تم القبض على صدام حسين قبل اليوم المذكور وأنه تم توقيت الإعلان لأسباب سياسية. وما تزال تفاصيل عملية القبض على صدام سرية. وكان من الواضح جدا أن الصور التي عرضت في شاشات التلفاز صور أخذت في أشهر الصيف.

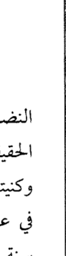
لم يعترف صدام بشرعية المحكمة في بداية المحاكمة، ورفض ذكر اسمه في بدايتها إلا انه خضع للأمر الواقع وبدأ في التعاون مع المحكمة. ودافع عن صدام، نجيب النعيمي وزير عدل دولة قطر السابق ورمزي كلارك وزير عدل الولايات المتحدة السابق والمحامي العراقي خليل الدليمي والمحامية اللبنانية بشرى الخليل والمحامي الأردني عصام الغزاوي، وتم تغيير القضاة ثلاث مرات، وأوضح للقاضي الأول أن النتائج معلومة والمراد جلي.

وفي يوم الأحد الخامس من نوفمبر لعام 2006 حكم على صدام حضورياً في قضية الدجيل بالإعدام شنقاً حتى الموت بتهمة ارتكابه جرائم ضد الإنسانية. وتم إعدام صدام حسين فجر يوم السبت الموافق 30 ديسمبر 2006 م.

دفن في مسقط رأسِهِ بالعوجة في محافظة صلاح الدين في مدينة تكريت، حيث قامت القوات الأمريكية بتسليم جثتِهِ لثلاثة أفراد من المحافظة أحدهم شيخ عشيرة البو ناصر التي ينتمي لها، وتم إغلاق منافذ البلدة لحين الانتهاء من الصلاة عليه.

ياسر عرفات

(1929-2004م)



ياسر عرفات سياسي فلسطيني ورمز لحركة النضال الفلسطيني من أجل الاستقلال، اسمه الحقيقي محمد عبد الرؤوف عرفات القدوة الحسيني وكنيته «أبو عمار». رئيس السلطة الفلسطينية المنتخب في عام 1996. ترأس منظمة التحرير الفلسطينية سنة 1969 كثالث شخص يتقلد هذا المنصب منذ تأسيس المنظمة عام 1964، وهو القائد العام لحركة فتح أكبر الحركات داخل المنظمة. فاز مع إسحاق رابين بجائزة نوبل للسلام سنة 1994.

ولد في القدس عاصمة فلسطين بتاريخ 4 أغسطس 1929. هاجر والده إلى القاهرة في مصر. تلقى تعليمه في القاهرة، والتحق بالضباط الاحتياط للجيش المصري وقاتل في صفوفه منذ العدوان الثلاثي على مصر عام 1956. وهو حاصل على شهادة بالهندسة من جامعة فؤاد الأول بالقاهرة، وانخرط في شبابه في الحركة الوطنية الفلسطينية من خلال الانضمام إلى اتحاد طلاب فلسطين في عام 1944 وتولى رئاسته لاحقاً. في الخمسينات أسس مع المناضلين الفلسطينيين حركة التحرير الوطني الفلسطيني «حركة فتح» وأعلن الناطق الرسمي لها في 1968. وفي فبراير 1969 انتخب رئيساً للجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية، وبعام 1973 عين قائدا عاما لقوات الثورة الفلسطينية. وبعام 1974 ألقى كلمة باسم الشعب الفلسطيني أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة في نيويورك.

بعام 1982 قاد المعركة ضد العدوان الإسرائيلي على لبنان ومعركة الصمود خلال حصار بيروت من قبل القوات الإسرائيلية، قاد في نهايتها انسحاب جزء كبير من المقاتلين الفلسطينيين من بيروت عن طريق البحر خارجا بهم إلى عدّة دول عربية منها تونس وسوريا واليمن الجنوبي.

في نوفمبر 1984 وإبريل 1987 أعيد انتخابه رئيساً للجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية من قبل الدورات 17 و18 و19 للمجلس الوطني الفلسطيني. في 15 نوفمبر

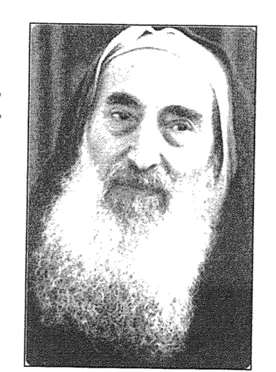
1988 تلا إعلان الاستقلال وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وانتخب رئيسا لدولة فلسطين. في 13 ديسمبر 1988 ألقى خطابا في الجمعية العامة للأمم المتحدة في جنيف والتي انتقلت لعقد جلستها في جنيف بسبب رفض الحكومة الأمريكية منحه تأشيرة دخول إلى الولايات المتحدة الأمريكية للذهاب إلى نيويورك من أجل إلقاء كلمته في الجمعية العامة في مقر الأمم المتحدة في نيويورك. وخاطبها في جنيف كما خاطب مجلس الأمن في جنيف في فبراير ومايو 1995 لنفس السبب. وأطلق في 13 و14 ديسمبر 1988 مبادرة السلام الفلسطينية لتحقيق السلام العادل في الشرق الأوسط، والتي فتحت بناء عليها الحكومة الأمريكية برئاسة الرئيس رونالد ريغان، حوارها مع منظمه التحرير الفلسطينية في تونس. في 30 مارس 1989 اختاره المجلس المركزي الفلسطيني رئيساً لدولة فلسطين، وقد تم اختياره لهذا المنصب من قبل المجلس الوطني الفلسطيني مباشرة.

كما إنه أطلق ووجه سياسة «سلام الشجعان» والتي تتوجت بتوقيع اتفاقية إعلان المبادئ بين منظمه التحرير الفلسطينية وحكومة إسرائيل في البيت الأبيض يوم 13 سبتمبر 1993. في 12 أكتوبر 1993 اختاره المجلس المركزي الفلسطيني رئيساً للسلطة الوطنية الفلسطينية، وفي 31 أكتوبر 1993 اختير رئيسا للمجلس الاقتصادي الفلسطيني للتنمية والإعمار. كما أن عرفات هو نائب رئيس حركة عدم الانحياز ونائب رئيس دائم لمنظمة المؤتمر الإسلامي. وفي 20 يناير 1996 انتخب رئيسا للسلطة الوطنية الفلسطينية وذلك في انتخابات عامة.

في 11 نوفمبر 2004 انتقل إلى جوار ربه في مستشفى بيرسي العسكري في فرنسا. دفن في مقر المقاطعة في رام الله بتاريخ 12 نوفمبر 2004 وذلك بعد أن تمت مراسم الجنازة بالقاهرة.

في يوم الثلاثاء 12 أكتوبر 2004 ظهرت أولى علامات التدهور الشديد لصحة ياسر عرفات، فقد أصيب عرفات كما قرر أطباؤه بمرض في الجهاز الهضمي، وقبل ذلك بكثير، عانى عرفات من أمراض مختلفة، منها نزيف في الجمجمة ناجم عن حادثة طائرة، ومرض جلدي (فتيليغو)، ورجعة عامة عولجت بأدوية في العقد الأخير من حياته، والتهاب في المعدة أصيب به منذ أكتوبر 2003. وفي السنة الأخيرة من حياته تم تشخيص جرح في المعدة وحصى في كيس المرارة، وعانى ضعفا عاما وتقلبا في المزاج، فعانى من تدهور نفسي وضعف جسماني.

تدهورت الحالة الصحية للرئيس الفلسطيني عرفات تدهوراً سريعاً في نهاية أكتوبر 2004، قامت على إثره طائرة مروحية بنقله إلى الأردن ومن ثم أقلته طائرة أخرى إلى مستشفى بيرسي في فرنسا في 29 أكتوبر 2004. وظهر الرئيس العليل على شاشة التلفاز مصحوبا بطاقم طبي وقد بدت عليه معالم الوهن مما ألم به. وفي تطور مفاجئ، أخذت وكالات الأنباء الغربية تتداول نبأ موت عرفات في فرنسا وسط نفي لتلك الأنباء من قبل مسؤولين فلسطينيين، وقد أعلن التلفزيون الإسرائيلي في 4 نوفمبر 2004 عن نبأ موت الرئيس عرفات سريرياً وأن أجهزة عرفات الحيوية تعمل عن طريق الأجهزة الالكترونية لا عن طريق الدماغ. وبعد مرور عدة أيام من النفي والتأكيد على الخبر من مختلف وسائل الإعلام، تم الإعلان الرسمي عن وفاته من قبل السلطة الفلسطينية في 11 نوفمبر 2004. وقد دفن في مبنى المقاطعة في مدينة رام الله بعد أن تم تشييع جثمانه في مدينة القاهرة، وذلك بعد الرفض الشديد من قبل الحكومة الإسرائيلية لدفن عرفات في مدينة القدس كما كانت رغبته قبل وفاته.



أحمد ياسين

(1936-2004م)

كان في العاشرة من عمره عندما كان البريطانيون يجلبون الجراد الصهيوني من كل أصقاع الأرض لينشروه في ربوع فلسطين وليؤسسوا له بسطوة القوة المدججة بالأساطير دولة تسمى «إسرائيل» في عام 1948.

ولد الشيخ أحمد ياسين في عام 1938 في قرية «الجورة» من قضاء مدينة المجدل عسقلان ومع حلول النكبة هاجر مع أسرته الفقيرة من منطقة المجدل عسقلان إلى قطاع غزة، ولم يمكث طويلاً حتى تعرض عام 1952 لحادث وهو يمارس الرياضة على شاطئ غزة ما أدى إلى شلل شبة كامل في جسده تطور لاحقاً إلى شلل كامل.

لم يثنه الشلل عن مواصلة تعليمه وصولاً إلى العمل مدرساً للغة العربية والتربية الإسلامية في مدارس وكالة الغوث بقطاع غزة.

في تلك الأثناء - أي فترة الخمسينات والستينات - كان المد القومي قد بلغ مداه، فيما أعتقل الشيخ من قبل السلطات المصرية التي كانت تشرف على غزة بتهمة الانتماء لجماعة الإخوان المسلمين، وعندما كان رجالات الحركة في قطاع غزة يغادرون القطاع هرباً من بطش «السلطات الأمنية المصرية» كان للشيخ أحمد ياسين رأى آخر فقد أعلن أن على هذه الأرض ما يستحق الحياة والجهاد.

حين بلوغه العشرين بدأ أحمد ياسين نشاطه السياسي بالمشاركة في المظاهرات التي اندلعت في غزة احتجاجا على العدوان الثلاثي الذي استهدف مصر عام 1956، حينها اظهر قدرات خطابية وتنظيمية ملموسة، حيث استطاع أن ينشط مع رفاقه في الدعوة إلى رفض الإشراف الدولي على غزة مؤكدا على ضرورة عودة الإقليم إلى الإدارة المصرية.

كانت مواهب أحمد ياسين الخطابية قد بدأت تظهر بقوة، ومعها بدأ نجمه يلمع وسط دعاة غزة، الأمر الذي لفت إليه أنظار المخابرات المصرية العاملة هناك، فقررت عام

1965 اعتقاله ضمن حملة الاعتقالات التي شهدتها الساحة السياسية المصرية والتي استهدفت كل من سبق اعتقاله من جماعة الإخوان المسلمين عام 1954، وظل حبيس الزنزانة الانفرادية قرابة شهر ثم أفرج عنه بعد أن أثبتت التحقيقات عدم وجود علاقة تنظيمية بينه وبين الإخوان. وقد تركت فترة الاعتقال في نفسه آثارا مهمة لخصها بقوله «إنها عمقت في نفسه كراهية الظلم، وأكدت أن شرعية أي سلطة تقوم على العدل وإيمانها بحق الإنسان في الحياة بحرية».

بعد هزيمة 1967 التي احتلت فيها إسرائيل كل الأراضي الفلسطينية بما فيها قطاع غزة استمر الشيخ أحمد ياسين في إلهاب مشاعر المصلين من فوق منبر مسجد العباسي الذي كان يخطب فيه لمقاومة المحتل، وفي الوقت نفسه نشط في جمع التبرعات ومعاونة أسر الشهداء والمعتقلين، ثم عمل بعد ذلك رئيسا للمجمع الإسلامي في غزة.

في عام 1987 ميلادية، اتفق احمد ياسين مع مجموعة من قادة العمل الإسلامي في قطاع غزة على تكوين تنظيم إسلامي بغية تحرير فلسطين أطلقوا عليه اسم «حركة المقاومة الإسلامية» المعروفة اختصارا باسم «حماس». بدأ دوره في حماس بالانتفاضة الفلسطينية الأولى التي اندلعت آنذاك والتي اشتهرت بانتفاضة المساجد، ومنذ ذلك الحين واحمد ياسين يعتبر الزعيم الروحي لحركة حماس.

ولعل هزيمة 1948 من أهم الأحداث التي رسخت في ذهن ياسين والتي خلقت لديه قناعة تامة بضرورة إنشاء مقاومة فلسطينية في وجه الاحتلال الإسرائيلي. وضرورة تسليح الشعب الفلسطيني والاعتماد على السواعد الوطنية وكذلك البعد العربي والإسلامي في تحرير فلسطين، إذ لا يرى ياسين من جدوى في الاعتماد على المجتمع الدولي في تحرير الأرض الفلسطينية. وكما يروي: «لقد نزعت الجيوش العربية التي جاءت تحارب إسرائيل السلاح من أيدينا بحجة أنه لا ينبغي وجود قوة أخرى غير قوة الجيوش، فارتبط مصيرنا بها، ولما هزمت هزمنا وراحت العصابات الصهيونية ترتكب المجازر والمذابح لترويع الآمنين، ولو كانت أسلحتنا بأيدينا لتغيرت مجريات الأحداث»..

وحركة حماس هي امتداد لحركة الإخوان المسلمين العالمية التي مقرها الرئيسي في جمهورية مصر العربية القاهرة وكان مؤسسها حسن البنا الذي تم اغتياله في 12 فبراير 1949.

بعد ازدياد أعمال الانتفاضة الأولى، بدأت سلطات الاحتلال الصهيوني بالتفكير في وسيلة لإيقاف نشاط أحمد ياسين فداهمت بيته في أغسطس/ آب 1988 وفتشته وهددته بنفيه إلى لبنان. وعند ازدياد عمليات قتل الجنود الإسرائيليين وتصفية العملاء المتعاونين مع المحتل الصهيوني قامت سلطات الاحتلال يوم 18 مايو/ أيار 1989 باعتقاله مع المئات من أعضاء وكوادر وقيادات حركة حماس، وصدر عليه حكم يقضي بسجنه مدى الحياة إضافة إلى 15 عاما أخرى في يوم 16 أكتوبر/ تشرين الأول 1991 وذلك بسبب تحريضه على اختطاف وقتل الجنود الإسرائيليين وتأسيس حركة المقاومة الإسلامية حماس والتي فتحت صفحة جديدة في تاريخ الجهاد الفلسطيني المشرق.

حاولت مجموعة فدائية تابعة لكتائب عز الدين القسام - الجناح العسكري لحماس - الإفراج عن الشيخ ياسين ومجموعة من المعتقلين في السجون الصهيونية بينهم مرضى ومسنون ومعتقلون عرب اختطفتهم قوات صهيونية من لبنان، فقامت بخطف جندي إسرائيلي قرب القدس يوم 13 ديسمبر/ كانون الأول 1992 وعرضت على إسرائيل مبادلته نظير الإفراج عن هؤلاء المعتقلين، لكن السلطات الإسرائيلية رفضت العرض وقامت بشن هجوم على مكان احتجاز الجندي مما أدى إلى مصرعه ومصرع قائد الوحدة الإسرائيلية المهاجمة واستشهاد قائد مجموعة الفدائيين.

أطلق سراح الشيخ ياسين في فجر يوم الأربعاء 1/ 10/ 1997 وابعد إلى الأردن بعد ثمانية أعوام ونصف من الاعتقال، بتدخل شخصي من العاهل الأردني الراحل الملك الحسين بن طلال.

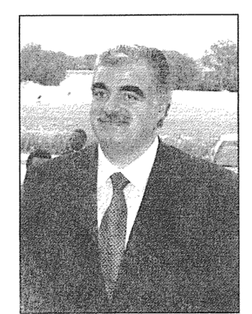
وكانت عملية فاشلة قام بها الموساد لاغتيال رئيس المكتب السياسي لحماس خالد مشعل في عاصمة الأردن عمان أثارت غضب الحسين الذي طالب بالإفراج عن الشيخ مقابل إطلاق عميلين للموساد أوقفا في الأردن.

وبسبب اختلاف سياسة حماس عن سياسة السلطة الفلسطينية كثيراً ما كانت تلجا السلطة للضغط على حماس، وفي هذا السياق فرضت السلطة الفلسطينية أكثر من مرة على الشيخ أحمد ياسين الإقامة الجبرية مع إقرارها بأهميته للمقاومة الفلسطينية وللحياة السياسية الفلسطينية.

في 13 يونيو 2003، أعلنت المصادر الإسرائيلية أن ياسين لا يتمتع بحصانة وانه عرضة لأي عمل عسكري إسرائيلي. وفي 6 سبتمبر/ أيلول 2003، تعرض لمحاولة

اغتيال إسرائيلية عندما قامت المقاتلات الإسرائيلية من طراز 16/ بإلقاء قنبلة زنة ربع طن على أحد المباني في قطاع غزّة، وكان أحمد ياسين متواجداً في شقّة داخل المبنى المستهدف مع مرافقه إسماعيل هنية، فأصيب ياسين بجروح طفيفة جرّاء القصف. وأعلنت الحكومة الإسرائيلية بعد الغارة الجوية أن أحمد ياسين كان الهدف الرئيسي من العملية الجوية.

تم اغتيال الشهيد أحمد ياسين من قبل الاحتلال الصهيوني وهو يبلغ الخامسة والستين من عمره، بعد مغادرته مسجد المجمّع الإسلامي الكائن في حي الصّبرة في قطاع غزة، وأدائه صلاة الفجر في يوم الأول من شهر صفر من عام 1425 هجرية الموافق 22 مارس من عام 2004 ميلادية بعملية أشرف عليها رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق ارئيل شارون حيث قامت مروحيات الأباتشي الإسرائيلية التابعة لجيش الدفاع الإسرائيلي بإطلاق 3 صواريخ باتجاه الشيخ المقعد وهو في طريقه إلى سيارته مدفوعاً على كرسيه المتحرّك من قِبل مساعديه، وقد استشهد ياسين في لحظتها وجُرح اثنان من أبنائه في العملية، واستشهد معه 7 من مرافقيه.



رفيق الحريري

(1944-2005 م)

رفيق بهاء الدين الحريري، كان رئيس وزراء لبنان ورجل أعمال، ويحمل الجنسيتين اللبنانية والسعودية. لعب دوراً مهماً في إعمار لبنان بعد فترة الحرب الأهلية اللبنانية. قدم منحا طلابية للدراسات الجامعية لأكثر من 36000 شاب وشابة من كل الطوائف اللبنانية على مدى 20 عاما خلال الحرب اللبنانية وبعدها، إضافة إلى المساعدات لضحايا العدوان الإسرائيلي على لبنان ومساعدة دور الأيتام والعجزة وإنقاذ جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية من الديون. عرف بعصاميته فهو لم يرث المال ولا السلطة كما معظم سياسيي لبنان، وأصبح أحد أغنياء العالم نتيجة جهده الشخصي.

ولد في صيدا في جنوب لبنان لأب مزارع من المسلمين السنة أنهى تعليمه الثانوي عام 1964، ثم التحق بجامعة بيروت العربية.

في عام 1965 هاجر إلى السعودية بسبب ارتفاع النفقات المالية، حيث عمل مدرساً للرياضيات في مدرسة السعودية الابتدائية بتبوك ثم انتقل إلى جدة، ثم عمل محاسباً في شركة هندسية، ثم أنشأ شركته الخاصة للمقاولات عام 1969. وقد برز دور الشركة في عمليات الإعمار المتسارعة التي كانت المملكة تشهدها في تلك الفترة، ونمت شركته بسرعة خلال سبعينيات القرن العشرين، وفي أواخر السبعينيات قام بشراء شركة أوجيه الفرنسية ودمجها في شركته ليصبح اسمها سعودي أوجيه. أصبحت الشركة من أكبر شركات المقاولات في العالم العربي واتسع نطاق إمبراطوريته ليشمل شبكة من البنوك والشركات في لبنان والسعودية، إضافة إلى شركات للتأمين والنشر والصناعات الخفيفة وغيرها. وقد حظي باحترام وثقة الأسرة السعودية الحاكمة وتم منحه الجنسية السعودية في العام 1978. وفي مطلع الثمانينيات أصبح واحداً من بين أغنى مائة رجل في العالم. وعمل خلال الثمانينيات كمبعوث شخصي للعاهل السعودي الملك فهد في لبنان، ولعب دوراً هاماً في صياغة اتفاق الطائف.

كانت فترة توليه رئاسة الحكومة الأولى من 1992 وحتى 1998. قوبل تعيينه آنذاك بحماس كبير من غالبية اللبنانيين. وخلال أيام ارتفعت قيمة العملة اللبنانية بنسبة 15٪. ولتحسين الاقتصاد قام بتخفيض الضرائب على الدخل إلى 10٪ فقط. وقام باقتراض مليارات الدولارات لإعادة تأهيل البنية التحتية والمرافق اللبنانية، وتركزت خطته التي عرفت باسم «هورايزون 2000» على إعادة بناء بيروت على حساب بقية مناطق لبنان. وخلال هذه الفترة ارتفعت نسبة النمو في لبنان إلى 8٪ عام 1994 وانخفض التضخم من 131٪ إلى 29٪ واستقرت أسعار صرف الليرة اللبنانية.

كانت فترة توليه رئاسة الثانية من 2000 وحتى 2004. وخلال هذه الفترة أدى عمق المشكلات الاقتصادية إلى زيادة الضغوط على الحكومة من قبل البنك الدولي وصندوق النقد الدولي وعليه تعهد بتخفيض البيروقراطية وخصخصة المؤسسات العامة التي لا تحقق ربحاً. استقال في أكتوبر 2004 بعد خلاف مع الرئيس إميل لحود استفحل بعد تعديل الدستور لتمديد فترة رئاسة الرئيس إميل لحود لثلاث سنوات إضافية.

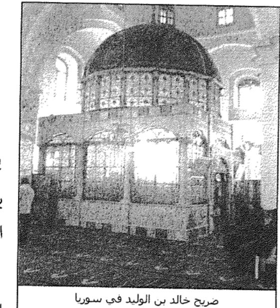
من أشهر مواقفه وانجازاته إنه كان متمسكاً بحق لبنان في المقاومة واسترجاع الأرض من الإسرائيليين، واتفاق نيسان الذي حيد المدنيين في مقاتلة إسرائيل وحق المقاومة في العمل على تحرير الأراضي المحتلة، كما إنه ساهم في إعمار وسط بيروت بعد الحرب عن طريق شركته وقد حمل المشروع اسم سوليدير وثبت مكانة لبنان الاقتصادية والسياحية في العالم العربي والغربي.

تزوج من نضال بستاني وهي فتاة عراقية كانت زميلته في الجامعة وأنجب منها ثلاثة أبناء هم بهاء الدين، حسام الدين (توفي عام 1991 بحادث سير) والنائب سعد الدين.

وبعد طلاقهما تزوج عام 1976 من نازك عودة (نازك الحريري) وأنجب منها ثلاثة أبناء هم أيمن، فهد وهند.

اغتيل في 14 فبراير 2005 عندما انفجر ما يعادل 1800 كغم من التي أن تي (TNT) لدى مرور موكبه بجانب فندق سانت جورج في العاصمة اللبنانية بيروت. وتحملت سوريا جزء من غضب الشارع اللبناني والدولي وذلك بسبب الوجود السوري

العسكري والاستخباراتي في لبنان، وكذلك بسبب الخلاف بين الحريري وسوريا قبل تقديمه لاستقالته. وقد قامت لجنة من الأمم المتحدة بقيادة ديتليف ميليس بالتحقيق في الحادث حيث أشار التقرير إلى إمكانية تورط عناصر رسمية سورية وأفراد من الأمن اللبناني. وتولى قيادة لجنة التحقيق بعد ميليس القاضي البلجيكي سيرج براميرتز، ثم تولاها دانيال بلمار.


ضريح خالد بن الوليد في سوريا

خالد بن الوليد

(581-642 م)

خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي (581-642م) فارس وقائد إسلامي لقبه الرسول بسيف الله المسلول، حارب في بلاد فارس وبلاد الروم وفي الشام وتوفي ودفن بعدها في حمص.

أبوه: الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر ابن مخزوم بن يقظة بن كلاب بن مرة بن كعب ابن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. والوليد هو عم أم المؤمنين أم سلمة.

أمه الصحابية الجليلة: لبابة الصغرى بنت الحارث بن حزن بن بجير بن هزم بن رويبة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور ابن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. ولبابة هذه هي الأخت الشقيقة لأم المؤمنين ميمونة بنت الحارث وأم الفضل بنت الحارث زوج العباس ابن عبد المطلب. وهي الأخت غير الشقيقة لكلٍ من: أم المؤمنين زينب بنت خزيمة، وأروى بنت عميس زوج حمزة بن عبد المطلب، وأسماء بنت عميس زوج جعفر بن أبي طالب وأبي بكر الصديق وعلي بن أبي طالب.

كان أحد الأشراف قريش في الجاهلية، وكان إليه القبة وأعنة الخيل في الجاهلية، أما القبة فكانوا يضربونها يجمعون فيها ما يجهزون به الجيش، وأما الأعنة فإنه كان يكون المقدم على خيول قريش في الحرب، قاله الزبير بن بكار.

ولد خالد بن الوليد سنة 584 في مكة، وكان والده الوليد بن المغيرة سيدا في بني مخزوم ومن سادات قريش واسع الثراء ورفيع النسب والمكانة، حتى أنه كان يرفض أن توقد نار غير ناره لإطعام الناس خاصة في مواسم الحج وسوق عكاظ ولقب بريحانة قريش لأنه كان يكسو الكعبة عاماً وقريش أجمعها تكسوها عاما.

كان له ستة إخوة وأختان، نشأ معهم نشأة مترفة، وتعلم الفروسية منذ صغره مبدياً فيها براعة مميزة، جعلته يصبح أحد قادة فرسان قريش.

كان خالد بن الوليد كثير التردد في الانتماء للإسلام، وقد أسلم متأخراً بعدما أسلم أخوه الوليد بن الوليد، وحارب المسلمين في غزوتي أحد وقتل من المسلمين عدداً كبيراً وفي الأحزاب، ولم يحارب في بدر لأنه كان في بلاد الشام وقت وقوع الغزوة الأولى بين المسلمين ومشركي قريش، غير أنه مال إلى الإسلام وأسلم قبل فتح مكة، رغم أنه كان صاحب دور رئيسي في هزيمة المسلمين في غزوة أحد في نهاية الغزوة بعد أن قتل من بقي من الرماة المسلمين على جبل الرماة والتف حول جيش المسلمين وطوقهم من الخلف وقام بهجوم أدى إلى ارتباك صفوف جيش المسلمين.

أسلم خالد متأخراً في صفر للسنة الثامنة الهجرية، قبل فتح مكة بستة أشهر، وقبل غزوة مؤتة بنحو شهرين، وتعود قصة إسلام خالد إلى ما بعد معاهدة الحديبية حيث أسلم أخوه الوليد بن الوليد، وُدخل الرسول - ﷺ - مكة في عمرة القضاء فسأل الوليد عن أخيه خالد، فقال: (أين خالد؟)... فقال الوليد: (يأتي به الله).

فقال النبي: - ﷺ -: (ما مثله يجهل الإسلام، ولو كان يجعل نكايته مع المسلمين على المشركين كان خيرا له، ولقدمناه على غيره)... فخرج الوليد يبحث عن أخيه فلم يجده، فترك له رسالة قال فيها: (بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد... فأني لم أر أعجب من ذهاب رأيك عن الإسلام وعقلك عقلك، ومثل الإسلام يجهله أحد؟!... وقد سألني عنك رسول الله، فقال أين خالد - وذكر قول النبي - ﷺ - فيه، ثم قال له: فاستدرك يا أخي ما فاتك فيه، فقد فاتتك مواطن صالحة) . وقد كان خالد - رضي الله عنه - يفكر في الإسلام، فلما قرأ رسالة أخيـه سر بها سرورا كبيرا، وأعجبه مقالة النبي - ﷺ - فيه، فتشجع وأسلم.

ورأى خالد في منامه كأنه في بلادٍ ضيّقة جديبة، فخرج إلى بلد أخضر واسع، فقال في نفسه: (إن هذه لرؤيا)... فلمّا قدم المدينة ذكرها لأبي بكر الصديق فقال له: (هو مخرجُكَ الذي هداك الله للإسلام، والضيقُ الذي كنتَ فيه من الشرك).

يقول خالد عن رحلته من مكة إلى المدينة: (وددت لو أجد من أصاحب، فلقيت عثمان بن طلحة فذكرت له الذي أريد فأسرع الإجابة، وخرجنا جميعا فأدلجنا سحرا، فلما

كنا بالسهل إذا عمرو بن العاص، فقال: (مرحبا بالقوم)... قلنا: (وبك)... قال: (أين مسيركم يا مجانين)... فأخبرناه، وأخبرنا أيضا أنه يريد النبي ليسلم، فاصطحبنا حتى قدمنا المدينة أول يوم من صفر سنة ثمان).

فلما رآهم رسول الله - ﷺ - قال لأصحابه: (رمتكم مكة بأفلاذ كبدها)... يقول خالد: (ولما اطلعت على رسول الله - ﷺ - سلمت عليه بالنبوة فرد على السلام بوجه طلق، فأسلمت وشهدت شهادة الحق، وحينها قال الرسول - ﷺ -: (الحمد لله الذي هداك قد كنت أرى لك عقلا لا يسلمك إلا إلى الخير)... وبايعت الرسول وقلت: (استغفر لي كل ما أوضعت فيه من صد عن سبيل الله)... فقال: (إن الإسلام يجب ما كان قبله)... فقلت: (يا رسول الله على ذلك)... فقال: (اللهم اغفر لخالد بن الوليد كل ما أوضع فيه من صد عن سبيلك)... وتقدم عمرو بن العاص وعثمان بن طلحة، فأسلما وبايعا رسول الله).

شارك خالد في أول غزواته في غزوة مؤتة ضد الغساسنة والروم، وقد قتل فيها قادتها الثلاثة: زيد بن حارثة، ثم جعفر بن أبي طالب، ثم عبد الله بن رواحة - رضي الله عنهم - فسارع إلى الراية (ثابت بن أقرم) فحملها عاليا وتوجه مسرعا إلى خالد قائلا له: (خذ اللواء يا أبا سليمان) فلم يجد خالد أن من حقه أخذها فاعتذر قائلا: (لا، لا آخذ اللواء أنت أحق به، لك سن وقد شهدت بدرا)... فأجابه ثابت: (خذه فأنت أدرى بالقتال مني، ووالله ما أخذته إلا لك). ثم نادى بالمسلمين: (أترضون إمرة خالد؟)... قالوا: (نعم)... فأخذ الراية خالد وأنقذ جيش المسلمين، يقول خالد: (قد انقطع في يدي يومَ مؤتة تسعة أسياف، فما بقي في يدي إلا صفيحة لي يمانية). وقال النبي - ﷺ - عندما أخبر الصحابة بتلك الغزوة: (أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذ الراية جعفر فأصيب، ثم أخذ الراية ابن رواحة فأصيب،... وعيناه - ﷺ - تذرفان، حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله، حتى فتح الله عليهم) فسمي خالد من ذلك اليوم سيف الله.

ولقد أمّره الرسول على أحد الكتائب الإسلامية التي تحركت لفتح مكة واستعمله الرسول أيضا في سرية للقبض على اكيدر ملك دومة الجندل أثناء غزوة تبوك.

ولا يصح لخالد مشهد مع رسول الله ﷺ قبل فتح مكة، ولما فتح رسول الله ﷺ مكة بعثه إلى بني جذيمة من بني عامر بن لؤي، فقتل منهم من لم يجز له قتله، فقال النبي ﷺ :

«اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد». فأرسل مالاً مع علي بن أبي طالب عن دية القتلى، وأعطاهم ثمن ما أخذ منهم، حتى ثمن ميغلة الكلب، وفضل معه فضلة من المال فقسمها فيهم، فلما أخبر رسول الله ﷺ بذلك استحسنه، ولما رجع خالد بن الوليد من بني جذيمة أنكر عليه عبد الرحمن ابن عوف ذلك، وجرى بينهما كلام، فسب خالد عبد الرحمن بن عوف، فغضب النبي ﷺ وقال لخالد: «لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه».

وكان على مقدمة رسول الله ﷺ يوم حنين في بني سليم، فجرح خالد، فعاده رسول الله ﷺ ، ونفث في جرحه فبرأ، وأرسله رسول الله ﷺ إلى أكيدر بن عبد الملك، صاحب دومة الجندل، فأسره، وأحضره عند رسول الله ﷺ فصالحه على الجزية، ورده إلى بلده، وأرسله رسول الله ﷺ سنة عشر إلى بني الحارث بن كعب بن مذحج، فقدم معه رجال منهم فأسلموا، ورجعوا إلى قومهم بنجران.

وعن خالد بن الولُيد: أنه دخل مع رسول الله ﷺ بيت ميمونة، فأتى بضب محنوذ، فأهوى إليه رسول الله ﷺ يريد أن يأكل منه، فقالوا: يا رسول الله، هو ضب. فرفع رسول الله ﷺ يده، فقلت: أحرام هو؟ قال: «لا، ولكنه لم يكن بأرض قومي، فأجدني أعافه». قال خالد: فاجتزرته فأكلته ورسول الله ﷺ ينظر.

قام خالد بن الوليد بدور كبير في حروب الردة بعد وفاة النبي ﷺ وواجه بجيشه المرأة سجاح مدعية النبوة ومالك بن نويرة الذي اتهم بالردة.

ثم إن أبا بكر أمّره بعد رسول الله ﷺ على قتال المرتدين، منهم: مسيلمة الحنفي في اليمامة، وله في قتالهم الأثر العظيم، ومنهم مالك بن نويرة، في بني يربوع من تميم وغيرهم، إلا أن الناس اختلفوا في قتل مالك بن نويرة، فقيل: إنه قتل مسلما لظن ظنه خالد به، وكلام سمعه منه، وأنكر عليه أبو قتادة وأقسم أنه لا يقاتل تحت رايته، وأنكر عليه ذلك عمر بن الخطاب. وهناك شبهة تقول انه تبريراً لما سيقدم عليه خالد ادعى أن مالك بن نويرة ارتد عن الإسلام بكلام بلغه أنه قاله، فأنكر مالك ذلك وقال: أنا على دين الإسلام ما غيرت ولا بدلت، لكن خالدا لم يصغ لشهادة أبي قتادة وابن عمر، ولم يلق أذناً لكلام مالك، بل أمر فضربت عنق مالك وأعناق أصحابه. وقبض خالد ليلى (أم تميم) زوجة مالك فنزا عليها في الليلة التي قتل فيها زوجها. والرد على ذلك انه لم يتأكد له

إسلامه كدليل أول والدليل الثاني انه لم يقتله ولكن كانت ليلة شديدة البرد فقال خالد لأحد جنوده دافئوهم وكان الجندي من كنانة ودافئوهم في لغة كنانة معناها اقتلوهم فقتلهم وخالد منهم بريء وعندما استدعاه الخليفة أبو بكر الصديق وهو من هو من كونه خليفة المسلمين والسابق في الإسلام ولا يدانيه أحد قد رضي من خالد عذره وروايته لأنه يعرفه جيدا، وهي اصح الروايات.

وبعث أبو بكر جيشا تحت قيادة عكرمة بن أبي جهل ولما اشتد بهم الحال، بعث خالدا لنصرتهم. ومع قدومه واشتداد المعركة التي بدأت لصالح مسيلمة جال خالد مع فرسانه وسط العدو فأربكوه وألحقوا به الهزيمة وتشجع باقي الجيش فأجهز على العدو وهرب مسيلمة في حديقته فاقتحمها المسلمون وقتل وحشي ابن حرب برمحه مسيلمة الكذاب لتنكسر شوكة أحد أكبر المشركين المدعين النبوة. ثم سارع خالد بن الوليد بجيشه وفرسانه ليجول وسط الجزيرة العربية تأديبا للمرتدين وقد جعل الله النصر على يديه وأيدي الفرسان الباسلين الذين فاقوا كل تصور في الحنكة والبذل والعطاء في سبيل الله ولو صنعت الأفلام لبطولاتهم فلا تضاهيها بطولات قط فقد أوقعوا وكسروا شوكة ملوك الشرك آنذاك بفضل إيمانهم.

ولخالد الأثر المشهور في قتال الفرس والروم، وافتتح دمشق، وكان في قلنسوته التي يقاتل بها شعر من شعر رسول الله ﷺ يستنصر به وببركته، فلا يزال منصوراً.

وسقطت منه قلنسوته يوم اليرموك، فأضنى نفسه والناس في البحث عنها فلما عوتب في ذلك قال: (إن فيها بعضا من شعر ناصية رسول الله وإني أتفاءل بها وأستنصر)... ففي حجة الوداع ولّما حلق الرسول - ﷺ - رأسه أعطى خالداً ناصيته، فكانت في مقدم قلنسوته، فكان لا يلقى أحداً إلا هزمه الله.

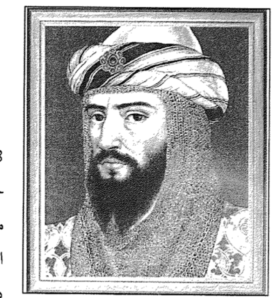
أرسله الخليفة أبو بكر الصديق لنجدة جيوش المسلمين في الشام بعد أن ثبت خالد بن الوليد أقدامه في العراق، تحرك خالد بن الوليد وقطع صحراء السماوة ومعه دليله رافع وجيشه ووصل في وقت قليل لنجدة المسلمين في بلاد الشام.

حين وصل إلى الشام ومعه تسعة آلاف وجد هناك جيوشا متعددة عند اليرموك وأقترح أن تجمع الجيوش في جيش واحد فأختاره القواد ليأمر الجيش فقام بتنظيمه وإعادة توزيعه قبل معركة اليرموك. وقبيل المعركة توفي أبو بكر وتولى الخلافة عمر بن الخطاب

الذي أرسل كتابا إلى أبو عبيدة بن الجراح يأمره بإمارة الجيش وعزل خالد لأن الناس فتنوا بخالد حتى ظنوا أن لا نصر بدون قيادته ولكن أبا عبيدة آثر أن يخفي الكتاب حتى انتهاء المعركة واستتباب النصر تحت قيادة خالد.

في المجمل خاض خالد بن الوليد ﷺ معارك عديدة انتصر فيها كلها وأهمها - ذات السلاسل - الثني - الولجة - أليس - أمغيشيا - الحيرة - الأنبار - عين تمر - دومة الجندل - الفراض. وقتل من الفرس مئات الآلاف ليذوب الملك العظيم لفارس على يد عباد الله.

وقد شهد خالد بن الوليد حوالي مائة معركة بعد إسلامه، وقال على فراش الموت: لقد شهدت مائة زحف أو زهاها وما في بدني موضع شبر إلا وفيه ضربة بسيف، أو رمية بسهم، أو طعنة برمح، وها أنا ذا أموت على فراشي حتف أنفي، فلا نامت أعين الجبناء.



صلاح الدين الأيوبي
(1138-1193 م)

ولد صلاح الدين في تكريت عام 532 هـ/ 1138 م في ليلة مغادرة نجم الدين قلعة تكريت حينما كان والياً عليها ويرجع نسب أسرته حسب ما يرجح إلى أنهم من قبيلة الراودية الكردية على الرغم نفي الأيوبيين هذا النسب ومن قولهم غير ذلك ، فذكر الحسن بن داود الأيوبي في كتابه «الفوائد الجلية في الفرائد الناصرية» ما قيل عن نسب أجداده وقطع أنهم ليسوا أكرادًا، بل نزلوا عندهم فنسبوا إليهم. وقال: «ولم أرَ أحداً ممن أدركتُه من مشايخ بيتنا يعترف بهذا النسب».

وكان نجم الدين والد صلاح الدين قد انتقل إلى بعلبك حيث أصبح والياً عليها مدة سبع سنوات وقضى صلاح الدين طفولته هناك ثم انتقل إلى دمشق حيث قضى فترة شبابه في بلاط الملك العادل نور الدين زنكي. وكان من القادة في جيش نور الدين، أرسله نور الدين من دمشق في الحملات إلى مصر ليستكمل عمل عمه أسد الدين شيركوه على رأس الجيش، وفي مصر بسط سيطرته عليها والعمل على صد الحملة الصليبية، وفي ذات الوقت ليستكمل انتزاعها من الفاطميين الذين كانت دولتهم في أفول، فنجح في عرقلة هجوم الصليبيين سنة 1169 بعد موت عمه شيركوه، وقمع تمرداً للجنود الزنوج، كما فرض نفسه كوزير للخليفة للعاضد، فكان صلاح الدين هو الحاكم الفعلي لمصر.

كان الوزير الفاطمي شاور قد فر من مصر هرباً من الوزير ضرغام بن عامر بن سوار الملقب فارس المسلمين اللخمي المنذري لما استولى على الدولة المصرية وقهره وأخذ مكانه في الوزارة وقتل ولده الأكبر طيء بن شاور فتوجه شاور إلى الشام مستغيثا بنور الدين زنكي في دمشق وذلك في شهر رمضان 558هـ ودخل دمشق في 23 من ذي القعدة من السنة نفسها فوجه نور الدين معه أسد الدين شيركوه بن شاذي في جماعة من عسكره كان صلاح الدين في جملتهم في خدمة عمه وخدمة جيش الشام وهو كاره للسفر معهم وكان لنور الدين في إرسال هذا الجيش هدفان؛ قضاء حق شاور لكونه قصده ودخل عليه

مستصرخا، وأنه أراد استعلام أحوال مصر فإنه كان يبلغه أنها ضعيفة من جهة الجند وأحوالها في غاية الاختلال فقصد الكشف عن حقيقة ذلك.

وكان نور الدين كثير الاعتماد على شيركوه لشجاعته ومعرفته وأمانته فانتدبه لذلك وجعل أسد الدين شيركوه ابن أخيه صلاح الدين مقدم عسكره وشاور معهم فخرجوا من دمشق على رأس الجيش في جمادى الأولى سنة 559هـ فدخلوا مصر وسيطروا واستولوا على الأمر في رجب من السنة نفسها.

ولما وصل أسد الدين وشاور إلى الديار المصرية واستولوا عليها وقتلوا الضرغام وحصل لشاور مقصودة وعاد إلى منصبه وتمهدت قواعده واستمرت أموره غدر بأسد الدين شيركوه واستنجد بالإفرنج عليه فحاصروه في بلبيس، وكان أسد الدين قد شاهد البلاد وعرف أحوالها. ولكن تحت ضغط من هجمات مملكة القدس الصليبية والحملات المتتالية على مصر بالإضافة إلى قلة عدد الجنود الشامية اجبر على الانسحاب من مصر. وأعاد الملك نور الدين بْن عماد الدين زنكي إرسال الجيش من دمشق لمجابهة الصليبيين. وبلغ إلى علم نور الدين في دمشق وكذلك أسد الدين مكاتبة الوزير الخائن شاور للفرنج وما تقرر بينهم فخافا على مصر أن يملكوها ويملكوا بطريقها جميع البلاد هناك فتجهز أسد الدين في قيادة الجيش وخرج من دمشق وأنفذ معه نور الدين العساكر وصلاح الدين في خدمة عمه أسد الدين، وكان وصول أسد الدين إلى البلاد مقاربا لوصول الإفرنج إليها واتفق شاور والمصريون بأسرهم والإفرنج على أسد الدين وجرت حروب كثيرة.

وتوجه صلاح الدين في قيادة الجيش إلى الإسكندرية فاحتمى بها وحاصره الوزير شاور في جمادى الآخرة من سنة 562هـ ثم عاد أسد الدين من جهة الصعيد إلى بلبيس وتم الصلح بينه وبين المصريين وسيروا له صلاح الدين فساروا إلى دمشق.

عاد أسد الدين من دمشق إلى مصر مرة ثالثة وكان سبب ذلك أن الإفرنج جمعوا فارسهم وراجلهم وخرجوا يريدون مصر ناكثين العهود مع أسد الدين طمعا في البلاد فلما بلغ ذلك أسد الدين ونور الدين في الشام لم يسعهما الصبر فسارعا إلى مصر أما نور الدين فبالمال والجيش ولم يمكنه المسير بنفسه للتصدي لأي محاولة من قبل الإفرنج، وأما أسد الدين فبنفسه وماله وإخوته وأهله ورجاله وسائر الجيش.

وكان شاور لما أحس بخروج الإفرنج إلى مصر سير إلى أسد الدين في دمشق الشام يستصرخه ويستنجده فخرج مسرعا وكان وصوله إلى مصر في شهر ربيع الأول سنة 564هـ ولما علم الإفرنج بوصول أسد الدين على رأس الجيش من دمشق إلى مصر على اتفاق بينه وبين أهلها رحلوا راجعين على أعقابهم ناكصين وأقام أسد الدين بها يتردد إليه شاور في الأحيان وكان وعدهم بمال في مقابل ما خسروه من النفقة فلم يوصل إليهم شيئا وعلم أسد الدين أن شاور يلعب به تارة وبالإفرنج أخرى، وتحقق أنه لا سبيل إلى الاستيلاء على البلاد مع بقاء شاور فأجمع رأيه على القبض عليه إذا خرج إليه، فقتله وأصبح أسد الدين وزيرا وذلك في سابع عشر ربيع الأول سنة 564هـ ودام آمرا وناهيا وصلاح الدين يباشر الأمور مقرراً لها لمكان كفايته ودرايته وحسن رأيه وسياسته إلى الثاني والعشرين من جمادى الآخرة من السنة نفسها فمات أسد الدين.

ولما بلغ صلاح الدين قصد الإفرنج دمياط استعد لهم بتجهيز الرجال وجمع الآلات إليها ووعدهم بالإمداد بالرجال إن نزلوا عليهم وبالغ في العطايا والهبات وكان وزيرا متحكما لا يرد أمره في شيء ثم نزل الإفرنج عليها واشتد زحفهم وقتالهم عليها وهو يشن عليهم الغارات من خارج والعسكر يقاتلهم من داخل فانتصر عليهم فرحلوا عنها خائبين فأحرقت مناجيقهم ونهبت آلاتهم وقتل من رجالهم عدد كبير.

في 1170 أغار صلاح الدين على غزة التي كان يسيطر عليها الصليبيون، وفي السنة التالية انتزع أيلة من مملكة أورشليم الصليبية وأغار على مقاطعتي شرق نهر الأردن الشوبك والكرك.

في البداية لم يكن مركز صلاح الدين في مصر مستقرا بسبب الاضطراب الذي سببه توالي عدد كبير من الخلفاء الفاطميين في مدد قصيرة، تحكم في قراراتهم سلسلة من الوزراء.

بعد موت العاضد سنة 1171، دفع صلاح الدين العلماء إلى المناداة بالمستضيء العباسي خليفة والدعاء له في الجمعة والخطبة باسمه من على المنابر، وبهذا انتهت الخلافة الفاطمية في مصر، وحكم صلاح الدين مصر كممثل لنور الدين الذي كان في النهاية يقر بخلافة العباسيين.

حدّث صلاح الدين اقتصاد مصر، وأعاد تنظيم الجيش مستبعداً العناصر الموالية للفاطميين، واتبع نصيحة أبيه أيوب بألا يدخل في مواجهة مع نور الدين الذي كان يدين

له رسميا بالولاء. لكن بعد موت نور الدين سنة 1174 اتخذ صلاح الدين لقب «سلطان» في مصر مؤسساً الأسرة الأيوبية، ومادا نفوذه في اتجاه المغرب العربي.

كان صلاح الدين قد تراجع في مناسبتين عن غزو مملكة بيت المقدس، وذلك في عامي 1170 و 1172 حيث كان يسعى للإبقاء على امن بلاد مصر والنوبة، فكاد هذا يكون سببا في وقوع مواجهة مباشرة مفتوحة بين صلاح الدين ونور الدين إلا أن موت نور الدين حسم المسألة، وكان ابنه الصالح إسماعيل طفلا، فسار صلاح الدين إلى دمشق فدخلها واستقبل فيها بترحاب بينما انتقل الصالح إسماعيل إلى حلب وظل يقاوم حتى مقتله سنة 1181.

في دمشق توج السلطان صلاح الدين وعضّد مُلكه بالزواج من أرملة نور الدين، عصمت الدين خاتون، ثم بسط نفوذه على حلب والموصل عامي 1176 و 1186 على الترتيب، وبينما كان يحاصر حلب يوم 22 مايو 1176 حاول الحشاشون اغتياله، فأجروا محاولتين كانت ثانيهما وشيكة إلى حد أنه أصيب. بعد ذلك فرض صلاح الدين نفوذه على الجزيرة في شمال العراق وأخضع الزنكيين في الموصل وسنجار والأرتوقيين في ماردين وديار بكر، كما بسط نفوذه على الحجاز.

يقول أبو شامة المقدسي في كتابه الروضتين في أخبار الدولتين: «لما فتح السلطان حصن بزاعة ومنبج أيقن من بحلب بخروج ما في أيديهم من المعاقل، والقلاع، فعادوا إلى عادتهم في نصب الحبائل للسلطان. فكاتبوا سناناً صاحب الحشيشية مرة ثانية، ورغبوه بالأموال والمواعيد، وحملوه على إنفاذ من يفتك بالسلطان.

فأرسل، لعنه الله، جماعة من أصحابه فجاؤوا بزي الأجناد، ودخلوا بين المقاتلة وباشروا الحرب وأبلوا فيها أحسن البلاء، وامتزجوا بأصحاب السلطان لعلهم يجدون فرصة ينتهزونها. فبينما السلطان يوماً جالس في خيمة جاولي، والحرب قائمة والسلطان مشغول بالنظر إلى القتال، إذ وثب عليه أحد الحشيشية وضربه بسكينة على رأسه، وكان رحمه الله محترزاً خائفاً من الحشيشية، لا ينزع الزردية عن بدنه ولا صفائح الحديد عن رأسه؛ فلم تصنع ضربة الحشيشي شيئا لمكان صفائح الحديد وأحس الحشيشي بصفائح الحديد على رأس السلطان فسبح يده بالسكينة إلى خد السلطان فجرحه وجرى الدم على وجهه؛ فتتعتع السلطان بذلك.

ولما رأى الحشيشي ذلك هجم على السلطان وجذب رأسه، ووضعه على الأرض وركبه لينحره؛ وكان من حول السلطان قد أدركتهم دهشة أخذت عقولهم. وحضر في ذلك الوقت سيف الدين يازكوج، وقيل إنه كان حاضرا، فاخترط سيفا وضرب الحشيشي فقتله. وجاء آخر من الحشيشية أيضا يقصد السلطان، فاعترضه الأمير داود بن منكلان الكردي وضربه بالسيف، وسبق الحشيشي إلى ابن منكلان فجرحه في جبهته، وقتله ابن منكلان، ومات ابن منكلان من ضربة الحشيشي بعد أيام. وجاء آخر من الباطنية فحصل في سهم الأمير علي بن أبي الفوارس فهجم على الباطني ودخل الباطني فيه ليضربه فأخذه علي تحت إبطه، وبقيت يد الباطني من ورائه لا يتمكن من ضربه، فصاح علي: اقتلوه واقتلوني معه، فجاء ناصر الدين محمد بن شيركوه فطعن بطن الباطني بسيفه، ومازال يخضخضه فيه حتى سقط ميتا ونجا ابن أبي الفوارس. وخرج آخر من الحشيشية منهزما، فلقيه الأثير شهاب الدين محمود، خال السلطان فتنكب الباطني عن طريق شهاب الدين فقصده أصحابه وقطعوه بالسيوف.

وأما السلطان فإنه ركب من وقته إلى سرادقه ودمه على خده سائل، وأخذ من ذلك الوقت في الاحتراس والاحتراز، وضرب حول سرادقه مثال الخركاه، ونصب له في وسط سرادقه برجا من الخشب كان يجلس فيه وينام، ولا يدخل عليه إلا من يعرفه، وبطلت الحرب في ذلك اليوم، وخاف الناس على السلطان. واضطرب العسكر وخاف الناس بعضهم من بعض، فألجأت إلى ركوب السلطان ليشاهده الناس، فركب حتى سكن العسكر.

بينما كان صلاح الدين يعمل على بسط نفوذه على عمق سورية فقد كان غالبا يترك الصليبيين لحالهم مرجئا المواجهة معهم وإن كانت غالبا لم تغب عنه حتميتها، إلا أنه كان عادة ما ينتصر عندما تقع مواجهة معهم، وكان الاستثناء هو موقعة مونتجيسارد يوم 25 نوفمبر 1177 حيث لم يُبدِ الصليبيون مقاومة فوقع صلاح الدين في خطأ ترك الجند تسعى وراء الغنائم وتشتت، فهاجمته قوات بولدوين السادس ملك أورشليم وأرناط وفرسان المعبد وهزمته. إلا أن صلاح الدين عاد وهاجم الإمارات الفرنجية من الغرب وانتصر على بولدوين في موقعة مرج عيون في 1179 وكذلك في السنة التالية في موقعة خليج يعقوب، ثم أرسيت هدنة بين الصليبيين وصلاح الدين في 1180.

إلا أن غارات الصليبيين عادت فحفزت صلاح الدين على الرد. فقد كان أرناط يتحرش بالتجارة وبالحجاج المسلمين بواسطة أسطول له في البحر الأحمر، فبنى صلاح الدين أسطولا من 30 بارجة لمهاجمة بيروت في 1182، وعندها هدد أرناطُ بمهاجمة مكة والمدينة، فحاصر صلاح الدين حصن الكرك معقل أرناط مرتين في عامي 1183 و1184، ورد أرناط بمهاجمة قوافل حجاج مسلمين سنة 1185.

تروي مصادر فرنسية من القرن الثالث عشر أن أرناط قد أسرَ في غارة أختَ صلاح الدين وإن كان ذلك غير مشهود في المصادر المعاصرة، سواء الإسلامية أو الفرنجية، بل يُذكر أن أرناط هاجم قافلة قبل ذلك وأن صلاح الدين أرسل حراسا لحماية أخته وابنها اللذين لم يصبهما أذى.

بعد أن استعصى حصن الكرك المنيع على صلاح الدين أدار وجهه وجهة أخرى وعاود مهاجمة عز الدين مسعود بن مودود الزنكي في نواحي الموصل الذي كان قد بدأت جهوده في ضمها سنة 1182، إلا أن تحالف عز الدين مع حاكم أذربيجان حال دون تحقق مراده، ثم إن صلاح الدين مرض فأرسيت معاهدة في 1186.

في عام 1187 سقطت أغلب مدن وحصون مملكة بيت المقدس في يد صلاح الدين بعد أن هزمت القوات الصليبية في موقعة حطين بتاريخ في 4 يوليو ،1187 حيث التقت قوات صلاح الدين في حطين مع القوات المجتمعة لجاي ذي لوزينان نائب ملك أورشليم، وريموند الثالث ملك طرابلس، وفي تلك الموقعة كادت قوات الصليبيين تفنى على يد جيش صلاح الدين وكانت طامة كبرى ونقطة تحول في تاريخ الصليبيين. كما أسر أرناط وأشرف صلاح الدين بنفسه على إعدامه انتقاما لتحرشه بالقوافل، كما أسر جاي ذي لوزينان إلا أنه أبقى على حياته.

تروي مصادر أوروبية أنه وعلى غير العادة فإن صلاح الدين أمر بإعدام ما يقرب من مئة من فرسان المعبد والهوسبتاليين لأنهم كانوا أخطر وحدات الصليبيين وأكثرها تدريبا وانتماء عقيديا، وإن كان ذلك غير مشهود في المصادر الإسلامية المعاصرة.

دخلت قوات صلاح الدين القدس يوم 2 أكتوبر 1187 بعد أن استسلمت المدينة وكان صلاح الدين قد عرض شروطا كريمة للاستسلام، إلا أنها رفضت، فبعد بدء الحصار رفض أن يمنح عفوا للأوروبيين من سكان القدس حتى هدد باليان بقتل كل

الرهائن المسلمين الذين كان عددهم يقدر بخمسة آلاف، وتدمير قبة الصخرة والمسجد الأقصى، فاستشار صلاح الدين مجلسه ثم قبِل منح العفو، على أن تُدفع فدية لكل إفرنجي في المدينة سواء كان رجلا أو امرأة أو طفلا، إلا أن صلاح الدين سمح لكثيرين بالخروج ممن لم يكن معهم ما يكفي لدفع الفدية عن جميع أفراد أسرهم.

قبل القدس كان صلاح الدين قد استعاد كل المدن تقريبا من الصليبيين، ما عدا صور التي كانت المدينة الوحيدة الباقية في يد الصليبين. من الناحية الإستراتيجية ربما كان من الأفضل لصلاح الدين فتح صور قبل القدس لكون الأولى بموقعها على البحر تشكل مدخلا لإمدادات الصليبيين من أوروبا، إلا أنه اختار البدء بالقدس بسبب أهميتها الروحية لدى المسلمين، ويقال إنه لم يبتسم في حياته قط حتى حرر القدس.

كانت صور في ذلك الوقت تحت إمرة كونراد أمير مونتفرات الذي حصنها فصمدت أمام حصارين لصلاح الدين. كان صلاح الدين قد أطلق سراح جاي ذي لوزينان وأعاده إلى زوجته سيبيلا ملكة أورشليم، فلجئا أولا إلى طرابلس ثم إلى أنطاكيا، وحاولا عام 1189 استعادة صور إلا أن كونراد حاكمها رفض دخولهما لأنه لم يكن يعترف بجاي ملكا، فذهب جاي لحصار عكا.

حفز فتح القدس خروج حملة صليبية ثالثة، مُوِّلت في إنجلترا وأجزاء من فرنسا بضريبة خاصة عرفت بضريبة صلاح الدين. وقاد الحملة ثلاثة من أكبر ملوك أوروبا في ذلك الوقت هم رتشارد (قلب الأسد) ملك إنجلترا، وفيليب أغسطس ملك فرنسا، وملك ألمانيا فريدريك بربروسا الإمبراطور الروماني المقدس، إلا أن هذا الأخير مات أثناء الرحلة، وانضم الآخران إلى حصار عكا التي سقطت في 1191، وأُعدم فيها ثلاثة آلاف سجين مسلم بمن فيهم نساء وأطفال، فانتقم صلاح الدين بقتل كل الفرنجة الذين أسروا ما بين 28 أغسطس و 10 سبتمبر.

في 7 سبتمبر 1191 اشتبكت جيوش صلاح الدين مع جيوش الصليبيين بقيادة رتشارد في موقعة أرسوف التي انهزم فيها صلاح الدين، إلا أن الصليبيين لم يتمكنوا من اجتياح الداخل وبقوا على الساحل وفشلت كل محاولاتهم لغزو القدس فوقّع رتشارد في 1192 معاهدة الرملة مع صلاح الدين مستعيدا بموجبها مملكة أورشليم الصليبية في شريط ساحلي ما بين يافا وصور كما فتحت القدس للحجاج المسيحيين.

ولقد كانت العلاقة بين صلاح الدين الأيوبي ورتشارد مثالا على الفروسية والاحترام المتبادلين رغم الخصومة العسكرية، فعندما مرض رتشارد بالحمى أرسل إليه صلاح الدين طبيبه الخاص، كما أرسل إليه فاكهة طازجة وثلجا لتبريد الشراب، وهو إلى جانب كونه فعلا كريما يعد استعراضا للقدرة، وعندما فقد رتشارد جواده في أرسوف أرسل إليه صلاح الدين اثنين.

عرض رتشارد على صلاح الدين فلسطين موحدة للمسيحيين الأوربيون والمسلمين العرب بطريق تزويج أخت رتشارد بأخي صلاح الدين وأن تكون القدس هدية زفافهما. إلا أن الرجلين لم يلتقيا أبدا وجها لوجه وكان التواصل بينهما بالكتابة أو بالرسل.

كانت المواجهة مع ريتشارد ومعاهدة الرملة آخر أعمال صلاح الدين، إذ أنه بعد وقت قصير من رحيل ريتشارد، مات صلاح الدين من الحمى في دمشق في 3 مارس 1193، الموافق يوم الأربعاء 27 من صفر 589هـ. وعندما فُتحت خزانته الشخصية وجدوا أنه لم يكن فيها ما يكفي من المال لجنازته، فلم يكن فيها سوى سبعة وأربعين درهما ناصرية وجرما واحدا ذهبا سوريا ولم يخلف ملكا ولا دارا، إذ كان قد أنفق معظم ماله في الصدقات.

على الرغم من أن الدولة التي أسساها صلاح الدين لم تدم طويلا من بعده، إلا أن صلاح الدين يعد في الوعي الإسلامي محرر القدس واستلهمت شخصيته في الملاحم والأشعار وحتى مناهج التربية الوطنية في الدول العربية، كما ألفت عشرات الكتب عن سيرته، وتناولتها المسرحيات والتمثيليات والأعمال الدرامية.

لا يزال صلاح الدين يضرب به المثل على القائد المسلم المثالي الذي يعمل على مواجهة أعدائه بحسم ليحرر أراضي المسلمين، دون تفريط في الشهامة والأخلاق الرفيعة.

وعلى الرغم من كونه خصما عنيدا للأوربيين فإن صلاح الدين في الوعي الأوروبي ظل نموذجا للفارس الشهم الذي تتجسد فيه أخلاق الفروسية بالمفهوم الأوربي، حتى أنه توجد ملحمة شعبية شعرية من القرن الرابع عشر تصف أعماله البطولية.



أسامة بن لادن

(1957-....)

هو أسامة بن محمد بن عوض بن لادن، مؤسس وزعيم تنظيم القاعدة. وهو تنظيم سلفي جهادي مسلح أنشئ في أفغانستان من قبل عبد الله يوسف عزام (بعدها أستبدل بأسامة بن لادن) في سنة 1988 قامت القاعدة بالهجوم على أهداف مدنية وعسكرية في العديد من البلدان وتعتبر هدفاً رئيسياً لـ «الحرب الأمريكية على الإرهاب».

وُلد أسامة بن لادن في الرّياض في المملكة العربية السعوديّة لأب ثري وهو محمد بن لادن والذي كان يعمل في المقاولات وأعمال البناء وكان ذا علاقة قوية بالعائلة الحاكمة في المملكة العربية السعودية. وترتيب أسامة بين إخوانه وأخواته هو 17 من أصل 52 أخا وأختا. وتنحدر أسرة ابن لادن من حضرموت في اليمن. ودرس في جامعة الملك عبد العزيز في جدة وحصل على درجة البكالوريوس في الاقتصاد ليتولي إدارة أعمال شركة بن لادن، وتحمّل بعضا من المسؤولية عن أبيه في إدارة الشّركة. وقد توفي محمد بن لادن والد أسامة، تاركا ثروة تقدّر بـ 300 مليون دولار.

مكنته ثروته وعلاقاته من تحقيق أهدافه في دعم ما يعرف بالمجاهدين الأفغان ضّد الغزو السوفييتي لأفغانستان في العام 1979م. وفي العام 1984م، أسّس ابن لادن منظّمة دعويّة سماها «مركز الخدمات» وقاعدة للتدريب على فنون الحرب والعمليات المسلحة باسم «معسكر الفاروق» لدعم وتمويل المجهود الحربي «للمجاهدين الأفغان» (وللمجاهدين العرب والأجانب فيما بعد). ودعمتهما (المنظمة والمعسكر) كلّ من أمريكا وباكستان والسعودية وتلقتا الدّعم المادّي والتّدريبات العسكرية والأمنية من هاتين الدولتين بل وتلقّتا التّدريبات العسكريّة من جهاز المخابرات الأمريكيّة حسب تقرير محطّة BBC الإخباريّة.

وفي العام 1988م، بلور أسامة بن لادن عمله في أفغانستان بإنشاء سجلات القاعدة لتسجيل بيانات المجاهدين، وانضم إليها المتطوّعون من «مركز الخدمات» من

ذوي الاختصاصات العسكرية والتأهيل القتالي. وأصبحت فيها بعد رمزًا لتنظيم المجاهدين. بانسحاب القوّات السوفييتيّة من أفغانستان،

وُصف ابن لادن بالبطل من قبل السعودية ولكن سرعان ما تلاشى هذا الدّعم حين هاجم ابن لادن التواجد الأمريكي في السعودية إبّان الغزو العراقي للكويت في عام 1990م، بل وهاجم النظام السعودي لسماحه بتواجد القوات الأمريكية التي يصفها ابن لادن «بالمادية» و «الفاسدة» وأدى تلاشي الدعم السعودي إلى خروج ابن لادن إلى السودان في نفس العام وتأسيسه لمركز عمليات جديد في السودان. ونجح ابن لادن في تصدير أفكاره الثورية إلى جنوب شرق آسيا، والولايات المتحدة، وأفريقيا، وأوروبا. وبعدها غادر السودان في العام 1996م متوجّهاً إلى أفغانستان نتيجة علاقته القوية بجماعة «طالبان» التي كانت تسيّر أُمور أفغانستان والمسيطرة على الوضع هناك. وهناك أعلن الحرب على الولايات المتحدة الأمريكية.

وفي العام 1998م، تلاقت جهود أسامة بن لادن مع جهود أيمن الظواهري الأمين العام لتنظيم الجهاد الإسلامي المصري المحظور، وأطلق الرّجلان فتوى تدعو إلى قتل الأمريكان وحلفائهم أينما ثِقفوا وإلى إجلائهم من المسجد الأقصى والمسجد الحرام. وبعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وجّهت الولايات المتحدة أصابع الاتهام إلى ابن لادن والقاعدة. وأثنى أسامة على منفذي العمليات. وفي ديسمبر/ كانون الأول من العام 2001م، تمكّنت القوات الأمريكية من الحصول على شريط فيديو يصوّر ابن لادن مع جمع من مؤّيديه يتحدّث في الشريط عن دهشته من كميّة الخراب والقتلى التي حلّت بالبرج وأن الحصيلة لم تكن بالحسبان بل فاقت توقّعاته، وتم استخدام هذا الشريط كأحد الأدلة العلنية على أن لابن لادن علمًا مسبقًا بالحدث وتفاصيله، بينما تبقى بعض الأدلة غير معلن عنها لدواعي الأمن القومي والحرب على الإرهاب.

ولقد قامت الولايات الأمريكية المتحدة بتوجيه الاتّهام المباشر له لتسبّبه في تفجيرات الخبر وتفجيرات نيروبي ودار السلام، وأحداث 11 سبتمبر 2001 والتي أودت بحياة 2997 شخصا. وهو على رأس قائمة المطلوبين في العالم (على قائمة الإنتربول) ومكانه غير معلوم حتى الآن.

ولا يزال أسامة بن لادن متواريًا عن الأنظار. وطلبت الولايات المتحدة من طالبان تسليمها ابن لادن ولكن أفغانستان طالبت الولايات المتحدة بأدلة على تورط أسامة بن لادن

في أحداث الحادي عشر من سبتمبر/ أيلول 2001م. وعلى أثر ذلك اجتاحت الولايات المتّحدة أفغانستان وأطاحت بحكومة طالبان إلا أن الولايات المتحدة لم تستطع القبض على ابن لادن. وكان يُعتقد أن ابن لادن قد مات ميتةً طبيعيّة لإصابته بالفشل الكلوي الأمر الذي يستدعي عنايةً طبيةً فائقةً والتي تصعب على بن لادن في وضعه الحالي. (كثير من التقارير تنفي إصابته بالفشل الكلوي كما في اللقاء مع طبيبه الخاص)، ولكن من حين لآخر، تظهر أشرطة مرئية وصوتية له متحدثًا عن قضايا الساعة مما يؤكد أنه ما زال على قيد الحياة.

وفي 7 مايو 2004م، ظهر شريط صوتي منسوب لأسامة بن لادن يحث فيه على النيل من الحاكم المدني الأمريكي في العراق بول بريمر، ويرصد ابن لادن مكافأة ذهبية لمن يتمكن من قتله. وشمل ابن لادن كلا من القائد العسكري للقوات الأمريكية في العراق ونائبه والأمين العام السابق للأمم المتحدة كوفي أنان، ومبعوثه الخاص في العراق الأخضر الإبراهيمي.

اختفى زعيم تنظيم القاعدة عن الأنظار بعد الحرب على طالبان والقاعدة في أفغانستان ويعتقد أن أسامة بن لادن ما يزال مختبئًا في المنطقة الجبلية لأفغانستان والمتاخمة للحدود الباكستانية. وفي شريط مرئي بثته قناة الجزيرة في 30 أكتوبر 2004م، برر ابن لادن ولأول مرة سبب إقدام القاعدة على توجيه ضربة للمباني المدنية في الولايات المتحدة، فقد علل بن لادن الضربة بقوله: «بعدما طفح الكيل بالمسلمين من إقدام إسرائيل على اجتياح لبنان عام 1982م، وما تفعله من أعمال إرهابية ضد المدنيين الأبرياء في فلسطين وما تشهده الساحة الإسلامية من انتهاكات إسرائيلية حيال الشعب الفلسطيني. وما أيضًا يراه كل العالم بأن أمريكا تساند وتبارك إسرائيل بما تفعله باحتلالها أراضٍ ليست حقًّا لها لا في تاريخ أو حضارة. وأدعى أن الرئيس الأمريكي مخطئ بتفسيره أن القاعدة مناهضة للحرية ويستند قوله على أن القاعدة تقول الحقيقة التي لبثت أمريكا دوما بإخفائها». آخر ظهور لابن لادن كان صوتياً بواسطة مؤسسة السحاب للإنتاج الإعلامي بتاريخ 1/ 2009م الموافق محرم 1430هـ إبان عدوان إسرائيل على غزة حرض فيه ابن لادن للجهاد ضد العدوان الإسرائيلي على غزة.

لا يعرف عن ابن لادن طلبه للعلم الشرعي، ورغم ذلك فقد هاجم بعض علماء المسلمين لأنهم في رأيه يوافقون على ظلم أمريكا وإسرائيل. ومن ناحية أخرى فإن ما يفعله ويدعو إليه هو سبب لزيادة الظلم حسب من لا يوافقه. ورغم أنه ذُكر أن الشيخ ابن عثيمين مدحه إن صح ذلك، إلا أن ذلك كان قبل خروجه على آل سعود.



ماو تسي تونج

(1893-1976م)

هو الرجل الذي تزعم الحزب الشيوعي الصيني 27 عاما، واستطاع خلالها أن يقوم بتحولات فكرية خطيرة ليس لها نظير في تاريخ الصين.

ولد في إحدى قرى ولاية هونان، أبوه فلاح غني ، وعندما كان في الثامنة عشرة من عمره قامت ثورة ضد النظام الملكي الفاسد الذي يحكم الصين منذ القرن السابع عشر، وبعد شهور من قيام الثورة أنهي الحكم الملكي وأعلنت الجمهورية.

ولم يفلح الثوار في إقامة حكومة مستقرة موحدة، ولذلك كانت هذه الثورة فاتحة لحرب أهلية أشاعت القلق وعدم الاستقرار في الصين، وظلت الصين على هذه الحال حتى سنة 1949 .

وكان ماو في شبابه يساريا متطرفا في أفكاره السياسية، وفي سنة 1920 أصبح من الواضح أنه ماركسي متعصب، وفي سنة 1921 أصبح واحدا من الاثني عشر المؤسسين للحزب الشيوعي، وكان ارتقاؤه في الحزب بطيئا حتى بلغ زعامته فلم يصبح زعيما للحزب إلا في سنة 1937 .

وفي نفس الوقت كان الحزب الشيوعي قد اختط طريقا طويلا صعبا بطيئا حتى استولى على السلطة في الصين، وقد أصيب الحزب بنكسات عنيفة في سنة 1927 وفي سنة 1934 ولكنه استطاع أن يتغلب على هذه الأزمات الصعبة. ولما كانت سنة 1947 بدا واضحا تماما أن الحزب قادر على أن يشن حربا واسعة النطاق ضد الحكومة الوطنية بزعامة شيانج كاي شك، وانتصرت القوات الشيوعية تماما في سنة 1949 وأصبحت السلطة كلها للحزب الشيوعي.

وهذه الصين التي استولى عليها حزب ماو قد مزقتها حروب أهلية استغرقت 38 عاما حتى أصبحت الصين فقيرة متخلفة أمية. وعندما استولى ماو على السلطة كان يبلغ

السادسة والخمسين من عمره، ولقد حقق أعظم إنجازاته السياسية بعد هذه السن، فحين تولى الحكم بدأ طريقه السياسي الذي حقق فيه لبلاده أعظم الأعمال السياسية، وعندما توفي في سنة 1976 كان قد أكمل التحولات الكبرى في الصين.

ومن مظاهر هذه التحولات الخطيرة «تعصير» الصين - أي جعلها دولة عصرية - فقد توسع في التصنيع والتعليم والتنمية والعناية بالصحة والتربية الوطنية، وهذه التغييرات التي أجراها على الصين، وإن كانت هائلة، فقد حدثت في كثير من البلاد المعاصرة له، وهي لذلك عادية.

ومن التحولات الهائلة أيضا أنه نقل النظام الاقتصادي في الصين من الرأسمالية إلى الاشتراكية، وطبعا اتخذت الصين نظاما شموليا في السياسة: أي سيطرة الرجل الواحد على الحزب الواحد، واستخدم ماو كل أجهزة الدولة في الدعاية، ولذلك استقر له النظام الاقتصادي والسياسي، بل إنه حقق أيضا ثورة اجتماعية، فبعد أن كانت التقاليد الصينية تقدس الدولة، أصبحت تقدس الوطن، فلا ولاء إلا للصين، وهذا تحول خطير جدا في دولة كالصين عاشت ألوف السنين تقدس الأسرة والآباء والأجداد. ولم تكتف بذلك بل هاجمت كونفوشيوس وتعاليمه حتى قضت عليها تماما.

ولم يكن ماو وحده الرجل الذي ارتقى المسرح السياسي وتحكم في مستقبل الصين، وإنما كان إلى جانبه رجال آخرون، وإن كان هو أخطرهم حتى مماته.

ومن بين المشاريع التي تحمل دلالته وخطورته مشروع القفز خطوة إلى الأمام في نهاية الخمسينات، وقد تصور كثير من الغربيين أن هذا المشروع لم يحقق النجاح الذي يوازي الضجة التي أحدثها، فقد كان المشروع يطالب بالصناعات الصغيرة في المزارع والقرى الجماعية في الريف.

وهناك مشروع آخر أخطر هو مشروع الثورة الثقافية في الستينات. تلك الثورة التي كانت مخيفة، فقد اتخذها ماو فرصة لتصفية حسابه مع البيروقراطية في الحزب الشيوعي.

ومن الغريب أم ماو كان في الستينات من عمره عندما قام بمشروع الخطوة إلى الأمام، وفي السبعينات عندما أشعل الثورة الثقافية، ثم كان في الثمانينات عندما حدث التقارب بين الصين والولايات المتحدة الأمريكية.

وكان ماو يعتقد في مستهل حياته الثورية أن السند الأكبر للحزب يجب أن يرتكز على العمال في المدن، وهي فكرة تتفق مع تعاليم ماركس، ولكنه في سنة 1925 غير رأيه، فقد وجد أن ظروف الصين مختلفة تماما، ولذلك قرر أن يرتكز الحزب على الفلاحين، وتمكنت هذه الفكرة من أسلوبه الثوري، ولذلك فخلال كفاحه الطويل ضد الحكومة الوطنية اعتمد على الفلاحين في الريف الصيني، وظلت هذه فلسفته طوال عهده في حكم الصين. وهو في ذلك يختلف عن ستالين، فستالين في روسيا اعتمد على التنمية الصناعية، بينما اعتمد ماو على التنمية الزراعية، ومع ذلك فالتصنيع في عهد ماو قد تقدم بصورة مذهلة.

ومن الصعب حقا أن نعرف بالضبط مكانة أي زعيم سياسي معاصر، ولكن لا مانع من أن نقارن بين مكانة ماو وزعماء آخرين. وعلينا أن نتساءل لماذا اخترنا له هذا الموقع من قائمة الخالدين.

إن كثيرا من المؤرخين قد وضعوا ماو أعلى من الزعيم الأمريكي جورج واشنطن، وذلك لأن الإنجازات العظيمة التي حققها ماو لبلاده أعمق وأبعد مدى مما فعل واشنطن.

ومن السهل أن نضع ماو في مكان أعلى من نابليون وهتلر والاسكندر الأكبر وذلك لأن أثره سوف يعيش أطول ويبقى أعظم.

وهناك من يقارن بين ماو ولينين، ولقد حكم ماو فترة أطول وشعبا أكثر عدد من الشعب الروسي الذي حكمه لينين، بل إن ماو حكم شعبا أكثر عدد من أي شعب حكمه أي إنسان في التاريخ، غير أن لينين يسبق ماو في هذا السلم لأنه أعمق أثرا، وأنه لولا لينين ما كان ماو، بل إن لينين هو الذي مهد الطريق للحزب الشيوعي الصيني.

ولكن الرجل الذي تتوازى أعماله مع ماو هو «شي هوانج تي» وهو صيني آخر، وكلاهما مهندس للتحولات الاجتماعية في الصين، وقد وضعنا «شي هوانج تي» في مكان أرفع من ماو لأن التغييرات التي أحدثها ظلت في الصين 22 قرنا، ورغم أن تغييرات ماو أعمق أثرا إلا أننا لا نعرف كم من السنوات سيبقى ماو متسلطا على الفكر الصيني، أو كم ستبقى الشيوعية.



جنكيز خان
(1162-1227م)

هو القائد المغولي الشهير، كان أبوه واحدا من رؤساء القبائل، وقد سمى ابنه هذا تيموجين، وعندما بلغ الابن التاسعة من عمره اغتالت إحدى القبائل أباه، فعاش بقية أفراد أسرته في حالة من الخوف والفزع، وهي بداية مروعة. ولكن الفتى الصغير انتظرته بعد ذلك حوادث أسوأ وأعنف. فقد اختطفته إحدى القبائل ووضعته في السجن، ولكي يحولوا بينه وبين الهرب لفوا حول عنقه إطارا من الخشب، ومن هذا الهوان والعذاب والفزع والرغبة في الانتقام ازدهر شباب تيموجين ليصبح أقوى رجل في العالم.

وقد بدأت قوته في نفس اللحظة التي فكر فيها بالإفلات من السجن، فقد اتحد مع شيخ قبيلة اسمه طوغريل، وكان صديقا لوالده.

ومضت سنوات عديدة القبائل المغولية في حالة حرب مستمرة، ومن خلال هذه المعارك الدموية المستمرة برز هذا الشاب تيموجين حتى أدرك الجميع أنه قائد موهوب، وأن مستقبل القبائل كلها من الممكن أن يوضع بين يديه، أو على صهوة حصانه.

ومن المعروف تاريخيا أن فرسان المغول من أبرع المقاتلين، وقد اتجهت معاركهم إلى حروب الثأر بين بعضهم بعضا، أو في العدوان على الدول المجاورة ولكن هذا العدوان لم يتخذ شكل المعارك المنظمة.

ولكن تيموجين استطاع بالشجاعة والجرأة والدبلوماسية أن يوحد بين هذه القبائل وأن يتزعمها جميعا، وفي سنة 1206 أجمع رؤساء قبائل المغول على تتويج تيموجين ملكا عليهم، ولذلك سموه جنكيز خان: أي إمبراطور الدنيا.

وانتقل جنكيز خان بالحروب إلى خارج بلاده، وانتهت بذلك الحروب الأهلية، واستهل معاركه الكبرى بمحاربة إحدى الولايات في شمال الصين، واستيلائه عليها، وفي الوقت الذي انشغلت فيه قواته بغزو الصين شمالا وغربا، اتجهت قوات أخرى تغزو بلاد

فارس. وفي سنة 1219 زحفت قواته على بلاد فارس واكتسحتها تماما، وسقطت إمبراطورية فارس، وبينما كانت جيوشه تزحف على روسيا استولى على أفغانستان وعلى شمال الهند. وعاد إلى بلاده منغوليا في سنة 1225 وتوفي هناك في سنة 1227.

وقبل وفاته بقليل أوصى جنكيز خان بأن يليه في الحكم ابنه الثالث: أوجادي، وكان ذلك قرارا حكيما. فقد أثبت ابنه هذا أنه قائد بارع، فتحت قيادته زحفت قواته إلى الصين واستولت على روسيا وتقدمت إلى أوروبا، وفي سنة 1241 دخلت جيوشه المجر وبولندا وألمانيا، وفي تلك السنة انسحبت القوات المغولية إلى غير رجعة، وتوفي هو أيضا.

وجاءت سنوات من الخلاف بين رؤساء القبائل حول من الذي يخلف أوجادي، هل هو مانجو خان، أو هو كوبلاي خان، وكلاهما حفيد جنكيز خان.

ولكن بعد هذين الحفيدين استأنفت قوات المغول الزحف فاستولت على الصين تماما، وبذلك تكون منغوليا قد سيطرت على الصين وكوريا والهند ولتبت وآسيا الوسطى وجنوب شرقي آسيا وروسيا وبولندا. وهي بذلك تكون أكبر إمبراطورية في التاريخ.

ولكن مثل هذه الإمبراطورية الهائلة والتي تحكمها قوات بأساليب بدائية لا يمكن أن تظل متماسكة زمنا طويلا، ولذلك فإن الصين طردت قوات المغول في سنة 1368، وإن كان حكمهم قد استمر في روسيا حتى القرن السادس عشر واستمر حكمهم في شبه جزيرة القرم حتى سنة 1783، كما ظل عدد من الملوك أحفاد جنكيز خان يحكمون في آسيا الوسطى وبلاد الفرس، وهي المناطق التي استولى عليها تيمورلنك في القرن الرابع عشر وهو مغولي أيضا، وكان يباهي بأنه من أحفاد جنكيز خان، ولكن مملكة تيمورلنك هذه انهارت تماما في القرن الرابع عشر، ولم تكن هذه هي نهاية المغول، لأن أحد أحفاد تيمورلنك واسمه بابر قد غزا الهند وأقام مملكة جديدة للمغول كما ظل حكام المغول الذين يغزون الهند من حين إلى آخر مسيطرين عليها حتى القرن الثامن عشر.

وفي التاريخ أناس كثيرون مثل جنكيز خان ـ قوادا أو مجانين ـ قاموا بغزو مساحات هائلة من الأرض وحققوا انتصارات عسكرية باهرة وبارزة، ومن ألمعهم الاسكندر الأكبر وجنكيز خان ونابليون وهتلر ولكن لماذا يشغل هؤلاء الأربعة هذا المكان الرفيع في قائمة الخالدين، أليست الأفكار أهم وأخطر من الجيوش؟ لاشك أن القلم أخطر من السيف، ولكن هؤلاء الأربعة تحكموا في أرض واسعة وشعوب كثيرة، وكان لهم أثر بالغ

على حياتهم وعلى معاصريهم. ولذلك لا يمكن إغفالهم مهما كان إحساسنا بالنسبة إليهم، نحبهم أو نكرههم، نحترمهم أو نحتقرهم، ولكن لماذا جنكيز خان أهم من الثلاثة الآخرين؟

لأن أثره كان أعمق وأطول من أي من هؤلاء الثلاثة، وأهم من ذلك أن الأثر الذي تركه ظل وقتا طويلا، فكل من نابليون وهتلر قد هزم وهو على قيد الحياة، وعلى الرغم من أن الاسكندر لم يهزم في حياته فإنه لم يترك خليفة له ولذلك انهارت إمبراطوريته بوفاته، بينما استطاع جنكيز خان أن ينظم معاركه تنظيما ممتازا كما أن أحفاده وأحفادهم قد ظلوا حكاما ناجحين وظلوا على رؤوس الدول قرونا بعد وفاته.

وهناك نتيجة غير مباشرة لغزوات جنكيز خان هي أنها وحدت التجارة بين الدول التي استولى عليها، فنشطت التجارة بين الصين وأوروبا. واستطاع تجار مثل الرحالة ماركو بولو من أن يذهبوا إلى الصين ويعودوا إلى أوروبا ليرووا قصصا خرافية عن تراثها العظيم. وهذا النشاط التجاري هو الذي دفع عددا كبيرا من الأوروبيين إلى اكتشاف مجاهل آسيا.

ويمكن أن يقال أيضا: إنه لو لم يولد خريستوف كولمبوس والزعيم سيمون بوليفار والمخترع توماس أديسون فإن أشخاصا آخرين كان في استطاعتهم أن يقوموا بها قاموا به، فيكتشف شخص ما أمريكا ويحرر آخر أمريكا الجنوبية ويخترع ثالث المصباح الكهربائي، ولكن لو أن جنكيز خان لم يولد فإن من المستبعد تماما أن يقوم شخص آخر بهذه الغزوات الواسعة ويقيم الإمبراطورية المغولية من كوريا إلى بولندا، فقبائل المغول لم تتحد قبله ولم تفلح في أن تتحد مرة أخرى بعد ذلك، ولذلك فجنكيز خان يعتبر واحدا من أعظم محركي التاريخ الإنساني.



نابليون بونابرت

(1769-1821م)

ولد إمبراطور فرنسا الشهير نابليون في مدينة أجاكسيو بجزيرة كورسيكا، واسمه بالكامل هو نابليون بونابرته. وكانت فرنسا قد استولت على جزيرة كورسيكا قبل ولادته بخمسة عشر شهرا. وكان نابليون في سنواته الأولى وطنيا متطرفا، وكان يرى أن الفرنسيين قد احتلوا بلاده. وعلى الرغم من ذلك فإن أهله قد أرسلوه ليكمل تعليمه في الأكاديميات العسكرية في فرنسا. وعندما تخرج في السادسة عشرة من عمره سنة 1785 كان برتبة الملازم الثاني في الجيش الفرنسي.

وبعد أربع سنوات من تخرجه قامت الثورة الفرنسية، وفي السنوات التالية انشغلت فرنسا في حروب متوالية مع دول أجنبية.

وجاءت فرصة نابليون في سنة 1793 عندما حاصر الفرنسيون مدينة تولون واستردوها من البريطانيين، وكان نابليون قائدا للمدفعية، وفي ذلك الوقت كان نابليون قد عدل عن نزعاته الوطنية وأصبح فرنسيا مخلصا، وكانت براعة نابليون في ضرب القوات البريطانية قد أكسبته احترام الجميع، ورقي نابليون إلى رتبة أعلى، وفي سنة 1796 أصبح قائدا للجيش الفرنسي في إيطاليا، وفيها بين عامي 1796 و 1797 أحرز نابليون انتصارات عسكرية باهرة، وعاد إلى باريس بطلا.

وفي سنة 1798 قام نابليون بحملته الشهيرة على مصر وكانت هذه الحملة كارثة، فقد انتصرت قواته البرية، ولكن الأسطول البريطاني بقيادة نلسون أحرق الأسطول الفرنسي.

وفي سنة 1799 ترك نابليون جيوشه في مصر وعاد إلى فرنسا، وفي فرنسا وجد أن الشعب الفرنسي ما يزال يذكر انتصاراته الأوروبية ولا يذكر شيئا عن هزيمة أسطوله في الإسكندرية، وبعد شهر اشترك نابليون في انقلاب عسكري مع آخرين وأدى هذا الانقلاب إلى حكومة جديدة وإلى أن أصبح نابليون القنصل الأول. وعلى الرغم من أن

دستورا جديدا قد صدر، وأن هذا الدستور قد نجح في الاستفتاء الشعبي، فإنه لم يكن إلا واجهة للحكم الدكتاتوري الذي يريده نابليون، وسرعان ما تفوق نابليون على جميع خصومه. وبسرعة خارقة ارتفع نابليون إلى السلطة.

وفي سنة 1793 وقبل محاصرة مدينة تولون كان نابليون شابا مجهولا تماما، ليس فرنسي الأصل، ولكن بعد ذلك بست سنوات أي في الثلاثين من عمره أصبح نابليون حاكما لفرنسا دون منازع، وظل كذلك 14 عاما.

وأثناء حكم نابليون أجرى إصلاحات جوهرية في فرنسا وفي النظام التشريعي بصفة خاصة، فقد أصلح النظام المالي والقضائي، وأنشأ بنك فرنسا وجامعة فرنسا، وجعل الإدارة مركزية. وعلى الرغم من أن هذه الإصلاحات كان لها أثر قوي على فرنسا نفسها فإن أثرها على العالم كان ضئيلا.

ولكن أحد إصلاحات نابليون كان له أثر عالمي ضخم ذلك هو «دستور نابليون». فهذا الدستور قد قنن كل مبادئ الثورة الفرنسية، فقد نص هذا الدستور على أن الناس جميعا متساوون، بغض النظر عن المولد والعنصر والجنس.

وهذا الدستور كان معتدلا وكان مكتوبا بإيجاز وبمنتهى الوضوح، وهو لم يطبق في فرنسا وحدها، ولكن في العالم كله، بل إن الدستور الفرنسي الحديث لا يبعد كثيرا عن دستور نابليون.

وكانت سياسة نابليون دائما أن يؤكد أنه حامي الثورة الفرنسية، وعلى الرغم من ذلك فقد نصب نفسه في سنة 1804 إمبراطورا على فرنسا، كما أنه جعل ثلاثة من أخوته ملوكا على عروش دول أوروبية أخرى، وهذه القرارات أثارت غضب كثير من أنصار الجمهورية الفرنسية الذين رأوا أن نابليون قد خان الثورة الفرنسية، ولكن المشاكل الخطيرة التي واجهت نابليون قد جاءت من معاركه الضارية مع القوات الأجنبية.

في سنة 1802 وقع نابليون معاهدة صلح مع إنجلترا في مدينة أمين، وبعد سنة من توقيع هذه المعاهدة دخلت فرنسا في معارك عديدة مع بريطانيا وغيرها من الدول، وعلى الرغم من أن نابليون قد انتصر في معارك برية كثيرة إلا أنه لم يكن من السهل هزيمة بريطانيا إلا إذا تم سحق أساطيلها الضخمة، ولسوء حظ نابليون في معركة الطرف الأغر فإن الأسطول البريطاني قد سحق الأسطول الفرنسي في عام 1805 فأصبحت سيطرة

إنجلترا على البحار مطلقة. وعلى الرغم من أن نابليون قد انتصر بعد ذلك بستة أشهر في موقعة أوسترليتس على جيوش النمسا وروسيا إلا أن هذا الانتصار لم يعوضه عن فداحة الهزيمة البحرية.

ودفعته حماقته في سنة 1818 إلى أن يدخل في معارك طويلة في أسبانيا، وقد أدت هذه المعارك إلى شغل الجيوش الفرنسية وارتباكها زمنا طويلا.

ولكن أكبر أخطاء نابليون كانت عندما دخل في حرب ضد روسيا، ففي سنة 1807 التقى نابليون بالقيصر الروسي في مدينة تلسيت وأقسم الاثنان على الصداقة الدائمة، ولكن هذه الصداقة لم تدم طويلا، فقد دخل نابليون بجيشه العظيم إلى روسيا في سنة 1812.

والنتيجة معروفة، فالجيش الروسي لم يدخل أية معارك مع نابليون إنما راح ينسحب أمامه، مما جعل نابليون يتقدم بسرعة في داخل روسيا، وفي سبتمبر احتل نابليون موسكو، وقام الروس بإحراق المدينة فانهدم أكثرها. وبعد أن مكث نابليون خمسة أسابيع في موسكو انتظارا لأن يستسلم الروس قرر أن ينسحب عائدا، ولكت هذا القرار جاء متأخرا، فقد تحالفت ضده عناصر عديدة: الجيش الروسي الذي بدأ يقاتل، والجليد الذي غطى جبهات القتال، ونقص العتاد والمؤن الفرنسية. ولذلك كان الانسحاب رهيبا، فلم ينسحب إلا نحو 10٪ من الجيش الفرنسي.

وانتهزت دول أوروبية أخرى هذه الفرصة لكي تتخلص من الاحتلال الفرنسي، فاتحدت بروسيا والنمسا ضد نابليون، ووقعت معركة ليبزج في أكتوبر سنة 1813 وانهزم نابليون، وفي السنة التالية استقال ونفي إلى جزيرة إلبا بالقرب من الشاطئ الإيطالي.

وفي سنة 1815 هرب نابليون من جزيرة إلبا وعاد إلى فرنسا حيث استقبله الشعب الفرنسي بحفاوة عظيمة واستعاد نابليون قوته. ولكن الدول الأوروبية الأخرى أعلنت عليه الحرب، وبعد مائة يوم من حكمه هذا لقي هزيمته النهائية في معركة واترلو. وبعد هذه المعركة سجنه الإنجليز في جزيرة سانت هيلانه، وهي جزيرة صغيرة في جنوب المحيط الأطلنطي وتوفي بالسرطان في سنة 1821.

والتاريخ العسكري لنابليون فيه الكثير من المفارقات، فقد كانت له عبقرية في التكتيك الحربي ليس لها نظير في التاريخ، ولو اتخذنا هذه البراعة مقياسا لعظمته لأمكننا أن نقول دون مبالغة إنه أعظم قائد عسكري في التاريخ.

ولكن في الإستراتيجية كانت أخطاؤه فادحة، مثل غزو مصر وغزو روسيا. فأخطاؤه الإستراتيجية كانت من الفداحة بحيث لا يصح أن يكون من بين القادة العظام في التاريخ، ولا شك أن من ضمن مقاييس العظمة ألا يقع الإنسان في أية أخطاء كبيرة. ومن الصعب أن يعرف الإنسان ماذا كان يدور في رؤوس كثير من القادة العظام الذين لم يهزموا قط مثل: الإسكندر الأكبر وجنكيزخان وتيمورلنك.

ولكن لأن نابليون هزم في النهاية فإن الحكم على انتصاراته العسكرية أصبح موضوعا للنقاش والشك أيضا.

وبعد هزيمة نابليون في سنة 1815 أصبحت فرنسا تملك أرضا أقل مما كانت تملكها في سنة 1789 عندما اشتعلت الثورة الفرنسية.

ونابليون كان مغرورا ومصابا بجنون العظمة، ولذلك قارنوه بهتلر، ولكن هناك فارقا هائلا بين الرجلين، فبينما كان هتلر مدفوعا بفلسفة عنيفة، كان نابليون انتهازيا طموحا.

ولكن شهرة نابليون العظيمة تجعل من السهل علينا أن نبالغ في أثره بعد ذلك وأثره القصير المدى الذي كان أكبر من أثر الإسكندر الأكبر، ولكن أقل من أثر هتلر.

ويقال إن عدد الفرنسيين الذين ماتوا في حروب نابليون قد بلغوا نصف مليون، بينما عدد الجنود الذين لقوا مصرعهم في حروب هتلر قد بلغوا ثمانية ملايين.

ولكن الأثر البعيد المدى لنابليون كان أهم بكثير جدا من هتلر، وإن كان أقل من الإسكندر الأكبر، فقد أحدث نابليون تغييرات كبيرة في الإدارة الفرنسية، وكان سكان فرنسا يمثلون واحدا على سبعين من سكان العالم، وكان أثر هذه التغييرات على المواطن الفرنسي ضئيلا.

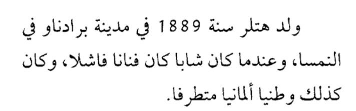
ويقال أيضا إن عهد نابليون هو الذي دعم مبادئ الثورة الفرنسية، وفي سنة 1815 عندما أعيدت الملكية إلى فرنسا، كانت مبادئ نابليون قد رسخت في أعماق الناس والمجتمع، حتى أصبح من الصعب جدا العودة إلى النظام الفرنسي القديم.

وعلى الرغم من الملكية التي أقامها نابليون فإنه استطاع أن ينشر مبادئ الثورة الفرنسية في أوروبا كلها.

كما كان لنابليون أثر غير مباشر على أمريكا اللاتينية، فغزوه لأسبانيا قد أضعف الحكومة الإسبانية لبضع سنوات، فلم تعد قادرة على إدارة مستعمراتها في أمريكا اللاتينية.

ولكن من أهم أعمال نابليون أنه باع مساحة من الأرض للولايات المتحدة الأمريكية، إيمانا منه بأن فرنسا لن تتمكن من الاحتفاظ بهذه الأرض أمام القوة البحرية لإنجلترا، كما أنه كان في حاجة للمال، وعملية البيع هذه التي عرفت في التاريخ باسم «صفقة لويزيانا» هي أكبر عملية بيع أرض عرفها الإنسان. فقد تحولت بعدها الولايات المتحدة إلى «دولة قارة» أي دولة لها حجم القارة، ولا أحد يعرف ما الذي كانت ستصبح عليه الولايات المتحدة بدون هذه الصفقة. من المؤكد أن الولايات المتحدة ما كان من الممكن أن تكون دولة عظمى بغير هذه الصفقة.

ولم يكن نابليون هو صاحب الفضل في ذلك وحده، فقد لعبت الولايات المتحدة دورا هاما في ذلك، وكانت هذه الصفقة نوعا من المساومة، تفعله أية حكومة أمريكية، ولكن بيع أرض لويزيانا ما كان يجرؤ أحد على اتخاذ قرار بيعها سوى رجل واحد هو نابليون.



أدولف هتلر

(1889-1945م)



ولد هتلر سنة 1889 في مدينة برادناو في النمسا، وعندما كان شابا كان فنانا فاشلا، وكان كذلك وطنيا ألمانيا متطرفا.

وفي الحرب العالمية الأولى كان جنديا في الجيش الألماني، وجرح، ثم تلقى ميداليتين على شجاعته في القتال.

ولكن هزيمة ألمانيا في هذه الحرب في هذه الحرب قد صدمته بعنف وأغضبته على ألمانيا وعلى الشعوب الأوروبية الأخرى، وفي سنة 1919 كان في الثلاثين من عمره وانضم إلى حزب يميني متطرف في مدينة ميونخ، وسرعان ما غير هذا الحزب اسمه إلى حزب العمال الألمان الوطنيين الاشتراكيين، واختصارا لهذا الاسم الطويل أصبح يسمى الحزب النازي، وفي سنتين اثنتين فقط أصبح هتلر القائد الأوحد، أي الفوهرر.

وبزعامة هتلر ازداد الحزب النازي قوة، وفي نوفمبر 1923 حاول أن يقوم بانقلاب، وقد سمي هذا الانقلاب باسم انقلاب حانة ميونخ، ولما فشلت هذه المحاولة اعتقل هتلر وحوكم بتهمة الخيانة وأديت ولكنه أفرج عنه بعد أقل من سنة.

وفي سنة 1928 كان الحزب النازي صغيرا، ولكن الأزمة العالمية أثارت ضيق الألمان وغضبهم على كل الأحزاب السياسية، وبسرعة اكتسب حزب النازي مزيدا من القوة، وفي يناير سنة 1933 وفي سن الرابعة والأربعين أصبح هتلر مستشارا لألمانيا.

وبعد أن أصبح مستشارا فإنه بسرعة أقام حكما دكتاتوريا مستخدما كل أجهزة الدولة في سجن المعارضة، فاستطاع أن يصل إلى كل ما يريد بسرعة هائلة، ولم يهتم بأية محاكمات، فقد ضرب المعارضين له أو اغتالهم. واستطاع هتلر قبل الحرب العالمية الثانية أن يحصل على التأييد الكامل للشعب الألماني، وقد أفلح في أن يقضي على البطالة وأن يحقق الانتعاش الاقتصادي للبلاد.

وأعد هتلر ألمانيا لتكون السبب في إشعال الحرب العالمية الثانية، وحقق أول انتصاراته الإقليمية دون قتال. ولم تتدخل فرنسا وبريطانيا الغارقتان في مشاكلهما الاقتصادية عندما خرق هتلر معاهدة فرساي وأقام جيشا ضخما، أو عندما احتلت قواته الراين في مارس 1936، أو ندما ضم النمسا إلى ألمانيا في مارس 1938. بل إن الدولتين وافقتا في سبتمبر 1938 على أن يضم السوديت إلى ألمانيا، والسوديت هو الجزء الحصين تماما من تشيكوسلوفاكيا.

وانعقد ميثاق ميونخ الشهير الذي اشتهرت به بريطانيا وفرنسا «السلام بأي ثمن» هذا الميثاق ترك تشيكوسلوفاكيا وحدها عزلاء أمام هتلر فاستولى على ما تبقى منها بعد ذلك بشهور. وكان هتلر يهدد وبمنتهى الذكاء والبراعة يهدد بالحرب إذا لم يجب إلى مطالبه، وكانت الدول الديمقراطية الغربية تستسلم لهذه التهديدات.

واعتزمت بريطانيا وفرنسا حماية بولندا بأي ثمن، وكان من المعروف أن بولندا ستكون الهدف التالي لجيوش هتلر. ولكن هتلر قام بحماية نفسه عندما عقد «ميثاق عدم اعتداء» مع ستالين. ولم يكن ذلك ميثاقا بعدم الاعتداء وإنما كان تحالفا على اقتسام بولندا بينهما. وبعد تسعة أيام هاجمت ألمانيا الحدود البولندية. وبعد ستة عشر يوما هاجم السوفييت بولندا أيضا. وعلى الرغم من أن بريطانيا وفرنسا قد أعلنتا الحرب على ألمانيا إلا أن بولندا انهارت تماما.

وكانت حرب هتلر الكبرى في سنة 1940، ففي أبريل اجتاحت قواته الدنمرك والنرويج، وفي مايو استولت على هولندا وبلجيكا ولوكسمبورغ ، وفي يونيو سقطت فرنسا.

وبعد ذلك تمكنت بريطانيا من الوقوف ضد عدد كبير من الغارات الجوية الألمانية، وقد سميت هذه الغارات العنيفة المكثفة باسم «معركة بريطانيا» ولم يفلح هتلر مطلقا في غزو بريطانيا.

وفي أبريل عام 1941 غزت جيوش هتلر كلا من اليونان ويوغوسلافيا، وفي يونيو سنة 1941 خرق هتلر ميثاق عدم الاعتداء المبرم بينه وبين ستالين وهاجم روسيا، واستولت قواته على مساحات شاسعة من الاتحاد السوفيتي، ولكن لم يفلح هتلر في القضاء على القوات الروسية قبل حلول فصل الشتاء ونزول الجليد.

وعلى الرغم من أن هتلر كان يحارب روسيا وبريطانيا، فإنه في ديسمبر سنة 1941 أعلن الحرب على الولايات المتحدة بعد أيام قليلة من هجوم سلاح الطيران الياباني على ميناء بيرل هاربور والقضاء على الأسطول الأمريكي.

وفي منتصف سنة 1942 كانت ألمانيا تستولي على مساحة من الأرض الأوروبية كما لم تفعل أي دولة في التاريخ، كما أن ألمانيا كانت تستولي أيضا على شمال أفريقيا.

وكانت نقطة التحول في الحرب العالمية الثانية في النصف الثاني من سنة 1942 عندما انهزمت ألمانيا في معركة العلمين في مصر، وفي معركة ستالينغراد في الاتحاد السوفيتي. وبعد هذه الهزائم الهائلة انحسرت القوة العسكرية الألمانية تدريجيا. وعلى الرغم من أن بات من الواضح أن هزيمة ألمانيا وشيكة الوقوع فإن هتلر لم يستسلم مطلقا. وعلى الرغم من الخسائر الألمانية الفادحة ظلت ألمانيا تحارب سنتين أخريين.

وجاءت النهاية المريرة في 30 أبريل سنة 1945 عندما انتحر هتلر، وبعد ذلك بأسبوع واحد استسلمت ألمانيا.

وخلال سنوات حكم هتلر قامت ألمانيا بإبادة للجنس البشري ليس لها نظير في التاريخ، فقد كان هتلر عنصريا متعصبا للجنس الآري، مع عداء شديد لليهود، وكان من أهدافه أن يقتل كل يهودي في العالم.

ولم يكن اليهود وحدهم ضحايا هتلر، ففي عهده أعدم عددا من الروس والغجر وكل الذين أحس أنهم من الناحية العنصرية في مرتبة أحط من الجنس الآري، أو من رأى أنهم أعداء ألمانيا النازية.

ولأسباب عديدة سوف تظل شهرة هتلر زمنا طويلا:

أولا: يعتبر هتلر أكبر شرير عرفه التاريخ، فإذا كان الإمبراطور نيرون والإمبراطور كاليجولا يعتبران أكثر الناس شرا حتى القرن العشرين، مع أنهما ارتكبا أعمالا تافهة إذا ما قورنت بفظائع هتلر، فإن هتلر سوف يبقى شهيرا عشرات القرون.

وثانيا: سوف يبقى هتلر في التاريخ باعتباره أول من أشعل الحرب العالمية الثانية، وهي أكبر حرب عرفها تاريخ العالم.

ولم ينقذ البشرية من اندلاع حرب عالمية أخرى إلا التطور في صناعة الأسلحة النووية، وسوف تظل الحرب العالمية الثانية منذ اليوم وإلى ثلاثة آلاف سنة أكبر حدث في التاريخ.

ثالثا: وسوف يظل هتلر شهيرا وذلك لأن قصة حياته غريبة ومثيرة، فهو أجنبي (لأنه نمساوي وليس ألمانيا) وبلا تجربة سياسية ولا مال ولا أية علاقات سياسية قد استطاع في أقل من أربعة عشر عاما أن يصبح على رأس أكبر قوة عسكرية في العالم، لا بد أنه شيء مذهل حقا.

وكانت قدرته الخطابية هائلة، فقد كان قادرا على تحريك الجماهير. لذلك فهتلر يعتبر أعظم خطيب عرفته الإنسانية، ولن ينسى له العالم كيف أنه عندما يعطى القوة فإنه يحسن استخدامها إلى أقصى مدى.

ولم يعرف التاريخ رجلا استطاع أن يكون له تأثيره في عصره كما فعل هتلر. وإذا كان هتلر قد تسبب في قتل عشرات الملايين فإنه قد تسبب في تشريد عشرات الملايين بسبب المعارك الحربية.

وأي تقدير لهتلر يجب أن يكون على أساسين: كثير جدا من الذي حدث في عهده كان من الممكن ألا يقعُ لو لم يكن هو موجودا. ومن المؤكد أن الظروف في ألمانيا وفي أوروبا قد أمدت هتلر بهذه الفرصة التي استغلها أحسن استغلال أو أسوأ استغلال.

ولا يوجد ما يدل على أن سابقيه في العشرينات والثلاثينات أو الذين جاؤوا من بعده كان في نيتهم أن يطبقوا سياسة هتلر، كما أن أحدا لم يستطع مطلقا أن يتنبأ بما سوف يفعله هتلر.

ولقد كانت الحركة النازية كلها تحت سيطرة كاملة لرجل واحد، فمثلا نجد أن الشيوعية قد ساعدها على الانتشار رجال مثل ماركس ولينين وستالين وآخرين. ولكن النازية لم يكن لها سوى زعيم واحد هو هتلر، ولا أحد بعده. فهو الذي قاد النازية إلى القوة، وظل زعيما لها مدى حياته، ولما مات ماتت معه حكومته والنازية أيضا.

وعلى الرغم من أن أثر هتلر على جيله كان هائلا، فإن أثر أعماله على مستقبل الأجيال يبدو ضئيلا.

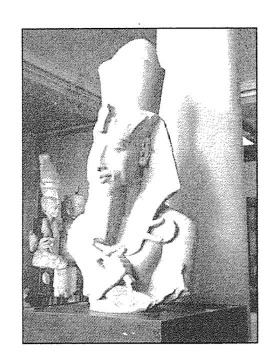
وكان هدف هتلر الأكبر هو القضاء على اليهود، ولكن بعد 15 عاما منذ ولي حكم ألمانيا قامت لليهود دولة مستقلة وذلك باغتصاب الأرض العربية وإراقة الدماء العربية على مسمع ومرأى العالم كله، ومكتوب على هذه الدولة أن تعيش في خوف وفزع وأن

يتلفت أهلها حولهم لأنهم سرقوا أرضا وشردوا شعبا، وأنهم عاقبوا البريء وتركوا المجرم الحقيقي.

وهتلر يكره روسيا والشيوعية، وكان من نتيجة أطماعه أن استولت روسيا على ألمانيا الشرقية (في حينه) ووسعت نفوذها في العالم كله، وكان هتلر يحتقر الديمقراطية ويريد القضاء عليها، ليس فقط في الدول الأخرى ولكن في ألمانيا نفسها. وألمانيا الآن دولة ديمقراطية وتكره الحكم الشمولي، والأجيال الجديدة في ألمانيا حريصة على ذلك أكبر من أية أجيال أخرى عاشت قبل هتلر، ولكن الذي يقرأ الكتب ويستمع إلى الشباب يجد أن في أعماق الشعب الألماني حنين إلى الرجل الواحد القوي، وليس إلى الرجل الهادئ الحالم.

ولكن ما معنى هذه التركيبة الغريبة بين أثره الهائل على الناس في عصره، وبين أثره الضعيف على الناس بعد ذلك؟

إن أثر هتلر على الناس في زمانه كان قويا جدا لدرجة تجعله يستحق أن يوضع في أرفع مكان في قائمة الخالدين. وأقرب الناس إلى هتلر هو نابليون والاسكندر الأكبر، ولكن هتلر قد أدى إلى اضطراب العالم بأكثر مما فعله هذان الرجلان معا، ولذلك جاء ترتيبه بعدهما لأن تأثيرهما كان أعمق وأبعد بعد اختفاء كل منهما.



أخنـاتـون

أخناتون أو أمنحوتب الرابع هو عاشر فراعنة الأسرة الثامنة عشرة، حكم مع زوجته الرئيسية نفرتيتي لمدة 17 سنة منذ عام 1369 ق.م. (توفي 1336 قبل الميلاد أو 1334 قبل الميلاد).

كلمة إخناتون معناها الجميل أو (روح أتون) ويطلق عليه أحيانا أمنحوتب (بمعنى آمون اقتنع).

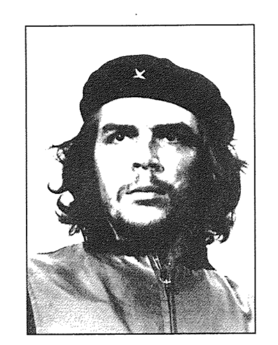
حاول توحيد آلهة مصر القديمة بما فيها الإله أمون رع في شكل الإله الواحد آتون رغم أن هناك شكوكا في مدى نجاحه في هذا. ونقل العاصمة من طيبة إلى عاصمته الجديدة أخت أتون بالمنيا. وفيها ظهر الفن الواقعي ولاسيما في النحت والرسم وظهر أدب جديد يتميز بالأناشيد للإله الجديد آتون. أو ما يعرف حاليا بنظام تل العمارنة. وانشغل الملك إخناتون بإصلاحاته الدينية وانصرف عن السياسة الخارجية وإدارة الإمبراطورية الممتدة حتى أعالي الفرات والنوبة جنوبا، فانفصل الجزء الآسيوي منها. ولما مات تولى الملك بعده سمنخ كارع ثم أخوه توت عنخ أمون الذي ارتد عن عقيدة آتون وترك العاصمة إلى طيبة وأعلن عودة عقيدة أمون معلنا أنه توت عنخ آمون. وهدم كهنة طيبة آثار إخناتون ومدينته ومحوا اسمه من عليها.

والد إخناتون أمنحوتب الثالث ووالدته الملكة تي الزوجة العظمى المفضلة لدى أمنحوتب الثالث وكان أمنحوتب الرابع الابن الأصغر. وإخناتون لم يكن أصلا ولي العهد حتى وفاة الأخ الأكبر له تحتمس.

امتد عهد أمنحوتب الثالث لنحو 38 عاماً ثم توفي تاركا العرش لابنه أمنحوتب الرابع وربما بعد حكم مشترك دام بين 11 إلى 12 عاما. بعد أن شارك والده في الحكم وهو في سن السادسة عشرة.

وهناك الكثير من الجدل حول ما إذا كان أمنحوتب الرابع تولى العرش بعد وفاة والده، أمنحوتب الثالث، أو ما إذا كانت هناك حكم مشترك بالفعل، ورغم انه من

المقبول أن اخناتون نفسه توفي في السنة 17 من حكمه، هناك الكثير من الجدل حول ما إذا كان سمنخ كارع شارك اخناتون في الحكم ربما لسنتين أو 3 سنوات. وبعد اخناتون أصبح سمنخ كارع الفرعون الوحيد، ومن المرجح انه حكم مصر لمدة تقل عن سنة.



أرنستو تشي جيفارا
(1928-1967م)

ولد جيفارا في 14/ 5/ 1928 في روزاريو (الأرجنتين). أصيب بالربو منذ طفولته ولازمه المرض طوال حياته. ومراعاة لصحة ابنها المصاب بالربو استقرت أسرته في ألتا غراسيا في السيرا دو كوردوبا. وفيها أسس والده لجنة مساندة للجمهورية الإسبانية عام1937 وفي 1944 استقرت الأسرة في بيونس ايريس.

ومن 1945 إلى 1953 أتم أرنيستو بنجاح دراساته الطبية. وبسرعة جعلته صلته بأكثر الناس فقرا وحرمانا وبالمرضى مثل المصابين بالجذام، وكذا سفره المديد الأول عبر أمريكا اللاتينية، واعيا بالتفاوت الاجتماعي وبالظلم.

امتهن الطب، إلا أنه ظل مولعاً بالأدب والسياسة والفلسفة، سافر أرنستو تشي جيفارا إلى غواتيمالا عام 1954 على أمل الانضمام إلى صفوف الثوار لكن حكومة كاستيلو أرماس العميلة للولايات المتحدة الأميركية قضت على الثورة. وانتقل بعد ذلك إلى المكسيك حيث التقى بفيدل كاسترو وأشعلوا الثورة ضد نظام حكم «باتيستا» الرجعي حتى سقوطه سنة 1959. وتولى منصب رئيس المصرف الوطني سنة 1959. ووزارة الصناعة (1961-1965).

حصل تشي بالكاد على شهادته لما غادر من جديد الأرجنتين نحو رحلة جديدة عبر أمريكا اللاتينية. وقد كان عام 1951، خلال رحلته الأولى، قد لاحظ بؤس الفلاحين الهنود. كما تبين استغلال العمال في مناجم النحاس بشيلي والتي تملكها شركات أمريكية. وفي عام 1953 في بوليفيا والبيرو، مرورا ببناما وبلدان أخرى، وتناقش مع منفيين سياسيين يساريين من كل مكان تقريبا، ولاسيما مع كاسترويين كوبيين. وفي تلك اللحظة قرر فعلا الالتحاق بصفوف الثوريين. واعتبر نفسه آنذاك شيوعيا.

وفي العام 1954 توقف في غواتيمالا التي كانت تشهد غليانا ديمقراطيا في ظل حكومة جاكوب أربنز. وشارك تشي في مقاومة الانقلاب العسكري الذي دبرته المخابرات

الأمريكية والذي أنهى الإصلاحات الزراعية التي قام بها أربنز، وستطبع هذه التجربة فكره السياسي.

التحق آنذاك بالمكسيك. وهناك تعرف في تموز/يوليو 1955 على فيديل كاسترو الذي لجأ إلى مكسيكو بعد الهجوم الفاشل على ثكنة مونكادا في سانتياغو دو كوبا. وجنده كاسترو طبيبا في البعثة التي ستحرر كوبا من ديكتاتورية باتيستا. وهناك سمي بتشي وهو تعبير تعجب يستعمله الأرجنتينيون عمليا في نهاية كل جملة.

وفي حزيران/يونيو 1956 سجن تشي في المكسيك مع فيدل كاسترو ومجموعة متمردين كوبيين. وأطلق سراحهم بعد شهرين.

ابتداء من 1965 ارتمى تشي مع رفاقه في التحرير الوطني، ويوم 9 أكتوبر 1967 مات تشي جيفارا إذ اغتاله الجيش البوليفي ومستشارو وكالة المخابرات المركزية الأمريكية.

في 1969 اكتسح رجال حرب العصابات هافانا برئاسة فيدل كاسترو واسقطوا الديكتاتورية العسكرية لفولجنسيو باتيستا. هذا برغم تسليح حكومة الولايات المتحدة وتمويلها لباتيستا ولعملاء الـ CIA داخل جيش عصابات كاسترو.

دخل الثوار كوبا على ظهر زورق ولم يكن معهم سوى ثمانين رجلا لم يبق منهم سوى 10 رجال فقط، بينهم كاسترو وأخوه «راؤول» وجيفارا، ولكن هذا الهجوم الفاشل أكسبهم مؤيدين كثيرين خاصة في المناطق الريفية، وظلت المجموعة تمارس حرب العصابات لمدة سنتين وخسروا نصف عددهم في معركة مع الجيش.

كان خطاب كاسترو سبباً في إضراب شامل، وبواسطة خطة جيفارا للنزول من جبال سييرا باتجاه العاصمة الكوبية تمكن الثوار من دخول العاصمة هافانا في يناير 1959 على رأس ثلاثمائة مقاتل، ليبدأ عهد جديد في حياة كوبا بعد انتصار الثورة وإطاحتها بحكم الديكتاتور «باتيستا»، وفي تلك الأثناء اكتسب جيفارا لقب «تشي» الأرجنتيني، وتزوج من زوجته الثانية «إليدا مارش»، وأنجب منها أربعة أبناء بعد أن طلّق زوجته الأولى.

برز تشي جيفارا كقائد ومقاتل شرس جدا لا يهاب الموت وسريع البديهة يحسن التصرف في الأزمات. لم يعد جيفارا مجرد طبيب بل أصبح قائدا برتبة عقيد، وشريك

فيدل كاسترو في قيادة الثورة، وقد أشرف كاسترو على إستراتيجية المعارك بينما قاد وخطط جيفارا للمعارك.

عرف كاسترو بخطاباته التي صنعت له وللثورة شعبيتها، لكن جيفارا كان خلف أدلجة الخطاب وإعادة رسم أيديولوجيا الثورة على الأساس الماركسي اللينيني.

صدر قانون يعطي الجنسية والمواطنية الكاملة لكل من حارب مع الثوار برتبة عقيد، ولم توجد هذه المواصفات سوى في جيفارا الذي عيّن مديرا للمصرف المركزي وأشرف على محاكمات خصوم الثورة وبناء الدولة في فترة لم تعلن فيها الثورة عن وجهها الشيوعي، وما أن أمسكت الثورة بزمام الأمور - وبخاصة الجيش - حتى قامت الحكومة الشيوعية التي كان فيها جيفارا وزيراً للصناعة وممثلاً لكوبا في الخارج ومتحدثاً باسمها في الأمم المتحدة. كما قام بزيارة الإتحاد السوفيتي والصين، واختلف مع السوفييت على إثر سحب صواريخهم من كوبا بعد أن وقعت الولايات المتحدة معاهدة عدم اعتداء مع كوبا.

تولى جيفارا بعد استقرار الحكومة الثورية الجديدة - وعلى رأسها فيدل كاسترو - على التوالي، وأحيانا في نفس الوقت المناصب التالية:

- سفير منتدب إلى الهيئات الدولية الكبرى.
- منظم الميليشيا.
- رئيس البنك المركزي.
- مسؤول التخطيط.
- وزير الصناعة.

ومن خلال هذه المناصب قام الـ «تشي» بالتصدي بكل قوة لتدخلات الولايات المتحدة؛ فقرر تأميم جميع مصالح الدولة بالاتفاق مع كاسترو؛ فشددت الولايات المتحدة الحصار على كوبا، وهو ما جعل الحكومة الكوبية تتجه تدريجيا نحو الاتحاد السوفيتي. كما أعلنت عن مساندتها لحركات التحرير في كل من: تشيلي، وفيتنام، والجزائر.

لم يرتح جيفارا للحياة السياسية فاختفى، ونشرت مقالات كثيرة عن مقتله لكي يرد لعل رده يحدد مكانه لكنه لم يرد.

نشرت وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية شائعات تدعي فيها اختفاء أرنستو تشي جيفارا في ظروف غامضة، ومقتله على يد زميله في النضال القائد الكوبي فيدل

كاسترو، مما اضطر الزعيم الكوبي للكشف عن الغموض الذي اكتنف اختفاءه من الجزيرة للشعب الكوبي فأدلى بخطابه الشهير الذي ورد في بعض أجزائه ما يلي:

«لدي هنا رسالة كتبت بخط اليد، من الرفيق أرنستو جيفارا يقول فيها: أشعر أني أتممت ما لدي من واجبات تربطني بالثورة الكوبية على أرضها، لهذا أستودعك، وأستودع الرفاق، وأستودع شعبك الذي أصبح شعبي. أتقدم رسميا باستقالتي من قيادة الحزب، ومن منصبي كوزير، ومن رتبة القائد، ومن جنسيتي الكوبية، لم يعد يربطني شيء قانوني بكوبا».

في أكتوبر 1965 أرسل جيفارا رسالة إلى كاسترو تخلى فيها نهائيا عن مسؤولياته في قيادة الحزب، وعن منصبه كوزير، وعن رتبته كقائد، وعن وضعه ككوبي، إلا أنه أعلن عن أن هناك روابط طبيعة أخرى لا يمكن القضاء عليها بالأوراق الرسمية، كما عبر عن حبه العميق لكاسترو ولكوبا، وحنينه لأيام النضال المشترك.

أكدت هذه الرسالة إصراره على عدم العودة إلى كوبا بصفة رسمية، بل كثائر يبحث عن ملاذ آمن بين الحين والآخر. ثم أوقف مساعيه الثورية في الكونغو وأخذ الثائر فيه يبحث عن قضية عالمية أخرى.

و قد قال في ذلك: «إن الثورة تتجمد وان الثوار ينتابهم الصقيع حين يجلسون فوق الكراسي، وأنا لا أستطيع أن أعيش ودماء الثورة مجمدة داخلي».

في عام 1965 سافر جيفارا إلى الكونغو وسعى لإقامة مجموعات حرب عصابات فيها. ومع أن فكرته لم تلق صدى واسعا لدى بعض القادة، أصر جيفارا على موقفه، وتموه بملابس رجل أعمال ثري، لينطلق في رحلة طويلة سافر فيها من بلد إلى آخر ليواجه المصاعب تلو الأخرى.

ذهب «تشي» لأفريقيا مسانداً للثورات التحررية، قائدا لـ 125 كوبيا، ولكن فشلت التجربة الأفريقية لأسباب عديدة، منها عدم تعاون رؤوس الثورة الأفارقة، واختلاف المناخ واللغة، وانتهى الأمر بالـ «تشي» في أحد المستشفيات في براغ للنقاهة، وزاره كاسترو بنفسه ليرجوه العودة، لكنه بقي في زائير (جمهورية الكونغو الديمقراطية) محارباً بجانب قائد ثورة الكونغو باتريس لومومبا، لكنه فجأة ظهر في بوليفيا قائدا لثورة جديدة، ولم يوثق هذه المرحلة سوى رسائله لفيديل كاسترو الذي لم ينقطع الاتصال معه حتى أيامه الأخيرة.

لم يكن مشروع «تشي» خلق حركة مسلحة بوليفية، بل التحضير لرص صفوف الحركات التحررية في أمريكا اللاتينية لمجابهة النزعة الأمريكية المستغلة لثروات دول القارة. منذ بداية عام 1967 وجد جيفارا نفسه مع مقاتليه العشرين، وحيداً يواجه وحدات الجيش المدججة بالسلاح بقيادة السي أي إيه في براري بوليفيا الاستوائية. أراد جيفارا أن يمضي بعض الوقت في حشد القوى والعمل على تجنيد الفلاحين والهنود الحمر من حوله، ولكنه أجبر على خوض المعارك مبكراً.

وقد قام «تشي» بقيادة مجموعة من المحاربين لتحقيق هذه الأهداف، وقام أثناء تلك الفترة الواقعة بين 7 نوفمبر 1966 و7 أكتوبر 1967 بكتابه يوميات المعركة.

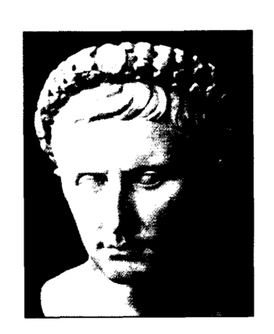
ألقي القبض على اثنين من مراسلي الثوار، فاعترفوا تحت قسوة التعذيب أن جيفارا هو قائد الثوار. فبدأت حينها مطاردة لشخص واحد. بقيت السي أي على رأس جهود الجيش البوليفي طوال الحملة، فانتشر آلاف الجنود لتمشيط المناطق الوعرة بحثا عن أربعين رجلا ضعيفا وجائعا. قسم جيفارا قواته لتسريع تقدمها، ثم أمضوا بعد ذلك أربعة أشهر متفرقين عن بعضهم في الأدغال. إلى جانب ظروف الضعف والعزلة هذه، تعرض جيفارا إلى أزمات ربو حادة، مما ساهم في تسهيل البحث عنه ومطاردته.

في يوم 8 أكتوبر 1967 وفي أحد وديان بوليفيا الضيقة هاجمت قوات الجيش البوليفي المكونة من 1500 فرد مجموعة جيفارا المكونة من 16 فرداً، وقد ظل جيفارا ورفاقه يقاتلون 6 ساعات كاملة وهو شيء نادر الحدوث في حرب العصابات في منطقة صخرية وعرة، تجعل حتى الاتصال بينهم شبه مستحيل. وقد استمر «تشي» في القتال حتى بعد موت جميع أفراد المجموعة رغم إصابته بجروح في ساقه إلى أن دُمّرت بندقيته (م-2) وضاع مخزن مسدسه وهو ما يفسر وقوعه في الأسر حياً. نُقل «تشي» إلى قرية «لاهيجيرا»، وبقي حياً لمدة 24 ساعة، ورفض أن يتبادل كلمة واحدة مع من أسروه. وفي مدرسة القرية نفذ ضابط الصف «ماريو تيران» تعليمات ضابطيه: «ميجيل أيوروا» و «أندريس سيلنيش» بإطلاق النار على «تشي».

دخل ماريو عليه متردداً فقال له «تشي»: أطلق النار، لا تخف؛ إنك ببساطة ستقتل مجرد رجل. لكنه تراجع، ثم عاد مرة أخرى بعد أن كرر الضابطان الأوامر له فأخذ يطلق الرصاص من أعلى إلى أسفل تحت الخصر حيث كانت الأوامر واضحة بعدم توجيه

النيران إلى القلب أو الرأس حتى تطول فترة احتضاره، إلى أن قام رقيب ثمل بإطلاق رصاصة من مسدسه في الجانب الأيسر فأنهى حياته.

وقد رفضت السلطات البوليفية تسليم جثته لأخيه أو حتى تعريف أحد بمكانه أو بمقبرته حتى لا تكون مزاراً للثوار من كل أنحاء العالم. وقد شبّت أزمة بعد عملية اغتياله وسميت بأزمة «كلمات جيفارا» أي مذكراته. وقد تم نشر هذه المذكرات بعد اغتياله بخمسة أعوام وصار جيفارا رمزاً من رموز الثوار على الظلم.



أغسطس قيصر
(63 ق.م - 14م)

أغسطس قيصر مؤسس الإمبراطورية الرومانية، من أعظم الشخصيات الرائدة في التاريخ، فقد أنهى الحروب الأهلية التي مزقت الجمهورية الرومانية في القرن الأول قبل الميلاد، وأعاد نظامها الداخلي حتى استقرت وازدهرت حوالي قرنين من تاريخها.

اسمه كايوس أوكتافيوس، ولكنه لم يتخذ لقب أغسطس - أي العظيم - إلا عندما بلغ الخامسة والثلاثين من عمره، وهو ابن أخي يوليوس قيصر أحد قادة روما العظام، ولما لم يرزق يوليوس قيصر بأبناء فقد تبنى أوكتافيوس هذا وأحبه وتولى تربيته بنفسه وأعده ليكون سياسيا، وعندما اغتيل يوليوس قيصر في 44 ق.م كان أوكتافيوس هذا في الثامنة عشرة.

وقد أدى اغتيال يوليوس قيصر إلى صراعات دموية بين القادة والساسة في روما، وقد نظر المتنافسون على خلافة يوليوس قيصر إلى ابن أخيه هذا باستخفاف شديد، ولم يروا فيه أي نوع من الخطر، فهو ما يزال شابا صغيرا.

ولم تكن لهذا الشاب من ميزة إلا أنه ابن أخي يوليوس قيصر، ولكنه استطاع بذكائه أن يستفيد من هذه الصلة، فاستمال عددا من أصدقاء يوليوس قيصر ومن أصدقائه، وإن كان الجيش يميل إلى مارك أنطونيو أحد معاوني يوليوس قيصر، وتعرضت روما بعد ذلك لنزاعات طويلة بين أنصار مارك أنطونيو وأنصار أوكتافيوس.

وفي ذلك الوقت وقع مارك أنطونيو في هوى كليوباترة فشغلته تماما عن السلطة، ولكن أوكتافيوس تفرغ تماما للبحث عن أنصار يؤيدون موقفه من روما ومن يوليوس قيصر ووقع الخلاف بين مارك أنطونيو وبين أوكتافيوس، وفي موقعة أكتيوم البحرية سنة 31 ق.م انهزمت قوات مارك أنطونيو، وفي 30 قبل الميلاد تحقق النصر التام لأوكتافيوس مما أدى إلى انتحار مارك أنطونيو وكليوباترة.

واستطاع أوكتافيوس أن يعيد إلى روما مجدها وعظمتها التي بلغتها في عهد يوليوس قيصر منذ 15 عاما، ولكن يوليوس قيصر هذا عندما أراد أن يجعل نفسه ملكا عليها ويلغي النظام الجمهوري اغتالوه.

ولكن أوكتافيوس هذا رغم حرصه على النظام الجمهوري فإن كل السلطات كانت في يده وكان حاكما مطلقا مستبدا، ولكنه لم يفز بلقب ملك، وإن كان قد احتفظ لنفسه بحكم أسبانيا وبلاد الجال وسوريا، ففي هذه الدول أو الولايات كانت القوات الرومانية مسيطرة على أقدار الناس.

وعلى سبيل الامتنان له خلع عليه مجلس الشيوخ في روما لقب «العظيم»، إلا أنه لم يوافق على أن ينصبه ملكا، وبعد وفاته لم يجد ابنه الذي تبناه صعوبة في أن يكون ملكا على روما.

وأغسطس قيصر هذا يقف في التاريخ على أنه أحسن مستبد عادل، فقد كان رجل دولة من الدرجة الأولى، وقد استطاع بسياسة الوفاق أن يعالج كل الجراح التي تخلفت عن الحرب الأهلية الطويلة.

وقد حكم روما أربعين عاما، وكان لسياسته أثرها الهائل على الإمبراطورية لسنوات طويلة، ففي عهده استولت جيوشه على أسبانيا وسويسرا وتركيا القديمة وجانب كبير من دول البلقان، وكانت حدود الإمبراطورية في الشمال عند خط الراين والدانوب وظلت كذلك قرونا عديدة.

وكان الرجل إداريا ممتازا، كما أنه نظم الجيش وابتدع الحرس الخاص، الذي كان له دوره الخطير في اختيار الملوك والحكام بعد ذلك.

وفي عهده أيضا امتدت الطرق وشيدت المباني، وأصبحا روما من أجمل مدن العالم.

وفي عهده أقيمت المعابد وشجع الناس على أداء الشعائر الدينية القديمة. ووضع قوانين الزواج وشجع المواطنين على إنجاب الكثير من الأطفال.

ومن سنة 30 قبل الميلاد استقرت الإمبراطورية وأدى الاستقرار إلى انتعاش الفكر والفن، حتى أصبح عصر أغسطس قيصر هو العصر الذهبي للأدب، فعرفت روما أعظم شعرائها: فرجيل، وعرفت هوراس وليفي، أما الأديب أوفيد فقد أغضب أغسطس قيصر فطرده من روما.

ولم يرزق أغسطس بأولاد، كما أن أولاد إخوته قد ماتوا قبله، ولذلك فقد تبنى ابن زوجته تيبريوس وعينه خليفة له.

واستمر «السلام الروماني» - أي السلام في الدولة الرومانية - أكثر من مائتي سنة، وفي ظل السلام نبتت أفكار أدبية وفنية وفلسفية لم تعرف الإمبراطورية لها نظيرا. بل إن هذه الأفكار الجديدة قد انغرست في كل الدول التي احتلتها القوات الرومانية، وعاشت فيها بعد ذلك مئات السنين، أي بعد أن انحسر عنها المد الروماني.

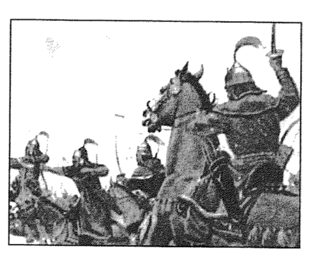
والإمبراطورية الرومانية هي أشهر الإمبراطوريات في كل العصور القديمة وأخطرها وأبعدها أثرا، لأنها كانت قمة الحضارة القديمة، وهي التي نقلت الحضارات الأخرى إلى أوروبا الغربية، فنقلت إليها حضارة مصر وبابل والإغريق.

ويمكن أن يقارن بين أغسطس قيصر وبين عمه يوليوس قيصر، فهو لا يختلف عنه في الذكاء والوسامة وقوة الشخصية والانتصارات الحربية، ولكن يوليوس قيصر كان أكثر شجاعة وجرأة، فيوليوس قيصر كان قد أشعل خيال معاصريه أكثر مما فعل أغسطس، واحتفظ بشهرة واسعة منذ ذلك الحين.

ولكن أغسطس هو الأهم تاريخيا والأعمق أثرا، وإن كان عمه يفوقه في الشهرة، وهذا دليل على أن الشهرة ليست دليلا كبيرا على عظمة الرجال.

ولم يبلغ أغسطس في عظمته العسكرية ما بلغه الاسكندر الأكبر، ولكن انتصارات أغسطس كانت أعمق أثرا وأطول عمرا، وهذا هو الفارق بين الرجلين.

ويمكن مقارنته بماو تسي تونج أو بجورج واشنطن، فالثلاثة قد لعبوا دورا عظيما في التاريخ، ولكن نظرا لفترة حكمه الطويلة ونجاحه السياسي وخطورة الإمبراطورية الرومانية في التاريخ، فإن أغسطس يعد أعظم من الرجلين السابقين.



الظاهر بيبرس
(1221-1277م)

الملك الظاهر ركن الدين بيبرس العلائي البندقداري الصالحي النجمي لقب بـ «أبو الفتوح». ولد نحو عام 620هـ - 1221 ميلادية، رابع سلاطين الدولة المملوكية، لقبه الملك الصالح أيوب في دمشق بلقب (ركن الدين)، وبعد وصول بيبرس للحكم لقب نفسه بالملك (الظاهر).

هناك اختلاف في أصله، فبينما تذكر المصادر العربية والمملوكية الأصلية أنه تركي من القبجاق (كازاخستان حاليا) فإن بعض الباحثين المسلمين في العصر الحديث يشيرون إلى أن مؤرخي العصر المملوكي من عرب ومماليك كانوا يعتبرون الشركس من الترك، وأنهم كانوا ينسبون أي رقيق مجلوب من مناطق القوقاز والقرم للقبجاق، وتذكر المصادر أن بيبرس كان قد بيع في سوق الرقيق بدمشق وهو في الرابعة عشرة من عمره، واشتراه الأمير علاء الدين الصالحي البندقدار ثم انتقل بعد ذلك إلى خدمة السلطان الأيوبي الملك الصالح نجم الدين أيوب بـالقاهرة، وأعتقه الملك الصالح ومنحه الإمارة فصار أميراً.

هرب ركن الدين بيبرس إلى دمشق بعد مقتل فارس الدين أقطاي الجمدار وتولي غريمه عز الدين أيبك للسلطنة، بعد فترة من إقامته في دمشق عاد لمصر متوليا منصب الوزارة بعد تولي سيف الدين قطز للحكم عام 1260 ميلادية ليشتركا معا في محاربة المغول الذين كانوا في طريقهم إلى مصر بعد اجتياحهم المشرق الإسلامي ثم العراق وإسقاطهم الدولة العباسية في بغداد.

يرجع له الفضل مع زميله السلطان المظفر سيف الدين قطز في وقف المد المغولي على مصر واندحار الخطر المغولي عن العالم وذلك في معركة عين جالوت في أراضي فلسطين عام 1260 ميلادية والتي كانت أمام الجيش المغولي بقيادة القائد المغولي المحنك كتبغا.

استقدم السلطان بيبرس (أبي العباس أحمد) وعقد مجلسا لمبايعته للخلافة في القلعة في 9 محرم 661 الموافق 22 نوفمبر 1262 وبايعه بيبرس على العمل بكتاب الله وسنة رسوله وأصبحت بذلك السلطة الفعلية في يد الظاهر بيبرس.

شهد عهده نهضة معمارية وتعليمية كبيرة حيث اهتم بتجديد الجامع الأزهر، كما أنشأ عام 665 هجرية جامعا عرف باسمه إلى اليوم في مدينة القاهرة وهو جامع الظاهر بيبرس، وأقام المدرسة الظاهرية بدمشق عام 676 هجرية.

ويعتبر الظاهر بيبرس من أبرز ملوك الدولة المملوكية، بتحالفه مع بركة خان زعيم القبيلة الذهبية المغولية وإقامته لمعاهدات وعلاقات ودية مع كل من مانفرد بن فردريك الثاني الإمبراطور الروماني وملك قشتالة ألفونسو العاشر، وبقضائه أيضا على المؤامرات التي كانت تحاك ضد حكمه، حيث أخمد تمرد الأمير علم الدين سنجر الحلبي عام 1260 والذي كان بعد مقتل السلطان قطز، إضافة إلى ثورة الكوراني في القاهرة ضده في ذات العام، ووسع ملكه بالغزوات حيث أعلن الجهاد في جبهتين ضد المغول والصليبيين في الشام وقد دام حكمه حوالي سبعة عشر عاماً.

توفي الظاهر بيبرس يوم الخميس 27 محرم من عام 676 هجرية - 2 مايو 1277 ميلادية ودفن في المدرسة الظاهرية في دمشق بعد أن أرسى اسمه ضمن قائمة أبرز سلاطين العصر المملوكي. وكان لبيبرس حينها ولد يسمى محمدا وهذا الولد تربى في مصر وكبر ولكنه خشي من أن يقتله المماليك فانتقل إلى محافظه الغربية.

قال الزركلي في (الأعلام): الظاهر بيبرس العلائي البندقداري الصالحي، ركن الدين، الملك الظاهر: صاحب الفتوحات والأخبار والآثار. مولده بأرض القبچاق. وأسر فبيع في سيواس، ثم نقل إلى حلب، ومنها إلى القاهرة. فاشتراه الأمير علاء الدين أيدكين البندقدار، وبقي عنده، فلما قبض عليه الملك الصالح (نجم الدين أيوب) أخذ بيبرس، فجعله في خاصة خدمه، ثم أعتقه. ولم تزل همته تصعد به في أيام الملك (المظفر) قطز، وقاتل معه التتار في فلسطين. ثم اتفق مع أمراء الجيش على قتل قطز، فقتلوه، وتولى (بيبرس) سلطنة مصر والشام (سنة 658 هـ) وتلقب بالملك (القاهر، أبي الفتوحات) ثم ترك هذا اللقب وتلقب بالملك (الظاهر). وكان شجاعا جبارا، يباشر الحروب بنفسه. وله الوقائع الهائلة مع التتار والإفرنج (الصليبيين) وله الفتوحات العظيمة، منها بلاد (النوبة) و (دنقلة) ولم تفتح قبله مع كثرة غزو الخلفاء والسلاطين لها. وفي أيامه انتقلت الخلافة إلى الديار المصرية سنة 659 هـ. وآثاره وعمائره وأخباره كثيرة جدا. توفي في دمشق ومرقده فيها معروف أقيمت حوله المكتبة الظاهرية. ولمحمد جمال الدين كتاب (الظاهر بيبرس وحضارة مصر في عصره). كرهه الشعب المصري لقيامه بقتل الأمير سيف الدين قطز وبعد ذلك تودد لهم بإزالة الضرائب وبنى المدارس والمستشفيات.



إليزابيث الأولى ملكة إنكلترا

ولدت إليزابيث الأولى في غرينتش عام 1533 وتوفيت في ريتشمون 1603م. وهي ملكة إنكلترا وايرلندا بين عامي 1558-1603م، وهي ابنة الملك «هنري الثامن» و «آن بولين». تنتمي إلى أسرة التيودر ذات الأصول الويلزية.

تولت إليزابيث الحكم بعد شقيقتها ماري الأولى ، والتي كانت كاثوليكية المذهب ، فيما تبنت هي المذهب البروتستانتي المعتدل. عاشت الملكة عزباء طيلة حياتها، عُرفت بحيويتها الدائمة، كما تميز حكمها بالطابع الاستبدادي، كان لها الفضل في ترسيخ العقيدة الوطنية في إنجلترا: الأنجليكانية. بعد أن أقرت مرسوم السيادة عام (1559 م)، ثم وثيقة البنود التسعة والثلاثين عام (1563 م).

واجهت جماعات البيوريتانيين (التطهريين)، والذين انشقوا عن الحركة البروتستانتية وأخذوا يطالبون بتطبيق تشريعات أكثر تشددا. إلا أن أخطر خصومها كانوا الكاثوليكيين، والذي أرادوا أن يعيدوا المذهب الكاثوليكي إلى رأس الدولة، وقد وجهت لهم الملكة ضربت حاسمة عندما ألقت القبض على قريبتها ملكة اسكتلندا المخلوعة: «ماري ستيوارت» (والتي لُقبت بحامية العقيدة الكاثوليكية)، حيث تورطت الأخيرة وبمعية بعض الكاثوليكيين النافذين في البلاط في مؤامرة لإسقاط نظام الحكم، فوُجِهت إليها تهمة الخيانة ثم أعدمت عام 1587م.

كان من عواقب مقتل الملكة ماري ستيوارت أن اشتعل فتيل المواجهات بين إنجلترا وإسبانيا (حامية الكاثوليكية). وكانت الأخيرة تعتز كثيرا بقوتها البحرية، فدفعت بأسطولها القوي لمحاصرة الجزيرة البريطانية، إلا أن الإنجليز حسموا الموقف لصالحهم وانهزمت الأرمادا التي لا تقهر (كان هذا لقب الأسطول الإسباني).

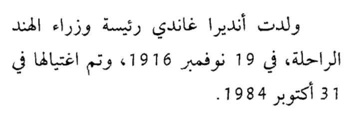
كرست هزيمة أسبانيا بداية حقبة جديدة عرفت بحقبة هيمنة إنجلترا على البحار، فأخذوا بعدها يتوسعون وينتشرون في أرجاء المعمورة حيث تم تأسيس شركة الهند الشرقية عام 1600 م.

عرفت إنجلترا أثناء فترة حكم الملكة إليزابيث نهضة علمية وفنية كبيرة (شكسبير في الأدب، مالرو في الشعر وغيرهم). وكانت إليزابيث آخر الحكام من أسرة التيودر. وخلفها على العرش «جيمس الأول» ابن «ماري ستيوارت».



أنديرا غاندي

(1916-1984م)



ولدت أنديرا غاندي رئيسة وزراء الهند الراحلة، في 19 نوفمبر 1916، وتم اغتيالها في 31 أكتوبر 1984.

كانت أول امرأة تصبح رئيسة للوزراء في الهند، وهي ابنة جواهر لال نهرو الذي كان أيضا رئيسا للوزراء. ابنها راجيف غاندي الذي أصبح لاحقا رئيسا للوزراء ، تزوجت فيروز غاندي الذي غير اسمه من «فيروز خان»، ولا تربطها صلة قرابة مع المهاتما غاندي الذي ساعد الهند في استقلالها.

عاشت أنديرا غاندي الحياة السياسية بكل تقلباتها، فكانت على رأس السلطة تحكم واحدة من أكبر دول العالم تارة، وحبيسة جدران السجون والمعتقلات بعد هزيمة حزبها وانتقام قادة المعارضة منها تارة أخرى. وظلت وفية لمبدأ القضاء على الامتيازات الخاصة وإعلاء قيمة الانتماء للدولة فوق الانتماء الطائفي إلى أن سقطت صريعة برصاصات غادرة من بعض السيخ المتعصبين داخل حرسها الشخصي انتقاما لاقتحام الجيش معبدا مقدسا لهم لتلقى المصير نفسه الذي لقيه المهاتما غاندي من قبل.

ولدت أنديرا بريادار شيني نهرو في 19 نوفمبر/ تشرين الثاني 1917 بمدينة آباد الله في عائلة لها باع طويل في العمل السياسي حيث كان جدها ووالدها من رموز العمل الوطني ومثلا مع المهاتما غاندي ثالوثا أسماه الهنود «الثالوث المقدس» كان له فضل كبير في مساعي الهند للحصول على استقلالها من بريطانيا. وشغل والدها جواهر لال نهرو منصب أول رئيس وزراء للهند عقب استقلالها عام 1947.

درست أنديرا في معهد «سانتينيكيتان» الذي أسسه الشاعر الهندي الكبير طاغور وأكملت دراستها في العلوم السياسية بسويسرا ثم في كلية سومر وجامعة أكسفورد ببريطانيا، وهناك تزوجت عام 1942 من فيروز غاندي أحد ناشطي الحركة الوطنية الهندية ورزقت منه بولدين هما سنجاي وراجيف.

تأثرت أنديرا بالزعيم الهندي المهاتما غاندي وبخاصة فيما يتعلق بالعمل على الخلاص من الاستعمار البريطاني والاعتماد على النفس في سد احتياجات الشعب والحفاظ على وحدة الهند ورفض الاقتتال الطائفي. ومن شدة تأثرها بغاندي باتت تنسب إليه وأصبح يطلق عليها أنديرا غاندي ولبست الرداء الهندي المصنوع يدويا من القطن ولم تبال بسخرية أقرانها الصغار في مراحل التعليم الأولى. كما أثرت فيها أفكار والدها وجهوده السياسية فكانت شخصيتها مزيجا من روحانية النساك وواقعية رجال الدولة.

وكانت أنديرا من أكثر الكارهين للتعصب الديني والطائفي حتى أنها سقطت صريعة بسبب وفائها لهذا المبدأ.

وقد كرست أنديرا معظم حياتها لوحدة الهند الوطنية وإخراجها من التقاليد البالية والانقسامات الاجتماعية المولدة للعنف، كما عرفت كيف تحافظ على استقلال الهند في عالم يتميز بهيمنة الكبار على كل تفاصيل العلاقات الدولية، فقد كانت حليفا صعبا للسوفييت وخصما عنيدا للأمريكان وعدوا لدودا لباكستان، ولكنها في الوقت نفسه عرفت كيف تتمسك بحركة عدم الانحياز وتقيم علاقات حميمة مع العالم العربي وترفض باستمرار ومبدئية الاعتراف بإسرائيل.

اشتغلت أنديرا بالعمل السياسي منذ وقت مبكر من حياتها، وتمرست على تقلبات الحياة السياسية، ففي عام 1942 (أي في العام الذي تزوجت فيه) اعتقلت هي وزوجها بتهمتي التخريب ومناهضة السياسة الاستعمارية فقضى الاثنان في السجن 13 شهرا.

بعد تولي والدها رئاسة الوزراء أصبحت أنديرا المساعد الرئيسي له وكانت بمثابة مديرة لمكتبه، وصحبته في معظم رحلاته الداخلية والخارجية وبخاصة الرحلات التاريخية إلى الصين والاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة. وحاولت احتواء بذور الفتنة الطائفية بين الهندوس والمسلمين وبذلت جهدها لمنع انفصال باكستان عن الهند لكن الرغبة في الانفصال كانت أقوى منها.

انتخبت في عام 1959 بعد وفاة زوجها رئيسة لحزب المؤتمر لمدة عام واحد، وعلى الرغم من قصر تلك المدة فإن جهودها أسفرت عن تطهير الحزب من قياداته البيروقراطية وإدخال دماء جديدة إلى صفوفه ونجحت في إضعاف الحزب الشيوعي الهندي في أهم حصونه داخل ولاية «كيرلا» وذلك بفوز حزب المؤتمر هناك عام 1957.

كلفت بالإشراف على إستراتيجية الدفاع الوطني عام 1962 عندما تصاعدت حدة الخلافات من جديد بين الهند وباكستان على كشمير.

مثلت أنديرا بلادها في منظمتي اليونسكو واليونيسيف في باريس عام 1964 لكنها سرعان ما استدعيت إلى الهند مرة أخرى بسبب تدهور الحالة الصحية لوالدها ومارست مهام رئاسة الوزراء بالوكالة.

طلب رئيس الوزراء الجديد لال بهادور شاستري الذي خلف نهرو عام 1946 من أنديرا تولي حقيبة وزارة الخارجية لكنها رفضت مفضلة وزارة الإعلام، وزادت من نشاطها في مجلس ممثلي الولايات الهندية الذي يعتبر المركز الحقيقي للسلطة في البلاد، وكان من أهم إنجازاتها في وزارة الإعلام تمكين المعارضة من عرض وجهات نظرهم في الإذاعة والتلفزيون.

جاءت الوفاة المفاجئة لرئيس وزراء الهند شاستري في يناير/ كانون الثاني 1966 في العاصمة الأوزبكية طشقند أثناء حضوره مؤتمرا للنزاع على كشمير برعاية الاتحاد السوفيتي لتمهد الطريق أمام تولي أنديرا رئاسة الوزراء، واختيرت أنديرا غاندي لتولي منصب رئيس الوزراء، وفي عام 1967 قرر الحزب إعادة ترشيحها.

اندلعت صراعات داخلية بين بعض رموز حزب المؤتمر بغية الفوز بمنصب رئيس الوزراء، وقد أدت هذه الصراعات إلى انقسام الحزب إلى قسمين: حزب المؤتمر O أي التنظيم (Organization) وحزب المؤتمر R أي الحاكم (Ruling) بقيادة أنديرا، واستطاعت أنديرا الصمود أمام هذه العاصفة الجديدة بتحالفها مع التيارات اليسارية داخل البرلمان واستمر هذا الوضع مدة عام.

رفض البرلمان الهندي إدخال تعديل على الدستور يسمح بإلغاء الامتيازات والنفقات التي تدفعها الحكومة للأمراء، وقد تجاوزت أنديرا هذا الرفض فاستصدرت مرسوما رئاسيا يسمح بإصدار مثل هذا القانون، وعندما أعلنت المحكمة الدستورية العليا عدم دستورية هذا القانون رفعت المعارضة شعار «اطردوا أنديرا» فردت عليهم بشعار «اطردوا الفقر» مما أكسبها تأييد الجماهير الشعبية التي صوتت بكثافة لمرشحي حزب المؤتمر (جناح أنديرا) ونجح مؤيدوها بـ 350 نائبا من أصل 515 مما سمح لها بتنفيذ العديد من الإصلاحات الاجتماعية والدستورية والاقتصادية التي كانت تخطط لها لتحديث الهند.

كانت أنديرا غاندي تعتبر علاقتها بالاتحاد السوفيتي علاقة إستراتيجية تكللت في 9 أغسطس/ آب 1971 بتوقيع معاهدة للصداقة والتعاون تمهيدا للدخول في الحرب الثالثة مع باكستان التي كانت تربطها بالولايات المتحدة علاقات مميزة.

قادت أنديرا الهند في حربها مع باكستان عام 1971 وذلك بعد أن أعطت أوامرها إلى الجيش الهندي بدخول باكستان الشرقية لدعم الانفصاليين هناك، وقد حقق الجيش الهندي انتصارا كبيرا على نظيره الباكستاني وكان من أهم نتائج هذه الحرب انفصال باكستان الشرقية عن الغربية وإنشاء كيان سياسي جديد موال للهند هو بنغلاديش. وقد رفع هذا الانتصار شعبية أنديرا وجعلها من زعماء الهند التاريخيين.

ضرب الجفاف مساحات شاسعة من الهند قلت على أثره المحاصيل الزراعية وارتفعت أسعار المواد الأولية وعلى رأسها النفط ودخلت البلاد في حالة من التضخم والفساد المالي والإداري ساعد على بروز أصوات المعارضة بقوة، وهو الأمر الذي حدا برئيسة الوزراء أنديرا غاندي إلى إعلان حالة الطوارئ في 26 يونيو/ حزيران 1975 مبررة ذلك بضرورة تنفيذ برنامج طموح من الإصلاحات الجذرية. وبموجب حالة الطوارئ هذا زجت حكومة أنديرا بأبرز زعماء المعارضة البرلمانية في السجن وفرضت الرقابة على الصحف وعلقت الحريات الدستورية. ونتيجة لكل ذلك كان من الطبيعي أن تتهاوى شعبيتها ويخسر حزبها في انتخابات أكتوبر/ تشرين الأول 1977 أمام تكتل المعارضة «جناتا بارتي» وتخسر هي نفسها مقعدها في البرلمان.

عادت أنديرا إلى السلطة مرة أخرى مستغلة سلسلة من الأخطاء السياسية ارتكبها تكتل المعارضة منها:

قرار وزير الداخلية باعتقالها مدة يوم واحد قبل أن تصدر المحكمة قرارها بالإفراج عنها.

رفض البرلمان الهندي دخولها إلى قاعة البرلمان رغم نجاحها في إحدى الدوائر الانتخابية وتصويته على طردها ثم اعتقالها لمدة أسبوع كامل من 19-26/ 12/ 1978 مما منحها تعاطفا شعبيا كبيرا.

ازدياد الانقسامات والصراعات داخل تكتل المعارضة الحاكم ثم انفراط عقد التكتل بأكمله.

حل البرلمان الهندي بعد أن دخلت البلاد في حالة من الفوضى السياسية.

وكانت أنديرا غاندي قد استعدت لذلك فجاءت نتائج الانتخابات في يناير/ كانون الثاني 1980 لتكرس انتصارها وانتصار حزبها وابنها سنجاي الذي انتخب هو الآخر بأغلبية ملموسة.

كان سنجاي من القلائل الذين شجعوا أنديرا على الاستمرار في الحياة السياسية الهندية عند هزيمتها عام 1977 وساعدها في تجديد قيادات الحزب عام 1978 وأصبح أحد الأمناء العامين وتمكن بهذه الصفة من إقصاء معظم الوزراء والحزبيين المتورطين في ارتكاب تجاوزات ولم يتردد في شق الحزب عام 1978 وتشكيل حزب جديد عرف باسم حزب المؤتمر (أ) نسبة إلى أنديرا. ولكنه لم يقدر له أن يتمتع بثمرات انتصاره إذ لقي حتفه في حادث طائرة شراعية بعد شهر من عودة والدته إلى الحكم تاركا المجال مفتوحا أمام خلافة والدته وذلك قبل أن تقنع هذه الأخيرة ابنها الأكبر راجيف بالانخراط في معترك السياسة تمهيدا لخلافتها.

احتج بعض زعماء السيخ المتشددين على بعض سياسات أنديرا واعتصموا في أحد معابدهم المقدسة (معبد الشمس) وطالبوا باستقالتها، ولما امتنعوا عن الاستجابة لمناشدتها بفض الاعتصام وعدم إثارة الرأي العام أو النعرات الطائفية أعطت أوامرها للجيش باقتحام المعبد والقضاء على المعتصمين وعلى رأسهم سانت بيندرانوال مما أثار حفيظة بقية السيخ. في هذه الأثناء رفضت أنديرا تغيير حرسها الشخصي المكون من الضباط السيخ معتبرة أنه يجب أن لا يؤخذ الأبرياء بجريرة المذنبين على حد وصفها، لكنها لم تكن موفقة في هذا الرأي فقد تغلب التعصب الطائفي على الواجب القومي فسقطت أنديرا صريعة برصاصات قاتلة أطلقها عليها حرسها الشخصي صبيحة يوم 31 أكتوبر/ تشرين الأول 1984 فودعت الحياة السياسية عن عمر يناهز 67 عاما.



بينظير بوتو

(1953-2007م)

كانت سياسية باكستانية وابنة السياسي ورئيس باكستان السابق ذو الفقار علي بوتو. من مواليد مدينة كراتشي. وهي أكبر أربعة أبناء لذو الفقار من زوجته الثانية نصرت أصفهاني (نصرت بوتو) الإيرانية من أصل كردي.

بعد إكمالها لدراستها في جامعة هارفارد بالولايات المتحدة وجامعة أكسفورد في بريطانيا، عادت إلى باكستان بفترة قليلة قبل الانقلاب على أبيها الذي قاده ضياء الحق. بعد اعتقالها ونفيها، عادت مجددا عام 1986 وقادت معارضة ضد الأحكام العرفية.

يرى المحللون السياسيون أن هناك أربع صفات تميز «بنظير بوتو» وهي صفات تعد مدخلا مهما لتناول شخصيتها المثيرة للجدل، فقد كانت واضحة في حياتها عموما، وانعكست على حياتها السياسية خصوصا، وهي صفات استولت عليها، وملأت حياتها، ويمكن رصدها على النحو الآتي:

- كلما وصلت إلى نتائج إيجابية في مسيرتها السياسية وتمكنت من كسب موقف ما كانت تعتبر كل ذلك بفضل قيادتها وجهودها الفردية، وكلما منيت بفشل، أو بتعثر كانت تعتبر ذلك نتيجة تقصير الآخرين.

- كانت دائما تسعى لأن تثبت استحقاقها لكل تكريم ومنصب من غير أن تعترف بأي مشاكل لديها، أو بنقص فيها، أو في صلاحيتها واستعدادها وأهليتها.

- كانت تعتبر نفسها راعية للقانون والديمقراطية مع أنها كانت بعيدة كل البعد عن الالتزام بالقانون والديمقراطية داخل حزبها وحياتها السياسية، فإنها لم تكن ترضى بحال من الأحوال بإجراء انتخابات داخل الحزب، بل قد عينت رئيسة الحزب مدى الحياة، وكان هذا سببا في أزمة القيادة في حزب الشعب الباكستاني، وكانت تعرف بـ (الدكتاتورة المدنية).

وقد ورثت هذه الصفة من تربية أبيها لها ومن سيرته، فدكتاتوريته كانت أشد أنواع الدكتاتوريات طوال تاريخ باكستان، وهو المدني الوحيد الذي تولى الحكومة العسكرية طوال تاريخ باكستان، فتعرضت أحزاب المعارضة لأشد أنواع التعذيب أثناء حكمه.

كانت تحب الحكم والسلطة إلى أبعد الحدود، فالسلطة هي محور حياتها التي دارت أحداثها حولها، وكانت ستفعل المستحيل لأجل الوصول إلى السلطة.

و«بوتو» في ذلك ليست الحالة الوحيدة في العالم الإسلامي، وأمثال هؤلاء لا يهمهم شيء مثل أهمية الوصول إلى السلطة، يهون الكثير أمام هذا الهدف، فإذا اقتضى التدين تظاهروا بالتدين، وإذا اقتضى غير ذلك فعلوه.. تسود حياتهم البرجماتية بكل معنى الكلمة، لا توجد ثوابت في حياتهم، بل هي تابع للمصلحة عندهم، وبذا حياتهم ليست شرا محضا ولا خيرا محضا، بل تتغير حسب مقتضيات مصلحتهم وهدفهم الأساسي في الحياة.

نشأت «بنظير بوتو» في أسرة سياسية عريقة فجدها هو «السير شاهنواز بوتو» الذي يعتبر أحد الشخصيات السياسية المشهورة في الهند البريطاني، فقد تولى مناصب عالية جدا في الحكومة البريطانية، كان منها مساعد الحاكم الإنجليزي للهند، ورئاسة وزراء إقليم (جوناغر) في الهند، وحصل على عدة ألقاب من الحكومة الاستعمارية البريطانية في الهند، منها (خان بهادر) و(السير)، وكان قد شكل حزبا سياسيا باسم (حزب الشعب السندي).

أما «ذو الفقار علي بوتو» الذي كان يسمى بين أصدقائه بـ «ذو لفي» اختصارا لاسمه (والد بنظير بوتو) فقد مشى على خطى أبيه، فبعد ما تخرج في كلية (بركلي) المشهورة في كاليفورنيا، وجامعة أكسفورد الشهيرة رجع إلى كراتشي عام 1953م، وبدأ يشتغل في المحاماة والتدريس، لكنه كان يرى أن مستقبله مرتبط بالسياسة، وكانت الظروف مهيأة له كون قيادة باكستان حينذاك كانت بيد أصدقاء والده (إسكندر مرزا) و (حسين شهيد سهروردي) فذهب إليهما وكان ذلك أول مشاركته في السياسة. فتولى في البداية وزارة المعادن، ثم وزارة شؤون الأقليات، ثم وزارة التعمير الوطني، ثم وزارة شؤون كشمير في حكومة (إسكندر مرزا) وبداية حكومة (المشير محمد أيوب خان) ثم تولى وزارة الشؤون الخارجية في حكومة (المشير محمد أيوب خان)، ثم استقال من وزارة الشؤون الخارجية عام 1966م، وشكل حزب الشعب الباكستاني يوم 30 تشرين ثاني

عام 1967م، وبذلك دخل السياسة الباكستانية من أوسع أبوابها، وحصل على الأغلبية في أول انتخابات أجريت في باكستان عام 1971م. وبعد أن أجريت الانتخابات للمرة الثانية في آذار عام 1977م حصل حزب الشعب فيها على الأغلبية وشكل الحكومة، وتولى «ذو الفقار علي بوتو» رئاستها، لكنه اتهم بالتزوير وأدى ذلك إلى انقلاب عسكري بقيادة الجنرال محمد ضياء الحق في 5 تموز عام 1977م. أما «بنظير بوتو» فقد نشأت أثناء هذه الأحداث الساخنة وفي هذه الأسرة السياسية العريقة، ومن هنا كانت ترى نفسها أحق الناس بالحكم والسلطة، وترى أنها ولدت لتحكم ولتقود.

دراسة «بوتو» كانت تصب في سياق وصولها للحكم، فكانت دراستها الابتدائية والثانوية في مدينة كراتشي، وروالبندي، ومدينة مري، في مدارس تبشيرية، ومن ثم سافرت إلى أمريكا عام 1969م وبقيت في جامعة هارفارد إلى عام 1973م، وحصلت على شهادة البكالوريوس، ثم انتقلت إلى بريطانيا ودرست القانون الدولي والدبلوماسية في جامعة أكسفورد الشهيرة من عام 1973م إلى عام 1977م، وأثناء هذه السنوات نفسها درست في كلية (مارغريت هال) التابعة لجامعة أكسفورد فلسفة السياسة.

وبالعودة إلى والد «بوتو» فسنجده سياسيا محنكا، وتعتبر حكومته - منذ نشأة باكستان - هي الحكومة المستقلة الوحيدة التي لم يكن الجيش يتحكم فيها، وقد رفع شعارا أسر به لب الطبقات الكادحة، وهو (توفير الخبز واللباس والمسكن) وصار بذلك بطلا شعبيا، ومن هنا لقب بـ (قائد الشعب). وهو من البداية سعى إلى تربية «بوتو» تربية سياسية إلى آخر لحظات حياته، وكان يعدها لتتولى قيادة حزب الشعب، وبالتالي لتتولى الحكم بعده. ومن مظاهر هذا الاهتمام الأمور التالية:

أ- كان يأخذها معه في كثير من المحادثات الرسمية الحساسة والخطيرة، فعلى سبيل المثال شاركت في المحادثات التي جرت بين «ذو الفقار» الرئيس الباكستاني حينذاك وبين «أنديرا غاندي» رئيسة وزراء الهند في عام 1972م في شملة.

ب- كلفها بأعمال خاصة في فترة حكمه عندما كانت تعود في الإجازة من لندن، فقد عينت في عام 1976م (Officer on special duties) الموظف لأداء المهمات الخاصة في وزارة الخارجية الباكستانية، وكان الغرض من ذلك هو تدريب هذه «النحيلة» (لقب أطلقه عليها والدها) للوصول للسلطة

ج- ولما أسقطت حكومة «ذو الفقار» بانقلاب عسكري وألقي في السجن، وكان يحاكم في قضية قتل بعض الشخصيات المهمة والذين قتلوا في فترة حكمه من قبل الحكومة، كان يرسل إليها رسائل خاصة يوجهها فيها ويربيها عن طريقها، كما كتب في المعتقل كتابا سماه «إن قُتلتُ» خاطب فيه ابنته خطابا خاصا يريد به تربيتها، ووصفها بأوصاف لم يصف بها أحدا من أولاده، وكان يعلق عليها آمالا كبيرة.

وقد حصل الانقلاب العسكري ضد حكومة «ذو الفقار» يوم 5 تموز عام 1977م بعد احتجاجات شديدة من قبل جميع أحزاب المعارضة، وقاد الانقلاب الجنرال «محمد ضياء الحق» الذي رقاه بوتو الأب من غير استحقاق ليتولى قيادة الجيش، وحوكم في قضية قتل الناشطين السياسيين الذين قتلوا في فترة حكمه، وكان منهم أحمد رضا قصوري (والد خورشيد محمود قصوري وزير خارجية مشرف في الحكومة الماضية) وصدر ضده الحكم بالإعدام، وأقرت المحكمة العليا الحكم، ونفذ فيه الحكم بالإعدام يوم 4 نيسان 1979م في سجن روالبندي (المدينة التي اغتيلت فيها بنظير بوتو).

أما مواقف أسرة «بوتو» فكانت متباينة.. أراد «مير شاهنواز بوتو» و«مير مرتضى بوتو» ابنا «ذو الفقار» أن ينتقما لقتل والدهما بعمل مسلح، فأنشآ عصابة مسلحة سميت (الذو الفقار)، آوتها الحكومة الشيوعية في أفغانستان حينذاك، وساعدتها في أداء مهمتها لتقارب فكري بين الجهتين ولأن حكومة الجنرال «محمد ضياء الحق» كانت تساعد الأحزاب الجهادية في المقاومة ضد التواجد السوفيتي في أفغانستان إلى أن تمكنت تلك العصابة (بمساعدة بعض الجهات الأجنبية القريبة من ضياء الحق) من إسقاط طائرة «ضياء» وقتله مع مجموعة كبيرة من قيادات الجيش الباكستاني عام 1988م.

أما موقف «بنظير بوتو» فكان مختلفا عن موقف أخويها، فقد قطعت صلتها بهما، لأنها كانت تعتبر نفسها وريثة أبيها في السياسة وقيادة حزب الشعب، وكانت تريد حكم باكستان وتدرك أن الطريق إلى ذلك هو العمل السياسي، وليس العمل المسلح، ومن هنا تولت قيادة حزب الشعب الباكستاني بالاشتراك مع والدتها «نصرت بوتو» الأصفهانية (وهي من أسرة كردية من إيران تزوجها ذو الفقار علي بوتو عندما رآها في قصر الملك رضا شاه بهلوي).

كان حزب الشعب الباكستاني أول ما نشأ حزبا يغلب عليه الميل إلى النظرية الشيوعية، وكان من قياداته شخصيات معروفة تدعو للشيوعية مثل شيخ رشيد (الذي

كان يعرف بأبي الشيوعية) وغيره، وكان الحزب يفضل النموذج الصيني للشيوعية، وكان «ذو الفقار» نفسه يرى في (ماو تسي تونغ) نموذجا يحتذى به، لكن لما رأت «بوتو» أن الظروف قد تغيرت، وأن النموذج الليبرالي الغربي هو الأدعى للقبول لدى أمريكا والغرب، وكانت قد أدركت حقيقة أن الوصول إلى السلطة في باكستان والاستمرار فيها يتوقف على رضا أمريكا، حولت عندئذ قبلة الحزب، وغيرت اتجاهه من الشيوعية إلى الليبرالية الغربية، كون ذلك يقربها من هدف الوصول إلى السلطة.

عاشت «بوتو» في الغالب في الخارج، وكانت عودتها إلى باكستان لممارسة الحكم، فقد خرجت إلى بريطانيا وأمريكا عام 1969م، وبقيت إلى عام 1977م، عادت لفترات لتستمتع بالسلطة خلال فترة حكم أبيها، كما اعتقلت قبيل إعدام أبيها في عام 1979م وبقيت في المعتقل إلى عام 1984م، ثم سمح لها بمغادرة البلد إلى بريطانيا، ومن هناك تولت قيادة حزب الشعب الباكستاني، وعادت إلى باكستان 10 نيسان عام 1986 لتستعد لخوض الانتخابات التي كان يتوقع أن يجريها الجنرال «محمد ضياء الحق» في تلك الفترة، واستقبلت استقبالا ضخما في مدينة لاهور حينذاك، وبقيت بعد ذلك مرتبطة بالحكم، سواء كان ذلك الارتباط بكونها في السلطة أو بكونها في قيادة المعارضة إلى عام 1998م عندما غادرت باكستان إلى الإمارات العربية المتحدة، وبقيت مع أولادها بين بريطانيا والإمارات، ولحق بها زوجها بعد ذلك، إلى أن اقترب موعد الانتخابات وبدأت أمريكا والمجتمع الدولي بالضغط على الجنرال مشرف لإجراء الانتخابات في ضوء فقدانه شعبيته، وكانت مصالح تلك الجهات تقتضي أن يتولى السلطة شخص مخلص لهم ويكون في نفس الوقت متمتعا بقاعدة شعبية كبيرة، وكان ذلك الشخص في نظر أمريكا هو «بنظير بوتو». فرجعت إلى باكستان يوم 18 تشرين أول عام 2007م أي بعد تسعة أعوام، بعد اتفاقيات عقدتها مع الجنرال مشرف بضغوط أمريكية وبريطانية وضمانها، بأنها ستسهل لمشرف مهمة البقاء في منصب رئاسة الدولة في مقابل أن يعطيها فرصة تولي رئاسة الوزراء في الحكومة القادمة، وكانت متيقنة من توليها المنصب المذكور عند عودتها، لكن المدبرين لحادثة اغتيالها لم يمهلوها هذه المرة، واغتالوها يوم 27/ 12/ 2007م.

في يوم الخميس الموافق 27 ديسمبر 2007 بعد خروجها من مؤتمر انتخابي لمناصريها، وقفت في فتحة سقف سيارتها لتحية الجماهير المحتشدة، فتم إطلاق النار عليها و قتلت «برصاص في العنق والصدر»، تبعها عملية تفجير قام بها انتحاري يبعد عنها 25 مترا.

وقد هزّ الانفجار المنطقة التي كان يمرّ بها موكبها في مدينة روالبندي. أعلن وقتها أنّها غادرت الموكب، ثم أعلن زوجها لمحطات محلية «إنّها أصيبت بجروح بالغة»، ثم أضافت مصادر من حزبها أنها «تخضع لعملية جراحية عاجلة». ليعاد بعد عشرين دقيقة إعلان وفاتها. حيث روت التقارير الأولية «أصابتها برصاصة برأسها وأخرى بعنقها».

أما رواية السلطات الرسمية الباكستانية، فتتحدث عن وفاة «جراء ارتطام رأسها بسقف السيارة المصفحة التي كانت تركبها».

بينيتو موسوليني
(1883-1945م)

ولد بينيتو موسوليني 29 يوليو 1883 وترعرع في قرية دوفو دينو بريدابيو وهي قرية صغيرة بشمال إيطاليا، من ابوين إيطاليين روزا واليساندرو موسوليني. وسمي بنيتو على اسم الرئيس الإصلاحي المكسيكي بينيتو خواريس. وكانت والدته معلمة وأبوه حدادا. كانت عائلته فقيرة كسائر عائلات الأقارب والجيران، وعندما كان موسوليني طفلا كان همجيا ومتهورا. ومنع من دخول كنيسة والدته لسوء سلوكه حيث كان يرمي رواد الكنيسة بالحجارة. اضطر إلى دخول المدرسة متأخرا في مدرسة داخلية. لم يكن كثير الكلام ولكنه كان يجيد استعمال قبضته. عندما كان في الثّامنة من عمره كان يسرق وكان دائم الشجار مع بقية أقرانه. وكان دائم المشاكل في المدرسة وقد طرد من المدرسة لطعنه ولدا آخر بالسكين في بطنه.

في عام 1902 هاجر إلى سويسرا هربا من الخدمة العسكرية. خلال هذه الفترة لم يستطع العثور على عمل دائم فيها، وتم القبض عليه بتهمة التشرد وسجن ليلة واحدة. ففي صبيحة يوم 24 يوليو 1902، أُوقف من طرف الشرطة تحت جسر قضى تحته ليلته. لم يكن بحوزته حينها إلا جواز سفر وشهادة التخرج من مدرسة المعلمين و15 سنتيما.

اشتغل مدرسا مؤقتا للصف الابتدائي في بلدة غوالتياري لكن لم يتمّ تجديد عقد عمله بسبب علاقة أقامها مع سيدة كان زوجها متغيبا لأداء الخدمة العسكرية.

قضى موسوليني الأشهر الأولى من عام 1904 بين جنيف وآنماس (في فرنسا المجاورة) في عقد اجتماعات وإلقاء محاضرات ذات طابع سياسي ونقابي إضافة إلى مراسلات صحفية مع منشورات ومجلات اشتراكية وفوضوية.

وفي شهر أبريل من عام 1904، أفلت - بفضل تدخل حاسم من سلطات كانتون تيشينو - من الإبعاد مجددا إلى إيطاليا التي حُوكم فيها بتهمة التقاعس عن أداء الواجب العسكري. ثم تحول إلى لوزان حيث سجل في كلية العلوم الاجتماعية وتابع لبضعة أشهر محاضرات عالم الاجتماع فيلفريدو باريت.

بعد ذلك، وجد له عملا في مدينة تورينتو ذات الأصول الإيطالية والتي كانت تحت سيطرة النمسا - المجر في شباط/ فبراير 1909. هناك اشتغل شغلا إداريا للفرع المحلي للحزب الاشتراكي ومحررا لصحيفة افغينيري دل لافوراتوري «مستقبل العامل».

في عام 1915 كان تزوج ورزق بابن من دالسير من سوبرامونتي بالقرب ترينتو. نشر رواية رومانسية مبتذلة بعنوان عشيقة الكاردينال بعد عفو عن الهاربين من خدمة الجيش.

في الفترة الفاصلة ما بين عامي 1908 و1910، أقام موسوليني في سويسرا لفترات متقطعة. فعمل بنّاء في شركة المقاولات البرية والحديد في لوغانو حيث تعرف على الزعيم الاشتراكي غوليالمو كانيفاشيني الذي استضافه في بيته.

عندما أعلنت إيطاليا عام 1911 الحرب على تركيا وتحركت لغزو ليبيا، قاد موسوليني ككل الاشتراكيين، مظاهرات ضد الحرب وحوكم وسجن لعدة أشهر، وبعد إطلاق سراحه رحب به الاشتراكيون وعينوه رئيسا لتحرير جريدتهم الوطنية إلى الأمام.

ثم فجأة ودون مقدمات أو مشاورات مع قيادة الحزب الاشتراكي نشر موسوليني مقالا في الجريدة يطالب فيه إيطاليا بالدخول إلى جانب الحلفاء في الحرب العالمية الأولى، فطرد من عمله والحزب واتهم بالخيانة، وقد فسر هذا التحول بأنه قبض مبلغا سريا من الحكومة الفرنسية.

وقد دخلت إيطاليا الحرب حيث قضى موسوليني عامين في الجيش وبعد انتهاء الحرب كانت إيطاليا تشهد كثيرا من المشاكل. إذ لم يكن العمل متوفرا للجنود العائدين من الحرب.. والأسعار عالية ولم يكن باستطاعة الفقراء شراء حوائجهم. وكانت هناك الإضرابات في المدن وتشكلت العصابات من الفقراء وبدأت بحرق بيوت الأغنياء. وكان الجميع خائفا من شيء ما. وقد استشعر موسوليني مزاج الشعب وحالته النفسية وكان يرى غضب الجنود. لم يكن موسوليني راضيا عن حياة الفقراء وكان يريد تغيير ذلك وكان يؤمن بأن العنف هو السبيل الوحيد لتحقيق ذلك.

أصبحت الفاشية حركة سياسية منظمة بعد اجتماع ميلانو. بعد فشله في انتخابات 1919، تمكن موسوليني من دخول البرلمان في عام 1921. شكلت الفاشية فرقا مسلحة من المحاربين القدامى سميت سكوادريستي لإرهاب الفوضويين والاشتراكيين والشيوعيين.

زحف موسوليني بتظاهراته الكبرى التي شارك فيها نحو أربعين ألفا من أصحاب القمصان السود الذين جاؤوا من مختلف المدن الإيطالية ليحقق مسيرته الكبرى إلى روما المتهرئة عام 1922. هؤلاء الذين لم يكن لهم أي وجود غداة الحرب العالمية الأولى، فإذا بهم خلال سنوات قليلة يصل تعدادهم إلى عشرات الألوف من المضللين، الذين يحملون هوية الحزب الذي شكله موسوليني وينعمون بالامتيازات، وسط أوضاع متردية سياسيا واقتصاديا، هيأت لموسوليني الذي تحول من الاشتراكية إلى الفاشية أن يجعل من حزبه بديلا لدولة لم تعد ذات وجود ومكنه من القيام بحملة ديماغوجية حرك من خلالها الغرائز المتطرفة لعدد كبير من العاطلين عن العمل من الجنود المسرحين، ومن ذوي السوابق الإجرامية، ومن فلول عصابات الإجرام المنظم المافيا والكومورا وفايدا فجعل لهم أيديولوجية متعصبة حد التطرف ليملأ الفراغ السياسي والأيديولوجي والروحي المأزوم بسبب الهزيمة المريرة في الحرب العالمية الأولى.

ونتيجة لعدم تدخل الحكومة تفاقمت المشكلة فقام موسوليني مقابل دعم مجموعة من الصناعيين بالموافقة على استخدام قواته في كسر الإضراب ووقف الانتفاضات الثورية عندما فشلت الحكومات الليبرالية التي ترأسها جوفاني جوليتي، يفانوي بونومي وويجي فاكتا في وقف انتشار الفوضى.

ولقد استجابت له إيطاليا بطريقة سحرية في البداية وعاد العمال لمصانعهم والطلاب إلى مدارسهم وبدأ الدوتشي رحلة للسيطرة على السلطة بحيث أصبح في النهاية الحاكم الوحيد الذي لا يخضع إلا للملك.

في 2 تشرين الأول/ أكتوبر وباحتفال بمدينة نابولي الجنوبية يصرخ موسوليني إما أن تعطى لنا الحكومة أو سنأخذ حقنا بالمسير إلى روما وتجييه الحشود.. إلى روما.. إلى روما. وبعد تنظيم الفاشيين لمظاهرات ومسيرات التهديد (مارسيا سو روما) «مسيرة روما» (28 أكتوبر 1922) توجه 14000 فاشي إلى روما بالقطارات والحافلات، ونتيجة الذعر الذي شعرت به الحكومة عرض على موسوليني منصب وزير في الحكومة، وناشد رئيس الوزراء الملك إعلان حالة الطوارئ، لكن الأخير رفض.

دعا فيتوري مانويلي الثالث (الملك الإيطالي) موسوليني لتأليف حكومة جديدة وكان عمره آنذاك 39 سنة، **وأصبح اصغر رئيس وزراء في تاريخ إيطاليا في 31 أكتوبر** 1922.

دعا موسوليني إلى اجتماع وفيه أسس حزب سياسي أسماه الحزب الفاشستي.. لكنهم لم يتصرفوا كحزب سياسي وإنما كرجال عنف وعصابات وقد لبسوا القمصان السوداء.. قال لهم موسوليني إن عليهم معالجة مشاكل إيطاليا وإن عليهم أن يكونوا رجالا أقوياء.. فعندما يكون هناك إضراب عمالي يأتي الفاشيست ويوسعوا أولئك العمال ضربا وفي صيف 1922 كان هناك إضراب كبير في المواصلات وقد عجزت الحكومة عن التعامل مع ذلك ولكن الفاشيست سيروا الحافلات والقاطرات وانهوا الإضراب. ووصل الأمر أن طلب الأغنياء مساعدة الفاشيست لحمايتهم.. ونجح الفاشيست في ذلك.. وقد هزموا الشيوعيين في الشوارع وأرغموهم على شرب زيت الخروع. وكان الشعب يطالب بزعيم قوي مثل موسوليني ليقود البلاد.. وقال موسوليني إنه الوقت المناسب للاستيلاء على السلطة. وفي أكتوبر قاد موسوليني مسيرة كبرى إلى مدينة روما حيث قال لأتباعه سوف تعطى لنا السلطة وإلا سوف نأخذها بأنفسنا.

وهكذا أصبحت القمصان السود والهراوة علاقتين تميزان حركة موسوليني حتى أعيدت تسميتها لتصبح الفاشية، لكنها بقيت حركة هامشية، ففي انتخابات 1919 لم يفز أي فاشي بمقعد في البرلمان وحصل موسوليني نفسه على 4000 صوت فقط في مدينة ميلانو مقابل 180 ألف للاشتراكيين، وعندما كتبت مجلة إلى الأمام الاشتراكية تنعي خسارة موسوليني في الانتخابات، هوجم مقر الحزب الاشتراكي بالقنابل، وحين داهم البوليس مكاتب مجلة موسوليني وجد قنابل ومتفجرات فسجن أربع سنوات وأطلق سراحه.

بدأ موسوليني بالتغيير في إيطاليا حيث بدأ بإلغاء كل الأحزاب الأخرى.. فكان على الشعب أن يصوت للحزب الفاشيستي فقط وكان على الشباب أن يتعلموا مبادئ الفاشيست وكان يقول لهم موسوليني «أن تعيش يوما واحدا مثل الأسد خير لك من أن تعيش مائة عام مثل الخروف». كان على الصغار الالتحاق بمعسكرات التسييس الفاشيستية وكان يتم إعدادهم كجنود صغار وكان عليهم «لإيمان / الطاعة / القتال».

كان الفاشيون ينظمون غارات في الأرياف وهم في شاحناتهم، يدخلون المزارع المعروفة بأنها اشتراكية، فيقتلون الناس أو يعذبونهم. فبعد أن شتتوا الحزب الشيوعي واغتالوا العديد من قادته، وأزاحوا مؤسساته النقابية وجمعياته التعاونية، بدأوا حربهم الثقافية، في طبخ كل النزعات والاتجاهات والأساليب في الأدب والفن في وعاء

الاتجاهات القومية، الذي تختلط فيه الفنون والآداب والدعاية، باتجاه منغلق ومعاد لأية قومية أخرى، أو اتجاه آخر وبهدف معلن هو تحرير الثقافة الإيطالية وتوحيد أشكالها ومقاييسها لتتطابق وتتجانس مع فكر الدوتشي.

امتلأت الساحات والشوارع بتماثيل موسوليني وبجداريات كبيرة تخلد أفعاله، كما بدأت حركة تنظيم شاملة للأطفال والفتيان وطلبة المدارس والجامعات على استخدام السلاح وحفظ الأناشيد القومية الفاشية، وبدأت حملة تجريد العشرات من الصحفيين من هوياتهم في النقابات الصحفية، كما أغلقت جميع الصحف والمجلات الأدبية. مع إجبار الناس على وضع صوره في غرف النوم وان توقد العوائل الشموع بعيد ميلاده وانتزع رجاله الحلي الذهبية من النساء ودبل الزواج من أصابع المتزوجين. ثم تشكلت لجان في طول البلاد الإيطالية وعرضها من كتاب الدولة وأساتذتها لإصدار قوائم سوداء بالمثقفين المحظورين، وبأسماء الكتب المعادية التي يجب حرقها وإتلافها ومنعها من التداول.

اخذ موسوليني يلوح بقوته الهائلة وقدرته على تعبئة اثني عشر مليونا مسلحين بأحدث الأسلحة، في حين أن الرقم الحقيقي لم يكن يعدو المليونين. أما الطائرات والبوارج والدبابات الثقيلة التي طالما تحدث عنها، فلم يكن لها وجود، فلم تكن قواته تملك سلاحا أثقل من العربات المصفحة التي تزن ثلاثة أطنان. وظل موسوليني يصر على «أن الفاشية لا تؤمن بإمكانية ولا بفائدة السلم الدائم، الفاشية تفهم الحياة كواجب ونضال وقهر».

والسياسة الخارجية التي اتبعها النظام الفاشي تجنبت خيار السلام، واعتبرته ظاهرة متعفنة. وبالمقابل، دعمت فكرة إعادة مجد الإمبراطورية الرومانية القديمة، وطمحت لتوسيع مناطق نفوذ إيطاليا.

وحتى بداية الحرب العالمية الثانية، وإقامة محور برلين - روما - طوكيو، كانت إيطاليا قد احتلت إثيوبيا (1935)، وحاربت مع نظام فرانكو الفاشي في اسبانيا (بين الأعوام 1939-1936)، واحتلت ألبانيا (نيسان 1939).

تحالف هتلر مع موسوليني «معاهدة فرساي» التي حسمت الحرب العالمية الأولى وعمل على إحياء العمل بالتجنيد الإلزامي وكان يرمي إلى تشييد جيش قوي مسنود بطيران وبحرية يُعتد بها وفي نفس الوقت، إيجاد فرص عمل للشبيبة الألمانية.

وشهدت فترة حكم الحزب النازي لألمانيا انتعاشاً اقتصادياً مقطوع النظير، وانتعشت الصناعة الألمانية انتعاشاً لم يترك مواطناً ألمانيا بلا عمل. وتم تحديث السكك الحديدية والشوارع وعشرات الجسور مما جعل شعبية الزعيم النازي هتلر ترتفع إلى السماء.

كان موسوليني يريد لإيطاليا أن تكون دولة عظمى وكان مستعدا لخوض الحروب من أجل ذلك.

وقد صادق الزعيم الألماني أدولف هتلر الذي كان معجبا به، وفي سنة 1939 عقدت إيطاليا وألمانيا معاهدة سميت بالحلف الفولاذي وكانت إيطاليا في حاجة إلى أربع سنوات حتى تستعد للدخول في الحرب ولكن الحرب نشبت بعد ذلك بعامين ولم يكن موسوليني كثير القلق بخصوص الحرب لأنه ظن أنها ستنتهي في عدة أشهر بانتصار ألمانيا.

كان يحلم علنا بان يسيطر على كل حوض البحر الأبيض المتوسط، ويحوله إلى بحيرة إيطالية وان ينشىء إمبراطورية تمتد من الحبشة إلى ساحل غينيا الغربي، وكان يدعو إلى زيادة النسل ليزيد عدد الإيطاليين فيمكنهم بالتالي استعمار واستيطان هذه الإمبراطورية الشاسعة.

تسلم موسوليني زعامة إيطاليا وغير سياسة إيطاليا اللينة في ليبيا إلى الشدة. فنقض الاتفاقات المعقودة مع الليبيين ورفض الاعتراف بالمحاكم الشرعية في المناطق التي يسيطر عليها الطليان، وأبى إلا أن يكون الجميع خاضعاً لإيطاليا، وعين لهذا الغرض حاكماً جديداً هو «بون جيوفاني» ومنحه سلطة مطلقة في حكم ليبيا وزوده بصلاحيات واسعة وجيش كبير بقيادة اللواء «رودولفو جرتزيانى» واللواء «بادوليو». فأمر المفوّض السامي الإيطالي الجديد بحل معسكرات القبائل في ولاية برقة. وأمر قواته باحتلال مركز القيادة السنوسية أجدابيا في عام 1923م.

أثناء محاولاته اليائسة لتنفيذ خطته في ترسيخ الاستيطان الاستعماري في ليبيا ، قتل 200,000 نسمة من المواطنين الليبيين طوال ثلاث سنوات فقط قبل عثوره على الثائر عمر المختار واعتقاله، حيث قررت المحكمة إعدام المختار رغم سنه الذي جاوز الخامس والسبعين، فأعدم في اليوم التالي في 16 سبتمبر 1931 بمركز «سلوق» في بنغازي. وقد

واصل الإيطاليون استباحتهم للشعب الليبي، فوصل عدد الشهداء إلى «570928» شهيدا إضافة إلى مصادرتهم الأراضي الليبية من أصحابها، وشجعوا هجرة الإيطاليين إلى ليبيا وأمدوهم بالأموال وفتحوا لهم المدارس.

في 9 نوفمبر 1939 أي قبل اندلاع الحرب العالمية الثانية بتسعة أشهر، اصدر موسوليني مرسوما بضم ليبيا (طرابلس وبرقة) وجعلها جزء من الوطن الأم (ليبيا بالأصل تطلق على الصحراء التي تقع غرب نهر النيل وجنوب برقة وطرابلس). مع منح السكان الجنسية الإيطالية وإلزامهم بتعلم اللغة ومن عارضه هتك عرضه، وأمر بإلقاء كثير من الناس من الطائرة وهم أحياء إلى غير ذلك من الأعمال الوحشية.

غزا إثيوبيا في أكتوبر 1935، دون إعلان حرب على اعتبار أنها اقل من أن تستحق هذا الشرف، وكان لتوه قد انتهى من سحق ثورة عمر المختار في ليبيا بوحشية بالغة.

وفي 25 أكتوبر 1936، تحالف مع هتلر واتسع التحالف ليشمل اليابان، هنغاريا، رومانيا وبلغاريا بما يعرف بحلفاء المحور.

في 5 نوفمبر 1937، عقد هتلر اجتماعاً سريّاً في مستشارية الرايخ وأفصح عن خطّته السرية في توسيع رقعة الأمة الألمانية الجغرافية.

القوى الغربية فشلت في التحالف مع الاتحاد السوفييتي واستغل هتلر الخلاف الغربي السوفييتي وأبرم معاهدة «عدم اعتداء» بين ألمانيا والاتحاد السوفييتي مع ستالين في 23 أغسطس 1939.

وفي 1 سبتمبر 1939 غزا هتلر بولندا ولم يجد الانجليز والفرنسيون بدّاً من إعلان الحرب على ألمانيا.

كانت الحرب عارا على إيطاليا بعد انضمام موسوليني إلى هتلر حيث فشل الطليان في احتلال اليونان ثلاث مرات حتى جاء هتلر لنجدتهم، وفي ليبيا لم يكونوا بأحسن حالا حيث انهزموا أمام البريطانيين وفي آخر الأمر وضع موسوليني جيشه تحت إمرة الألمان.

حروب هتلر كانت سيئة بالنسبة للطليان ولكن موسوليني كان يتبع خطاه في كل شيء. حتى عندما احتل هتلر روسيا. أرسل موسوليني جنود إيطاليا إلى هناك. وبعدها بقليل كانت إيطاليا في حرب مع أميركا.

بحلول عام 1942 كانت إيطاليا على الهاوية. جيشها مهزوم وجائع ولديه نقص في العتاد والسلاح، وكان هناك نقص في المؤن داخل إيطاليا نفسها. وغضب الشعب وتوجه ضد الحرب ورأى أن موسوليني قد كذب عليهم حتى وصل الأمر أن بلادهم قد احتلت من قبل الجيوش البريطانية والأميركية، وأصبح موسوليني عدو الشعب الأول. وأمر الملك باعتقاله فاعتقل وكان سجنه عبارة عن فندق في منتجع للتزلج في أعالي الجبال.

في يوم 18 ابريل 1945، بينما الحلفاء على وشك دخول بولندا والروس يزحفون نحو برلين، غادر موسوليني مقر إقامته في سالو رغم اعتراضات حراسه الألمان، فظهر في ميلانو ليطلب من أسقف المدينة أن يكون وسيطا بينه وبين قوات الأنصار للاتفاق على شروط التسليم التي تتضمن إنقاذ رقبته، إلا أن قيادة الأنصار التي كان يسيطر عليها الحزب الشيوعي الإيطالي أصدرت أمرا بإعدامه، وتابع هو رحلته بالسيارة متخفيا ومعه عشيقته كلارا ليخوض ما اسماه بمعركة الشرف الكبرى والأخيرة، وعندما وصل إلى مدينة كومو القريبة من الحدود السويسرية تبين له انه كان واهما وان أنصاره المخلصين لا يزيدون على عدة عشرات من الأشخاص، اخذوا ينفضون من حوله بسرعة عندما شاهدوا الزعيم يهذي وبه مس من الجنون.

في 25 أبريل كان في كومو مدينة عشيقته الأخيرة «كلارا» ومنها كتب آخر رسالة له إلى زوجته «راخيلا» يطلب منها الهروب إلى سويسرا. وفي 26 أبريل زاد خوفه ففر إلى ميناجيو مدينة عشيقته الأخرى «أنجيلا». حاول موسوليني الهرب مع عشيقته كلارا باختبائه في مؤخرة سيارة نقل متجها إلى الحدود ولكن السائق أوقف السيارة وأمرهم بالنزول وأخذ بندقيته وأخبرهم بأنه قاتلهم باسم الشعب الإيطالي. وفي القرى والمدن قتل كثير من الفاشيست حيث وضعت جثثهم في سيارات نقل الأثاث وتجولت بهم في شوارع ميلان.

اعتقل الدوتشي وعشيقته كلارا بيتاتشي في 26 ابريل 1945 في دونغو في منطقة بحيرة كومو شمال البلاد فيما كانا يحاولان الفرار إلى سويسرا.

في اليوم التالي أتت الأوامر من مجلس جبهة التحرير الشعبية بإعدام موسوليني وجاء العقيد «فاليريو» الذي أنظم سرا للجبهة إلى مكان اعتقال موسوليني وأخبره بأنه جاء لينقذه وطلب منه مرافقته إلى المركبة التي كانت في الانتظار. ذهب به إلى فيلا بيلموت المجاورة حيث كان في انتظارهم فرقة من الجنود.

كانت جبهة التحرير قد قبضت على أغلب معاونيه وحكمت على 15 شخصا منهم بالإعدام، وفي يوم 29 أبريل تم تجميعهم بما فيهم موسوليني وعشيقته «كلارا» وتم نقلهم ليُشنقوا مقلوبين من أرجلهم في محطة البنزين في مدينة ميلانو.

وعرضت جثتاهما مع جثث خمسة قادة فاشيين آخرين في ساحة عامة في ميلانو معلقة من الأرجل أمام محطة لتزويد الوقود. وجاءت الجماهير تسبهم وتشتمهم وتبصق عليهم وترميهم بما في أيديها. وفقدت الجماهير السيطرة على نفسها فأخذت بإطلاق النار على الجثث وركلها بالأرجل. وبعد انتهاء كل شيء أخذت الجثث ودفنت سرا في ميلانو. وفي سنة 1957 سلمت جثة موسوليني لأهله لتدفن قرب مدينته التي ولد بها.



توت عنخ أمون

توت عنخ أمون كان أحد فراعنة الأسرة المصرية الثامنة عشرة في تاريخ مصر القديم، وكان فرعون مصر من 1334 إلى 1325 ق.م. في عصر الدولة الحديثة.

يعتبر توت عنخ أمون من أشهر الفراعنة لأسباب لا تتعلق بانجازات حققها أو حروب انتصر فيها وإنما لأسباب أخرى لا تعتبر مهمة من الناحية التاريخية ومن أبرزها اكتشاف مقبرته وكنوزه بالكامل دون أي تلف واللغز الذي أحاط بظروف وفاته، حيث اعتبر الكثير وفاة فرعون في سن مبكرة جدا أمر غير طبيعي وخاصة مع وجود آثار لكسور في عظمي الفخذ والجمجمة وزواج وزيره من أرملته من بعد وفاته وتنصيب نفسه فرعونا. كل هذه الأحداث الغامضة والاستعمال الكثيف لأسطورة لعنة الفراعنة المرتبطة بمقبرة توت عنخ أمون التي استخدمت في الأفلام وألعاب الفيديو جعلت من توت عنخ أمون أشهر الفراعنة لأسباب لا تتعلق على الإطلاق بالأهمية التاريخية أو بإنجازات حققها أثناء سنواته القصيرة كفرعون مصر وإنما لألغاز وأسئلة لا جواب لها اعتبرها البعض من أقدم الاغتيالات في تاريخ الإنسان.

كان عمر توت عنخ أمون 9 سنوات عندما أصبح فرعون مصر واسمه باللغة المصرية القديمة تعني «الصورة الحية للإله أمون»، كبير الآلهة المصرية القديمة.

عاش توت عنخ آمون في فترة انتقالية في تاريخ مصر القديمة حيث أتى بعد أخناتون الذي حاول توحيد آلهة مصر القديمة في شكل الإله الواحد، وتم في عهده العودة إلى عبادة آلهة مصر القديمة المتعددة. تم اكتشاف قبره عام 1922 في وادي الملوك من قبل عالم الآثار البريطاني هوارد كارتر واحدث هذا الاكتشاف ضجة إعلامية واسعة النطاق في العالم.

أثناء حكم توت عنخ أمون بدأت ثورة من تل العمارنة ضد حركة الفرعون السابق أخناتون الذي نقل العاصمة من طيبة إلى عاصمته الجديدة أخت أتون بالمنيا وحاول

توحيد آلهة مصر القديمة المتعددة بما فيها الإله أمون في شكل الإله الواحد آتون. في سنة 1331 ق.م. أي في السنة الثالثة لحكم توت عنخ أمون الذي كان عمره 11 سنة وبتأثير من الوزير خپر خپرو رع آي رفع الحظر المفروض على عبادة الآلهة المتعددة ورجعت العاصمة إلى طيبة.

هناك اعتقاد سائد أن وفاة توت عنخ أمون لم تكن لأسباب مرضية وإنما قد تكون من جراء عملية اغتيال قام الوزير خپرخپرو رع آي بتدبيرها وهناك العديد من الأدلة التي يوردها المؤمنون بهذه النظرية منها على سبيل المثال زواج الوزير خپرخپرو رع آي من أرملة توت عنخ أمون حيث عثر على ختم فرعوني يحمل اسم آي وعنخ إسن أمون أرملة توت عنخ أمون وأيضا توجد رسالة بعثتها عنخ إسن أمون (أرملة توت عنخ أمون) إلى ملك الحيثيين تطلب منه إرسال أحد أبنائه لغرض الزواج بها بعد موت زوجها وقام ملك الحيثيين بإرسال أحد أبنائه كي يتزوج من أرملة توت عنخ أمون ولكنه مات قبل أن يدخل ارض مصر وهناك اعتقاد انه تم اغتياله على الأرجح بتدبير من الوزير خپرخپرو رع آي الذي فيما يبدو كان يخطط للاستيلاء على عرش مصر فقام بقتل الفرعون توت عنخ أمون وقتل عريس أرملته ولكن هذه فرضيات ولا يوجد دليل قاطع لإثبات كل هذه النظريات.

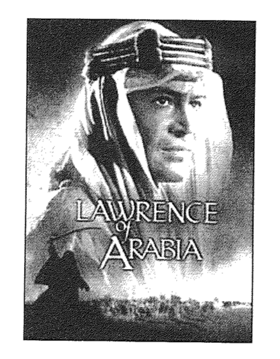
ومن الجدير بالذكر أن الأدلة التاريخية تشير إلى وجود وزيرين لتوت عنخ أمون أحدهما آي الذي تم ذكره والآخر كان اسمه حور محب وهناك أدلة أثرية تؤكد انه بعد وفاة توت عنخ أمون استلم الوزير آي مقاليد الحكم لفترة قصيرة ليحل محله الوزير الثاني حور محب الذي تم في عهده إتلاف معظم الأدلة على فترة حكم توت عنخ أمون والوزير آي، وهذا يؤكد لدى البعض نظرية المؤامرة وكون وفاة توت عنخ أمون نتيجة عملية اغتيال وليست لأسباب مرضية، وقد حكم الملك توت أكثر من أربعين سنة.

كان سبب وفاة توت عنخ أمون مسألة مثيرة للجدل وكانت هناك الكثير من نظريات المؤامرة التي كانت ترجح فكرة انه لم يمت وإنما تم قتله في عملية اغتيال. في 8 مارس 2005 ونتيجة لاستخدام التصوير الحاسوبي الشريحي الثلاثي الأبعاد على مومياء توت عنخ أمون صرح عالم الآثار المصري زاهي حواس انه لا توجد أية أدلة على أن توت عنخ أمون قد تعرض إلى عملية اغتيال وأضاف أن الفتحة الموجودة في جمجمته لا تعود

لسبب تلقيه ضربة على الرأس كما كان يعتقد في السابق وإنما تم إحداث هذه الفتحة بعد الموت لغرض التحنيط، وعلل زاهي حواس الكسر في عظم الفخذ الأيسر الذي طالما تم ربطه بنظرية الاغتيال بأنه نتيجة كسر في عظم الفخذ تعرض له توت عنخ أمون قبل موته وربما يكون الالتهاب الناتج من هذا الكسر قد تسبب في وفاته.

أظهرت التحاليل الحديثة أيضا أن عظم سقف التجويف الفمي لتوت عنخ أمون لم يكن مكتملا وكان طول قامة توت عنخ أمون 170 سم وكان الطول العرضي لجمجمته أكبر من الطول الطبيعي مما حدا بالبعض إلى القول بأنه ربما كان مصابا بمرض متلازمة مارفان كسبب للموت المبكر وهذه الحالة وراثية تنقل عن طريق مورثات جسمية مهيمنة.

كان التقرير النهائي لفريق علماء الآثار المصري أن سبب الوفاة هو تسمم الدم نتيجة الكسر في عظم الفخذ الذي تعرض له توت عنخ أمون والذي أدى إلى الغانغرين الذي هو عبارة موت الخلايا والأنسجة وتحللها نتيجة إفراز إنزيمات من العضلات الميتة بسبب عدم وصول الأكسجين إليها عن طريق الدم.



توماس إدوارد لورنس

(1888 - 1935م)

ولد لأم من اسكتلندا وأب من إنجلترا. انفصل والده عن زوجته الارستقراطية المتسلطة الليدي تشابهان بعد أن وقع في حب خادمته سارة (والدة توماس لورنس). اتصل ادوارد مع سارة وعاشا معا دون زواج وأنجبا خمسة أبناء هم على الترتيب بوب وتوماس (لورنس العرب) وويل وفرانك وأرنولد. توفي ادوارد لورنس سنة 1919.

انتقلت الأسرة إلى عدة مناطق إلى أن استقرت في فرنسا في مقاطعة بريتياني. تلقى توماس لورنس التعليم على يد مربيته الانجليزية حتى ألحقه والده بمدرسة سانت ماري في عامه السادس. ثم عادت الأسرة إلى إنجلترا في عامه الثامن وعاشت في مقاطعة أكسفورد أكثر المناطق رقيا وأفضلها في البناء. عاش لورنس طفولة تتسم بالرفاهية والنعومة. ألحقه والده بمدرسة أكسفورد الثانوية ليلتحق بجامعة أكسفورد بعد ذلك. كان لورنس لا يحب الرياضة المنظمة فيقول في مذكراته «لم أكن اهتم بالألعاب المنظمة لأنها منظمة ولأن لها قواعد وأحكاما ونتائج فأنا بطبعي لا أنافس أحدا من الناس في أي شيء على وجه الإطلاق».

أرادت أسرة لورنس أن تعيش في جو ملتزم بالتقاليد المسيحية رغم ما بها من علاقة غير شرعية بين الأب والأم. ومع ذلك فقد تعودوا على التردد على الكنيسة باستمرار. ظهر اهتمام لورنس وولعه بدراسة علوم الآثار والتاريخ. ولما لاحظ فيه أبوه ذلك اصطحبه معه في زيارته لباريس لمشاهدة الحفريات والآثار المذهلة.

التحق لورنس بجامعة أكسفورد سنة 1908 ووطد علاقته بأساتذته المشهورين من أمثال رجينالد لان بول أعجب لورنس بشخصية نابليون بونابرت الذي كان معروفا بقصر قامته مثل لورنس فقد كان قصير القامة، فاهتم بدراسة الهندسة والإستراتيجية العسكرية وبحث التاريخ العسكري.

وفي نهاية عام 1908 قام لورنس بعمل أثار إعجاب كل من حوله فقد طلبت الكلية بحثا ميدانيا حول التاريخ العسكري. فسافر لورنس إلى فرنسا على متن دراجته الهوائية قاطعا مسافة 2400 ميل لتحصيل هذا البحث. كان يتناول في الرحلة الحليب والثمار الطازجة ولا يهتم إلا ببحثه. وعندما رأى والده هذا النبوغ أعد له غرفة في حديقة منزله بعيده عن صخب المنزل ليعيش فيها بمفرده ويتفرغ لنجاحه.

اقترح لورنس على أستاذه العالم الأثري المعروف (هو غارت) أن يقوم بزيارة لمنطقة الشرق لأنها مشهورة بحضاراتها وحفرياتها. قام لورنس بالإعداد لرحلته بتعلم بعض قواعد اللغة العربية التي تساعده على التواصل مع الآخرين. تقدم لورنس لمدير الكلية اليسوعية بجامعة أكسفورد بطلب للاتصال بالسلطات التركية بهدف تزويده بكتاب تاريخي وأثري يسهل مهمته.

سافر لورنس على سفينة منغولية متجهة إلى الشرق في 18 يونيو 1909. رست السفينة على شواطئ بيروت لتبدأ رحلته الاستكشافية. اعتمد في تنقلاته على التحرك على قدميه لمسافات أميال طويلة. وصلت سفرياته على الأقدام إلى 13 ساعة في بعضها مما أثار عجب المحيطين به من أهل المناطق. ورغم انه كان يصطحب معه مرشدا سياحيا لحمايته وإرشاده إلا أن ذلك لم يمنعه من مواجهة مخاطر كادت أن تودي بحياته إما من الحيوانات المفترسة أو من السرقة والسطو.

توجه في زيارته إلى صيدا والنبطية ثم إلى قلعة بيوفورت وواصل رحلته حتى وصل إلى وادي الأردن ثم البحر الميت. كان يقضي نهاره مسافرا وبالليل كان يطرق أبواب أهل المناطق الذين يعتبرونه غريبا يجب إكرامه وضيافته.

وصل في رحلته إلى طرابلس واستقر في المدرسة التبشيرية الأمريكية. وقد أعجب بعمل هذه المدرسة التي نجحت في تنصير غالبية المسلمين فكان يقول عنها «إن هذه المدرسة تقوم بعمل رائع للغاية في شتى مدن وقرى فلسطين». ووصل إلى قلعة الحصن في سوريا في 16 أغسطس. وقضى فيها ثلاثة أيام يتفحصها بدقة.

كان في رحلته الكثير من العناء والمخاطر مما أصابه بالإحباط وضعف إمكانياته، فقرر العودة إلى بلاده لضرورة التقدم بأوراق دراسته ومهمته لاعتماده طالبا مجتهدا.

في طريق عودته إلى إنجلترا رست السفينة في ميناء نابولي الايطالي فقام بجولة سريعة للتعرف على عادات وتقاليد أهلها. وقد اشترى تمثالا برونزيا معروض للبيع نظير ثماني فرنكات وأهداه إلى جامعة أكسفورد. وحصل على بكالوريوس العلوم من أكسفورد في 28 يوليو 1910.

توجه لورنس إلى بيروت مرة أخرى في 10 ديسمبر 1910. وفي هذه الأثناء كان لورنس يتحدث اللغة العربية بطلاقه. اتجه إلى طرابلس لفحص آثارها. وقد شاهد خلال الرحلة القلاع الصليبية المتناثرة في أماكن عديدة. وقد ألف فيها بعد كتابه الذي أسماه «القلاع الصليبية».

أصيب لورنس بمرض الدوسنتاريا. وقد اعتنى به في هذا المرض الشيخ حمودي مساعده في أعمال الحفر والبحث والفتى دوحان الذي استضافه في مرضه في بيته.

عاد لورنس إلى إنجلترا في 12 أغسطس بغرض أن يعوض ما فقده من صحته خلال فترة مرضه.

في أغسطس عام 1911 عاد لورنس إلى طرابلس. نصحه البعض بزيارة مصر لمطالعة الآثار الفرعونية. توجه لورنس إلى الإسكندرية ثم القاهرة ومنها إلى قرية كفر عمار. لم يعجب لورنس بعمل التنقيب في المقابر وكان يستاء من منظر المنقبين وهم يقطعون المومياءات ومن الروائح الكريهة المنبعثة منها مما جعله يمقت مصر ويقفل عائدا إلى طرابلس.

قام ببناء ثكنة خاصة بعلماء بحث الآثار في منطقة بيريدجيك. وفي هذه الأوقات كان يتحدث اللغة العربية مثل أهل المناطق العربية بطلاقة تامة.

في هذه الأثناء كان الألمان يسعون لبناء خط حديدي ضخم بين بغداد وبرلين. شعر بضخامة هذا الخطر على المصالح البريطانية. فتوجه إلى القاهرة لمقابلة اللورد كتشنر وتوضيح الأمر له. فوجئ بأن اللورد على علم بالخبر وأخبره أنه راسل السلطات البريطانية كثيرا بهذا الشأن إلا أنه لم يلق الرد المناسب. وأخبره بأنه يتوقع قيام حرب في غضون عامين وهو ما حدث في الحرب العالمية الأولى.

قامت الحرب العالمية الأولى وأعلنت الدولة العثمانية الحرب على إنجلترا. في هذه الأثناء كانت الدولة العثمانية تعاني من كراهية العرب لحكمها نتيجة التفرقة بين الأتـراك

والعرب والظلم والقهر الذي مارسه الأتراك في هذا الشأن. سعت إنجلترا في الاستفادة من إمكانياتها في المنطقة لتحقيق نصر في الحرب. فقام السير «جليبرت كلايتون» باستدعاء لورنس بعد أن ذاع صيته كعالم آثار إلى مكتبه بمقر القيادة العليا للجيوش البريطانية في القاهرة. أمر كلايتون بتعيين لورنس في قسم الخرائط. وكانت هذه هي الفرصة الوحيدة للتثبت من صحة الخرائط بالواقع. وقد ظهرت عبقرية لورنس في هذا المجال كما امتدت آراؤه للخطط العسكرية في هذا الشأن. فقام كلايتون بنقله إلى قسم المخابرات السرية. وكان لورنس يحفظ المواقع التركية عن ظهر قلب مما ساعد الانجليز كثيرا.

استغل لورنس علاقاته بالعرب لإيهامهم أنه يريد مساعدتهم لمواجهة الغطرسة التركية وقد ساعدته معرفته باللغة العربية لإضافة مصداقية له في هذا الشأن.

انتقل لورنس إلى الجزيرة العربية ليقف على حقيقة الثورة العربية المشتعلة ضد الأتراك بقيادة الشريف حسين، وقد تقابل لورنس مع الأمير عبد الله الابن الثاني للشريف حسين. كان لورنس يبحث عن شخصية الزعيم والقائد للثورة التي يمكن أن تساندها إنجلترا.

طلب لورنس من الأمير عبد الله أن يأذن له بالتجول في البلاد ليقف على حقيقة الوضع ويرفع به تقريرا للقيادة العامة في القاهرة. وبعد موافقة الشريف حسين على الهاتف، أرسل الأمير عبد الله خطابا لشقيقة الأمير «علي» ليرافق لورنس ويضمن سلامته. واستخدم لورنس الزي العربي للتنقل في الجزيرة وتحدث العربية على أنه عربي من حلب. ثم التقى بعد ذلك بالأمير فيصل النجل الأكبر للشريف حسين. وقد وجد لورنس في شخصية فيصل ما كان يبحث عنه.

تباحث لورنس مع فيصل في وضع الثورة ونجاحاتها وإخفاقاتها وتبين له أن الهجوم الأول للثوار على المدينة المنورة قد فشل نتيجة استخدام الأتراك للأسلحة الحديثة وخصوصا المدافع التي أثارت الرعب في نفوس العرب لجهلهم بها أو كيفية استخدامها.

قام لورنس بتفقد قوات الشريف المتمركزة في منطقة (الخيف) وقد اختبر كفاءة هذه القوات حتى يستطيع إخبار القيادة العامة في القاهرة.

قفل لورنس عائدا إلى القاهرة ولكنه في ميناء جده تقابل مع سفينة الأميرال «ويمس» المتجهة للسودان للقاء مستر «ريجالد وينت». ولمعرفة لورنس باهتمام ريجالد

بالثورة العربية فقد اتجه مع ويمس إلى الخرطوم حيث قابل ريجالد وأطلعه على نتائج زيارته للجزيرة العربية ثم اتجه إلى القاهرة.

في هذه الأثناء كان رئيس البعثة العسكرية الفرنسية في جدة «بريموند» يرى ضرورة تدخل القوات البريطانية مع الفرنسية مباشرة في الحجاز وهو ما عارضه لورنس بشده حيث كان رأيه أن تدخل القوات الأجنبية مباشرة سيفقد الثورة تأثيرها ويثير الروح العقائدية ويمنع كثيرا من مؤيدي الثورة من محاربة الأتراك المسلمين. وقد أكد لورنس للقيادة العامة أن القوات العربية تستطيع مجابهة الأتراك والصمود لفترات طويلة إذا تم تزويدهم بالأسلحة والخطط الفنية التي وعدهم بها لورنس. وقد اقتنعت القيادة البريطانية العامة في القاهرة برأي لورنس مما أشعل الضغينة بينه وبين بريموند.

قررت القيادة البريطانية إعادة إرسال لورنس إلى الجزيرة العربية ليكون بجانب الأمير فيصل ويعمل كمستشاره الذي يتحمل مسؤولية اتخاذ القرارات.

عاد لورنس في 3 نوفمبر إلى ميناء ينبع ليجد الأمير فيصل وقد لحقت به هزيمة قاسية على أيدي القوات التركية أثناء محاولة الأمير فرض حصار على المدينة المنورة. ولكن سلاح الطيران التركي استطاع فك هذا الحصار.

رست السفن البريطانية المحملة بالأسلحة الحديثة لمساندة الأمير فيصل كما أراد لورنس. وعمل لورنس على تجاوز آثار الهزيمة وتدريب قوات الأمير بسرعة على استخدام الأسلحة الحديثة.

وفي هذه الأثناء حاولت القوات التركية استغلال الانتصار الساحق على قوات الأمير فاتجهوا لملاحقته في معسكره. انطلقت صفارات الإنذار في ينبع تحذر من اقتراب القوات التركية على بعد ثلاثة أميال. اجتمع الأمير فيصل مع لورنس في خيمته وخرج منها ليعطي أوامره للجنود بوضع الاستعداد ورفع الأيدي على الأسلحة والسكون والهدوء التام. وفجأة انقطعت الحياة تماما في معسكر الأمير فيصل. هذا السكون أثار خوف القوات التركية التي اعتادت على تتبع العرب عن طريق ضوضاء طبولهم وأناشيدهم الحماسية. فقرر قادة الأتراك إيثار السلامة والانسحاب. كان لهذا الانسحاب عظيم الأثر في نفوس قوات الأمير التي كانت تظن أن القوات التركية لا تهزم.

عاشت القوات التركية بعد هذا الانسحاب حالة من الخوف واليأس خصوصا بعد أن داهمتهم الأمراض والأوبئة وأوشكت المؤن على النفاد. وعلم لورنس بذلك من خلال جواسيس الأمير فيصل فقرر اغتنام الفرصة.

منذ عودة لورنس إلى الجزيرة العربية والصراع قائم بينه وبين بريموند المقتنع بضرورة التدخل الإنجليزي الفرنسي المباشر في الصراع. كان الكولونيل ويلسون القائد الإنجليزي يميل إلى رأي لورنس على حساب رأي بريموند. بيد أن القيادة العامة في القاهرة بدأت تقتنع برأي بريموند لذلك أعدت قوة بريطانية فرنسية مستعدة للتدخل في الحجاز وأرسلت خبراء لتقييم الوضع والتمهيد لهذه القوة.

قرر لورنس تجاهل هذا الأمر والإسراع في استغلال الوضع السيئ للقوات التركية مما زاد من حقد وكراهية بريموند.

أعد ويلسون خطة لتغيير الوضع في الجزيرة. فخطط بأن تقوم قوات الأمير عبد الله بحصار المدينة المنورة بينما تقوم قوات الأمير زيد - الابن الأصغر للشريف حسين- بالزحف على مواقع البحر الأحمر. ويقوم الأمير فيصل باحتلال ميناء (الوجه). فضلا عن ست مدمرات بريطانية تقوم بعملية إنزال ضخمة لخمسمائة جندي عربي وعدد من الجنود البحرية البريطانية بقيادة (بوبل).

في 28 يناير تحركت قوات الأمير فيصل وقد رافقه لورنس. كان أحد القادة البريطانيين ويدعى «فيكري» يرافق الأمير فيصل. كان «فيكري» يتحدث العربية بطلاقة بكافة لهجاتها بينما لورنس يتحدثها بلهجة أهل حلب فقط. كان «فيكري» يرى في لورنس مجرد طالب آثار لا علاقة له بالعسكرية. كل هذا أثار لورنس الذي خاف على مكانته عند الأمير وتهديدها من «فيكري». عمد لورنس إلى أقذر الأساليب لتعجيز «فيكري» فكان يتندر به ويتهكم عليه ويسخر منه أمام قوات الأمير مما دفع «فيكري» إلى ترك قوات الأمير متجها إلى معسكر بوبل على أن يتزامن هجوم بوبل مع هجوم الأمير على الميناء.

وحين وصلت قوات فيصل وجدت الضابط «فيكري» والقائد «بوبل» قد انهيا المعركة وانتصرا على الأتراك دون انتظار الأمير فيصل الذي قطع مسافة طويلة ورحلة مضنية مما أثار حنق لورنس والأمير فيصل.

بعد الانتصار ألقى «فيكري» خطابا مطولا عن الانتصار. وبعد أن فرغ منه فوجئ بلورنس وهو ينتقده ويتهمه بإغفال العرب الذين قاتلوا في المعركة وماتوا فيها وبأنه قد ارتكب خطأ عظيما أهدر به الكثير من المال والأرواح التي كان يمكن إنقاذها لو أنه انتظر مجيء قوات الأمير وتنفيذ الهجوم المتزامن.

في هذه الأثناء كانت قوات الشريف حسين تسيطر على مكة المكرمة والطائف وينبع ورابغ والوجه في حين أن القوات التركية تسيطر على المدينة المنورة. لذلك كان الوضع في الجزيرة العربية صعبا جدا بالنسبة للأتراك مما أثار شهية القوات البريطانية التي قررت زيادة دعمها للقوات العربية.

ومن هنا بدأ لورنس خطة جديدة لاستقطاب شيوخ وزعماء القبائل والعشائر العربية وضمها في صفوف الثورة. فذهب إلى زعماء القبائل بصفته مبعوث الأمير فيصل وتحت حراسته يتفاوض معهم حتى استطاع إقناعهم بوقف الحروب فيما بينهم والانضمام للثورة.

وكان من هؤلاء الذين أعلنوا تأييدهم للثورة «جعفر باشا» والزعيم المعروف «نواف الشعلان» والزعيم «عودة أبو تايه». بعد ذلك عرض لورنس على الأمير فيصل ضرورة احتلال العقبة لإنهاء وجود الأتراك في هذا الميناء الحيوي.

بعد أن اجتمع رجال القبائل تحت إمرة الأمير فيصل تحركت قواته صوب العقبة. وقد رافق لورنس هذه القوات في رحلتها الطويلة في الصحراء القاحلة حيث تعرضت لأخطار كثيرة أبرزها قلة المؤن والعطش الشديد ومواجهات متفرقة مع الأتراك. واستمرت رحلة هذه القوات ثمانية أسابيع قضاها لورنس إما راكبا أو ماشيا حتى وصلت إلى العقبة. وفور وصولها قرر لورنس الذهاب سريعا إلى السويس للمطالبة بدعم القوات البريطانية بالمؤن والطعام.

ترك لورنس القوات العربية عند العقبة تحت قيادة الزعيم «عودة أبو تايه». ثم اتجه صوب السويس ومنها إلى القاهرة. وقد وعده الانجليز بإرسال مؤن عاجله إلى القوات في العقبة.

فوجئ لورنس لدى وصوله إلى السويس بأن الجنرال اللنبي قد تم تعيينه قائدا عاما خلفا للقائد «موري» الذي أقيل وعاد إلى لندن.

تقابل لورنس مع اللنبي في القاهرة وقد فوجئ الأخير بمنظره حيث كان يرتدي ملابس عربية بدوية وقدماه حافيتان.

استفاض لورنس في شرح الموقف للجنرال اللنبي حتى استطاع كسر جمود تفكيره وحرصه الشديد الذي اشتهر بهما وأثار حماسته لمساندة القوات العربية. وكان لورنس في هذه الأثناء يضع احتلال دمشق نصب عينيه ورأى أنها المحطة القادمة بعد العقبة.

عرض لورنس على الجنرال اللنبي فكرة سلخ جيش الأمير فيصل عن جيش الشريف حسين ونقل الأمير فيصل والقاعدة الإنجليزية من ميناء وجه إلى ميناء العقبة حتى تكون هذه القاعدة هي الجناح الأيمن لجيش اللنبي. وقد تطلع لورنس في هذه الأثناء لدور أكبر في فلسطين داعما فكرة الوكالة الصهيونية العالمية في أطماعها. وقد وافق اللنبي على هذا الاقتراح ولكن بقيت مهمة إقناع الشريف حسين بهذا الأمر.

اتجه لورنس مع الجنرال ويلسون لمقابلة الشريف حسين في جده. وقد توقع لورنس أن يثور الشريف حسين إلا أنه فوجئ به يوافق في هدوء. وقد أدرك لورنس أن السبب في ذلك هو تفاهم الجنرال ويلسون مع الشريف حسين.

في هذه الأثناء كان الوضع في العقبة قد استتب بعد نجاح «عودة أبو تايه» في احتلالها.

بعد احتلال العقبة سعت القوات التركية بشتى الطرق محاولة استعادة هذا الميناء المهم. فدفعت بتعزيزاتها صوب العقبة وجرت مواجهات عنيفة انتهت بسحق القوات التركية وانتصار الثوار خصوصا بعد أن نجح لورنس في استجلاب دعم الطيران الإنجليزي من الجنرال اللنبي ووصول الطائرات البريطانية إلى العقبة. وكانت أشد هذه المواجهات في منطقة أبو لسان.

بعد ذلك اعتمد لورنس على حرب العصابات. فقام بتنفيذ الكثير من عمليات زرع الألغام على خطوط السكك الحديد التركية وجنى من هذه العمليات انتصارات كبيرة ساعدته على تثبيت اسمه.

اتجه لورنس بعد ذلك للقاء الجنرال اللنبي وقد توقع من الأخير أن يغدق عليه من الأوسمة والنياشين. بيد أن اللنبي كان يرى ضرورة صرف الانتباه من مجرد حرب على

السكك الحديدية لحرب مباشرة لتنفيذ أطماع بريطانيا في فلسطين. فتكلم مع لورنس بغطرسة أثارت حنقه. تحدث اللنبي مع لورنس عن ضرورة إشعال الثورة العربية بالشكل الذي يسمح بتأليب الشعوب لتجني بريطانيا ثمار هذه الثورة بأقل تكاليف.

نجح اللنبي في صرف انتباه الأتراك نحو غزة حيث أوهمهم بأنه عازم على احتلال غزة مما دفع الأتراك إلى التأهب والاستعداد في حين أنه نفذ هجوما قاسيا على أضعف المناطق التركية مما أسهم في تحقيق انتصارات سهلة أمام المشاة الانجليز.

اتجه لورنس بنفسه إلى درعا للاستيلاء عليها قبل أن يجني اللنبي هذه الثمرة بعد كل هذا التمهيد من جانب لورنس والأمير فيصل. ولأنه اتجه وحيدا فقد وقع في أيدي الأتراك الذين لم يعرفوا شخصيته. أوهمهم لورنس بأنه شركسي ولكنهم أصروا على أن يمثل بين يدي «ناهي بك» الحاكم التركي. وقد نجح لورنس في أن يتحرر من قبضة الأتراك وعاد كما كان ولكنه كان محملا بخيبة أمل الهزيمة التي تعرض لها في درعا وكان يخشى من مواجهة اللنبي المتغطرس المنتصر.

وبعد عودته علم أن اللنبي نجح في احتلال القدس وانه يريد مقابلته في اليوم التالي. تقابل لورنس مع اللنبي وقد لاحظ الأخير مدى تأثر لورنس بالهزيمة التي تعرض لها. فوعده - اللنبي - بأن يضع خطة عسكرية لإشعال فتيل الثورة العربية مما أطرب لورنس.

وقد قام لورنس بتنفيذ هذه الخطة فقامت القوات العربية بمهاجمة «الطفيلة» وبعد شد وجذب مع القوات التركية وتبادل النصر والهزيمة نجحت القوات العربية في احتلال «الطفيلة» في عام 1918. وعاد الأمل للورنس مرة أخرى بعد أن نجح في قطع خطوط مواصلات الجيش التركي عبر البحر الميت.

اتجه لورنس إلى مقر القائد العام اللنبي في القدس حيث اتفقا على ضرورة زيادة دعم الأمير فيصل باعتباره القائد القادم للثورة. مما دفع اللنبي إلى التعهد بتحمل كافة نفقاته وأرسل إليه مع لورنس مبلغ ثلاثمائة ألف جنيه وجمالا محملة بالمؤن.

في هذه الأثناء لمع نجم «نوري السعيد» كنائب وقائد في صفوف قوات الأمير فيصل. وقد عينه فيصل بعد ذلك رئيسا للحكومة في العراق.

اتفق لورنس مع الأمير فيصل على تنفيذ الخطة المعدة مسبقا بين لورنس واللنبي. تقوم الخطة على تنفيذ هجوم من بلدة أريحا في الخامس من مايو 1918 واحتلال مدينة

السلط وبلدة معان وتدمير خط السكك الحديد جنوب عمان. وقد أعد لورنس مع «نوري السعيد» القوات المتأهبة للحرب.

احتلت القوات البريطانية مدينة السلط لكن الجيش التركي بقيادة القائد التركي العنيد «جمال باشا» استطاع استعادة مدينة عمان والسلط ثم كثرت الأقاويل عن قرب سقوط القدس المقر العام للنبي. ولكي يتأكد لورنس من هذا الوضع فقد تخفى في زي نساء البدو وتسلل إلى عمان ولاحظ الهرج في شوارع المدينة بعد أن عاث الأتراك فسادا في شوارع عمان لمحاكمة الخونة والعملاء.

سقطت مدينة السلط مرة أخرى في يد الانجليز ثم استعادها الأتراك. ومن أجل ذلك التقى اللنبي مع لورنس حيث طالب الأخير بضرورة حسم الحرب بتدخل القوات الجوية بقيادة الجنرال «سالموند». وطلب لورنس من اللنبي إمداده بالهجانة، وقد أذعن اللنبي لهذه الطلبات.

عاد لورنس مع فرقه الهجانة ووعود بتدخل القوات الجوية البريطانية إلى الأمير فيصل وقد أصبح الطريق ممهدا إلى دمشق.

فكر لورنس في العودة إلى بلاده بعد احتلال دمشق وصرح بذلك للأمير فيصل الذي أصر على ضرورة استمرار لورنس معه. كانت رؤية لورنس هي أن الهدف الأساسي أمامه طرد الأتراك من الجزيرة العربية وهيمنة القوات البريطانية والتمهيد لمشروع الدولة اليهودية الذي صاغه تيودور هرتزل ووعد به آرثر جيمس بلفور وزير خارجية إنجلترا في سنة 1917 فيما يعرف بوعد بلفور.

طلب لورنس من الأمير فيصل أن يطلب من والده إمداده بفرقه عسكرية. وقسم لورنس الجيش إلى ثلاثة أقسام: 1- قسم يدافع عن معان، 2- قسم يهاجم قطاع درعا ودمشق، 3- قسم يتجه للنبي الذي سوف يدخل دمشق بعد انسحاب الأتراك من فلسطين.

اتجه لورنس إلى الشريف حسين لإقناعه بالأمر. إلا أنه فوجئ بالشريف حسين يتنصل من مقابلته متعللا باعتكافه في مكة مما يصعب على لورنس الوصول إليه لأنه غير مسلم وبالتالي فهو ممنوع من دخول مكة. كان الشريف حسين يرى أن ابنه الأمير فيصل لا ينصاع لأوامره كأخوته علي وعبد الله وزيد. وأنه ارتمى في أحضان الانجليز وأنه ينفذ

أوامرهم فحسب. ومن أجل ذلك أصدر قراره بتعيين «جعفر باشا» قائدا للجيش العربي واتبعه بعد ذلك بقرار بعزل الأمير فيصل من كافة صلاحياته. وتواردت الرسائل بين الشريف حسين ولورنس واللنبي حتى نجح لورنس في إقناع الشريف بالعدول عن قرار عزل الأمير فيصل حتى لا تفشل الثورة.

احتشد الجيش العربي تحت قيادة الأمير فيصل مدعوما بالانجليز. وقد قام لورنس بإذهال الأتراك عندما نسف الجسر الواصل بين درعا ودمشق مما عزل درعا تماما استعدادا للهجوم الكبير بقيادة اللنبي.

انطلق لورنس على رأس قوات «نوري السعيد» لنسف جسر اليرموك ومحطة البنزين.

في صباح 19 سبتمبر 1918 بدأ هجوم اللنبي الكبير. توغلت القوات البريطانية داخل مدينتي حيفا ونابلس وقامت بتدمير الفرق السابعة والثامنة للجيش التركي.

وفي «أم الطايع» ضغط شيوخ القبائل العربية بضرورة استغلال الوضع وتنفيذ هجوم على دمشق الأمر الذي رفضه لورنس لعدم وجود غطاء جوي. وأمام هذا الضغط طار لورنس إلى الجنرال اللنبي للتباحث معه.

وضع لورنس خطة تشتمل على شن ثلاث هجمات عنيفة على الأتراك: 1. هجوم على مدينة عمان عبر فرقة الجنرال «شايتور» 2. هجوم الفرقة الهندية بقيادة الجنرال «بارو» في منطقة درعا 3. هجوم الفرقة الأسترالية بقيادة الجنرال «شوفيل» على مدينة دمشق. واختتم لورنس خطته بضرورة توفير غطاء جوي.

وبدأت المعارك وقد شهدت هذه الحرب الكثير من المذابح من الطرفين، اتجه الزحف على كافة الأصعدة حتى وصل إلى دمشق. كانت هناك مخاوف لدى اللنبي من غضبة الجماهير السورية الرافضة لأي وجود إنجليزي والخلفية العقائدية لمساندة الحكم الإسلامي. وقد بحث لورنس مع الأمير فيصل كيفية إقناع السوريين بتأييد الانجليز في مواجهة الأتراك.

كانت لجنة الأمير فيصل التي يترأسها «علي رضا» و «شكري باشا الأيوبي» في دمشق تستعد لإدارة شؤون المدينة حال انهيار الحكم التركي تفاديا لفراغ سياسي قد يؤدي إلى نتائج غير مرغوبة من الأمير فيصل.

قرر لورنس والشريف ناصر - أحد حلفاء الأمير فيصل - إرسال أحد رجال الشريف ناصر لفتح قناة اتصال بين لورنس واللجنة. فوجئ مبعوث الشريف ناصر بأن «علي رضا» قد أرسل من قبل الأتراك لقيادة الجيش التركي المنسحب من منطقة الجليل هربا من مواجهة الفرقة الأسترالية بقيادة «شوفيل» وأن «شكري باشا الأيوبي» قد تلقى دعما هائلا من الأخوين الجزائريين «عبد القادر» و «محمد سعيد» لتشكيل حكومة وطنية ورفع الأعلام أمام الجيش التركي والألماني المنسحب. كان لورنس يكره الأخويين الجزائريين بشده حيث وصفهم بضيق نظرتهم وتعصبهم الديني وبأنهم كانوا يساعدون الأتراك عندما كانت الغلبة لهم.

دخل لورنس مع الشريف ناصر إلى دمشق مع ظهور أول الصباح. وكان الشريف ناصر يتلهف لدخول المدينة في المساء إلا أن لورنس حذره من ذلك لخطورة الظلام وأقنعه بأن ذلك ليس من مكانة الشريف ناصر بل عليه دخول دمشق في وضح النهار. واتجه الشريف ناصر صوب سراي الحكومة وسط تأييد شعبي.

علم لورنس أن الجنرال «شوفيل» قد وصل إلى جنوب دمشق فأسرع إليه يطلب منه أن يبقى يومين خارج المدينة لتهيئة الأوضاع ومنعا لإثارة الجماهير.

أصدر لورنس قراره بتعيين «شكري باشا الأيوبي» حاكما عسكريا و «نوري السعيد» قائدا للقوات المسلحة ساعيا بشتى الطرق لتهميش دور الأخويين الجزائريين. مما دفع الأخوين لمحاولة اغتيال لورنس لولا تدخل الشيخ «نوري شعلان» - أحد حلفاء الأمير فيصل - وعودة أبو تايه وإعلانهم أن لورنس تحت حمايتهم.

حاول الأخوان إثارة القلاقل عن طريق تنظيم ثورة جماهيرية كبيرة بعد إثارة الجماهير وإقناعها بأن الحكومة الجديدة عميلة للأجانب وأن الهدف منها إنهاء الخلافة الإسلامية. سارع لورنس إلى «نوري السعيد» الذي قام بنشر الفرق العسكرية في المناطق الإستراتيجية في المدينة والقبض على كل من يتظاهر ضد الحاكم العسكري «شكري باشا الأيوبي».

وبعد استتباب الأمن وفي صباح اليوم التالي وصل الجنرال اللنبي إلى دمشق بمرافقة الجنرال كلايتون والجنرال كونواليس وقد أظهروا جميعا امتنانهم للورنس.

تبع ذلك وصول الأمير فيصل إلى دمشق وقد حرص لورنس على استقباله لدى وصوله على متن القطار.

وهنا طلب لورنس من الجنرال اللنبي بالسماح له بالعودة إلى إنجلترا بعد انتهاء مهمته وتحقيق أهدافه. وأمام إصرار لورنس سمح له اللنبي بالعودة.

عاد لورنس إلى إنجلترا. وفي عام 1920 بدأ في كتابة كتابه الشهير «أعمدة الحكمة السبعة» حتى أنهاه في عام 1925.

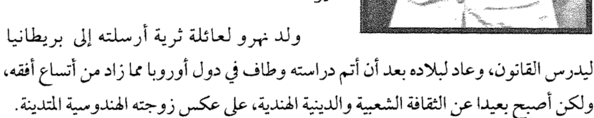
ألتحق لورنس بعد ذلك تحت اسم مستعار بسلاح الجو الملكي. والواقع أنه عانى كثيرا من الضغط العصبي جراء الحياة الصعبة التيّ عاشها وخصوصا بعد أن أصبح مطلوبا من العرب المعارضين لثورة الشريف حسين. وفي عام 1934 تلقى إنذارا بقرب إعفائه من سلاح الجو الملكي مما أصابه بانهيار عصبي.

قضى لورنس بقية حياته في كوخ في شمال «بوفينجتون». وفي عام 1935 توفي عن ستة وأربعين عاما بعد سقوطه من دراجته النارية التي كان يقودها بسرعة كبيرة في محيط مدينة أكسفورد وهو عائد إلى البيت من مكتب البريد بحادث قيل إنه كان مفتعلا.

دفن في مقبرة (موريتون) بعد تشييعه في جنازة مهيبة حضرتها شخصيات سياسية وعسكرية مهمة ورموز للمجتمع البريطاني الأرستقراطي مثل ونستون تشرشل، لورد لويد، ليدي آستور، الجنرال وفل، أغسطس جون وغيرهم، إضافة إلى حلقة من أصدقائه الذين يدعونه باسم تي.اي.شو. وقد تم تشييد تمثال نصفي له أمام كاتدرائية القديس بول في لندن.

جواهر لال نهرو

(1889-1964م)



ولد جواهر لال نهرو في 14 مايو 1889 وتوفي في 27 مايو 1964.

يعد نهرو أحد زعماء حركة الاستقلال في الهند، وأول رئيس وزراء للهند بعد الاستقلال، وشغل المنصب من 15 أغسطس 1947 لحين وفاته في 27 مايو 1964.

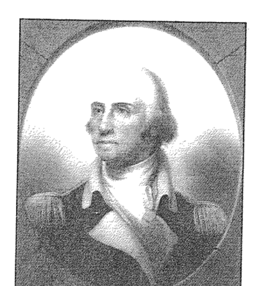
ولد نهرو لعائلة ثرية أرسلته إلى بريطانيا ليدرس القانون، وعاد لبلاده بعد أن أتم دراسته وطاف في دول أوروبا مما زاد من أتساع أفقه، ولكن أصبح بعيدا عن الثقافة الشعبية والدينية الهندية، على عكس زوجته الهندوسية المتدينة.

بعد عودته للهند لم يمل إلى العمل المهني واتجه إلى السياسة وأعجب بغاندي وتتلمذ على يديه سياسيا ودينيا، وأصبح مواظبا على أداء اليوجا وقراءة الكتب الهندوسية المقدسة، ونبذ الملابس الأوروبية وارتدى الملابس الهندية وأقنع والده وبقية عائلته بذلك رغم أن والده كان من المعارضين لغاندي ويرى أن استقلال بلاده يمكن أن يكون استقلالا جزئيا.

تميز بالاشتراكية والعدالة ولم يكن متعصبا للهندوسية، وأسهم في إدخال الكهرباء للكثير من مناطق الهند المحرومة. أدخل الطاقة النووية للهند وشجع الصناعة الثقيلة وكذلك الصناعات المنزلية حتى يطور الريف الهندي.

أسس مع عبد الناصر وسوكارنو وتيتو حركة عدم الانحياز.

أنجب ابنة واحدة هي أنديرا غاندي التي أصبحت بعد ذلك رئيسة للوزراء وابنها راجيف غاندي من زوجها فيروز غاندي الذي أصبح أيضا رئيس لوزراء الهند، واليوم زوجة راجيف غاندي الإيطالية الأصل سونيا غاندي هي زعيمة حزب المؤتمر الهندي وهي تعد ابنها من راجيف ليستكمل مسيرة عائلتهم السياسية.



جورج واشنطن

(1732-1799م)

أول رئيس للولايات المتحدة. كان خصماً للانفصاليين وقاد الثورة التحريرية التي انتهت بإعلان استقلال الولايات المتحدة عن بريطانيا في 4 يوليو 1776.

ولد لأسرة تمتهن الزراعة كغالبية الشعب الأمريكي في تلك الحقبة. وبعد انتهائه من تعليمه التحق عام 1754 بجيش القارة الذي قاد ثورة التحرير، ثم اختير عام 1775م قائداً لهذا الجيش ليخوض به حروبا عنيفة انتهت بعد ست سنوات. كما شارك فيما يعرف بالحرب الفرنسية الهندية. كان ناجحاً جداً في عمله كقائد أعلى في'الجيشِ القاريِ في الحرب الثورية الأمريكية من 1775 إلى 1783 ولاحقاً كان رئيس الولايات المتحدة الأمريكية. معظم الأقاويل و الكتب تقول إنه انتخب مرتين في 1789 وفي 1797.

يقول المؤرخون أنه عمل أولاً كضابط أثناء الحرب الفرنسية الهندية وثانياً كزعيم المقاومة الشعبية الاستعمارية التي تدعم الإمبراطورية البريطانية. بعد قيادة النصر الأمريكي في الحرب الثورية، رفض قيادة النظام العسكري (مع هذا دفعه البعض لعمل ذلك) عاد إلى الحياة المدنية في جبل فيرنون. في 1787 ترأس الاتفاقية الدستوريةَ التي صاغت الدستور الأمريكي الحالي، وفي 1789 اختارت الانتخابات واشنطون كأول رئيس للولايات المتحدة الأمريكية، لقد وضع واشنطون الكثير من السياساتِ والتقاليد الموجودة حتى الآن، بسبب دورِته المركزية في تأسيس الولايات المتحدة، مدينة واشنطن تطلق عليه في أغلب الأحيان اسم (أبّ البلاد). العلماء يصنفونه مع أبراهام لينكون بين أعظم الرؤساء الأمريكيين. اعتمد سياسة التحرش ببريطانيا وعدم خوض مواجهات كبيرة ومباشرة، كما استعان بفرنسا لطرد الإنجليز من كورنوليز في مدينة يورك.

استمر في جهوده الرامية إلى إقرار النظام الفدرالي بين الولايات الأمريكية حتى تكللت في النهاية بعقد مؤتمر دستوري في فيلادلفيا عام 1787. وبعد إقرار الدستور في

مؤتمر فيلادلفيا انتخبته الهيئة الانتخابية بالإجماع رئيساً للولايات المتحدة ليبدأ حكم دولة مقدر لها أن تكون أكبر قوة في العالم. أدى أول قسم دستوري في تاريخ الولايات المتحدة في شرفة مبنى مجلس الشيوخ يوم 30 أبريل 1789 ليحكم أميركا لفترتين متتاليتين من 1789-1797.

تميز باحترامه العميق لقرارات الكونغرس، إذ لم يسع لتجاوز صلاحيات الكونغرس الدستورية. وعمل على تحييد أمريكا وعدم إقحامها في الصراع الدائر بين بريطانيا وفرنسا، ورفض الأخذ بآراء العديد من وزرائه في التحيز لإحدى الدولتين. وقبل أن تنتهي السنة الثالثة من خروجه من الرئاسة أصيب بمرض توفي إلى إثره في 14 ديسمبر 1799.

أما أهم قراراته الرئاسية فهي: مرسوم القضاء لعام 1789. ومرسوم مقر الحكومة الأمريكية عام 1790 والذي ينص على تخصيص مقاطعة كولومبيا (القريبة من نهر بوتوماك) كمقر دائم للحكومة الأمريكية والتي سميت فيها بعد واشنطن دي سي لتصبح عاصمة الولايات المتحدة الأمريكية.

جوزيف ستالين

(1878 - 1953م)

جوزيف فيساريونوفيتش ستالين القائد الثاني للاتحاد السوفييتي. ويعتبر المؤسس الحقيقي للاتحاد السوفيتي عرف بحكمته وقوته، ففي فترة توليه السلطة، قام بقمع وتصفية خصومه السياسيين، بل وشمل القمع والتصفية كل من كانت تحوم حوله الشكوك. إلا أنه قام بنقل الاتحاد السوفييتي من مجتمع فلاحي إلى مجتمع صناعي مما مكن الاتحاد السوفييتي من الانتصار على دول المحور في الحرب العالمية الثانية والصعود إلى مرتبة القوة العظمى.

وُلد ستالين في مدينة «جوري» في جمهورية جورجيا لإسكافي يدعى «بيسو»، وأم فلاحة تدعى «إيكاترينا». وكان «بيسو» يعاقر الخمر ويضرب ستالين بقسوة في طفولته، علماً أن الضرب القاسي في تلك الفترة للأولاد كان شائعاً «لتعليم الأولاد». ترك «بيسو» عائلته ورحل وأصبحت أم ستالين بلا معيل. وعندما بلغ ستالين 11 عاماً أرسلته أمه إلى المدرسة الروسية للمسيحية الأرثوذوكسية ودرس فيها.

وتعود بداية مشاركة ستالين مع الحركة الاشتراكية إلى فترة المدرسة الأرثوذكسية والتي قامت بطرده من على مقاعد الدراسة في العام 1899 لعدم حضوره في الوقت المحدّد لتقديم الاختبارات. وبذلك خاب ظن أمه به التي كانت تتمنى دائما أن يكون كاهنا حتى بعد أن أصبح رئيساً، وطوال فترة حكمه كانت علاقته بأمه شبه منقطعة حتى أنه لم يحضر جنازتها وقيل إنه كان ينعتها بالعجوز الرخيصة.

بعد تركه للمدرسة الأرثوذكسية انتظم ستالين ولفترة 10 سنوات في العمل السياسي الخفي وتعرض للاعتقال، بل والإبعاد إلى مدينة سيبيريا بين الأعوام 1902 إلى 1917. اعتنق ستالين المذهب الفكري لـ «فلاديمير لينين»، وتأهّل لشغل منصب عضو في اللجنة المركزية للحزب البلشفي في عام 1912. وفي عام 1913 تسمّى باسم «ستالين» وتعني «الرجل الفولاذي».

تقول إحدى الحكايات إن فلاديمير لينين أطلق هذا اللقب على جوزيف لأنه قام بإلقاء قنبلة يدوية على القيصر أثناء عمل ستالين في القصر مع مجموعة من العمال الذين كانوا يقومون بعملية طلاء للقصر حيث قام ستالين بإلقاء القنبلة بين قدمي القيصر وتابع عمله كأن شيئاً لم يكن.

تقلّد ستالين منصب المفوّض السياسي للجيش الروسي في فترة الحرب الأهلية الروسية وفي فترة الحرب الروسية البولندية، وتقلّد أرفع المناصب في الحزب الشيوعي الحاكم والدوائر المتعددة التابعة للحزب. وفي العام 1922، تقلّد ستالين منصب الأمين العام للحزب الشيوعي وحرص على أن يتمتع منصب الأمين العام بأوسع أشكال النفوذ والسيطرة.

بعد ممات فلاديمير لينين في يناير 1924، تألّفت الحكومة من الثلاثي: ستالين، وكامينيف، وزينوفيف. وفي فترة الحكومة الثلاثية، نبذ ستالين فكرة الثورة العالمية الشيوعية لصالح الاشتراكية المحلية، مما ناقض بفعلته مبادئ «تروتسكي» المنادية بالشيوعية العالمية. تغلب ستالين على الثنائي كامينيف وزينوفيف بمساعدة التيار الأيمن للحزب المتجسد في بوخارن وريكوف حيث نجحوا في طرد تروتسكي، وزينوفيف وكامينيف من اللجنة المركزية في عام 1927 ثم من الحزب الشيوعي. وبعدها بشهور سعى ستالين الى إضعاف نفوذ بوخارن واستطاع إزاحته من القيادة حتى أصبح هو القائد الأوحد. وتم ذلك بين عام 1928-1929. إلا أن ستالين لم يبلغ السلطة المطلقة إلا بعد التصفيات الجسدية التي حدثت في الثلاثينات.

تزوج ستالين مرتين، الأولى ماتت بالسل عام 1907 أي قبل قيام الثورة بعشر سنوات ويقال انه لم يكن لديه المال الكافي لعلاجها بعد أن أنفق كل ما لديه على الحزب، وكان قد أنجب منها ياكوف الابن الأكبر الذي حاول الانتحار مرة ونجا ثم التحق بالجيش وتم أسره على يد القوات الألمانية أثناء الحرب العالمية الثانية ورفض ستالين أن يميزه في تبادل الأسرى وقتل أثناء محاولته للهرب. أما زوجته الثانية فهي (ناديا) التي تزوجها وهي ابنة سبعة عشر عاما، وكان ذلك عام 1917 هي شيوعية متحمسة وابنة أحد أصدقائه المقربين.. وكانت تدرس الهندسة، وأنجبت له طفلين.

استبدل ستالين الانتماء الديني للشعب الروسي بالانتماء الشيوعي، ورغم كونه درس بمدرسة كاثوليكية إلا انه أمر بحرق الايكونات المسيحية في البيوت وهدم الكنائس ودور العبادة.

بالرغم من المصاعب التي واجهها ستالين في تطبيق الخطة الخمسية للنهوض بالإتحاد السوفييتي، إلا أن الإنجازات الصناعية أخذت بالنمو بالرغم من قلة البنية التحتية الصناعية، ولقد تمكّن ستالين من توفير السيولة اللازمة لتمويل مشاريعه الطموحة عن طريق التضييق على المواطن السوفييتي في المواد الغذائية.

فرض ستالين على الاتحاد السوفييتي نظرية الزراعة التعاونية. وتقوم النظرية على استبدال الحقول الزراعية البدائية التي تعتمد على الناس والحيوانات في حرث وزراعة الأرض بحقول زراعية ذات تجهيزات حديثة كالجرّارات الميكانيكية وخلافه. وكانت الحقول الزراعية في الاتحاد السوفييتي في عهد ستالين من النوع الأول البدائي.

نظرياً، من المفترض أن يكون الرابح الأول من الزراعة التعاونية هو الفلاح، إذ وعدته الحكومة بمردود يساوي مقدار الجهد المبذول. أمّا بالنسبة للإقطاعيين، فكان هلاكهم على يد الزراعة التعاونية. فكان يفترض بالإقطاعيين بيع غلاتهم الزراعية إلى الحكومة بسعر تحدده الحكومة نفسها. كان من السهل جداً طرح أي نظرية من النظريات ولكن الزراعة التعاونية ناقضت نمطا من أنماط التجارة كان يمارس لقرون مضت. فلاقت الزراعة التعاونية معارضة شديدة من قبل الإقطاعيين والفلاحين ووصلت المعارضة إلى حد المواجهات العنيفة بين السلطة والفلاحين.

حاول ستالين ثني الفلاحين عن عنادهم باستخدام القوات الخاصة في إرغام الفلاحين على الدخول في برنامجه الزراعي التعاوني إلا أن الفلاحين فضّلوا نحر ماشيتهم على أن تؤخذ منهم عنوة لصالح البرنامج الزراعي التعاوني، مما سبب أزمة في عملية الإنتاج الغذائي ووفرة المواد الغذائية.

قام ستالين بتوجيه أصابع الاتهام إلى الفلاحين الذين يملكون حقولا زراعية ذات حجم متوسط ونعتهم «بالرأسماليين الطفيليين» وأنهم سبب شحّ الموارد الغذائية. وأمر ستالين بإطلاق النار على كل من يرفض الانضمام إلى برنامجه الزراعي أو النفي إلى مناطق بعيدة في الإتحاد السوفييتي.

لعل المحزن في عملية الشد والجذب بين الحكومة والفلاحين فيما يتعلق بالبرنامج الزراعي التعاوني هو نتيجته، فقد أجمع الكثير من المؤرّخين أن سبب المجاعة التي ألمّت بالإتحاد السوفييتي بين الأعوام 1932 و1933 هو نحر الفلاحين لماشيتهم والتي راح

ضحيّتها ما يقرب من 5 ملايين روسي في وقت كان فيه الإتحاد السوفييتي يصدّر ملايين الأطنان من الحبوب لشتّى أنحاء العالم.

كان هم حكومة ستالين التركيز على الجانب التغييري لمجتمع مليء بالخرافات الدينية لمختلف الطوائف والقوميات، فكان من الضروري تحويل المجتمع من زراعي إلى صناعي خدمة للنظرية الشيوعية واحد أهم أهدافها - يا عمال العالم اتحدوا ضد عدونا المشترك - هذه النظرية التي كانت تصطدم بمصالح الإقطاع والبرجوازية المتحالفة مع المشرعين الدينيين - رجال الدين - حيث كان من أهم انجازات الشيوعية التحليل العلمي للأحداث ومنح حقوق للعمال كتخفيض عدد الساعات ومنحهم الحوافز.. الخ، حيث أصبحت هذه التغييرات قدوة للعمال على مستوى العالم. بعد كل ذلك كان من المساوئ التركيز على المدن على حساب الريف مما أدى إلى تدهور اقتصادي في الريف.

إن صعوبة إدارة مجتمع متعدد القوميات والأديان ومساحة وعدد سكان هائلين وضعا جوزيف ستالين أمام خيارين: إما تنفيذ إرادته أو التنحي للآراء الأخرى المختلفة، وكان خياره هو الأول، حيث نفذه بقبضة حديدية كان لها بالغ الأثر على الاتحاد السوفيتي والحكام من بعده.

بوصول ستالين للسلطة في 1929، عمل على إبادة المتعاملين مع الأعداء من أعضاء اللجنة المركزية البلشفية وأعقبها بإبادة كل من يعتنق فكرا مغايرا لفكر ستالين أو من يشك ستالين بمعارضته للشيوعية والتطبيق الصارم للاشتراكية. تفاوتت الأحكام الصادرة لمعارضي فكر ستالين فتارة ينفي العملاء والخونة إلى معسكرات الأعمال الشاقة، وتارة يزجّ بالأعداء الداخليين في السجون، وأخرى يتم إعدامهم فيها بعد إجراء محاكمات عادلة، بل إنه لجأ حتى للاغتيالات السياسية. تم قتل الآلاف من الأعداء الطبقيين للعمال السوفييت وزج بآلاف آخرين في السجون لمجرد الشك في معارضتهم للاشتراكية أو السماع بتعاملهم مع ما سمي بالثورة البيضاء ومبادئها الأيديولوجية أو حتى الشك بتعاونهم مع قوى خارجية مناهضة للاشتراكية.

رتب ستالين لعقد المحاكمات العادلة في العاصمة موسكو لتكون قدوة لباقي المحاكم السوفييتية. فكانت المحاكم وحدها التي تعطي الحق لتنفيذ أحكام الإبعاد أو الإعدام بحق خصوم الاشتراكية وفق القانون! ولم يسلم «تروتسكي» رفيق درب ستالين

من سلسلة الاغتيالات الستالينية إذ طالته اليد الستالينية في منفاه في المكسيك عام 1940 بعد أن عاش في المنفى منذ عام 1936، ولم يتبق من الحزب البلشفي غير ستالين ووزير خارجيته «مولوتوف» بعد أن أباد جميع المتخاذلين والانتهازيين من أعضاء اللجنة الأصلية حتى انه لم يميز بين عضو كبير في الحزب وصغير، إذ كان همه بقاء الحزب نظيفا.

بعد الحرب العالمية الثانية بقليل، قام ستالين بترحيل مليون ونصف المليون سوفييتي إلى «سيبيريا» وجمهوريات آسيا الوسطى. وكان السبب الرسمي هو إمّا تعاونهم مع القوات النازية الغازية أو معاداتهم للمبادئ السوفييتية! ولكن السبب الحقيقي هو أن ستالين أراد أن يخلق توازنا عرقيا لكي يبتعد الشعب عن النزعات القومية للسلافيين ولكي يتسنّى لستالين إيجاد توازن إثني في الجمهوريات.

بعد توقيع اتفاقية عدم الاعتداء بين الإتحاد السوفييتي وألمانيا النازية بعامين قام هتلر بغزو الإتحاد السوفييتي، ولم يكن ستالين متوقعاً للغزو الألماني. إذ كان توّاقاً لكسب الوقت ليتسنّى له بناء ترسانته العسكرية وتطويرها، إلا أن هتلر لم يترك الإتحاد السوفييتي يؤهّل نفسه عسكرياً. وتمكّن الألمان من جني الانتصارات العسكرية في بداية غزوهم للإتحاد السوفييتي نتيجة ضعف خطوط الدفاع السوفييتية الناتجة عن إعدام ستالين لكثير من جنرالات الجيش الأحمر. وتكبّد الإتحاد السوفييتي خسائر بشرية فادحة في الحرب العالمية الثانية، إذ كان الألمان يحرقون القرى السوفييتية عن بكرة أبيها، وتقدّر خسائر الإتحاد السوفييتي البشرية في الحرب العالمية الثانية بين 21 إلى 28 مليون نسمة.

لكن صرامة ستالين وقسوته فيما يخص الاشتراكية وقضايا الشيوعية واستبسال المقاتلين في الجيش الأحمر وقوى الأنصار أدت في النهاية إلى النصر التام على النازية وعلى جيوش هتلر في التاسع من مايو/ أيار عام 1945.

في الأول من مارس 1953، وخلال مأدبة عشاء بحضور وزير الداخلية السوفييتي «بيريا» و «وخروشوف» وآخرين، تدهورت حالة ستالين الصحية ومات بعدها بأربعة أيام. تجدر الإشارة إلى أن المذكرات السياسية لـ «مولوتوف» والتي نُشرت في عام 1993 تقول إن الوزير «بيريا» تفاخر لـ «مولوتوف» بأنّه عمد إلى دسّ السم لستالين بهدف قتله. وقد ذكرت المصادر الرسمية أن وفاته كانت نتيجة جلطة دماغ.

حنطت جثته ووضعت بجانب لينين في التاسع من مارس وبقيت حتى سنة 1961 عندما حركت جثته ودفنت بالقرب من الكرملين.



جون كينيدي

(1917-1963م)

جون كينيدي (يسمى أيضاً جون فيتزجيرالد كينيدي أو جون إف. كينيدي أو جاك كينيدي). هو الرئيس الخامس والثلاثون للولايات الأمريكية المتحدة. تولى الرئاسة خلفا للرئيس دوايت أيزنهاور وقد خلفه نائبه ليندون جونسون.

ولد في 29 مايو، 1917 وتوفي مقتولاً في 22 نوفمبر، 1963 في دالاس تكساس، وقد أُتّهم لي هارفي اوسولد باغتياله.

تولى رئاسة الولايات المتحدة منذ 1961 وحتى اغتياله في 1963، وقبلها كان يمثل ولاية ماساشوسيتس من 1947 وحتى 1960 بداية كعضو في مجلس النواب ولاحقاً في مجلس الشيوخ. انتخب لرئاسة أمريكا كمرشح عن الحزب الديمقراطي وعمره في ذلك الوقت 43 عاماً وذلك في انتخابات عام 1960 والتي واجه فيه خصمه الجمهوري ريتشارد نيكسون، وقد ربح في تلك الانتخابات بفارق ضئيل. وهو الرئيس الأمريكي الكاثوليكي الوحيد. وهو أصغر رئيس أمريكي منتخب.

تولى الرئاسة في فترة رهيبة وحرجة من الصراع في الحرب الباردة، وكان صاحب مواقف قوية في مواجهة السوفييت في كافة المجالات سواء العسكرية منها (بشكل غير مباشر) أو السياسية من خلال مجلس الأمن أو الإعلام أو القنوات الدبلوماسية، وهو الأمر الذي جعله أحد أكثر رؤساء أمريكا شعبية وأحد أكثرهم أهمية.

وكان من أهم الأحداث في فترة ولايته عملية اقتحام خليج الخنازير وأزمة الصواريخ الكوبية وبناء جدار برلين والإرهاصات الأولى لحرب فيتنام وحركة الحقوق المدنية الأمريكية وسباق غزو الفضاء حيث أنه صاحب الوعد الشهير بإنزال إنسان على القمر.

كان الرئيس كينيدي قد قرر بعد سنتين من انتخابه القيام بزيارة لولاية دالاس التي استعدت استعداداً شعبياً ورسمياً حافلاً لاستقبال رئيس الجمهورية وكانت الزيارة بالنسبة لتلك الولاية حدثاً تاريخياً خرجت فيه جميع فئات الشعب لاستقبال الرئيس الشاب.

كان الرئيس جون كينيدي واثقاً من محبة الناس له لذا فقد ركب سيارة مكشوفة كانت تتهادى بسرعة لا تتجاوز عشرين كيلومترا في الساعة وكان الرئيس وبجانبه زوجته الحسناء جاكلين فرحاً يلوح بيديه للجماهير المصطفة على جانبي الطريق.

وحين وصول الموكب الرئاسي إلى شارع أيلم وقبل مرور الموكب من تحت الجسر انطلقت عدة رصاصات اخترقت إحداها رأس الرئيس مهشمة جانبه الأيمن واخترقت الثانية عنقه كما أصيب حاكم ولاية دالاس برصاصة بجانبه الأيمن وأخرى اخترقت فخذه الأيسر فحدث هرج وفزع بين حرس الرئيس الخاص وأخذت الزوجة المنكوبة تصرخ بهستيريا وهي ترى زوجها وقد تهشمت جمجمته.

استطاع أحد الحراس الخاصين للرئيس أن يلمح حركة غير عادية من نافذة أحد المباني الواقعة على الشارع الذي كان يمر به موكب الرئيس.

طرقت الشرطة ذلك المبنى واستطاعت القبض على شخص كان موجوداً قرب تلك النافذة ومعه بندقية وأسمه «لي هارفي اوسولد» كان يعمل جندياً في أسطول البحرية الأمريكية وقد فصل من الخدمة العسكرية لسوء سلوكه.

بعد إصابة الرئيس انطلقت به السيارة المكشوفة بسرعة مخترقة شوارع دالاس لكنه لفظ أنفاسه الأخيرة قبل وصوله إلى المستشفى لإسعافه.

التحريات الأخيرة لتلك الحادثة المأساوية تفيد بأن هناك أكثر من شخص شارك في تنفيذ هذه الجريمة وذلك بإطلاق الرصاص من عدة أماكن حيث أن الرئيس أصيب برصاصة بجانب رأسه وأخرى أصابت بلعومه وتلك الرصاصتان لا يمكن أن تأتيا من اتجاه واحد.

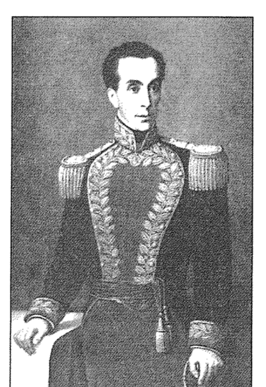
كما أن حاكم الولاية أصيب بثلاث رصاصات واحدة في ظهره وواحدة أصابت جانبه الأيمن والثالثة أصابت فخذه، وهذه تؤكد أن الرصاص أطلق من عدة أماكن.

أضف إلى ذلك أن البندقية التي وجدت بحوزة القاتل والتي اعتبرت أداة الجريمة الأولى كانت من النوع القديم التي تحتاج إلى وقت لتعبئتها بين كل رصاصة وأخرى في حين أن الرصاص أصاب الرئيس وحاكم ولاية دالاس دفعة واحدة وخلال ثوان.

وفي أثناء نقل القاتل المزعوم لي هارفي أوسولد من مبنى الشرطة إلى سجن الولاية لاستجوابه خرج رجل من بين صفوف الشرطة والصحافيين والمصورين الذي كانوا يحيطون بالقاتل وأفرغ مسدسه في جسد القاتل لي هارفي أوسولد فمات في لحظته.

وبذلك انتهت تلك الجريمة التي حيرت العالم وأذهلته لعدة سنوات ولازالت رموزها غامضة لم يستطيع أحد حلها.

وقد بقيت عملية الاغتيال مثار جدل عام على الدوام. وما تزال تثار شكوك بأن لوكالة المخابرات الأمريكية سي .آي .إيه أو لجهاز استخبارات الاتحاد السوفييتي السابق (كي جي بي) يدا في مقتله، وتثار شكوك أيضا أن اغتياله كان بإيعاز إسرائيلي خاصة بعد إصراره على تفتيش مفاعل ديمونة الإسرائيلي والتأكد مما إذا كان يحتوى على قنابل ذرية أم لا.



سيمون بوليفار

(1783- 1830م)

سيمون خوريه أنطونيو دي لا سانتيسيما ترينيداد بوليفار إي بالاسيوس، وطني من أمريكا الجنوبية وهو مؤسس ورئيس كولومبيا الكبرى. أطلقوا عليه اسم «جورج واشنطن أمريكا اللاتينية» وذلك بسبب الدور الذي قام به في تحرير الكثير من دول أمريكا اللاتينية: كولومبيا وفنزويلا وأكوادور وبيرو وبوليفيا، التي كانت تحت الحكم الأسباني منذ القرن السادس عشر ، وكان بوليفار في شبابه قد زار أوروبا وتأثر بالثقافة الأوروبية وبغزوات نابليون في أسبانيا، وعندما أطاح نابليون بالحكومة الأسبانية كان ذلك بالنسبة لبوليفار بمثابة التشجيع على أن يفعل نفس الشيء مع الأسبان في أمريكا الجنوبية، لذلك أقسم أن يحرر بلاده من الاستعمار الأسباني، وأصبح بوليفار ضابطا في جيش الثورة، وبعد سلسلة حروب طويلة انتصر بوليفار على الأسبان ونالت تلك الدول استقلالها، واشتهر بوليفار كمحرر واحترمه الناس العاديون، ولكن معارضة شديدة تخللت أيامه الأخيرة عندما هدف إلى توحيد أمريكا الجنوبية كلها تحت سلطته، وسميت دولة بوليفيا باسمه.

ولد سيمون بوليفار في كاراكاس في 24 تموز 1783. تأثر خلال دراسته بالفلسفة ودرس بشكل خاص جان جاك روسو الذي ترك أثراً عميقاً في شخصيته. سافر في مطلع شبابه إلى فرنسا حيث التقى بالعالم الألماني اسكندر هومبولت الذي نقل له اعتقاده بأن المستعمرات الأسبانية في حالة استعداد للتحرر، فراقت الفكرة لبوليفار وأخذ يمعن النظر في تحرير بلاده.

في العام 1807، عاد بوليفار إلى فنزويلا حيث اشترك في اجتماعات وطنية عدة للتآمر على السلطات الأسبانية التي كانت تحكم بلاده. واستطاع في 19 نيسان 1810 الإطاحة بالحاكم الأسباني فنسينت دي امبران وإقامة حكم عسكري.

في العام 1811 أعلن المجلس الوطني استقلال فنزويلا فانخرط بوليفار في الجيش تحت قيادة فرانسيسكو ميراندا وأصبح عقيداً ثم عميداً. إلا أن اسبانيا لم تعتبر نفسها مهزومة فقامت بهجوم مضاد على فنزويلا مما دفع ميراندا إلى توقيع الهدنة معها عام 1812، وغادر بوليفار إلى كارتاجينا في غرناطة الجديدة التي أصبحت في ما بعد كولومبيا. ومن هناك أكد أن انقسام شعب فنزويلا هو الذي أعادها إلى العبودية، فتجاوب معه شعب غرناطة وتم تعيينه قائداً لحملة هدفها تحرير فنزويلا. في العام 1813 اشتبك مع الأسبان في ست معارك ودخل منتصراً إلى كاراكاس بصفته منقذاً للبلاد. وحصل من جراء ذلك على لقب «المحرر» واستولى على الحكم، إلا أنه أسس حكماً ديكتاتورياً قوياً وأنزل أحكاماً قاسية بمعارضيه ما أدى إلى اندلاع حرب أهلية، فاستغلت اسبانيا الوضع وأعادت احتلال كاراكاس، في حين غادر بوليفار فنزويلا والتجأ إلى كارتاجينا.

واصل بوليفار ثورته وأقام اتصالات مع ثوار السهول الذين انضموا إليه، وفي ربيع 1819 قاد حملة لضرب القوات الأسبانية في غرناطة الجديدة. ويعتبر هذا الهجوم من أكثر الحملات جرأة في تاريخ الحملات العسكرية إذ قام به جيش صغير (2500 رجل) سلكوا طريقاً صغيراً في جو ممطر، وقطعوا بحيرات وجبالاً، كان الأسبان يعتبرون المرور فيها متعذراً وحتى مستحيلاً.

بعد استسلام القوات الملكية لبوليفار، تم إعلان جمهورية كولومبيا الكبرى وانتخابه رئيساً ودكتاتوراً عسكرياً. لكن هذه الدولة الفدرالية التي ضمت فنزويلا وكيتو (الإكوادور) وغرناطة الجديدة، كانت حبراً على ورق، لأن فنزويلا وكيتو كانتا لا تزالان تحت سيطرة اسبانيا. وشعر بوليفار أن الثورة في أميركا الجنوبية أصبحت حتمية، فعاد لمجابهة القوات الملكية وحرر كاراكاس في حزيران 1821، والإكوادور في أيار 1822. وبذلك تم تحرير جمهورية كولومبيا بأسرها. ولم يبق بأيدي المستعمرين سوى البيرو التي تمكن بوليفار من تحريرها في كانون الأول 1924 باستثناء القسم الأعلى منها الذي حرره مساعده بعد عام فقط. واتخذت هذه المنطقة اسم بوليفيا تيمناً ببوليفار.

في العام 1826 أقام القائد المنتصر حلفاً يضم دول أميركا الأسبانية. ووُقعت اثر ذلك معاهدات بين كولومبيا والبيرو وأميركا الوسطى والمكسيك التي اتخذت قراراً في ما بينها بإنشاء جيش وأسطول مشتركين، وتعهدت بأن تحل جميع مشاكلها بالتحكيم.

في مطلع العام 1827، دبّ الخلاف بين غرناطة الجديدة وفنزويلا فأصلح بوليفار الوضع، إلا أن الأخيرة ما لبثت أن انفصلت عن كولومبيا في شتاء 1829، فأصيب بوليفار باليأس وغادر البلاد بناءً على دعوة أحد الأسبان المعجبين به، ومن المفارقات العجيبة أن ينهي حياته في بيت أسباني في كانون الثاني عام 1830.

يعتبر بوليفار من أشهر رجالات أميركا الجنوبية السياسيين والثوريين العسكريين في القرن التاسع عشر، إن لم يكن أشهرهم على الإطلاق.



شارل ديغول

(1890-1970 م)

جنرال ورجل سياسة فرنسي ولد في مدينة ليل الفرنسية. تخرج من المدرسة العسكرية سان سير عام 1912 من سلاح المشاة. ألف عدة كتب حول موضوع الإستراتيجية والتصور السياسي والعسكري. عين جنرال فرقة، ونائبا لكاتب الدولة للدفاع الوطني، في يناير 1940 قاد مقاومة بلاده في الحرب العالمية الثانية وترأس حكومة فرنسا الحرة في لندن في 18 يناير. وفي سنة 1943 ترأس اللجنة الفرنسية للتحرير الوطني والتي أصبحت في حزيران (جوان) 1944 تسمى بالحكومة المؤقتة للجمهورية الفرنسية. وهو أول رئيس للجمهورية الفرنسية الخامسة، عرف بمناوراته الاستعمارية تجاه الجزائر، منها مشروع قسنطينة، القوة الثالثة، الجزائر جزائرية، مشروع فصل الصحراء الجزائرية، سلم الشجعان. توفي في كولمبي لدو إغليز عام 1970.

ينظر الفرنسيون إلى شارل ديغول إلى انه الأب الروحي للجمهورية الفرنسة الخامسة، ويرجع الكثير من الفرنسيين الفضل إلى الجنرال ديغول في استقلال بلادهم من الجيوش النازية أثناء الحرب العالمية الثانية إذ لم يتوقف وهو في لندن عن إطلاق الشعارات التي كانت تلهب قلوب الفرنسيين وتدفعهم إلى المقاومة، ومن أشهر نداءاته «أيها الفرنسيون لقد خسرنا معركة لكننا لم نخسر الحرب وسوف نناضل حتى نحرر بلدنا الحبيب من نير الاحتلال الجاثم على صدره». وينعكس تقدير هذا الرجل بشكل واضح في العاصمة باريس إذ تم تسميه العديد من المرافق الحيوية باسم الجنرال مثل (المطار، الشوارع، المتاحف ومحطات القطارات).

من مؤلفاته: خيط السيف، نشر عام 1932. نحو جيش الاحتراف، نشر عام 1934. فرنسا وجيشها.

عبد الحميد الثاني

(1842- 1918 م)



عبد الحميد الثاني هو السلطان الرابع والثلاثون من سلاطين الدولة العثمانية، وآخر من أمتلك سلطة فعلية منهم. ولد في 21 سبتمبر 1842 م، وتولى الحكم عام 1876 م. أبعد عن العرش عام 1909 م بتهمة الرجعية، وأقام تحت الإقامة الجبرية حتى وفاته في 10 فبراير 1918 م.

وتلقى السلطان عبد الحميد تعليمه بالقصر السلطاني وأتقن من اللغات: الفارسية والعربية وكذلك درس التاريخ والأدب.

أظهر السلطان ُروحا إصلاحية وعهد بمنصب الصدر الأعظم إلى مدحت باشا أحد زعماء الإصلاح فأمر بإعلان الدستور وبداية العمل به، وقد كان الدستور مقتبسا عن دساتير دول أوربية مثل: (بلجيكا وفرنسا وغيرهما). وضم الدستور 119 مادة تضمنت حقوقا يتمتع بها السلطان كأي ملك دستوري، كما نص الدستور على تشكيل مجلس نواب منتخب دعي بهيئة المبعوثان.

يعرفه البعض بـ (اولو خاقان) أي «الملك العظيم» وعرف في الغرب باسم «السلطان الأحمر» أو «القاتل الكبير» بسبب مذابح الأرمن المزعوم وقوعها في فترة توليه منصبه.

رحب جزء من الشعب العثماني بالعودة إلى الحكم الدستوري بعد إبعاد السلطان عبد الحميد عن العرش في أعقاب ثورة الشباب التركي. غير أن الكثير من المسلمين مازالوا يقدّرون قيمة هذا السلطان الذي خسر عرشه في سبيل أرض فلسطين التي رفض بيعها لزعماء الحركة الصهيونية.

عبد الحميد هو ابن السلطان عبد المجيد الأول، وأمه هي واحدة من زوجات أبيه العديدات وأسمها «تيرمشكان» الشركسية الأصل توفيت عن 33 عاما، ولم يتجاوز ابنها عشر سنوات، فعهد بعبد الحميد إلى زوجة أبيه «بيرستو قادين» التي اعتنت بتربيته، وأولته محبتها؛ لذا منحها عند صعوده العرش لقب «السلطانة الوالدة».

توفي والده وعمره 18 عامًا، وصار ولي عهد ثان لعمه «عبد العزيز الأول»، الذي تابع نهج أخيه في مسيرة التغريب والتحديث، واستمر في الخلافة 15 عاما. قبل توليه العرش بتسع سنوات رافق عمه السلطان عبد العزيز الأول في زيارته إلى النمسا وفرنسا وإنجلترا في 1867. وفي بعض سياحاته ورحلاته إلى أوروبا ومصر.

التقى عبد الحميد في خلافة عمه بعدد من ملوك العالم الذين زاروا إستانبول. وعُرف عنه مزاولة الرياضة وركوب الخيل والمحافظة على العبادات والشعائر الإسلامية والبعد عن المسكرات والميل إلى العزلة، وكان والده يصفه بالشكاك الصامت.

كان عبد الحميد نجارا ماهرا، وكان يملك مشغلا صغيرا في حديقة قصره في إستانبول. وكانت له اهتمامات مختلفة من بينها هواية التصوير وكان مهتما بالأوبرا وكتب شخصيا لأول مرة على الإطلاق العديد من الترجمات التركية للأوبرا الكلاسيكية. وكانت لديه هواية التصوير وقام بتصوير كل أنحاء إستانبول وجمعها في ألبوم يتكون من 12 مجلد، والألبوم محفوظ حاليا في مكتبة الكونغرس في واشنطن في القسم التركي. وكان يملك مكتبا للترجمة يعمل فيه 6 مترجمين وكان يعطي أجرا إضافيا لترجمة الروايات البوليسية.

تولى السلطان عبد الحميد الثاني الخلافة في 11 شعبان 1293 هـ، الموافق 31 آب (أغسطس) 1876 م، وتبوَّأ عرش السلطنة وهي يومئذٍ على أسوأ حال، حيث كانت الدولة في منتهى السوء والاضطراب، سواء في ذلك الأوضاع الداخلية والخارجية. وفي نفس السنة دخلت الدولة العثمانية في أزمة مالية خانقة في فترة السلطان عبد العزيز المبذر ونجح العثمانيون الجدد في الإطاحة بحكمه سنة 1876م، في مؤامرة دبرها بعض رجال القصر، واعتلى العرش من بعده مراد الخامس شقيق عبد الحميد، ليكون السلطان الجديد، إلا انه عُزل بعد مدة قصيرة قوامها حوالي ثلاثة أشهر، فتولى عبد الحميد الحكم من بعده الذي وافق مع العثمانيين الجدد على إتباع سياسة عثمانية متحررة.

اتفقت الدول الغربية على الإجهاز على الدولة العثمانية التي أسموها «تركة الرجل المريض»، ومن ثم تقاسم أجزائها، هذا بالإضافة إلى تمرد البوسنة والهرسك، الذين هزموا الجيش العثماني وحاصروه في الجبل الأسود، وإعلان الصرب الحرب على الدولة بقوات منظمة وخطرة، وانفجار الحرب الروسية الفظيعة التي قامت سنة 1294هـ، الموافق سنة

1877م، وضغط دول الغرب المسيحية على الدولة لإعلان الدستور وتحقيق الإصلاحات في البلاد، بالإضافة إلى قيام الثورات في بلغاريا بتحريض ومساعدة من روسيا والنمسا.

أما في الداخل فقد أفلست خزينة الدولة وتراكمت الديون عليها، حيث بلغت الديون ما يقرب من ثلاثمائة مليون ليرة، كما ظهر التعصب القومي والدعوات القومية والجمعيات ذات الأهداف السياسية، بإيحاء من الدول الغربية المعادية، ولاسيما إنجلترا، وكانت أهم مراكز هذه الجمعيات في بيروت واستانبول، فأما الجمعيات التي أنشئت في استانبول فقد ضمت مختلف العناصر والفئات، وكان لليهود فيها دور كبير، خاصة يهود الدَوْنَمة، ومن أشهر هذه الجمعيات «جمعية تركيا الفتاة» التي أُسست في باريس، وكان لها فروع في برلين وسلانيك واستانبول، وكانت برئاسة أحمد رضا بك، الذي فتن بأوروبا وبأفكار الثورة الفرنسية. وقد كانت هذه الجمعيات تُدار بأيدي الماسونية العالمية. ومن الأمور السيئة في الأوضاع الداخلية أيضًا، وجود رجال كان لهم دور خطير في الدولة قد فُتنوا بالتطور الحاصل في أوروبا وبأفكارها، وكانوا بعيدين عن معرفة الإسلام، ويتهمون الخلفاء بالحكم المطلق، الدكتاتوري ويطالبون بوضع دستور للدولة على نمط الدول الأوروبية المسيحية، ويرفضون العمل بالشريعة الإسلامية.

في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، دعا سعيد النورسي وهو كردي من قرية نورشين وأحد قادة الطرق الدينية البارزين وغيره إلى إصلاحات دستورية وتعليمية من بينها تقييد سلطات السلطان عبد الحميد الثاني وهو ما سمى بـ «المشروطية»، وإنشاء جامعة في مدينة «فان» التركية للنهضة العلمية، ولما رفض السلطان عبد الحميد هذه الطلبات، دعم قادة الطرق الدينية التركية جمعية «الاتحاد والترقي» التي كانت تريد إصلاحات سياسية واجتماعية وكانت تعارض السلطان عبد الحميد. دبرت جمعية «الاتحاد والترقي» عام 1908 انقلابا على السلطان عبد الحميد تحت شعار (حرية، عدالة، مساواة). وتعهد الانقلابيون بوضع حد للتمييز في الحقوق والواجبات بين السكان على أساس الدين والعرق.

في وسط هذه التيارات والأمواج المتلاطمة تقلد السلطان عبد الحميد الحكم، وبدأ في العمل وفق سياسة محددة، فقد حاول كسب بعض المناوئين له واستمالتهم إلى صفه بكل ما يستطيع. ودعا جميع مسلمي العالم في آسيا الوسطى وفي الهند والصين وأواسط أفريقيا وغيرها إلى الوحدة الإسلامية والانضواء تحت لواء الجامعة الإسلامية، ونشر

شعاره المعروف «يا مسلمي العالم اتحدوا»، وأنشأ مدرسة للدعاة المسلمين سرعان ما أنتشر خريجوها في كل أطراف العالم الإسلامي الذي لقي منه السلطان كل القبول والتعاطف والتأييد لتلك الدعوة، ولكن قوى الغرب قامت لمناهضة تلك الدعوة ومهاجمتها. ثم قرَّب إليه الكثير من رجال العلم والسياسة المسلمين واستمع إلى نصائحهم وتوجيهاتهم. وعمل على تنظيم المحاكم والعمل في «مجلة الأحكام العدلية» وفق الشريعة الإسلامية. وقام ببعض الإصلاحات العظيمة مثل القضاء على معظم الإقطاعات الكبيرة المنتشرة في كثير من أجزاء الدولة، والعمل على القضاء على الرشوة وفساد الإدارة. وعامل الأقليات والأجناس غير التركية معاملة خاصة، كي تضعف فكرة العصبية، وغض طرفه عن بعض إساءاتهم، مثل الرعب الذي نشرته عصابات الأرمن، ومثل محاولة الأرمن مع اليهود اغتياله أثناء خروجه لصلاة الجمعة، وذلك لكي لا يترك أي ثغرة تنفذ منها الدول الأجنبية للتدخل في شؤون الدولة. وعمل على سياسة الإيقاع بين القوى العالمية آنذاك لكي تشتبك فيما بينها، وتسلم الدولة من شرورها، ولهذا حبس الأسطول العثماني في الخليج ولم يخرجه حتى للتدريب. واهتم بتدريب الجيش وتقوية مركز الخلافة. وحرص على إتمام مشروع خط السكة الحديدية التي تربط بين دمشق والمدينة المنورة لِمَا كان يراه من أن هذا المشروع فيه تقوية للرابطة بين المسلمين، تلك الرابطة التي تمثل صخرة صلبة تتحطم عليها كل الخيانات والخدع الإنجليزية، على حد تعبير السلطان نفسه.

بدأت قضية مذابح الأرمن في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، إذ قالت الدولة العثمانية أن روسيا قامت بإثارة الأرمن الروس القاطنين قرب الحدود الروسية العثمانية، فبدأت بتحريضهم وإمدادهم بالمال والسلاح والقيام بتدريبهم في أراضيها وتشكيل الجمعيات المسلحة من أمثال خنجاق وطشناق. وقدمت بريطانيا دعماً قوياً لتلك المنظمات لأنها كانت تريد تفتيت الدولة العثمانية. حتى أن الزعيم المصري مصطفى كامل يقول في كتابه المسألة الشرقية: «فالذين ماتوا من الأرمن في الحوادث الأرمنية إنما ماتوا فريسة الدسائس الإنكليزية».

وكان قبول الدولة العثمانية إقامة دولة أرمنية في مركزها (في الولايات الستة في شرقي الأناضول) وفي مناطق يشكل المسلمون فيها الأكثرية بمثابة عملية انتحارية للدولة العثمانية. إذ كان عدد الأرمن - حسب الإحصائيات العثمانية والأجنبية كذلك - يتراوح بين مليون ومائتي ألف إلى مليون ونصف مليون في جميع أراضي الدولة العثمانية. لذا لم

يعبأ السلطان بالضغوطات الخارجية ولا بتهديد انكلترا وقيامها بإرسال أسطولها إلى جنق قلعة. وحاولت تلك المنظمات المسلحة اغتيال السلطان عام 1905 بتفجير عربة عند خروجه من المسجد. ولكن السلطان نجا، وألقي القبض على الجاني، ولكن السلطان عفا عنه.

لما عقد اليهود مؤتمرهم الصهيوني الأول في (بازل) بسويسرا عام 1315هـ، 1897م، برئاسة ثيودور هرتزل (1860م-1904م) رئيس الجمعية الصهيونية، اتفقوا على تأسيس وطن قومي لهم يكون مقرًا لأبناء عقيدتهم، وأصر هرتزل على أن تكون فلسطين هي الوطن القومي لهم، فنشأت فكرة الصهيونية، وقد اتصل هرتزل بالسلطان عبد الحميد مرارًا ليسمح لليهود بالانتقال إلى فلسطين، ولكن السلطان كان يرفض، ثم قام هرتزل بتوسيط كثير من أصدقائه الأجانب الذين كانت لهم صلة بالسلطان أو ببعض أصحاب النفوذ في الدولة، كما قام بتوسيط بعض الزعماء العثمانيين، لكنه لم يفلح، وأخيرًا زار السلطان عبد الحميد بصحبة الحاخام (موسى ليفي) و (عمانيول قره صو)، رئيس الجالية اليهودية في سلانيك، وبعد مقدمات مفعمة بالرياء والخداع، أفصحوا عن مطالبهم، وقدَّموا له الإغراءات المتمثلة في إقراض الخزينة العثمانية أموالاً طائلة مع تقديم هدية خاصة للسلطان مقدارها خمسة ملايين ليرة ذهبية، وتحالف سياسي يُوقفون بموجبه حملات الدعاية السيئة التي ذاعت ضده في صحف أوروبا وأمريكا. لكن السلطان رفض بشدة وطردهم من مجلسه وقال: (إنكم لو دفعتم ملء الدنيا ذهبا فلن أقبل، إن أرض فلسطين ليست ملكي إنما هي ملك الأمة الإسلامية، وما حصل عليه المسلمون بدمائهم لا يمكن أن يباع وربما إذا تفتت إمبراطوريتي يوما، يمكنكم أن تحصلوا على فلسطين دون مقابل) ثم أصدر أمرًا بمنع هجرة اليهود إلى فلسطين.

عندئذ أدرك خصومه أنهم أمام رجل قوي وعنيد، وأنه ليس من السهولة بمكان استمالته إلى صفهم، ولا إغراؤه بالمال، وأنه مادام على عرش الخلافة فإنه لا يمكن للصهيونية العالمية أن تحقق أطماعها في فلسطين، ولا يمكن للدولة الأوروبية أن تحقق أطماعها أيضًا في تقسيم الدولة العثمانية والسيطرة على أملاكها، وإقامة دويلات لليهود والأرمن واليونان.

لذا قرروا الإطاحة به وإبعاده عن الحكم، فاستعانوا بالقوى المختلفة التي نذرت نفسها لتمزيق ديار الإسلام، أهمها الماسونية، والدونمة، والجمعيات السرية (الاتحاد

والترقي)، والدعوة للقومية التركية (الطورانية)، ولعب يهود الدونمة دورًا رئيسًا في إشعال نار الفتن ضد السلطان.

تم عزل السلطان عبد الحميد وخلعه من منصبه عام 1909 وتم تنصيب شقيقه محمد رشاد خلفاً له. وتوفي السلطان عبد الحميد الثاني في المنفى في 10 فبراير من عام 1918 م.



غلوب باشا

(1897- 1986م)

جون باجوت غلوب المعروف باسم غلوب باشا، كان جندياً بريطانياً عرف بقيادته الجيش العربي الأردني بين العامين 1939 و 1956.

أثناء الحرب العالمية الأولى، خدم في فرنسا ثم تم نقله إلى العراق عام 1920، حيث كان العراق تحت الانتداب البريطاني في ذلك الوقت. في العراق عمل على بناء علاقات مع القبائل حتى حدود سيطرة بني سعود ولعب دورا مهما في شكل العلاقات البريطانية- العربية في تلك المنطقة.

درس في كلية تشلتنهام، وأصبح ضابطاً في الجيش العربي عام 1930. وفي العام التالي أسس حرس البادية، وهي قوة مكونة من البدو بشكل حصري، وذلك للسيطرة على الأزمة التي أصابت جنوب البلاد. وفي سنوات قليلة استطاع أن يوقف الغزوات المتبادلة بين القبائل البدوية، وبسرعة أصبحت الأزمة شيئاً من التاريخ. في عام 1939 خلف غلوب فريدريك جيرارد بييك في قيادة الجيش العربي الأردني، وفي تلك الفترة حول الجيش إلى أفضل قوة تدريباً في المنطقة العربية.

بقي في منصب قيادة الجيش العربي الأردني حتى 2 مارس 1956 حيث أعفاه الملك الحسين بن طلال بالتنسيق مع حركة الضباط الأحرار الأردنيين من مهامه في قرار تعريب قيادة الجيش العربي التاريخي. وكان هذا القرار بمثابة صدمة للإمبراطورية البريطانية وأدى إلى تدهور العلاقات الأردنية مع بريطانيا وأميركا وحلفائهما. أمضى غلوب بقية حياته في كتابة الكتب والمقالات، والتي كانت بمعظمها حول الشرق الأوسط وتجربته مع العرب.

في 2 آذار(مارس) 1956، عزل ملك الأردن الشاب الحسين بن طلال (21 عاما) بقرار حاسم وجريء، الجنرال غلوب باشا رئيس أركان الجيش العربي الأردني الذي كان

من أعمدة الاستعمار في الوطن العربي، وانذره بوجوب مغادرة البلاد خلال ساعتين. وكان هذا القرار ضربة قوية لنفوذ بريطانيا وهيبتها في الشرق الأوسط.

بدأت صلة الجنرال جون باغوت غلوب (باشا) بالبلاد العربية بوصوله إلى العراق في سنة 1920، وهو من مواليد سنة 1897، وكان أبوه جنرالا في الجيش البريطاني. تخرج في مدرسة الهندسة العسكرية في سنة 1915 وعين خلال الحرب العالمية الأولى في فرنسا، وقضى فيها ثلاث سنوات، وجرح ثلاث مرات، وكانت إحداها إصابة في فكه كادت تقضي عليه، ومنح بسببها وسام الصليب العسكري (كما منحه عليها البدو فيما بعد لقب - أبو حنيك - بسبب ما خلفته من تشويه في فكه). ثم تطوع للخدمة في العراق، وكانت الثورة الوطنية فيها على الاحتلال البريطاني (ثورة العشرين) على أشدها، وبقي هناك بعد استتباب السلم كضابط استخبارات للقوة الجوية البريطانية. وخلال هذه الفترة بدأ اهتمامه بالعرب وتاريخهم وثقافتهم، وتعلم اللغة العربية وأجادها. وبقي غلوب بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى في العراق، وعمل بين سنتي 1927و1930 (مفتشا إداريا) في صحراء العراق الجنوبية حيث اتصل بالعشائر، وقام باستكشافات مهمة قطع في إحداها بادية الشام على ظهر جمل ومعه خادم واحد.

وفي سنة 1930 دعي غلوب للخدمة في (شرق الأردن) حيث ساعد في تأسيس الجيش العربي وتجنيد البدو فيه. وفي سنة 1939 عينه (الأمير) عبد الله قائدا للجيش العربي، خلفا لـ (بيك باشا) ورقي إلى رتبة فريق. ولما قامت الحرب العراقية - البريطانية سنة 1941 قاد حملة لإسناد القوات البريطانية المحاصرة في الحبانية.

ولما قامت حرب فلسطين الأولى بين الجيوش العربية والعصابات الصهيونية، كان غلوب باشا القائد الفعلي للجيش العربي.

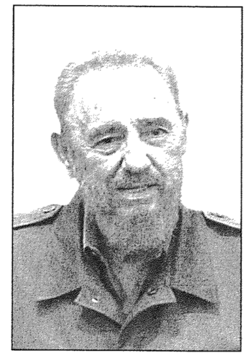
وفي سنة 1951 اغتيل الملك عبد الله، وفي وقت تال من السنة نفسها نقل السير (ألك كيركبرايد) السفير البريطاني في الأردن (الذي كان في الأردن منذ تأسيس الإمارة وقضى فيها 31 عاما) وساءت الأمور على الحدود السورية - الإسرائيلية، وقامت في الأردن مظاهرات صاخبة، فعمل غلوب على قمعها بقسوة، مما أثار عليه نقمة الأوساط الوطنية التي كانت مستاءة أصلا من وجوده على رأس الجيش العربي، ومرتابة في إخلاصه، وخلال ذاك كان الملك حسين قد تولى العرش وهو في التاسعة عشرة من عمره،

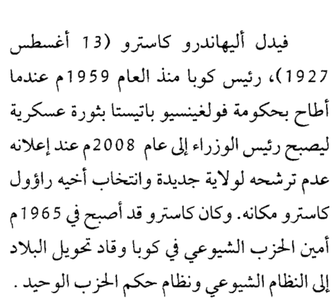
شابا ينبض بالنشاط والحيوية، ويفيض حماسة ووطنية، فوجد أن وجود قائد أجنبي على رأس جيش وطني أمر غير مقبول، وان غلوب باشا بقي في هذا المنصب أطول مما ينبغي. وذلك كان شعور جميع الأوساط الوطنية في الأردن والبلاد العربية، وان لم يجرؤ احد قبل ذلك على المساس به.

وفي 2 آذار(مارس) من سنة 1956 استدعى رئيس الوزراء غلوب باشا وابلغه أن جلالة الملك أمر بإنهاء خدماته ووجوب مغادرته البلاد خلال ساعتين. وبنتيجة تدخل السفارة البريطانية وإلحاحها، وافق الملك حسين على تمديد هذه المدة حتى السابعة من صباح اليوم التالي. وبذلك انتهت مرحلة من أهم مراحل النفوذ الأجنبي في هذا الجزء من الوطن العربي.

عاد غلوب إلى انكلترا، فمنحته الحكومة البريطانية وساما رفيعا، ثم تجاهلته ولم تعرض عليه عملا آخر، وعاش غلوب بعد ذلك على ما يرده من مقالاته وكتبه ومحاضراته في بعض الجامعات الأمريكية من وقت لآخر.

ولكن اسمه بقي مرتبطا بالعرب، وترك 19 مؤلفا مهما في الشؤون العربية والتاريخ الإسلامي، وتوفي يوم 17 آذار (مارس) 1986 بعد إخراجه من الأردن بثلاثين عاما وأسبوعين.





فيدل كاسترو

فيدل أليهاندرو كاسترو (13 أغسطس 1927)، رئيس كوبا منذ العام 1959م عندما أطاح بحكومة فولغينسيو باتيستا بثورة عسكرية ليصبح رئيس الوزراء إلى عام 2008م عند إعلانه عدم ترشحه لولاية جديدة وانتخاب أخيه راؤول كاسترو مكانه. وكان كاسترو قد أصبح في 1965م أمين الحزب الشيوعي في كوبا وقاد تحويل البلاد إلى النظام الشيوعي ونظام حكم الحزب الوحيد. وأصبح في 1976م رئيس مجلس الدولة ومجلس الوزراء. وكان أعلى قائد عسكري. بعد جراحة معوية في 31 يوليو 2006 م سلم مهامه لأخيه الصغير ونائب الرئيس الأول راؤول كاسترو. في 19 فبراير 2008م وقبل 5 أيام من انتهاء مدة الحكم أعلن أنه لن يرغب في مدة جديدة كرئيس أو رئيس أركان.

ترعرع كاسترو في كنف والديه المهاجرين من إسبانيا والذين يعدون من المزارعين. تلقى تعليمه في المدرسة التحضيرية، وفي عام 1945 م، التحق بجامعة هافانا حيث درس القانون وتخرج منها عام 1950 م. ثم عمل كمحام في مكتب محاماة صغير وكان لديه طموح في الوصول إلى البرلمان الكوبي إلا أن الانقلاب الذي قاده فولغينسيو باتيستا عمل على إلغاء الانتخابات البرلمانية المزمع عقدها. وكردة فعل احتجاجية، شكّل كاسترو قوّة قتالية وهاجم إحدى الثكنات العسكرية وأسفر هذا الهجوم عن سقوط 80 من أتباعه وإلقاء القبض على كاسترو. حكمت المحكمة على كاسترو بالسجن 15 عاماً وأطلق سراحه في مايو 1955م، ونفي بعدها إلى المكسيك، حيث كان أخوه راؤول ورفاقه يجمعون شملهم للثورة، وكان إرنستو تشي جيفارا قد التحق بالثوار ليتعرف على فيديل كاسترو ويصبح جزء من المجموعة الثورية.

وعلى متن قارب شراعي، أبحر كاسترو ورفاقه من المكسيك إلى كوبا وسُميت زمرته بحركة الـ 26 يوليو، ولم يعرب كاسترو عن خطه السياسي رغم قيامه بتأميم الأراضي في المناطق التي سيطر عليها الثوار، لكن بعد انتصار الثورة قام بتكليف أحد الرأسماليين

الذين تبنوا فكر الرئيس الأمريكي توماس جيفيرسون والرئيس أبراهام لينكولن، وذلك لتفادي أي هجوم أمريكي على الثورة البكر كما حدث في غواتيمالا، وبعد أن سيطرت الثورة على كوبا كاملة بدأ بتأميم كل الصناعات المحلية. والمصارف وتوزيع ما تبقى من الأراضي للفلاحين.

تحرك كاسترو عسكرياً مع ما يقارب من ثمانين رجلا في 2 ديسمبر 1956 واستطاع 40 من مجموع الـ 80 رجلا الانسحاب إلى الجبال، بعد أن تعرضوا لهجوم غير متوقع من جيش باتيستا عند روهم على الشاطئ ودخولهم كوبا، وعمل على ترتيب صفوفه وشن حرب عصابات من الجبال على الحكومة الكوبية. وبتأييد شعبي، وانضمام رجال القوات المسلحة الكوبية إلى صفوفه، استطاع كاسترو أن يشكل ضغطاً على حكومة هافانا مما اضطر رئيس الحكومة ورئيس الجمهورية إلى الهرب من العاصمة في 1 يناير 1959 على إثر إضراب عام وشامل جاء تلبية لخطاب فيديل كاسترو وثم دخلت قواته إلى العاصمة هافانا بقيادة ارنستو تشي غيفارا حيث كان عدد المقاتلين الذين دخلوا تحت إمرة غيفارا ثلاثمائة.

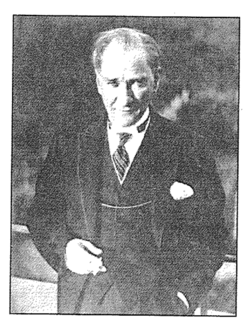
يعتبر كاسترو نفسه ملحداً ولم يمارس الطقوس الدينية المسيحية منذ نعومة أظافره، وقد أقصته البابوية في الفاتيكان عن المذهب الكاثوليكي في 3 يناير 1962 لارتداده عن الكاثوليكية. وقد تحسنت علاقة كاسترو بالبابوية في مطلع التسعينيات من القرن العشرين عندما انهار الاتحاد السوفيتي وتخلى الغرب عن الفاتيكان، سمح للبابا بزيارة كوبا بعد أن أعلن البابا أن المسيحية تؤيد الاشتراكية، وفعلا دخل البابا إلى كوبا وأصبح صديق بعد عداء دام عقودا، وقال كاسترو عن البابا: نحن اليوم نتفق معه فقد كاد يقول يا عمال العالم اتحدوا، ويعتبر هذا الشعار شعار الأحزاب الشيوعية.

سارعت الولايات المتحدة بالاعتراف بالحكومة الكوبية الجديدة وكان كاسترو رئيساً للدولة آنذاك. وكلف أحد البرجوازيين برئاسة الحكومة، تفاديا لضربات السياسة الأمريكية المعادية للشيوعية والاشتراكية، وسرعان ما بدأت العلاقات الأمريكية الكوبية بالتدهور عندما قامت كوبا بتأميم الشركات، وتحديداً، شركة «الفواكه المتحدة». وفي ابريل من 1959، زار الرئيس كاسترو الولايات المتحدة والتقى مع نائب الرئيس ريتشارد نيكسون، وتذرّع الرئيس الأمريكي بعدم استطاعته اللقاء مع كاسترو لارتباطه بلعبة الغولف وقد طلب الرئيس الأمريكي من نائبه التحقق من انتماء كاسترو السياسي ومدى ميوله لجانب المعسكر الشرقي، وخلص نائب الرئيس نيكسون إلى أن كاسترو

«شخص بسيط وليس بالضرورة يميل إلى الشيوعية». وفي فبراير عام 1960، اشترت كوبا النفط من الاتحاد السوفييتي ورفضت الولايات المتحدة المالكة لمصافي تكرير النفط في كوبا التعامل مع النفط السوفييتي، فقام كاسترو بتأميم المصافي الكوبية التي تسيطر عليها الولايات المتحدة الأمريكية، مما جعل العلاقات الأمريكية الكوبية في أسوأ حال. وقامت الولايات المتحدة بمحاصرة كوبا ومازال الحصار قائما إلى هذا اليوم، وقد تحسنت العلاقات الكوبية السوفيتية، واستمر التبادل الاقتصادي حتى الثمانينات حيث قام الاتحاد بمحاصرة كوبا ووقف استيراد الرصاص الكوبي.

استناداً إلى مذكرات الرئيس السوفييتي خروشوف، فقد رأى الاتحاد السوفييتي أن يقوم على نشر صواريخ باليستية لتحول دون محاولة الولايات المتحدة غزو الجزيرة. وفي 15 أكتوبر 1962، اكتشفت طائرات التجسس الأمريكية منصات الصواريخ السوفييتية في كوبا ورأت فيها تهديداً مباشرا للولايات المتحدة نتيجة المسافة القصيرة التي تفصل بين كوبا والولايات المتحدة (90 ميلا). وقامت البحرية الأمريكية بتشكيل خط بحري يعمل على تفتيش السفن المتجهة إلى كوبا. وفي 27 أكتوبر 1962، بعث الرئيس الكوبي كاسترو برسالة خطية للرئيس السوفييتي يحثه فيها على شنّ هجوم نووي على الولايات المتحدة ولكن الاتحاد السوفييتي لم يستجب لهذا الطلب. ورضخ الاتحاد السوفييتي لإزالة الصواريخ الكوبية شريطة أن تتعهد الولايات المتحدة بعدم غزو كوبا والتخلص من الصواريخ الباليستية الأمريكية في تركيا.

استقال فيدل كاسترو من رئاسة كوبا ومن قيادة الجيش في 19 فبراير 2008 بعد صراع مع المرض دام 19 شهرا وتولى الحكم بدلاً منه شقيقه راؤول كاسترو.



مصطفى كمال أتاتورك
(1881- 1938م)

ولد مصطفى كمال أتاتورك في 19 مايو 1881 في مدينة سلانيك اليونانية وكانت تابعة للدولة العثمانية وقتئذ وتوفي في 10 نوفمبر 1938. أطلق عليه اسم الذئب الأغبر، واسم أتاتورك (أبو الأتراك) وذلك للبصمة الواضحة التي تركها عسكريا في الحرب العالمية الأولى وما بعدها وسياسيا بعد ذلك وحتى الآن في بناء نظام دولة تركيا الحديثة.

في عام 1905 تخرج مصطفى كمال من الكلية العسكرية في اسطنبول برتبة نقيب أركان حرب وأرسل إلى دمشق حيث بدأ مع العديد من زملائه بإنشاء خلية سرية أطلق عليها اسم الوطن والحرية لمحاربة استبداد السلطان وقد أزدهر سلوك مصطفى كمال عندما حصل على الشهرة والترقيات أمام بطولاته في كافة أركان الإمبراطورية العثمانية بما فيها ألبانيا وليبيا كما خدم فترة قصيرة كضابط أركان حرب في سالونيك واسطنبول وكملحق عسكري في صوفيا.

عندما شنت حملة الدردنيل عام 1915 أصبح الكولونيل مصطفى كمال بطلا وطنيا عندما حقق انتصارات متلاحقة وأخيراً رد الغزاة ورقي إلى رتبة جنرال عام 1916 وعمره 35 سنة وقام بتحرير مقاطعتين رئيستين في شرق أنطاليا في نفس السنة وفي السنتين التاليتين خدم كقائد للعديد من الجيوش العثمانية في فلسطين وحلب وحقق نصرا رئيسيا آخر عندما أوقف تقدم الأعداء عند حلب. في 19 مايو 1919 نزل مصطفى كمال في ميناء البحر الأسود سامسون لبدء حرب الاستقلال وفي تحد لحكومة السلطان نظم جيش التحرير في الأناضول وحشد جموع الارزورم وسيفاس الذين أسسوا قاعدة الجهاد الوطني تحت قيادته وفي 23 ابريل 1920 تأسس مجلس الأمة الكبير وانتخب مصطفى كمال لرئاسته.

قاد جيوشه في الحرب على عدة جبهات إلى النصر ضد معارضيه والجيوش الغازية محققا النصر التركي في معركتين رئيسيتين في انونو في غرب تركيا واجتمع المجلس الوطني

العظيم حيث أعطى مصطفى كمال لقب رئيس الأركان برتبة مارشال وفي 31 أغسطس 1922 ربحت الجيوش التركية حربها النهائية خلال أسابيع عدة وأصبحت الأرض التركية الرئيسية محررة بالكامل وتم توقيع الهدنة وانتهى حكم السلالة العثمانية.

في يوليو عام 1923 وقعت الحكومة الوطنية معاهدة لوزان مع بريطانيا العظمى وفرنسا واليونان وإيطاليا وآخرين.

تلقّى مصطفى كمال دراسة عسكرية وتولى مناصب مهمّة في الجيش العثماني وشارك في الحرب الليبية ضدّ الاحتلال الإيطالي وقاد حرب التحرير التركية ضد قوات الحلف في الحرب العالمية الأولى بمنطقة جاناق قلعة مضيق الدردنيل ثم ساهم في الانقلاب ضد السلطان العثماني وحيد الدين محمد (محمد السادس سلطان عثماني وليس ملك المغرب الحالي) والخليفة الصوري عبد المجيد الثاني وأعلن في أنقرة قيام جمهورية تركية قومية على النمط الأوروبي الحديث.

انتخبته الجمعية الوطنية الكبرى رئيسًا شرعيًا للحكومة، فأرسل مبعوثه «عصمت باشا» إلى بريطانيا لمفاوضة الإنجليز على استقلال تركيا.

وفي منتصف أكتوبر أصبحت أنقرة عاصمة الدولة التركية الحديثة وفي 29 أكتوبر أعلنت الجمهورية وانتخب مصطفى كمال باشا بالإجماع رئيساً للجمهورية.

وفي 3 مارس 1924 م ألغى مصطفى كمال الخلافة العثمانية، وطرد الخليفة وأسرته من البلاد، وألغى وزارتي الأوقاف والمحاكم الشرعية، وحوّل المدارس الدينية إلى مدنية، وأعلن أن تركيا دولة علمانية، وأغلق كثيرًا من المساجد، وحوّل مسجد آيا صوفيا الشهير إلى متحف، وجعل الأذان باللغة التركية، واستخدم الأبجدية اللاتينية في كتابة اللغة التركية بدلاً من الأبجدية العربية.

خلال الخمسة عشر عام التي أمضاها أتاتورك في الرئاسة أورد نظاما سياسيا وقضائيا جديدا، محا الخلافة وأنهاها وجعل كلا من الحكومة والتعليم علمانيا وحقق تقدما في الفنون والعلوم والزراعة والصناعة، حل برلمان اسطنبول المعارض له واستبدله ببرلمان أنقرة. في عام 1934 عندما تم تبنى قانون التسمية أعطاه البرلمان الجديد اسم أتاتورك (أبو الأتراك).

توفي في 10 نوفمبر 1938 بعد مرض استمر عدة أشهر.



مهاتما غاندي

(1869-1948 م)

هو مُهندَس كرمشاند غاندي الملقب بالمهاتما (أي صاحب النفس العظيمة أو القديس).

ولد المهاتما غاندي في الثاني من أكتوبر/ تشرين الأول 1869 في بور بندر بمقاطعة غوجارات الهندية من عائلة محافظة لها باع طويل في العمل السياسي، حيث شغل جده ومن بعده والده منصب رئيس وزراء إمارة بور بندر، كما كان للعائلة مشاريعها التجارية المشهورة. وقضى طفولة عادية ثم تزوج وهو في الثالثة عشرة من عمره بحسب التقاليد الهندية المحلية ورزق من زواجه هذا بأربعة أولاد.

سافر غاندي إلى بريطانيا عام 1882 لدراسة القانون، وعاش في الشهور الأولى من إقامته في لندن في حال من الضياع، وعدم التوازن، والرغبة في أن يكون رجلاً جنتلماناً انكليزياً. غير أنه سرعان ما أدرك أنه لا سبيل أمامه سوى العمل الجاد، خاصةً أن وضعه المالي والاجتماعي لم يكونا يسمحان له باللهو وضياع الوقت. وسرعان ما عاد غاندي إلى تدينه والتزامه وسعيه إلى الحقيقة والأخلاق. فأخذ يتعلم القانون، ويعمل على تفسير النصوص بطريقة تناسب عقلية شعبه، ويقبل ما يشبع العقل، ويوحِّد عقله مع دينه، ويطابقه بما يملي عليه ضميره.

بدأت ملامح شخصية غاندي تتضح، وكانت نباتيته مصدراً دائماً لإحراجه، فهذه النباتية موروث ثقافي تحول عنده إلى قناعة وإيمان، فأنشأ نادياً نباتياً، رأسه الدكتور أولدفيلد محرِّر مجلة «النباتي»، وصار السيد ادوين آرنولد نائباً للرئيس، وغاندي أميناً للسر. ويبدو أن حياة غاندي في انكلترا، وتجاربه فيها، كانتا تتقيدان بوجهة نظره الاقتصادية ومفهومه للصحة.

عاد غاندي إلى الهند في تموز عام 1891، بعد حصوله على الإجازة الجامعية التي تخوله ممارسة مهنة المحاماة. إلا أنه واجه مصاعب كثيرة، بدأت بفقدانه والدته التي غيبها الموت، واكتشافه أن المحاماة ليست طريقاً مضموناً للنجاح. وقد أعاده الإخفاق من

بومباي إلى راجكوت، فعمل فيها كاتباً للعرائض، خاضعاً لصلف المسؤولين البريطانيين. ولهذا السبب لم يتردد في قبول عرض للتعاقد معه لمدة عام، قدَّمته له مؤسسة هندية في ناتال بجنوب إفريقيا. وبدأت مع سفره إلى جنوب إفريقيا مرحلة كفاحه السلمي في مواجهة تحديات التفرقة العنصرية.

أسس غاندي ما عرف في عالم السياسية بـ «المقاومة السلمية» أو فلسفة اللاعنف (الساتياراها)، وهي مجموعة من المبادئ تقوم على أسس دينية وسياسية واقتصادية في آن واحد ملخصها الشجاعة والحقيقة واللاعنف، وتهدف إلى إلحاق الهزيمة بالمحتل عن طريق الوعي الكامل والعميق بالخطر المحدق وتكوين قوة قادرة على مواجهة هذا الخطر باللاعنف أولا ثم بالعنف إذا لم يوجد خيار آخر.

وتتخذ سياسة اللاعنف عدة أساليب لتحقيق أغراضها منها الصيام والمقاطعة والاعتصام والعصيان المدني والقبول بالسجن وعدم الخوف من أن تقود هذه الأساليب حتى النهاية إلى الموت.

ويشترط غاندي لنجاح هذه السياسة تمتع الخصم ببقية من ضمير وحرية تمكنه في النهاية من فتح حوار موضوعي مع الطرف الآخر.

وقد تأثر غاندي بعدد من المؤلفات كان لها دور كبير في بلورة فلسفته ومواقفه السياسية منها «نشيد الطوباوي» وهي عبارة عن ملحمة شعرية هندوسية كتبت في القرن الثالث قبل الميلاد واعتبرها غاندي بمثابة قاموسه الروحي ومرجعا أساسيا يستلهم منه أفكاره. إضافة إلى «موعظة الجبل» في الإنجيل، وكتاب «حتى الرجل الأخير» للفيلسوف الإنجليزي جون راسكين الذي مجد فيه الروح الجماعية والعمل بكافة أشكاله، وكتاب الأديب الروسي تولستوي «الخلاص في أنفسكم» الذي زاده قناعة بمحاربة المبشرين المسيحيين، وأخيرا كتاب الشاعر الأميركي هنري ديفد تورو «العصيان المدني». ويبدو كذلك تأثر غاندي بالبراهمانية التي هي عبارة عن ممارسة يومية ودائمة تهدف إلى جعل الإنسان يتحكم بكل أهوائه وحواسه بواسطة الزهد والتنسك وعن طريق الطعام واللباس والصيام والطهارة والصلاة والخشوع والتزام الصمت يوم الاثنين من كل أسبوع. وعبر هذه الممارسة يتوصل الإنسان إلى تحرير ذاته قبل أن يستحق تحرير الآخرين.

«أردت أن أعرف صفات الرجل الذي يملك بدون نزاع قلوب ملايين البشر..لقد أصبحت مقتنعا كل الاقتناع أن السيف لم يكن الوسيلة التي من خلالها اكتسب الإسلام مكانته، بل كان ذالك من خلال بساطة الرسول مع دقته وصدقه في الوعود، وتفانيه وإخلاصه لأصدقائه وأتباعه، وشجاعته مع ثقته المطلقة في ربه وفي رسالته. هذه الصفات هي التي مهدت الطريق. وتخطت المصاعب وليس السيف».

سافر غاندي وعائلته إلى جنوب إفريقيا عام 1893، وسكن ولاية «ناتال» الواقعة على المحيط الهندي، مقيماً في أهم مدنها «دوربان» التي عُرفت بصناعة السكر والتبغ، ويوجد الفحم فيها في المرتفعات الداخلية. عمل غاندي في جنوب إفريقيا مدافعاً عن حقوق عمال الزراعة الهنود والبوير العاملين في مزارع قصب السكر. وكان مجتمع العمال في جنوب إفريقيا منقسماً إلى جماعات مختلفة: جماعة التجار المسلمين «العرب»، وجماعة المستخدمين الهندوس، أما الجماعة الثالثة فهي الجماعة المسيحية، وكانت بين هذه الجماعات الثلاث بعض الصلات الاجتماعية.

لم يكن غاندي يعرف معلومات كثيرة عن الاضطهاد والتمييز العنصري في جنوب إفريقيا، ولكن مع مرور الأيام على وجوده في جنوب إفريقيا؛ اطلع على عديد من الحقائق والوقائع المفزعة الخاصة بممارسة التمييز العنصري. حيث شجعت حكومة جنوب إفريقيا على الاضطهاد العرقي، وعملت على تنفيذ إجراءات جائرة لمنع هجرة المزيد من الآسيويين إليها، وإكراه السكان المقيمين منهم في جنوب إفريقيا على الرحيل عنها، من خلال فرض ضرائب باهظة عليهم، ومطاردتهم من الشرطة، إضافة إلى أعمال النهب وتدمير المحلات والممتلكات تحت سمع حكومة البيض وبصرها.

دافع غاندي عن العمال الهنود والمستضعفين من الجاليات الأخرى، واتخذ من الفقر خياراً له، وتدرب على الإسعافات الأولية ليكون قادراً على إسعاف البسطاء، وهيّأ منـزله لاجتماعات رفاقه من أبناء المهنة ومن الساسة، حتى إنه كان ينفق من مدخرات أسرته على الأغراض الإنسانية العامة. وقاده ذلك إلى التخلي عن موكليه الأغنياء، ورفضه إدخال أطفاله المدارس الأوربية استناداً إلى كونه محامياً، يترافع أمام المحاكم العليا.

كان تعاقده مع المؤسسة الهندية لمدة عام قابلة للتمديد إن رغب. وقد رغب في مغادرة جنوب إفريقيا، ولكنّ حادثة شهيرة وقعت جعلته يصمم على البقاء للدفاع عن

حقوق الهنود هناك. فقد أعلنت حكومة جنوب إفريقيا نيتها إصدار تشريع يحظر حق الاقتراع العام على الهنود. وكان هؤلاء من الضعف والعجز بحيث لا يستطيعون الدفاع عن حقوقهم، كما افتقروا إلى القيادة القوية. وكان ذلك الأمر إيذاناً ببدء كفاح غاندي غير العنيف، في مواجهة السلطة البيضاء العنصرية. وقد مكنته معرفته بالقوانين من البرهنة على عدم شرعية قانون الاقتراع العام، وتمكن من أن يكسب معركته.

بدأ غاندي كفاحه السلمي بتحرير آلاف العرائض وتوجيهها إلى السلطة البيضاء في جنوب إفريقيا. وقام بتنظيم «المؤتمر الهندي» في الناتال، وأسس صحيفة (الرأي الهندي) التي صدرت باللغة الإنكليزية وبثلاث لغات هندية أخرى. وعمل على إقامة مستعمرة «فينيكس» الزراعية قرب «داربان» في العام 1904. وهي مستعمرة صغيرة أسسها مع قليل من أصدقائه الذين شاركوه أفكاره بأهمية الابتعاد عن صخب المدن وتلوثها، وعن طمع وكراهية وحقد البشر في المدن، فانسحب الهنود من المدن الرئيسية، مما أصاب الأعمال الصناعية بالشلل التدريجي.

ولقد اعتقل غاندي غير مرة، ولكن في عام 1906 بعد أن أصدرت حكومة إقليم الترانسفال قانوناً جديداً سمي بالقانون الآسيوي الجديد، وهو قانون يفرض على من يريد من الهنود من الرجال والنساء والأطفال، فوق سن الثامنة، الإقامة في الترانسفال أن يعيد تسجيل نفسه من جديد، ويحصل على إقامة جديدة. ومن يخالف القانون يكن مذنباً ويتعرض للسجن أو الترحيل. ووصلت العنصرية إلى حد اقتحام قوات البوليس منازل الهنود للتفتيش. فاندلعت مظاهرات في جوهانسبرج، وتعاطف الصينيون مع الهنود وانضموا إلى حركتهم. ولقد امتلأت السجون بالمعتقلين. فأرسل غاندي وفداً من ممثلي الهنود في جنوب إفريقيا إلى انكلترا وكان اقترح ثلاثة شروط في مجال مقاومته القانونية، واعتبر هذه المهمة تكليفاً، وهذه الشروط هي:

يجب على من هم مستعدون للمقاومة ضد القانون، في حال تنفيذه، أن يجددوا تعهدهم بالمقاومة.

ينبغي جمع تبرعات لتغطية نفقات سفر الوفد وإقامته في لندن.

يجب أن يكون عدد الوفد ثابتاً.

وقد التقى الوفد بوزير المستعمرات البريطاني، حيث كانت الترانسفال مستعمرة تابعة للتاج البريطاني. فأظهر الوزير الإنكليزي عدم رضاه علناً عن القانون، في حين أوعز

في السر إلى حكومة إقليم الترانسفال بأن بريطانيا ستمنح الإقليم الحكم الذاتي إذا ما نفذت القانون. ألقت قوات الشرطة القبض على غاندي وقادة آخرين بعد تطبيق القانون، وأطلق سراحه بعد مدة قصيرة، ثم قبض عليه مرة أخرى عام 1908، واقتيد إلى قلعة جوهانسبرج بملابس السجن. ووصلت أنباء الاضطرابات الواسعة والاجتماعات الجماهيرية والمسيرات السلمية إلى الهند، ففرضت على نائب الملك فيها للورد «هاربنك» تقديم احتجاج إلى حكومة جنوب إفريقيا لمعاملتها المشينة للهنود.

وجد غاندي وجماعته أنفسهم هدفاً لهراوات الشرطة التي عملت على تفتيت إدارة المقهورين من خلال تكسير العظام، فخرج إلى العالم بالإخلاص للحقيقة على أنه سلاح يغير بوساطته المظالم. يتحمل الألم، ويقاوم الأعداء بلا ضغينة، ويحارب الخصوم بلا عنف. واستمر نضال غاندي على هذا النحو طوال تلك السنوات. قطع معه الألوف الشوط حتى النهاية، مضحين بالعمل والحرية، دخلوا السجون، وتعرضوا للجوع والجلد والمهانة والرصاص، حتى رأت السلطات أن تقلل من تعسفها، فعرضت على غاندي تسوية بين الجانبين وافق عليها، وغادر بعدها جنوب إفريقيا متوجهاً إلى الهند في يوليو 1914. وقد حققت حركة اللاعنف التي قادها غاندي النصر والحياة الكريمة، وضمنت كرامة الهنود في جنوب إفريقيا وحقوقهم، بعد عشرين عاماً من الكفاح.

كانت جنوب أفريقيا مستعمرة بريطانية كالهند وبها العديد من العمال الهنود الذين قرر غاندي الدفاع عن حقوقهم أمام الشركات البريطانية التي كانوا يعملون فيها. وتعتبر الفترة التي قضاها بجنوب أفريقيا (1893-1915) من أهم مراحل تطوره الفكري والسياسي حيث أتاحت له فرصة لتعميق معارفه وثقافاته والاطلاع على ديانات وعقائد مختلفة، واختبر أسلوبا في العمل السياسي أثبت فعاليته ضد الاستعمار البريطاني. وأثرت فيه مشاهد التمييز العنصري التي كان يتبعها البيض ضد الأفارقة أصحاب البلاد الأصليين أو ضد الفئات الملونة الأخرى المقيمة هناك. وكان من ثمرات جهوده آنذاك:

إعادة الثقة إلى أبناء الجالية الهندية المهاجرة وتخليصهم من عقد الخوف والنقص ورفع مستواهم الأخلاقي.

إنشاء صحيفة «الرأي الهندي» التي دعا عبرها إلى فلسفة اللاعنف.

تأسيس حزب «المؤتمر الهندي لنتال» ليدافع عبره عن حقوق العمال الهنود.

محاربة قانون كان يحرم الهنود من حق التصويت.

تغيير ما كان يعرف بـ «المرسوم الآسيوي» الذي يفرض على الهنود تسجيل أنفسهم في سجلات خاصة.

ثني الحكومة البريطانية عن عزمها تحديد الهجرة الهندية إلى جنوب أفريقيا.

مكافحة قانون إلغاء عقود الزواج غير المسيحية.

عاد غاندي من جنوب أفريقيا إلى الهند عام 1915، وفي غضون سنوات قليلة من العمل الوطني أصبح الزعيم الأكثر شعبية. وركز عمله العام على النضال ضد الظلم الاجتماعي من جهة وضد الاستعمار من جهة أخرى، واهتم بشكل خاص بمشاكل العمال والفلاحين والمنبوذين واعتبر الفئة الأخيرة التي سماها «أبناء الله» سبة في جبين الهند ولا تليق بأمة تسعى لتحقيق الحرية والاستقلال والخلاص من الظلم.

قرر غاندي في عام 1932 البدء بصيام حتى الموت احتجاجا على مشروع قانون يكرس التمييز في الانتخابات ضد المنبوذين الهنود، مما دفع بالزعماء السياسيين والدينيين إلى التفاوض والتوصل إلى «اتفاقية بونا» التي قضت بزيادة عدد النواب «المنبوذين» وإلغاء نظام التمييز الانتخابي.

تميزت مواقف غاندي من الاحتلال البريطاني لشبه القارة الهندية في عمومها بالصلابة المبدئية التي لا تلغي أحيانا المرونة التكتيكية، وتسبب له تنقله بين المواقف القومية المتصلبة والتسويات المرحلية المهادنة حرجا مع خصومه ومؤيديه وصل أحيانا إلى حد التخوين والطعن في مصداقية نضاله الوطني من قبل المعارضين لأسلوبه، فعلى سبيل المثال تعاون غاندي مع بريطانيا في الحرب العالمية الأولى ضد دول المحور، وشارك عام 1918 بناء على طلب من الحاكم البريطاني في الهند بمؤتمر دلهي الحربي، ثم انتقل للمعارضة المباشرة للسياسة البريطانية بين عامي 1918 و 1922 وطالب خلال تلك الفترة بالاستقلال التام للهند. وفي عام 1922 قاد حركة عصيان مدني صعدت من الغضب الشعبي الذي وصل في بعض الأحيان إلى صدام بين الجماهير وقوات الأمن والشرطة البريطانية مما دفعه إلى إيقاف هذه الحركة، ورغم ذلك حكمت عليه السلطات البريطانية بالسجن ست سنوات ثم عادت وأفرجت عنه في عام 1924.

تحدى غاندي القوانين البريطانية التي كانت تحصر استخراج الملح بالسلطات البريطانية مما أوقع هذه السلطات في مأزق، وقاد مسيرة شعبية توجه بها إلى البحر لاستخراج الملح

من هناك، وفي عام 1931 أنهى هذا العصيان بعد توصل الطرفين إلى حل وسط ووقعت «معاهدة دلهي».

قرر غاندي في عام 1934 الاستقالة من حزب المؤتمر والتفرغ للمشكلات الاقتصادية التي كان يعاني منها الريف الهندي، وفي عام 1937 شجع الحزب على المشاركة في الانتخابات معتبرا أن دستور عام 1935 يشكل ضمانة كافية وحدا أدنى من المصداقية والحياد.

وفي عام 1940 عاد إلى حملات العصيان مرة أخرى فأطلق حملة جديدة احتجاجا على إعلان بريطانيا الهند دولة محاربة لجيوش المحور دون أن تنال استقلالها، واستمر هذا العصيان حتى عام 1941 كانت بريطانيا خلالها مشغولة بالحرب العالمية الثانية ويهمها استتباب أوضاع الهند حتى تكون لها عونا في المجهود الحربي. وإزاء الخطر الياباني المحدق حاولت السلطات البريطانية المصالحة مع الحركة الاستقلالية الهندية فأرسلت في عام 1942 بعثة عرفت باسم «بعثة كريبس» ولكنها فشلت في مسعاها، وعلى أثر ذلك قبل غاندي في عام 1943 ولأول مرة فكرة دخول الهند في حرب شاملة ضد دول المحور على أمل نيل استقلالها بعد ذلك، وخاطب الإنجليز بجملته الشهيرة «اتركوا الهند وأنتم أسياد»، لكن هذا الخطاب لم يعجب السلطات البريطانية فشنت حملة اعتقالات ومارست ألوانا من القمع العنيف كان غاندي نفسه من ضحاياه حيث ظل معتقلا خلف قضبان السجن ولم يفرج عنه إلا في عام 1944.

بانتهاء عام 1944 وبداية عام 1945 اقتربت الهند من الاستقلال وتزايدت المخاوف من الدعوات الانفصالية الهادفة إلى تقسيمها إلى دولتين بين المسلمين والهندوس، وحاول غاندي إقناع محمد علي جناح الذي كان على رأس الداعين إلى هذا الانفصال بالعدول عن توجهاته لكنه فشل.

وتم ذلك بالفعل في 16 أغسطس/آب 1947، وما إن أعلن تقسيم الهند حتى سادت الاضطرابات الدينية عموم الهند وبلغت من العنف حدا تجاوز كل التوقعات فسقط في كلكتا وحدها على سبيل المثال ما يزيد عن خمسة آلاف قتيل. وقد تألم غاندي لهذه الأحداث واعتبرها كارثة وطنية، كما زاد من ألمه تصاعد حدة التوتر بين الهند وباكستان بشأن كشمير وسقوط العديد من القتلى في الاشتباكات المسلحة التي نشبت

بينهما عام 1947 /1948 وأخذ يدعو إلى إعادة الوحدة الوطنية بين الهنود والمسلمين طالبا بشكل خاص من الأكثرية الهندوسية احترام حقوق الأقلية المسلمة.

لم ترق دعوات غاندي للأغلبية الهندوسية باحترام حقوق الأقلية المسلمة، واعتبرتها بعض الفئات الهندوسية المتعصبة خيانة عظمى فقررت التخلص منه، وبالفعل في 30 يناير 1948 أطلق أحد الهندوس المتعصبين ثلاث رصاصات قاتلة سقط على أثرها المهاتما غاندي صريعا عن عمر يناهز 79 عاما.

يلاحظ أن غاندي قد تعرض في حياته لستة محولات لاغتياله، وقد لقي مصرعه في المحاولة السادسة.

نيلسون مانديلا

ولد نيلسون مانديلا في 18 يوليو 1918 وهو الرئيس الأسبق لجمهورية جنوب إفريقيا وأحد أبرز المناضلين والمقاومين لسياسة التمييز العنصري التي كانت متبعة في جنوب إفريقيا. لقبه أفراد قبيلته بـ (ماديبا) وتعني العظيم المبجل وهو لقب يطلقه أفراد عشيرة مانديلا على الشخص الأرفع قدرا بينهم وأصبح مرادفا لاسم نيلسون مانديلا. دائما ما اعتبر مانديلا أن المهاتما غاندي المصدر الأكبر لإلهامه في حياته سواء لفلسفته حول نبذ العنف والمقاومة السلمية ومواجهة المصائب والصعاب بكرامة وكبرياء.

ولد نيلسون مانديلا في منطقة ترانسكاي في أفريقيا الجنوبية. وكان والده رئيساً لقبيلة التيمبو، وقد توفي ونيلسون لا يزال صغيراً، إلا انه انتخب مكان والده، وبدأ إعداده لتولي المنصب.

تلقى دروسه الابتدائية في مدرسة داخلية عام 1930، ثم بدأ الإعداد لنيل البكالوريوس من جامعة فورت هار. ولكنه فصل من الجامعة، مع رفيقه اوليفر تامبو، عام 1940 بتهمة الاشتراك في إضراب طلابي. ومن المعروف أن مانديلا عاش فترة دراسية مضطربة وتنقل بين العديد من الجامعات ولقد تابع مانديلا الدراسة بالمراسلة من مدينة جوهانسبورغ، وحصل على الإجازة ثم التحق بجامعة ويتواترساند لدراسة الحقوق.

كانت جنوب أفريقيا في تلك الفترة خاضعة لحكم يقوم على التمييز العنصري الشامل، إذ لم يكن يحق للسود الانتخاب ولا المشاركة في الحياة السياسية أو إدارة شؤون البلاد. بل أكثر من ذلك كان يحق لحكومة الأقلية البيضاء أن تجردهم من ممتلكاتهم أو أن تنقلهم من مقاطعة إلى أخرى، مع كل ما يعني ذلك لشعب (معظمه قبلي) من انتهاكات وحرمان من حق العيش على ارض الآباء والأجداد والى جانب الأهل وأبناء النسب الواحد.

بدأ مانديلا في المعارضة السياسية لنظام الحكم في جنوب إفريقيا الذي كان بيد الأقلية البيضاء، ذلك أن الحكم كان ينكر الحقوق السياسية والاجتماعية والاقتصادية

للأغلبية السوداء في جنوب إفريقيا. في 1942 انضم مانديلا إلى المجلس الإفريقي القومي، الذي كان يدعو للدفاع عن حقوق الأغلبية السوداء في جنوب إفريقيا.

وفي عام 1948، انتصر الحزب القومي في الانتخابات العامة، وكان لهذا الحزب، الذي يحكم من قبل البيض في جنوب إفريقيا، خطط وسياسات عنصرية، منها سياسات الفصل العنصري، وإدخال تشريعات عنصرية في مؤسسات الدولة. وفي تلك الفترة أصبح مانديلا قائدا لحملات المعارضة والمقاومة.

كان مانديلا في البداية يدعو للمقاومة غير المسلحة ضد سياسات التمييز العنصري، لكن بعد إطلاق النار على متظاهرين عزل في عام 1960، وإقرار قوانين تحظر الجماعات المضادة للعنصرية، قرر مانديلا وزعماء المجلس الإفريقي القومي فتح باب المقاومة المسلحة.

في عام 1961 أصبح مانديلا رئيسا للجناح العسكري للمجلس الإفريقي القومي. وفي فبراير 1962 أُعتقل مانديلا وحُكم عليه لمدة 5 سنوات بتهمة السفر غير القانوني، والتدبير للإضراب. وفي عام 1964 حكم عليه مرة أخرى بتهمة التخطيط لعمل مسلح والخيانة العظمى فحكم عليه بالسجن مدى الحياة.

خلال سنوات سجنه السبعة والعشرين، أصبح النداء بتحرير مانديلا من السجن رمزا لرفض سياسة التمييز العنصري. وفي 10 يونيو 1980 تم نشر رسالة استطاع مانديلا إرسالها للمجلس الإفريقي القومي قال فيها: «اتحدوا! وجهزوا! وحاربوا! إذ ما بين سندان التحرك الشعبي، ومطرقة المقاومة المسلحة، سنسحق الفصل العنصري».

في عام 1985 عُرض على مانديلا إطلاق السراح مقابل إعلان وقف المقاومة المسلحة، إلا أنه رفض العرض. وبقي في السجن حتى 11 فبراير 1990 عندما أثمرت مثابرة المجلس الإفريقي القومي، والضغوطات الدولية عن إطلاق سراحه بأمر من رئيس الجمهورية فريدريك ويليام دي كليرك الذي أعلن إيقاف الحظر الذي كان مفروضا على المجلس الإفريقي.

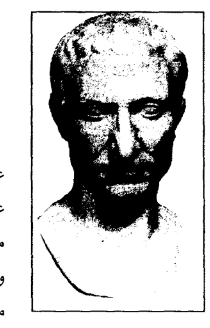
حصل نيلسون مانديلا مع الرئيس فريدريك دي كليرك في عام 1993 على جائزة نوبل للسلام.

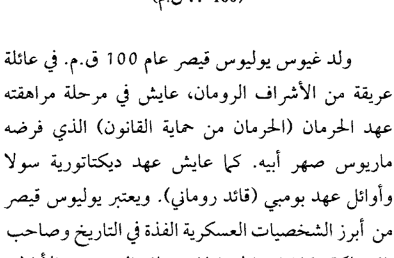
شغل مانديلا منصب رئاسة المجلس الإفريقي (من يونيو 1991- إلى ديسمبر 1997)، وأصبح أول رئيس أسود لجنوب إفريقيا (من مايو 1994- إلى يونيو 1999).

وخلال فترة حكمه شهدت جنوب إفريقيا انتقالا كبيرا من حكم الأقلية إلى حكم الأغلبية. ولكن ذلك لم يمنع البعض من انتقاد فترة حكمه لعدم اتخاذ سياسات صارمة لمكافحة الايدز من جانب، ولعلاقاته المتينة من جانب آخر بزعماء معارضين للسياسات الأمريكية كالرئيس الليبي معمر القذافي والكوبي فيدل كاسترو.

بعد تقاعده في 1999 تابع مانديلا تحركه مع الجمعيات والحركات المنادية بحقوق الإنسان حول العالم. وتلقى عددا كبيرا من الميداليات والتكريمات من رؤساء وزعماء دول العالم. وكان له كذلك عدد من الآراء المثيرة للجدل في الغرب مثل آرائه في القضية الفلسطينية ومعارضته للسياسات الخارجية للرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش، وغيرها.

في يونيو 2004 قرر نيلسون مانديلا ذو الـ 85 عاما التقاعد وترك الحياة العامة، ذلك أن صحته أصبحت لا تسمح بالتحرك والانتقال، كما أنه فضل أن يقضي ما تبقى من عمره بين عائلته. في 2005 اختارته الأمم المتحدة سفيرا للنوايا الحسنة. وتزامناً مع يوم ميلاده التسعين في يوليو 2008 أقر الرئيس الأمريكي جورج بوش قرار شطب اسم مانديلا من على لائحة الإرهاب في الولايات المتحدة الأمريكية.





يوليوس قيصر

(100-44 ق.م)

ولد غيوس يوليوس قيصر عام 100 ق.م. في عائلة عريقة من الأشراف الرومان، عايش في مرحلة مراهقته عهد الحرمان (الحرمان من حماية القانون) الذي فرضه ماريوس صهر أبيه. كما عايش عهد ديكتاتورية سولا وأوائل عهد بومبي (قائد روماني). ويعتبر يوليوس قيصر من أبرز الشخصيات العسكرية الفذة في التاريخ وصاحب ثورة تحويل روما من جمهورية إلى مملكة وكان إمبراطورا لها، وخلفه العديد من الأباطرة والحكام الذين تبنوا اسمه وأبرزهم ابنه (بالتبني) أغسطس قيصر وبطليموس الخامس عشر (قيصرون) ابنه من كليوباترا السابعة.

كان يوليوس قيصر منذ صغره محباً للعلم حيث درس في اليونان العديد من العلوم، إذ كانت اليونان مركز العلوم في ذلك الحين وكان أبناء أثرياء روما يرسلون إليها للتعلم ثم التدرج في العمل السياسي أو ما شابه. انضم قيصر إلى المعترك السياسي منذ بداياته حيث كانت عائلة قيصر معادية بصورة تقليدية لحكم الأقلية المتمثل بمجموعة من الأعضاء النبلاء في مجلس الشيوخ. وجاء قيصر ليتبع هذا التقليد.

أودعه سولا السجن لفترة قصيرة لكنه تمكن من المحافظة على علاقات طيبة مع النبلاء لعشر سنوات بعد إطلاق سراحه. حتى أنه تم اختياره زميلاً جديدا في كلية القساوسة عام 73 ق.م. ثم انضم إلى صفوف الجيش الروماني كضابط ومحاسب تابع للحكومة الرومانية إلى أن قاد جيشه الخاص المعروف كأكثر جيوش روما انضباطا على الإطلاق. وقف قيصر إلى جانب بومبي مؤيداً له بصورة صريحة عام 71 ق.م. وشكل قيصر وبومبي وكراسوس أول حكومة ثلاثية.

خلال السنوات التسع التي تلت انشغل قيصر بقيادة حملاته في بقاع مختلفة من العالم شملت توسعة نفوذ روما إلى كل من بلاد الغال (فرنسا) وسوريا ومصر وغيرها، حيث كانت معظم حملاته ناجحة إلى حد مثير حيث عين حاكما لإسبانيا البعيدة ليتم انتخابه

قنصلاً. ونصب بعد ذلك حاكماً على بلاد الغال، وكانت تلك مهمة شغلته لتسع سنوات كان خلالها تاركا لبومبي وكراسوس أمر حماية مصالحه في روما. إلا إنه كانت هناك خلافات كثيرة بينهم في هذا الوقت جعلتهم يعقدون لقاء فيما بينهم في لوكا عام 56 ق.م. في محاولة لحل تلك الخلافات. عين بومبي قنصلاً وحيداً عام 52 ق.م. بعد موت كراسوس الأمر الذي نتجت عنه حرب أهلية وهزيمة لجيش بومبي في إسبانيا عام 45 ق.م ثم عاد قيصر بعد ذلك إلى روما ليكون حاكمها الدكتاتوري المطلق.

حاول تحسين ظروف حياة المواطنين الرومان وزيادة فعالية الحكومة وجعلها تتبنى مواقف تنم عن صدق وأمانة وأعلن في عام 44 ق.م. عن جعل ديكتاتوريته المطلقة حكما دائما على روما، غير أن أعداءه الكثر دبروا له مؤامرة كانت نتيجتها اغتياله في آذار من عام 44 ق.م. مما ادخل روما بحرب أهلية أخرى وحزن كبير على فقدانه حيث انتقم ماركوس أنطونيوس (زميل قيصر) وأغسطس قيصر (ابن قيصر بالتبني) من مغتالي قيصر وهم بروتوس (الذي يعتقد أنه كان ابناً لقيصر) والذي قدم له قيصر في حياته العديد من المناصب والألقاب وعينه حاكما لغاليا ومع ذلك صوب نحوه الخنجر فقال له يوليوس قيصر (حتى أنت يا بروتوس) وأيضا كاسيوس الذي كان يخدم في جيش قيصر أيضا مما جعل اغتيال قيصر قصة درامية تاريخية ذكرها العديد من الكتاب وأبرزهم شكسبير الذي وصفها بأقبح عملية اغتيال في التاريخ. حيث تدور تفاصيل المؤامرة انه بعد الإعلان السابق ذكره قام زملاؤه بمجلس السناتو بانتظاره في القاعة وما إن جلس معهم حتى قاموا جميعا بطعنه بخناجرهم في بطنه وصدره وكان الاتفاق أن لكل شخص منهم طعنة حتى يموت على أيديهم جميعا دون أن تقع التهمة على شخص واحد وتتالت الطعنات على أحشاء يوليوس قيصر حتى جاءه آخرهم بروتوس السابق ذكره وطعنه بخنجره فقال جملته الشهيرة «حتى أنت يا بروتوس» فقال له بروتوس: إني احبك ولكني أحب روما أكثر منك وجذب سلاحه من أحشائه، ومات يوليوس هكذا بهذه الصورة البشعة.

كان غيوس يوليوس قيصر أحد أفراد أسرة من الأشراف الرومان برزت منذ عهد طويل اكتنفه الغموض، وكانت تتجلى فيه معالم ومواهب ومقدرات الشخصية الأرستقراطية الرومانية، فكلمة «شرف» غالباً ما كانت على شفتيه، والشرف تطلب منه أن يكون مخلصاً وفياً إلى أبعد حدود الإخلاص والوفاء إلى أصدقائه ومعاصريه ومؤيديه حتى إلى أولئك الأوضع مقاماً ممن يؤدون له خدمة، كان قيصر يقول إنه حتى لو تساعده

عصابة من قطاع الطرق وسفاكي الدماء في الدفاع عن شرفه فإنه سيكافؤها بنفس الطريقة التي يكافئ بها أناساً آخرين. كانت لقيصر العديد من المواهب منها الكتابة والتأليف وكانت له العديد من الكتب المشهورة آنذاك في روما. لم يكن قيصر وحشياً بالفطرة إنما على العكس من ذلك تماماً، كانت رأفته تجاه أبناء البلاد التي كان يفتحها معروفة ذائعة الصيت وحتى في حروبه الخارجية لم يكن قيصر وحشياً بقصد الوحشية، لكن كان عليه أن يوفر الغنائم لقواته وكان يجب إمدادها بما تحتاجه من مؤن وطعام. لذا كان بحكم الضرورة يقوم بنهب وسلب المدن وبيع السكان كعبيد.


أعظم شخصيات التاريخ
العلمية





ابـــن الهيثـم

(965-1040م)

ولد ابن الهيثم في ولاية البصرة سنة 354 هجرية-965 ميلادية، في عصر كان يشهد ازدهارا في مختلف العلوم من رياضيات وفلك وفيزياء وطب وغيرها، هناك انكب على دراسة الهندسة والبصريات وقراءة كتب من سبقوه من علماء اليونان والعالم الأندلسي الزهراوي وغيرهم في هذا المجال. كتب عدة رسائل وكتب في تلك العلوم وساهم في وضع القواعد الرئيسية لها، وأكمل ما كان قد بدأه العالم الكبير الزهراوي.

وكان في كل أحواله زاهدًا في الدنيا؛ درس في بغداد الطب، واجتاز امتحانا مقررًا لكل من يريد العمل بالمهنة، وتخصص في طب الكحالة (طب العيون)، كان أهل بغداد يقصدونه للسؤال في عدة علوم، برغم أن المدينة كانت زاخرة بصفوة من كبار علماء العصر.

جاء في كتاب (أخبار الحكماء) للقفطي على لسان ابن الهيثم: «لو كنت بمصر لعملت بنيلها عملاً يحصل النفع في كل حالة من حالاته من زيادة ونقصان». فوصل قوله هذا إلى الحاكم بأمر الله الفاطمي، فأرسل إليه بعض الأموال سرًا، وطلب منه الحضور إلى مصر. وأمده بما يريد للقيام بهذا المشروع، فحدد ابن الهيثم مكان إقامته وباشر دراسة النهر على طول مجراه، ولما وصل إلى قرب أسوان وجد مياه النيل تنحدر منه من كافة جوانبه، فأدرك أنه كان واهمًا متسرعًا في ما ادعى المقدرة عليه، وهو بناء سد يحجز ماء الفيضان، وأنه عاجز عن البرّ بوعده بإمكانات عصره. حينئذ عاد إلى الحاكم بأمر الله معتذراً، فقبل عذره وولاه أحد المناصب. غير أن ابن الهيثم خاف غضب الحاكم عليه، فخشي أن يكيد له، وتظاهر بالجنون، وظل على التظاهر به حتى وفاة الحاكم الفاطمي. وبعد وفاته عاد عن التظاهر بالجنون، وسكن قبة على باب الجامع الأزهر، واتخذ نسخ بعض الكتب العالمية موردًا لرزقه، هذا بخلاف التأليف والترجمة؛ حيث كان متمكنا من عدة لغات، وتفرغ في سائر وقته للتأليف والتجربة، وذلك حتى وفاته في عام 1039م، وقد وصل ما

كتبه إلى 237 مخطوطة ورسالة في مختلف فروع العلم والمعرفة، وقد اختفى جزء كبير من هذه المؤلفات لكنها وجدت مرة أخرى تحت فراشه.

اعتمد ابن الهيثم في بحوثه على أحد منهجين: منهج الاستقراء، ومنهج الاستنباط، وفي الحالين كان يعتمد على التجربة والملاحظة، وكان همه من وراء البحث الوصول إلى الحقيقة التي تثلج صدره، وقد حدد الرجل هدفه من بحوثه، وهو إفادة من يطلب الحق ويؤثره، في حياته وبعد مماته.

وكان ابن الهيثم يرى أن تضارب الآراء هو الطريق الوحيد لظهور الحقيقة. وقد جعل من التجربة العملية منهاجًا ثابتًا في إثبات صحة أو خطأ النتائج العقلية أو الفرضيات العلمية، وبعد ذلك يحاول التعبير عن النتيجة الصحيحة بصياغة رياضية دقيقة.

ويعد ابن الهيثم صاحب السبق في علم الضوء، وقد وضع أسس هذا العلم في كتابه المناظر. وقد ألف هذا الكتاب عام 411هـ/ 1021م، وفيه استثمر خبرته الطبية، وتجاربه العلمية، فتوصل فيه إلى نتائج وضعته على قمة عالية في المجال العلمي، وصار بها أحد المؤسسين لعلوم غيّرت من نظرة العلماء لأمور كثيرة في هذا المجال حتى لقبه العلماء (أمير النور).

أما في علم الفلك فلابن الهيثم حوالي 20 مخطوطة في هذا المجال، وقد استخدم عبقريته الرياضية في مناقشة كثير من الأمور الفلكية، كما ناقش في رسائله بعض الأمور الفلكية مناقشة منطقية، عكست عبقرية الرجل من جانب، ومن جانب آخر عمق خبرته وعلمه بالفلك، ومن أمثله مؤلفاته:

ارتفاع القطب: وفيه استخرج ارتفاع القطب، وتحديد خط عرض أي مكان.

أضواء الكواكب: اختلاف منظر القمر.

ضوء القمر: وأثبت فيه أن القمر يعكس ضوء الشمس وليس له ضوء ذاتي.

الأثر الذي في وجه القمر: وفيه ناقش الخطوط التي تُرى في وجه القمر، وتوصل إلى أن القمر يتكون من عدة عناصر، يختلف كل منها في امتصاص وعكس الضوء الساقط عليه من الشمس، ومن ثم يظهر هذا الأثر.

مقالة في التنبيه على مواضع الغلط في كيفية الرصد.

تصحيح الأعمال النجومية في ارتفاعات الكواكب.

وغير ذلك كثير.

أما في علم الميكانيكا فكانت دراسته للظواهر الميكانيكية في إطار تجاربه في علم الضوء، ولكنه توصّل إلى رصد ما يلي:

- أن للحركة نوعين: الحركة الطبيعية، وهي حركة الجسم بتأثير من وزنه، وهو ما يعرف الآن باسم «السقوط الحر». والحركة العرضية، وهي الحركة التي تنتج من تأثير عامل خارجي (القوة)، وهو يرى في الجسم الساقط سقوطًا حرًا أن سرعته تكون أقوى وأسرع إذا كانت مسافته أطول، وتعتمد بالتالي سرعته على ثقله والمسافة التي يقطعها.

- تحليل حركة الجسم: ينظر ابن الهيثم إلى حركة الجسم أنها مركبة من قسطين (مركبتين)، واحدة باتجاه الأفق، والأخرى باتجاه العمود على الأفق، وأن الزاوية بين المركبتين قائمة، وأن السرعة التي يتحرك بها الجسم هي محصلة هذين القسطين.

- درس تغير سرعة الأجسام عند تصادمها بحسب خصائص هذه الأجسام وميز بين الاصطدام المرن، وغير المرن، وكان ذلك عند تجربته بإلقاء كرة من الصلب (في دراسته لانعكاس الضوء) على سطح من الحديد، وسقوطها على سطح من الخشب أو التراب.

وقد كان لابن الهيثم مساهماته الجليلة في العديد من العلوم غير علم البصريات؛ ففي علم الرياضيات وضع العديد من المؤلفات، وقد صل إلينا منها 37 مخطوطا، بعضها كان شرحًا وتعليقا على مؤلفات الأولين في هذا المجال، والبعض الآخر تأسيسًا لنظريات رياضية حول خصائص المثلث والكرة، وكيفية استخراج ارتفاعات الأجسام، وغير ذلك.

ذكر أن لابن الهيثم ما يقرب من مائتي كتاب، خلا رسائل كثيرة، فقد ألف في الهندسة والطبيعيات، والفلك، والحساب والجبر والطب والمنطق والأخلاق، بلغ منها ما يتعلق بالرياضيات والعلوم التعليمية، خمسة وعشرين، وما يتعلق منها بالفلسفة والفيزياء، ثلاثة وأربعين، أما ما كتبه في الطب فقد بلغ ثلاثين جزءاً، وهو كتاب في

الصناعات الطبية نظمه من مجمل وجوامع ما رآه مناسباً من كتب جالينوس، وهو ثلاثون كتاباً:

الأول في البرهان، والثاني في فرق الطب، والثالث في الصناعة الصغيرة، والرابع في التشريح، والخامس في القوى الطبيعية، والسادس في منافع الأعضاء، والسابع في آراء أبقراط وأفلاطون، والثامن في المني، والتاسع في الصوت، والعاشر في العلل والأعراض، والحادي عشر في أصناف الحميات، والثاني عشر في البحران، والثالث عشر في النبض الكبير، والرابع عشر في الأسطقسات على رأي أبقراط، والخامس عشر في المزاج والسادس عشر في قوى الأدوية المفردة والسابع عشر في قوى الأدوية المركبة، والثامن عشر في موضوعات الأعضاء الآلمة، والتاسع عشر في حيلة البرء، والعشرون في حفظ الصحة، والحادي والعشرون في جودة الكيموس ورداءته، والثاني والعشرون في أمراض العين، والثالث والعشرون في أن قوى النفس تابعة لمزاج البدن، والرابع والعشرون في سوء المزاج المختلف، والخامس والعشرون في أيام البحران، والسادس والعشرون في الكثرة، والسابع والعشرون في استعمال الفصد لشفاء الأمراض، والثامن والعشرون في الذبول، والتاسع والعشرون في أفضل هيئات البدن، والثلاثون جمع حنين ابن إسحاق من كلام جالينوس وكلام أبقراط في الأغذية.

ويتبين من تعداد هذه المصنفات أنه ألف في شؤون طبية هامة نقل معظمها عن جالينوس، ولكنه علق عليها وزاد فيها، وألف كتباً أخرى، ذات صلة بالطب والمعالجة، كرسالته في تأثير اللحون الموسيقية، في النفوس الحيوانية، وذلك في وقت لم تكن فيه معالجة بعض الأمراض النفسية، بالألحان الموسيقية قد وجدت طريقها أو احتلت مكانها في دنيا المعالجات النفسية.

أما الكتب التي قام بتأليفها فمنها:

ـ كتاب المناظر: الذي يعد ثورة في عالم البصريات، فقد رفض فيه عددًا من نظريات بطليموس في علم الضوء، بعدما توصل إلى نظريات جديدة غدت نواة علم البصريات الحديث.

ومن أهم الآراء الواردة في الكتاب:

زعم بطليموس أن الرؤية تتم بواسطة أشعة تنبعث من العين إلى الجسم المرئي، ولما جاء ابن الهيثم نسف هذه النظرية، فبين أن الرؤية تتم بواسطة الأشعة التي تنعكس من الجسم المرئي باتجاه عين المبصر. كما بيّن ابن الهيثم أن الشعاع الضوئي ينتشر في خط مستقيم ضمن وسط متجانس. واكتشف ابن الهيثم ظاهرة انعكاس الضوء، وظاهرة انعطاف الضوء. ومن أهم منجزاته أنه شرّح العين تشريحاً كاملاً، وبين وظيفة كل قسم منها.

- اختلاف منظر القمر
- رؤية الكواكب
- التنبيه على ما في الرصد من الغلط
- أصول المساحة
- أعمدة المثلثات
- المرايا المحرقة بالقطوع
- المرايا المحرقة بالدوائر
- كيفيات الإظلال
- رسالة في الشفق
- شرح أصول إقليدس
- مقالة فى صورة الكسوف
- رسالة فى مساحة المجسم المكافئ
- مقالة فى تربيع الدائرة
- مقالة مستقصاة فى الأشكال الهلالية
- خواص المثلث من جهة العمود
- القول المعروف بالغريب فى حساب المعاملات
- قول فى مساحة الكرة.
- كتاب الجامع في أصول الحساب.
- كتاب في تحليل المسائل الهندسية.
- مقالة في التحليل والتركيب.

وقد درس ابن الهيثم ظواهر انكسار الضوء وانعكاسه بشكل مفصّل، وخالف الآراء القديمة كنظريات بطليموس، فنفى أن الرؤية تتم بواسطة أشعة تنبعث من العين، كما أرسى أساسيات علم العدسات وشرّح العين تشريحا كاملا. يعتبر كتاب المناظر المرجع الأهم الذي استند عليه علماء العصر الحديث في تطوير التقانة الضوئية، وهو تاريخياً أول من قام بتجارب الكاميرا Camera وهو الاسم المشتق من الكلمة العربية: «قُمرة» وتعني الغرفة المظلمة بشباك صغير.



ابـن بطوطـة

(1304 - 1377م)

هو محمد بن عبد الله بن محمد الطنجي عرف بابن بطوطة، وهو رحّالة ومؤرخ وقاض وفقيه مغربي لقب بأمير الرحالين المسلمين.

ولد في طنجة بالمغرب سنة (703هـ/ 1304م) لعائلة عرف عنها عملها في القضاء وفي فتوّته درس الشريعة وقرر عام 1325 وهو ابن 20 عاماً، أن يخرج حاجاً كما أمل من سفره أن يتعلم المزيد عن ممارسة الشريعة في أنحاء بلاد الإسلام. وخرج من طنجة سنة 725 هـ فطاف بلاد المغرب ومصر والشام والحجاز والعراق وفارس واليمن والبحرين وتركستان وما وراء النهر وبعض الهند والصين والجاوة وبلاد التتار وأؤاسط أفريقيا. واتصل بكثير من الملوك والأمراء فمدحهم - وكان ينظم الشعر - واستعان بهباتهم على أسفاره.

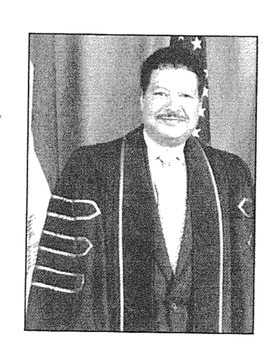
وعاد إلى المغرب الأقصى، فانقطع إلى السلطان أبي عنان (من ملوك بني مرين) فأقام في بلاده. وأملى أخبار رحلته على محمد بن جزي الكلبي بمدينة فاس سنة 756هـ وسماها تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار. ترجمت إلى اللغات البرتغالية والفرنسية والإنجليزية، ونشرت بها، وترجم فصول منها إلى الألمانية نشرت أيضا. إضافة إلى لغته الامازيغية. كان يحسن التركية والفارسية، واستغرقت رحلته 27 سنة (1325-1352م) ومات في مراكش سنة 779 هـ/ 1377م. تلقبه جامعة كامبريدج في كتبها وأطالسها بأمير الرحالة المسلمين.

في أول رحلة له مر ابن بطوطة في الجزائر وتونس ومصر وفلسطين وسوريا ومنها إلى مكة. وفيما يلي مقطع مما سجله عن هذه الرحلة:

«كان خروجي من طنجة مسقط رأسي في يوم الخميس 2 رجب 725هـ «1324م» معتمداً حج بيت الله الحرام وزيارة قبر الرسول ﷺ ، منفرداً عن رفيق آنس بصحبته، وركب أكون في جملته، لباعث على النفس شديد العزائم، وشوق إلى تلك المعاهد الشريفة... فجزمت نفسي على هجر الأحباب من الإناث والذكور، وفارقت وطني

مفارقة الطيور للوكور، وكان والداي بقيد الحياة فتحملت لبعدهما وصباً، ولقيت كما لقيا نصباً.

قام ابن بطوطة بثلاث رحلات وقد استغرق في مجموعها نحو تسع وعشرين سنة وكان أطولها الرحلة الأولى التي زار خلالها معظم نواحي المغرب والمشرق وكانت أطول إقامة له في بلاد الهند حيث تولى القضاء سنتين ثم في الصين حيث تولى القضاء سنة ونصف السنة وفي هذه الفترة وصف كل ما شاهده وعاينه فيهما وذكر كل من عرفه من سلاطين ورجال ونساء ووصف ملابسهم وعاداتهم وأخلاقهم وضيافتهم وما حدث في أثناء إقامته من حوادث.



أحمد زويل

أحمد حسن زويل، عالم كيميائي مصري أمريكي حاصل على جائزة نوبل في الكيمياء لعام 1999 ولد في دمنهور في جمهورية مصر العربية وذلك في 26 فبراير عام 1946م.

من أبرز إنجازات العالم المصري أحمد زويل هو اختراعه لكاميرا تعمل باستخدام الليزر لها القدرة على رصد حركة الجزيئات عند نشوئها وعند التحام بعضها ببعض. وقد ساعدت على التعرف على الكثير من الأمراض بسرعة كما أن له العديد من براءات الاختراع للعديد من الأجهزة العلمية. ومن أهم منجزاته هو أنه أصبح عضواً في الأكاديمية الأمريكية للعلوم في سن الثالثة والأربعين.

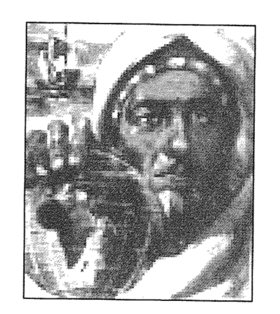
أما الجوائز التي حصل عليها فهي: جائزة ألكسندر فون همبولدن من ألمانيا الغربية وهي أكبر جائزة علمية هناك. وجائزة باك وتيني من نيويورك. وجائزة الملك فيصل في العلوم والفيزياء عام 1989. وجائزة في الكيمياء عام 1993. وجائزة بنجامين فرانكلين عام 1998م على عمله في دراسة التفاعل الكيميائي في زمن متناهي الصغر (Femto-Second) يسمى femtochemistry. وجائزة نوبل للكيمياء لإنجازاته في نفس المجال عام 1999. والجائزة الأمريكية (أهداها الرئيس بيل كلينتون). وجائزة وزارة الطاقة الأمريكية السنوية في الكيمياء. وجائزة «كارس» من جامعة زيورخ في الكيمياء والطبيعة وهي أكبر جائزة علمية سويسرية.

انتخبته الأكاديمية البابوية، ليصبح عضوا بها ويحصل على وسامها الذهبي عام2000. كما انتخب بالإجماع عضوا في الأكاديمية الأمريكية للعلوم. ووضع اسمه في قائمة الشرف في الولايات المتحدة الأمريكية.

كرمته مصر، وحصل على عدة جوائز مصرية منها قلادة النيل العظمى وهي أعلى وسام مصري، وأطلق اسمه على بعض الشوارع والميادين.

يوجد له كتابان وهما: كتاب «رحلة عبر الزمن.. الطريق إلى نوبل» وكتاب «عصر العلم» وقد تم إصداره في العام 2005 وتم طباعة 5 طبعات منه خلال عام، حيث نفدت الطبعة الأولى منه خلال ساعتين من إصداره.

يعيش البروفيسور زويل في سان مارينو بولاية كاليفورنيا، وهو أستاذ كرسي لينوس باولينج في الكيمياء الفيزيائية وأستاذ الفيزياء في كالتيك، وهو متزوج من السيدة ديما زويل وهي تعمل طبيبة، وتم اختياره ليكون عضواً في المجلس الاستشاري في جامعة الملك عبد الله للعلوم والتقنية في المملكة العربية السعودية.



الإدريسي

(1100-1166م)

ولد أبو عبد الله عبد الله محمد بن محمد بن الشريف الإدريسي قرابة العام 1100 في مدينة سبتة المغربية (خاضعة للسيطرة الإسبانية حالياً). بعض المصادر التي تحدثت عن حياة الإدريسي ترجع نسبه عبر سلسلة من الوجهاء والأمراء إلى النبي محمد ﷺ . كما أن الإدريسي هو سليل خلفاء الدولة الحموية التي لم تعمر طويلاً (1016-1058) التي حكمت جنوب شبه الجزيرة الأيبيرية وشمال أفريقيا. كما أن خلفاء الدولة الحموية هذه ينتسبون إلى قبيلة الأدارسة العربية في المغرب (789-985) والتي أخذ الإدريسي اسمه منها. ويقال إن قبيلة الأدارسة تنتسب إلى الحسن ابن علي حفيد النبي محمد ﷺ .

سبتة في المغرب، مسقط رأس الإدريسي، هي المدينة التي انسحب الحمويون إليها بعد أن خسروا ملقة في إسبانيا عام 1057 . ومن سبتة كان الإدريسي ينطلق في أسفاره في كل أرجاء المنطقة حيث تعرف على أدق تفاصيل شمال أفريقيا وشبه الجزيرة الأيبيرية. ولاحقاً سافر الإدريسي إلى قرطبة للدراسة قبل أن يمضي بعض السنوات من عمره في الجزائر والمغرب. ومع توسيعه لبحوثه رأى أن من الضروري له أن يوسع أسفاره حيث وصل إلى البرتغال وشمال إسبانيا وفرنسا وانكلترا.

من الجدير بالذكر أن صقلية كانت خاضعة لحكم العرب قبل استيلاء النورمانديين عليها. ولهذا فقد كان من السهل انتشار أعمال العرب المسلمين براً إلى المنطقة الأوروبية عموماً نحو الشمال والغرب. وخلال الحكم العربي للجزيرة أنتج العلماء المسلمون أفكاراً واكتشافات علمية جديدة في أوروبا التي كانت تعاني من الركود الفكري العام. غير أن الغزاة النورمانديون تمكنوا من التقدم جنوباً إلى صقلية في القرن الحادي عشر في الفترة بين 1065-1071 مروراً بمناطق شاسعة في أوروبا انطلاقاً من انكلترا.

كما أن من الجدير بالذكر أن الغزاة النورمانديين تعاملوا بتقدير كبير مع الإنجازات العلمية والفنية والثقافية العربية كما لم يعملوا على إيقاف عمل العرب في هذه الميادين.

فهم لم يحفظوا إنجازات المسلمين فحسب بل إنهم سمحوا للعلماء المسلمين بمتابعة عملهم ودعموهم في إنجازها أيضاً. وكان هذا يعود في الوجه الأكبر منه إلى الرؤية التي تحلى بها الملك روجر الثاني (1097-1154) حاكم صقلية في ذلك الوقت. كان روجر الثاني داعماً قوياً للبحث العلمي والإنجازات الفنية. وكان على وجه الخصوص شغوفاً بعلم الجغرافيا واكتشف أن معارف العرب في هذا المجال لا تقدر بثمن. ولهذا فقد جمع مكتبة ضخمة من المخطوطات والخرائط الجغرافيا العربية وأحاط نفسه بالخبراء في هذا المجال. وعلى ما يبدو فإن الموقع الجغرافي لمدينة باليرمو في صقلية قد جعل من السهل على روجر الثاني أن يفعل ذلك. لقد كانت صقلية معبراً للتجار والبحارة والعلماء والحجاج والغزاة من مختلف الأنحاء وفي شتى الاتجاهات في ذلك الزمن.

حينها قرر روجر الثاني أن ينجز خريطة للعالم وكتاباً يصف جغرافيا الأرض. وتقول بعض المصادر التاريخية إن عائلة الإدريسي، الحمويين، كانت صاحبة حضور قوي في صقلية العربية وساهمت في ذيوع صيت معارفه العلمية. وحين سمع روجر الثاني بأمر الإدريسي، أعجب بما سمع عنه ودعاه للالتحاق به في صقلية. وعرض الملك على الإدريسي دعمه لإنجاز خريطته الشهيرة والكتاب المصاحب لها. وفي الدعوة قال له الملك: «إنك ابن عائلة من الخلفاء. ولهذا السبب، حين تكون بين المسلمين فإن ملوكهم سيسعون وراء قتلك، أما إذا ما كنت معي فسأضمن لك سلامتك الشخصية».

سواء كان لهذه الكلمات أي أثر في إقناع الإدريسي أم لا، فقد قبل دعوة الملك بسرور لأنه نفسه كان متحمساً جداً لهذا المشروع العلمي. وبالفعل وجد الإدريسي في الملك روجر الراعي المثالي لعمله. بعض أترابه من العرب والمسلمين لم يعجبهم قراره بالعمل في بلاط ملك نصراني، غير أنه كان على قناعة بأن نتائج عمله العلمي يجب أن تفيد كل الأديان. وهكذا سافر إلى صقلية عام 1145، على الرغم من أن أول زيارة له إلى الجزيرة كانت قبلها بخمس أو ست سنوات وكان المشروع الذي ينتظره هو توفير كل المعلومات المعروفة عن المواقع الدقيقة للمدن (بما في ذلك ذكر خط إحداثيات العرض والطول) ومواقع المناطق المناخية المتباينة إضافة إلى المسافات بين الأماكن المأهولة بالسكان لمساعدة المسافرين والملاحين.

ولمساعدة الإدريسي في هذا المشروع الضخم، وفر الملك روجر الثاني له كل الأدوات والموارد التي طلبها. كما أنه، وبمساعدة الإدريسي نفسه، جمع فريقاً من الناس

لإرسالهم إلى أصقاع العالم البعيدة من أجل أن يجمعوا معلومات عيانية تعتمد على تقصياتهم المباشرة، وحين عودتهم كان هؤلاء يقدمون التقارير والمخطوطات التي أعدوها في مهماتهم للإدريسي.

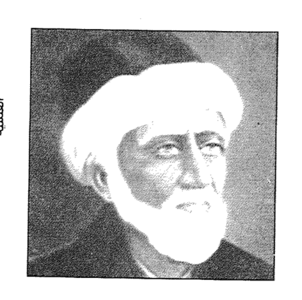
كانت الإنجازات الأكثر أهمية التي نجمت عن أعمال الإدريسي في صقلية وتعاونه مع الملك النورماندي ثلاثة وهي: خريطة كروية فضية للأرض وخريطة أخرى للعالم تقسم كوكب الأرض إلى سبع مناطق مناخية وكتاب يقدم فيه شروحاً مفصلة عن الكرة الأرضية التي صنعها. كان عنوان الكتاب هو «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق». واعترافاً بجهد الملك روجر الثاني يشار إلى هذا الكتاب أيضاً باسم «كتاب روجر» أو «الكتاب الروجري». ومع كل ما فيه من خرائط ومواد علمية وإشارات إلى الأعمال الجغرافية الإغريقية والعربية، احتاج الكتاب 15 عاماً حتى اكتمال إنجازه أوائل عام 1154. وقد توفي الملك روجر الثاني بوقت قصير بعدها.

يعتبر نزهة المشتاق أضخم وأفضل مشروع جغرافي أنتجته أوروبا في العصور الوسيطة. وقد اكتسب أهمية خاصة لأوصافه التي قدمها عن منطقة البحر المتوسط وشبه جزيرة البلقان. كما أثار الإدريسي في كتابه هذا القضية الجدلية الكبيرة في عصره حيث أكد أن الأرض كروية. ورد على الاعتراضات التي وجهت إلى نظريته هذه بالقول: البعض يحتج بالقول إن السوائل (البحار) لا يمكن أن تتماسك مع محيط مدور، غير أن الحقيقة هي أنها يمكن أن تتماسك حيث تحتويها حالة من التوازن المتواصل.

وما يؤسف له هو أن كرة الإدريسي الفضية قد ضاعت مع الوقت ولا نعرف عنها إلا من المخطوطات التي ذكرتها. أما فيما يتعلق بخرائطه التي وضعها للعالم فإن النسخ الأقدم عنها هي خريطة الجزيرة العربية التي نشرها باحث ألماني في القرن الماضي (1931) واستمدها من أطلس يعود إلى تلك الحقبة. ثم نشرت نسخة معدلة عنها بعدها بعشرين عاماً في العراق عام (1951).

إلى جانب الجغرافيا، كان الإدريسي مهتماً أيضاً بالطب والمنهج الطبي. فقد وضع جهوده العلمية في هذا المجال في كتاب أسماه «كتاب الأدوية المفردة» الذي وصف فيه الأدوية وخواصها مستخدماً اثنتي عشرة لغة. لكن العالم في العموم يتذكر الإدريسي لإنجازاته الجغرافية في العصور الوسطى. ولا يعرف الكثير عن السنوات الأخيرة من

حياته. ربما يكون وقع ضحية الاكتئاب حين عرف بأن كوكبه الفضي قد سُرق خلال شغب قام به رعاع نورمانديون عام 1161. وتوفي الإدريسي بعدها بخمس سنوات في صقلية عام 1166. غير أن تركته وأثره العلميين عاشا طويلاً بعده. فقد كان الإدريسي أشهر جغرافي عربي ومسلم عرفه الأوروبيون وربما كان هذا يعود في وجه منه إلى وجوده في صقلية واتصال الجزيرة الدائم مع البحارة والتجار القادمين من إقليم المتوسط وسواحل الأطلسي وبحور الشمال.



أبو الريحان البيروني
(973-1048م)

أبو الريحان محمد بن أحمد بيروني، عالم مسلم ولد في ضاحية كاث عاصمة خوارزم (أوزبكستان) في شهر سبتمبر حوالي سنة (326هـ/ 973م) رحل إلى جرجان في سن الخامسة والعشرين (حوالي 388هـ 962م) حيث التحق ببلاط السلطان أبو الحسن قابوس بن وشمجير شمس المعالي، ونشر هناك أول كتبه وهو «الآثار الباقية عن القرون الخالية» وحين عاد إلى موطنه ألحق بحاشية الأمير أبي العباس مأمون بن مأمون خوارزم شاه الذي عهد إليه ببعض المهام السياسية نظرا لطلاقة لسانه، وعند سقوط الإمارة بيد محمود بن سبكتكين حاكم عزنةعام407هـ ألحقه مع طائفة من العلماء إلى بلاطه ونشر ثاني مؤلفاته الكبرى «تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة» كما كتب مؤلفين آخرين كبيرين هما القانون المسعودي والتفهيم لأوائل صناعة التنجيم، توفي سنة (440هـ،1048م) وأطلق عليه المستشرقون تسمية بطليموس العرب.

كان البيروني عالم رياضيات وفيزياء وكان له اهتمامات في مجال الصيدلة والكتابة الموسوعية والفلك والتاريخ. سميت فوهة بركانية على سطح القمر باسمه إلى جانب 300 اسم لامع تم اختياره لتسمية الفوهات البركانية على القمر ومنهم الخوارزمي وأرسطو وابن سينا. ولد في خوارزم التابعة حاليا لأوزبكستان والتي كانت في عهده تابعة لسلالة السامانيين في بلاد فارس، درس الرياضيات على يد العالم منصور بن عراق (970 - 1036) وعاصر ابن سينا (980 - 1037) وابن مسكوويه (932 - 1030) الفيلسوفين من مدينة الري الواقعة في طهران. تعلم اللغة اليونانية والسنسكريتية خلال رحلاته وكتب باللغة العربية والفارسية.

البيروني بلغة خوارزم تعني الغريب أو الآتي من خارج البلدة، كتب البيروني العديد من المؤلفات في مسائل علمية وتاريخية وفلكية وله مساهمات في حساب المثلثات والدائرة

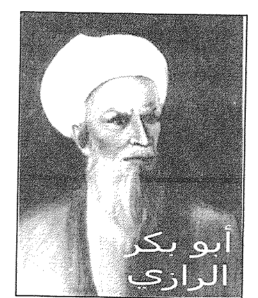
وخطوط الطول والعرض، ودوران الأرض والفرق بين سرعة الضوء وسرعة الصوت، هذا بالإضافة إلى ما كتبه في تاريخ الهند. اشتهر أيضا بكتاباته عن الصيدلة والأدوية، وكتب في أواخر حياته كتاباً سماه «الصيدلة في الطب» وكان الكتاب عن ماهيات الأدوية ومعرفة أسمائها.

أهم كتبه كتاب: تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، وقد قام الدكتور إدوارد سخاو من جامعة برلين بتحقيقه.

ومن كتبه الأخرى الاستيعاب في تسطيح الكرة، والتعليل بإجالة الوهم في معاني النظم، والتفهيم لأوائل صناعة التنجيم على طريق المدخل، وهو علم يبحث عن التدرج من أعم الموضوعات إلى اخصها ليحصل بذلك موضوع العلوم المندرجة تحت ذلك الأعم، ولما كان أعم العلوم موضوعا العلم الإلهي جعل تقسيم العلوم من فروعه ويمكن التدرج فيه من الأخص إلى الأعم على عكس ما ذكر، لكن الأول أسهل وأيسر وموضوع هذا العلم وغايته ظاهران، وله أيضا كتب: تجريد الشعاعات والأنوار، والجماهر في معرفة الجواهر، والتنبيه في صناعة التمويه، والآثار الباقية عن القرون الخالية في النجوم، والتاريخ مجلد، وهو كتاب مفيد ألفه لشمس المعالي قابوس وبين فيه التواريخ التي تستعملها الأمم والاختلاف في الأصول التي هي مبادؤها. وكتاب الإرشاد في أحكام النجوم، وكتاب الاستشهاد باختلاف الأرصاد، وقال إن أهل الرصد عجزوا عن ضبط أجزاء الدائرة العظمى بأجزاء الدائرة الصغرى فوضع هذا التأليف لإثبات هذا المدعي، وكتاب الشموس الشافية، وكتاب العجائب الطبيعية والغرائب الصناعية تكلم فيه على العزائم والنيرنجيات والطلسمات بما يغرس به اليقين في قلوب العارفين ويزيل الشبه عن المرتابين. وكتاب القانون المسعودي في الهيئة والنجوم ألفه لمسعود بن محمود بن سبكتكين (محمود الغزنوي) في سنة إحدى وعشرين وأربعمائة حذا فيه حذو بطلميوس في المجسطى وهو من الكتب المبسوطة في هذا الفن، وكتاب الأحجار لأرسطو صنفه واستخرج بنظره، والإرشاد الإلهي خواصها ومنافعها وذكر فيه خاصية ستمائة ونيف حجر، وله أيضا مختار الأشعار والآثار، وهو كتاب استخراج الأوتار في الدائرة بخواص الخط المنحني فيها، وهو من تحقيق الدكتور أحمد سعيد الدمرداش.

الــرازي

(1148-1209 م)



محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين بن علي التميمي البكري الرازي المعروف بفخر الدين الرازي أو ابن خطيب الري. وهو عالم موسوعي امتدت بحوثه ودراساته ومؤلفاته من العلوم الإنسانية اللغوية والعقلية إلى العلوم البحتة في: الفيزياء، الرياضيات، الطب، الفلك.

ولد فخر الدين الرازي بمدينة الري عام 543هـ / 1148م، وكان والده الإمام ضياء الدين عمر بن الحسن فقيها اشتغل بعلم الخلاف في الفقه وأصول الفقه، وله تصانيف كثيرة في الأصول والوعظ وغيرهما. وعلى يد والده تعلم فخر الدين العلوم اللغوية والدينية، وتتلمذ العلوم العقلية على يد مجد الدولة الجيلي بمدينة مراغة (قرية مشهورة بأذربيجان).

وصار لفخر الدين الرازي تلاميذ صاروا علماء كبارا من بينهم: زين الدين الكشي، والقطب المصري، وشهاب الدين المصري. وقد كان فخر الدين الرازي شديد الدقة في أبحاثه، جيد الفطرة، حاد الذكاء، حسن العبارة، قوي النظر في صناعة الطب ومباحثها، عارفا بالأدب، ويتقن العربية والفارسية، وله شعر باللغتين العربية والفارسية. وكان طلاب العلم يقصدونه من كافة البلدان يعشقون مجلسه والاستماع إليه، وكان يعقد مجالسه العلمية حيثما حل في بلاد فارس، وخراسان، وبلاد ما وراء النهر، وكان يقرب منه في حلقات درسه تلاميذه الكبار، وبقية الطلاب والأمراء والعظماء من مستمعيه في حلقات تتلوها حلقات.

وقد حدث في إحدى هذه المجالس أن حمامة يطاردها صقر رفرفت في دائر صحن جامع هراة وسقيفته، وكانت العيون ترقبها فلم تجد ملاذا لها سوى أن تدخل إيوان الجامع، ومرت بين الصفوف المتحلقة، وفوق الرؤوس، واستقرت في حجر فخر الدين الرازي، فراح يربت على رأسها وريشها، ففر الصقر هاربا ونجت الحمامة، وكان الشاعر شرف الدين حاضرا المجلس، فارتجل شعرا في حكاية الحمامة، ومدح فخر الدين الرازي.

وقد عانى فخر الدين الرازي في صباه وشبابه الكثير من أخيه الأكبر سنا الملقب بالركن، وكان أخوه الركن يعرف شيئا من علوم الفقه والأصول، لكنه كان أهوج كثير الاختلال، ولذلك كان أبوهما لا يخفي إيثار فخر الدين الرازي على أخيه الأكبر، لذا كان هذا الأخ الأكبر يشعر بالغيرة من أخيه فخر الدين الرازي. فقد كان يتبعه في أسفاره ويسير خلفه يشنع عليه ويسفه المشتغلين بكتبه والناظرين في أقواله محتجا بأنه أكبر منه وأعلم وأكثر معرفة بالفقه وأصوله، متعجبا من الناس كيف يقولون فخر الدين الرازي ولا يقولون ركن الدين، ومع ذلك كان فخر الدين الرازي حينما يبلغه هذا الأمر يشعر بالإشفاق عليه ويسارع بالإحسان إليه.

وقد عانى فخر الدين الرازي في شبابه المشقات في أسفاره في طلب العلم، فقد غادر الري قاصدا بخارى ليكتسب جديدا من العلم، ويكسب بعض المال وكانت بخارى ما زالت منارة من منارات العلم والمعرفة، ونزل في الطريق بخوارزم وعقد بها حلقة للعلم تحدث فيها بالفارسية والعربية بآراء لم ترضِ أهل خوارزم فأخرجوه منها، وقصد بخارى فوجد أهلها مثل أهل خوارزم، وعانى من الفقر والجوع، فآوى إلى مسجدها الجامع إلى أن رعاه رجل من أهل بخارى، وجمع له مالا من أموال الصدقات. وعاد فخر الدين الرازي بعد ذلك إلى الري وأمن إلى طبيب حاذق له ثروة وله بنتان تزوج إحداهما، وتوفي هذا الطبيب بعد قليل فورثت ابنته ثروة لا بأس بها.

وتوجه فخر الدين الرازي إلى السلطان شهاب الدين الغوري صاحب غزنة، فبالغ في إكرامه، ثم توجه فخر الدين الرازي إلى خراسان، واتصل بالسلطان خوارزم شاه محمد بن تكش، ويقال إنه قد أرسله رسولا إلى الهند في بعض أموره.

ومن بعد خراسان توجه فخر الدين الرازي إلى هراة (بلدة في إيران) وقد عزم على الإقامة مع أهله وولديه بها، واستقر فخر الدين الرازي في أواخر حياته بمدينة هراة، وصارت له بها دار فخمة أعطاها له السلطان خوارزم شاه محمد بن تكش الذي كان حريصا دائما على حضور مجالسه العلمية. وقد كان يعقد مجالسه العلمية بمسجد هراة. وقد توفي بهراة، ودفن بظاهر هراة عند جبل قريب منها عام 606هـ/ 1209 م.

وفخر الدين الرازي بمجمل مؤلفاته هو أول مَن ابتكر الترتيب وفق قواعد المنطق في كتبه، من حيث ترتيب المقدمات واستنباط النتائج مراعيا التقسيم إلى أبواب، وتقسيم

الأبواب إلى فصول، وتقسيم الفصول إلى مسائل فلا تشذ منه مسألة، حتى انضبطت له القواعد، وانحصرت معه المسائل. وفخر الدين الرازي هو أول مَن قال من العرب: إن علم المنطق علم قائم بذاته وليس جزء من غيره.

ومن أهم إنجازات فخر الدين الرازي أنه كان من أوائل العلماء الذين قالوا بنظرية الورود في الضوء من المبصرات إلى العين، وفي كيفية الإبصار. وقد فسر فخر الدين الرازي حدوث الصوت في كتابه المباحث الشرقية بسببين: الأول منهما قريب يحدث من صدم فسكون فصدم فسكون. والثاني منهما بعيد ويحدث من عاملين: القرع والقلع.

وقد اكتشف فخر الدين الرازي الفرق بين قوة الصدمة والقوة الثابتة، فالأولى زمنها قصير، والثانية زمنها طويل. كما اكتشف أن الأجسام كلما كانت أعظم كانت قوتها أقوى، وزمان فعلها أقصر، وأن الأجسام كلما كانت أعظم كان ميلها إلى أحيازها الطبيعية أقوى وكان قبولها للميل القسري أضعف.

وقد ذكر فخر الدين الرازي أن الحركة حركتان: حركة طبيعية سببها موجود في الجسم المتحرك، وحركة قسرية سببها خارج عن الجسم المتحرك. كما عزا فخر التغير الطارئ على سرعة الجسم إلى المعوقات التي يتعرض لها، ولولاها لاحتفظ الجسم بسرعة ثابتة إذ أن تغير السرعة مرهون بتغير هذه المعوقات، داخلية كانت أو خارجية. وكلما كانت المعوقات أقوى كانت السرعة أضعف.

وذكر فخر الدين الرازي أن الجسمين إذا اختلفا في قبول الحركة الطبيعية، لم يكن ذلك الاختلاف بسبب المتحرك بل بسبب اختلاف حال القوة المحركة بين الجسمين، فالقوة في الجسم المتحرك الأكبر، أكثر مما في الجسم المتحرك الأصغر. وأن الجسمين المتحركين حركة قسرية تختلف حركتهما لا لاختلاف المحرك بل لاختلاف المتحرك، فالمعاوق في الكبير أكثر منه في الصغير.

وشرح القانون الثالث من قوانين الحركة الذي يقول: لكل فعل رد فعل مساوٍ له في المقدار ومضاد له في الاتجاه. وقد شارك فخر الدين الرازي العالم العربي المسلم ابن ملكا البغدادي في القول بأن الحلقة المتزنة بتأثير قوتين متساويتين تقع تحت تأثير فعل ومقاومة أي أن هناك فعلا ورد فعل متساويين في المقدار ومتضادين في الاتجاه يؤديان إلى حالة الاتزان.

وقد ألف فخر الدين الرازي كتبا كثيرة، وشرح كتبا أقل، في شتى العلوم والفنون في عصره، خلال حياة امتدت أربعة وستين عاما. ومن أهم شروحه شرح الإشارات والتنبيهات للعالم ابن سينا.

ومن أهم كتبه في الفيزياء: المباحث الشرقية وهو كتاب موسوعي على غرار كتاب ابن ملكا البغدادي: المعتبر في الحكمة وهو من أشهر كتبه، وقد أودع فيه كافة إنجازاته العلمية.

ومن أهم كتبه في الرياضيات: مصادرات إقليدس وهو كتاب في الهندسة. ومن أهم مؤلفاته في الفلك: رسالة في علم الهيئة. ومن أهم كتبه في الطب: مسائل في الطب. كتاب في النبض. كتاب في الأشربة. وكتابان لم يتمهما: الطب الكبير أو الجامع الملكي الكبير. كتاب في التشريح من الرأس إلى القدم. وهو كتاب هام في علم التشريح وله شروح لبعض كتب ابن سينا الطبية وهي: القانون في الطب. الكليات. عيون الحكمة.



جابر بن حيان
(721-815م)

أبو عبد الله جابر بن حيان بن عبد الله الأزدي، ولد على أشهر الروايات في سنة 101هـ/ 721 م، وقيل أيضاً 117 هـ/ 737م، وهو عالم عربي اختلفت الروايات في تحديد أصله ومكان مولده، فمن المؤرخين من يقول بأنه من مواليد الجزيرة على الفرات شرق سوريا، ومنهم من يقول إن أصله من مدينة حران من أعمال بلاد ما بين النهرين في سوريا. ولعل هذا الانتساب ناتج عن تشابه في الأسماء فجابر المنسوب إلى الأندلس هو العالم الفلكي العربي جابر بن أفلح الذي ولد في اشبيلية وعاش في القرن الثاني عشر الميلادي. ويذهب البعض إلى أنه ولد في مدينة طوس من أعمال خراسان في إيران.

وقد وصف بأنه كان طويل القامة، كثيف اللحية مشتهرا بالإيمان والورع وقد أطلق عليه العديد من الألقاب ومن هذه الألقاب: «الأستاذ الكبير» و «شيخ الكيميائيين المسلمين» و «أبو الكيمياء» و «القديس السامي التصوف» و «ملك الهند».

وجابر بن حيان شخصية بارزة، ومن أعظم علماء القرون الوسطى. وهو أبو موسى جابر بن حيان الأزدي. ويلقب أحياناً بالحراني والصوفي. ويقال إنه كان من الصابئة ومن ثم جاء لقبه الحراني. ودخل جابر في الإسلام بعد ذلك وأظهر غيرة عظيمة على دينه الجديد، ويذكر الأب جورج قنواتي أن جابراً أرسل إلى الجزيرة العربية بعد وفاة والده، وهو صغير حيث درس القرآن والرياضيات، وذهب ابن النديم في «الفهرست» إلى أن الناس اختلفوا في نسبة جابر إلى جهة معينة كالشيعة والبرامكة والفلاسفة، بل هناك من أنكر وجوده أصلاً، لذلك يجب التحفظ بشأن نسبته إلى الصابئة. وإن كان أصله من خراسان فقد عاش معظم حياته في الكوفة.

مارس جابر الطب في بداية حياته تحت رعاية الوزير جعفر البرمكي أيام الخليفة العباسي هارون الرشيد. وبعد نكبة البرامكة سجن في الكوفة وظل في السجن حتى وفاته.

كانت أهم الإسهامات العلمية لجابر في الكيمياء، فهو الذي أدخل المنهج التجريبي إلى الكيمياء، وهو مخترع القلويات المعروفة في مصطلحات الكيمياء الحديثة باسمها العربي، وماء الفضة. وهو كذلك صاحب الفضل فيما عرفه الأوربيون عن ملح النشادر، وماء الذهب، والبوتاس.

ومن أهم إسهاماته العلمية كذلك، أنه أدخل عنصرَيْ التجربة والمعمل في الكيمياء وأوصى بدقة البحث والاعتماد على التجربة والصبر على القيام بها. فجابر يُعَد من رواد العلوم التطبيقية. وتتجلى إسهاماته في هذا الميدان في تكرير المعادن، وتحضير الفولاذ، وصبغ الأقمشة ودبغ الجلود، وطلاء القماش المانع لتسرب الماء، واستعمال ثاني أكسيد المنغنيز في صنع الزجاج.

وقد قسم جابر المواد حسب خصائصها إلى ثلاثة أنواع مختلفة، وهي:

1. الكحوليات: أي تلك المواد التي تتبخر عند تسخينها مثل الكافور، وكلوريد الألمنيوم.

2. المعادن: مثل الذهب، والفضة، والرصاص، والحديد.

3. المركبات: وهي التي يمكن تحويلها إلى مساحيق.

وخلاصة القول، حسب «سارطون»، إنه لا يمكن معرفة القيمة الحقيقية لما قام به جابر إلا إذا تم تحقيق وتحرير جميع مؤلفاته ونشرها.

هاجر والده حيان بن عبد الله الأزدي من اليمن إلى الكوفة في أواخر عصر بني أمية، وعمل في الكوفة صيدلانياً وبقي يمارس هذه المهنة مدة طويلة (ولعل مهنة والده كانت سبباً في بدايات جابر في الكيمياء) ثم سافر إلى حران في أعالي بلاد ما بين النهرين ويقال خراسان، وفي حران ولد النابغة جابر بن حيان المؤسس الحقيقي لعلم الكيمياء وتعلم هناك. وتوفي جابر وقد جاوز التسعين من عمره في الكوفة بعدما فر إليها من العباسيين بعد نكبة البرامكة.

انضم إلى حلقات الإمام جعفر الصادق ولذا نجد أن جابر بن حيان تلقى علومه الشرعية واللغوية والكيميائية على يد الإمام جعفر الصادق. وذكر أنه درس أيضا على يد الحميري. ومعظم مؤرخي العلوم يعتبرون جابر بن حيان تلقى علومه من أستاذه الحقيقي الإمام جعفر الصادق.

بدأت الكيمياء خرافية تستند على الأساطير البالية، حيث سيطرت فكرة تحويل المعادن الرخيصة إلى معادن نفيسة وذلك لأن العلماء في الحضارات ما قبل الحضارة الإسلامية كانوا يعتقدون أن المعادن المنطرقة مثل الذهب والفضة والنحاس والحديد والرصاص والقصدير من نوع واحد، وأن تباينها نابع من الحرارة والبرودة والجفاف والرطوبة الكامنة فيها وهي أعراض متغيرة (نسبة إلى نظرية العناصر الأربعة، النار والهواء والماء والتراب) لذا يمكن تحويل هذه المعادن من بعضها البعض بواسطة مادة ثالثة وهي الإكسير. ومن هذا المنطلق تخيل بعض علماء الحضارات السابقة للحضارة الإسلامية أنه بالإمكان ابتكار إكسير الحياة أو حجر الحكمة الذي يزيل علل الحياة ويطيل العمر.

وقد تأثر بعض العلماء العرب والمسلمين الأوائل كجابر بن حيان وأبو بكر الرازي بنظرية العناصر الأربعة التي ورثها علماء العرب والمسلمين من اليونان. لكنهما قاما بدراسة علمية دقيقة لها؛ وقد أدت هذه الدراسة إلى وضع وتطبيق المنهج العلمي التجريبي في حقل العلوم التجريبية. فمحاولة معرفة مدى صحة نظرية العناصر الأربعة ساعدت علماء العرب والمسلمين في الوقوف على عدد كبير جداً من المواد الكيماوية، وكذلك معرفة بعض التفاعلات الكيماوية، لذا فإن الفضل يرجع إلى علماء المسلمين في تطوير اكتشاف بعض العمليات الكيميائية البسيطة مثل: التقطير والتسامي والترشيح والتبلور والملغمة والتكسيد. وبهذه العمليات البسيطة استطاع جهابذة العلم في مجال علم الكيمياء اختراع آلات متنوعة للتجارب العلمية التي قادت علماء العصر الحديث إلى غزو الفضاء.

وهذه قائمة بسيطة وموجزة حول بعض منجزات جابر بن حيان في علوم الكيمياء:

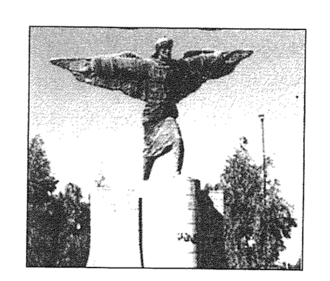
- اكتشف «الصودا الكاوية» أو القطرون (NaOH).
- أول من إستحضر ماء الذهب.
- أول من أدخل طريقة فصل الذهب عن الفضة بالحلّ بواسطة الأحماض. وهي الطريقة السائدة إلى يومنا هذا.
- أول من اكتشف حمض النتريك.
- أول من اكتشف حمض الهيدروكلوريك.
- اعتقد بالتولد الذاتي.
- أضاف جوهرين إلى عناصر اليونان الأربعة وهما (الكبريت والزئبق) وأضاف العرب جوهرا ثالثا وهو (الملح).

- أول من اكتشف حمض الكبريتيك وقام بتسميته بزيت الزاج.
- أدخل تحسينات على طرق التبخير والتصفية والانصهار والتبلور والتقطير.
- استطاع إعداد الكثير من المواد الكيميائية كسلفيد الزئبق وأكسيد الارسين.
- نجح في وضع أول طريقة للتقطير في العالم. فقد اخترع جهاز تقطير ويستخدم فيه جهاز زجاجي له قمع طويل لا يزال يعرف حتى اليوم في الغرب. وقد تمكن جابر ابن حيان من تحسين نوعية زجاج هذه الأداة بمزجه بثاني أكسيد المنغنيز.

ولجابر بن حيان الكثير من الكتب والمؤلفات منها:

- أسرار الكيمياء (كتاب)
- أصول الكيمياء (كتاب)
- علم الهيئة (كتاب)
- الرحمة (كتاب)
- المكتسب (كتاب)
- الخمائر الصغيرة (كتاب)
- «كتاب أصول الكيمياء»
- «صندوق الحكمة»
- «كتاب الملك»
- «كتاب الخواص»
- «كتاب السموم ودفع مضارها»
- ومجموعة رسائل وكتب أخرى تم ترجمة العديد منها للاتينية

وتعود شهرة جابر بن حيان إلى مؤلفاته العديدة، ومنها «كتاب الرسائل السبعين»، ترجمه إلى اللاتينية جيرار الكريموني سنة 1187م وتضاف إلى هذه الكتب تصانيف أخرى عديدة تتناول، إلى جانب الكيمياء، شروحاً لكتب أرسطو وأفلاطون؛ ورسائل في الفلسفة، والتنجيم، والرياضيات، والطب، والموسيقى. وجاء في «الأعلام» للزركلي أن جابراً له تصانيف كثيرة تتراوح ما بين مائتين واثنين وثلاثين (232) وخمسمائة (500) كتاب، لكن ضاع أكثرها. وقد ترجمت بعض كتب جابر إلى اللغة اللاتينية في أوائل القرن الثاني عشر، كما ترجم بعضها من اللاتينية إلى الإنجليزية عام 1678. وظل الأوروبيون يعتمدون على كتبه لعدة قرون، وقد كان لها أثر كبير في تطوير الكيمياء الحديثة. وفي هذا يقول ماكس مايرهوف: يمكن إرجاع تطور الكيمياء في أوروبا إلى جابر بن حيان بصورة مباشرة. وأكبر دليل على ذلك أن كثيراً من المصطلحات التي ابتكرها ما زالت مستعملة في مختلف اللغات الأوربية.



عباس بن فرناس

(810-887 م)

مخترع وفيلسوف وشاعر أندلسي، ولد برندة عام 810 م وتوفي بقرطبة عام 887 م، من موالي بني أمية. عاش في عصر الخليفة الأموي الحكم بن هشام وعبدالرحمن الناصر لدين الله ومحمد بن عبد الرحمن الأوسط في القرن التاسع للميلاد. كان له اهتمامات في الرياضيات والفلك والكيمياء والفيزياء. اشتهر أكثر ما اشتهر بمحاولته الطيران إذ يعده المسلمون أول طيار في التاريخ.

تبحره في الشعر ومعرفته في الفلك مكنتاه من أن يدخل إلى مجلس عبد الرحمن الناصر لدين الله المعروف بالثاني، ولكنه استمر في التردد على مجلس خليفته في الحكم محمد بن عبد الرحمن الأوسط (852-886)، لكثرة اختراعاته والتي ذكر بعضها المؤرخون. اخترع ابن فرناس ساعة مائية سماها «الميقات» وهو أول من وضع تقنيات التعامل مع الكريستال، وصنع عدة أدوات لمراقبة النجوم.

ومن الواضح حسب المصادر أن عباس بن فرناس قام بتجربته في الطيران بعد أبحاث وتجارب عدة، وقد قام بشرح تلك الأبحاث أمام جمع من الناس دعاهم ليريهم مغامرته القائمة على الأسس العلمية. يقول ابن سعيد في «المغرب في حلى الغرب»: ذكر ابن حيان: أنه نجم في عصر الحكم الربضي، ووصفه بأنه حكيم الأندلس الزائد على جماعتهم بكثرة الأدوات والفنون، وكان فيلسوفاً حاذقاً، وشاعراً مفلقاً، وهو أول من استنبط بالأندلس صناعة الزجاج من الحجارة، وأول من فك بها كتاب العروض للخليل، كثير الاختراع والتوليد، واسع الحيل حتى نسب إليه عمل الكيمياء، وكثر عليه الطعن في دينه، واحتال في تطيير جثمانه، فكسا نفسه الريش على سرق الحرير، فتهيأ له أن استطار في الجو من ناحية الرصافة، واستقل في الهواء، فحلق فيه حتى وقع على مسافة بعيدة. يعتبره المسلمون كما ورد أول إنسان يحاول الطيران.

من المصادر أن بن فرناس صنع آلة للطيران بعد دراسة وتشريح ميكانيكا الطيران عن الطيور وأفلح في طيرانه ولكنه بعدما نزل حوكم بتهمة التغيير في خلقة الله وتم عزله في بيته. وتكريما له سميت فوهة قمرية باسمه ويعرف بفوهة ابن فرناس القمرية.

اسمه أبو القاسم العباس بن فرناس بن ورداس التاكرتي الأندلسي القرطبي منزله في مدينة العلم والعلماء برابرة تاكرتا، ولم يذكر المؤرخون تاريخ ولادته إلا أنه عاش في القرنين الثاني والثالث الهجريين في عهد الخليفة عبد الرحمن الثاني بن الحكم. أجمع المحققون من المؤرخين على أنه توفي عام 274 هـ ـ 887 م وأجمعوا كذلك أنه تعمر 80 حولاً وعلى هذا تكون ولادته في حوالي 194 هـ. نشأ وتعلم في قرطبة منارة العلم وبلد الصناعات، نشأ في برابرة تاكرتا التي قصدها العرب والعجم لتلقي جميع أنواع العلوم.

تعلم ابن فرناس القرآن الكريم ومبادئ الشرع الحنيف في كتاتيب (تاكرتا) ثم التحق بمسجد قرطبة الكبير لينهل من معارفه ثم خاض غمار المناظرات والمناقشات والندوات والخطب والمحاورات والمجادلات في شتى فنون الشعر والأدب واللغة، ولتوقد ذهنه كان أدباء الأندلس وشعراؤها وعلماء اللغة يجلسون حول عباس بن فرناس الذي اشتغل بعلم النحو وقواعد الإعراب يعلمهم اللغة ويفك الغامض من العلوم كعلم البديع والبيان وعلوم البلاغة واللغة التي ابتكرها الخليل بن أحمد الفراهيدي، وكان ابن فرناس شاعراً مجيداً أشهرته قصيدة الرثاء التي رثا بها ابن الخليفة محمد بن عبد الرحمن الثاني ابن الحكم المتوفى سنة 273 فوق شهرته السابقة، وهو من نحاة عصره فقد صنفه الزبيدي صاحب الطبقات في الطبقة الأولى وقيل في الثالثة من نحاة الأندلس، كما وصفه بأنه كان متصرفاً في دروب الإعراب، وقد جاء بما أدهش العالم في علوم الطبيعة وكان مبرزاً في علوم الفلك ماهراً في الطب مخترعاً في مختلف الصنع عالماً بالرياضيات وكان من عباقرة علم الكيمياء.

وكان يحسن الإفادة من ربط العلوم ببعضها ويحسن الاستفادة والإفادة من جمعه بين تلك العلوم فمثلاُ كانت دراسته للكيمياء أكبر مساعد له بعد الله على دقته في صناعة الزجاج وعلى التمرس في الصيدلة والطب وعلى التحليق في السماء وقد اهتدى فيما نعلمه في أمور خفيت على من سبقه من العلماء وحسبه ما قاله المعجبون به من أهل زمانه ومن جاء بعدهم بأنه من أبرز المبرزين متفوق على أقرانه في علم الطبيعة والهيئة والرياضيات

والطب والصيدلة والكيمياء والهندسة والصناعات وكل المعارف الدقيقة والآداب الرفيعة وكان رائد محاولة تطبيق العلم على العمل ولهذا استحق لقب حكيم الأندلس.

درس عباس بن فرناس الطب والصيدلة وأحسن الإفادة منهما فقد عمد إلى قراءة خصائص الأمراض وأعراضها وتشخيصها واهتم بطرق الوقاية من الأمراض عملاً بقولهم درهم وقاية خير من قنطار علاج، ثم قام بدراسة وتجارب علاج من أصيب بالأمراض على مختلف أنواعها ثم أجرى الدواء.

درس خصائص الأحجار والأعشاب والنباتات ووقف على خواصها المفيدة في المعالجة وكان في سبيل ذلك يقصد المتطببين والصيادلة ويناقشهم فيما بدا له من اطلاعه في هذه الصنعة الجليلة التي تحفظ البدن وتقيه من آفات الأدواء والأعراض وقد اتخذه أمراء بني أمية في الأندلس طبيباً خاصا لقصورهم، انتخب من مجموعات من الأطباء المهرة لشهرته وحكمته وأسلوبه الجاذب عند إرشاداته الطبية الخاصة بالوقاية من الأمراض وإشرافه على طعام الأسر الحاكمة لإحراز السلامة من الأسقام والأمراض فلا يحتاج إلى المداواة إلا نادراً، فإذا حصل ما يكرهون من المرض دلهم على أنجع الطرق في المداواة ولم يكن ابن فرناس يقنع بكل ما كتبه الناس من نظريات بل ألزم نفسه إلقاء التجارب ليتحقق من صحة كل نظرية درسها أو نقلها من غيره ليرقي بها إلى مرتبة الحقيقة العلمية أو ينقضها، وقد شجب القبول والقناعة بالأمور الظاهرة المبسطة المقدور على النظر والبحث فيها، كان ابن فرناس يغوص في تحقيق ما علم وكان يطبق النظريات العلمية على منهج علمي في كل العلوم وأهمها الطب والصيدلة وخاصة دراسة الأعشاب.

كان أول من صنع الميقاتة لمعرفة الأوقات كما جاء في الأعلام. صنع الميقاتة لمعرفه أوقات الصلاة ومعرفه الأيام ومعرفة وقت الشروق والغروب.

كما اشتهر بصناعة الآلات الهندسية مثل المنقالة (آلة لحساب الزمن) (نموذج بالمسجد الكبير بمدينة طنجة) واشتهر بصناعة الآلات العلمية الدقيقة.

كما اخترع آلة صنعها بنفسه لأول مرة تشبه الإسطرلاب في رصدها للشمس والقمر والنجوم والكواكب وأفلاكها ومداراتها ترصد حركاتها ومطالعها ومنازلها والتي عرفت بذات الحلق.

وكانت الناس تقصد منزله لا لطلب الطب فحسب، بل لمشاهدة ما اتخذه عباس من رسم جميل بديع في منزله فقد مثل هيئة السماء بنجومها وغيومها وبروقها ورعودها

والشمس والقمر والكواكب ومداراتها كما ذكر الزركلي وغيره من المؤرخين والمترجمين للعباس بن فرناس أمثال صاحب عباقرة الإسلام د. رحاب خضر عكاوي. وقد وصف الشعراء المعاصرون له هذه اللوحة العجيبة مؤكدين أنه جعل في أعلاها نجوماً وغيوماً تبدو كأنها حقيقة فعدوا ذلك من عجائب الصنعة وبديع الابتكارات.

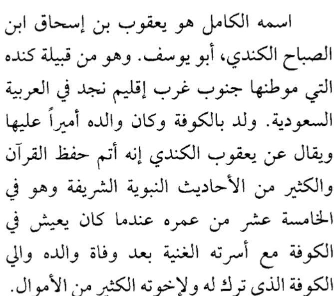
وأجمع المؤرخون أن العباس بن فرناس كان أول من استنبط في الأندلس صناعة الزجاج من الحجارة والرمل فانتشرت صناعة الزجاج لما رأى الناس أن المادة أصبحت في متناول الغني والفقير، وسبب عناء ابن فرناس هو التسهيل على الناس وأول من استفاد من تجارب ابن فرناس هم أهل الأندلس ويرجع ذلك إلى سبب اهتمامه الشديد بصناعة الكيمياء.

وأول من اخترق الجو من البشر وأول من فكر في الطيران واعتبره المنصفون أول رائد للفضاء وأول مخترع للطيران، فقد كسا نفسه بالريش ومد له جناحين طار بهما في الجو مسافة بعيدة ثم سقط فتأذى في ظهره لأنه لم يعمل له ذنباً وقد وصف شعراء عصره هذا الطيران وأسهبوا في الثناء عليه. قال الزركلي قد كتب أحمد تيمور باشا بحثاً قال فيه لا يغض من اختراع ابن فرناس الطيران تقصيره في الشأن البعيد فذلك شأن كل مشروع في بدايته.

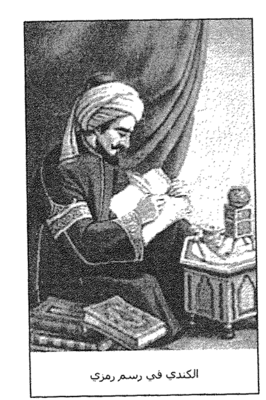
يقول الدكتور رحاب خضر عكاوي تحت عنوان: ابن فرناس ومحاولة الطيران: قام عباس بن فرناس بتجارب كثيرة، درس في خلالها ثقل الأجسام ومقاومة الهواء لها، وتأثير ضغط الهواء فيها إذا ما حلقت في الفضاء، وكان له خير معين على هذا الدرس تبحره في العلوم الطبيعية والرياضة والكيمياء فاطلع على خواص الأجسام، واتفق لديه من المعلومات ما حمله على أن يجرب الطيران الحقيقي بنفسه، فكسا نفسه بالريش الذي اتخذه من سرقي الحرير (شقق الحرير الأبيض) لمتانته وقوته، وهو يتناسب مع ثقل جسمه، وصنع له جناحين من الحرير أيضاً يحملان جسمه إذا ما حركهما في الفضاء، وبعد أن تم له كل ما يحتاج إليه هذا العمل الخطير وتأكد من أن باستطاعته إذا ما حرك هذين الجناحين فإنهما سيحملانه ليطير في الجو، كما تطير الطيور ويسهل عليه التنقل بهما كيفما شاء، بعد أن أعد العدة أعلن على الملأ أنه يريد أن يطير في الفضاء، وأن طيرانه سيكون من الرصافة في ظاهر مدينة قرطبة، فاجتمع الناس هناك لمشاهدة هذا العمل الفريد والطائر الآدمي الذي سيحلق في فضاء قرطبة، وصعد أبو القاسم بآلته الحريرية فوق مرتفع وحرك جناحيه وقفز في الجو، وطار في الفضاء مسافة بعيدة عن المحل الذي انطلق منه والناس ينظرون

إليه بدهشة وإعجاب وعندما هم بالهبوط إلى الأرض تأذي في ظهره، فقد فاته أن الطيران إنما يقع على ذيله، ولم يكن يعلم موقع الذنب في الجسم أثناء هبوطه إلى الأرض، فأصيب في ظهره بما أصيب من أذى.

لقد سبق عباس بن فرناس عباقرة القرن العشرين بأكثر من عشرة قرون، علماً أن الاختراعات في ذلك العصر تعد من عجائب الدهر. واختراعاته المدهشة وتجاربه المذهلة تعد من مفاخر المسلمين ومآثرهم، لقد كان صاحب مغامرات نادرة، فقد طار وحلق في الهواء كما تطير الطيور بعد أن تجاوز الثمانين حولاً.



يعقوب بن إسحاق الكندي
(805-873 م)



الكندي في رسم رمزي

اسمه الكامل هو يعقوب بن إسحاق ابن الصباح الكندي، أبو يوسف. وهو من قبيلة كنده التي موطنها جنوب غرب إقليم نجد في العربية السعودية. ولد بالكوفة وكان والده أميراً عليها ويقال عن يعقوب الكندي إنه أتم حفظ القرآن والكثير من الأحاديث النبوية الشريفة وهو في الخامسة عشر من عمره عندما كان يعيش في الكوفة مع أسرته الغنية بعد وفاة والده والي الكوفة الذي ترك له ولإخوته الكثير من الأموال.

أراد يعقوب أن يتعلم المزيد من العلوم التي كانت موجودة في عصره فقرر السفر بصحبة والدته إلى البصرة ليتعلم علم الكلام وكان هذا العلم عند العرب يضاهي علم الفلسفة عند اليونان. أمضى الكندي ثلاث سنوات في البصرة يدرس بها، عرف من خلال دراسته كل ما يجب أن يعرف عن علم الكلام. ثم أتم تحصيل العلم على يد أشهر العلماء في بغداد حيث انتقل مع أمه بعد ذلك إلى بيت في بغداد ليزيد من ثقافته وعلمه، فبغداد في العصر العباسي كانت بحراً من العلوم المتنوعة المختلفة. فبدأ بالذهاب إلى مكتبة بيت الحكمة التي أنشأها هارون الرشيد وازدهرت في عهد ابنه المأمون وصار يمضي أياما كاملة فيها وهو يقرأ الكتب المترجمة عن اليونانية والفارسية والهندية. لكن فضوله للمعرفة لم يتوقف عند حد قراءة الكتب المترجمة فقط، بل كان يتمنى أن يتمكن من قراءة الكتب التي لم تترجم بلغاتها الأصلية، لذلك بدأ بدراسة اللغتين السريانية واليونانية على يد أستاذين كانا يأتيان إلى منزله ليعلماه. وتمكن يعقوب من إتقان هاتين اللغتين بعد سنتين، وبدأ بتحقيق حلمه، فكوّن فريقاً خاصاً به وصار صاحب مدرسة في الترجمة تعتمد على الأسلوب الجميل الذي لا يغير الفكرة المترجمة، لكنه يجعلها سهلة الفهم وخالية من الركاكة والضعف. وأنشأ في بيته مكتبة تضاهي في ضخامتها مكتبة الحكمة فصار الناس يقصدون بيته للتعلم ومكتبته للمطالعة وطارت شهرته في البلاد عندما كان عمره خمسة وعشرين سنة فقط.

دعاه الخليفة المأمون ليلتقي به، فأعجب به وسرعان ما أصبحا صديقين. وفيما بعد وضع الكندي منهجا جديدا للعلوم وفق فيه بين العلوم الدينية والعلوم الدنيوية. وكانت له معرفة واسعة بالعلوم والفلسفة اليونانية. عاصر ثلاثة من الخلفاء العباسيين وهم المأمون، والمعتصم، والمتوكل. كما عاصر الفلكيين الإخوة الثلاثة بنو موسى، والفلكي سند بن علي. وقد بلغ منزلة كبيرة عند المأمون والمعتصم، حتى أن المأمون عهد إليه بترجمة مؤلفات أرسطو وغيره من فلاسفة اليونان. كما أن المتوكل استخدمه كخطاط، لكن نظراً لآرائه الفلسفية ووشاية بعض الحاسدين به، فقد أمر المتوكل بمصادرة جميع كتبه؛ غير أنها أعيدت إليه جميعها.

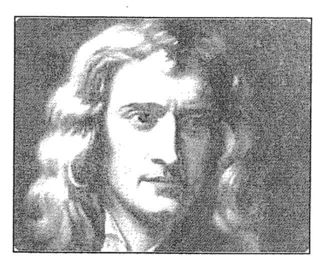
أدرك الكندي أهمية الرياضيات في العلوم الدنيوية فوضع المنهج الذي يؤسس لاستخدام الرياضيات في الكثير من العلوم، فالرياضيات علم أساسي يدخل في الهندسة والمنطق والحساب وحتى الموسيقى، وقد استعان الكندي بالرياضيات وبالسلم الموسيقي اليوناني الذي اخترعه 'فيثاغورس، ليضع أول سلم للموسيقى العربية مسميا العلامات الموسيقية. وهو أول من وصف مبادئ ما يعرف الآن بالنظرية النسبية، ففي حين اعتبر علماء الميكانيكا التقليديين (غاليليو ونيوتن) الوقت والفراغ والحركة والأجسام قيما مطلقة، قال الكندي إن تلك القيم نسبية لبعضها البعض كما هي نسبية لمشاهدها.

ويلقب الكندي أيضا بفيلسوف العرب بل مؤسس الفلسفة العربية الإسلامية كما يعده الكثيرون، وعده (كاردانو) من الاثني عشر عبقرياً الذين ظهروا في العالم وهو عالم موسوعي، فإضافةً إلى شهرته كفيلسوف، فقد كان عالماً في الرياضيات، والفلك، والفيزياء، والطب، والصيدلة، والجغرافيا. كان كمعظم علماء عصره موسوعيا فهو رياضي وفيزيائي وفلكي وفيلسوف إضافة إلى أنه موسيقي، حيث يعتبر الكندي واضع أول سلم للموسيقى العربية.

كتب الكندي أربعة كتب عن استعمال الأرقام الهندية. كما قدم الكثير في مجال الهندسة الكروية لمساعدته في دراساته الفلكية. راقب أوضاع النجوم والكواكب - خاصة الشمس والقمر - بالنسبة للأرض وما لها من تأثير طبيعي وما ينشأ عنها من ظواهر. وأتى بآراء خطيرة وجريئة في هذه البحوث، وفي نشأة الحياة على ظهر الأرض، مما جعل الكثير من العلماء يعترفون بأن الكندي مفكر عميق من الطراز الرفيع.

أما في الكيمياء فقد عارض الفكرة القائلة بإمكانية استخراج المعادن الكريمة أو الثمينة كالذهب من المعادن الخسيسة. وكتب في ذلك رسالة سماها «رسالة في بطلان دعوى المدعين صنعة الذهب والفضة وخدعهم» أما في الفلك فلم يكن الكندي يؤمن بأثر الكواكب في أحوال الناس، ورفض ما يقول به المنجمون من التنبؤات القائمة على حركات الأجرام. ووجه اهتمامه إلى الدراسة العلمية للفلك وعلم النجوم وأرصادها. ويعدّه بعض المؤرخين واحداً من ثمانية أئمة لعلوم الفلك في القرون الوسطى لمساهمته في تطوير المرصد الفلكي في بغداد. وقدم الكندي في علم الفيزياء الكثير في البصريات الهندسية والفيزيولوجية، وألف فيها كتاباً كان له تأثير فيما بعد على روجر بيكون ووايتلو وغيرهما. كما أن الكندي كان مهندساً بارعاً، يرجع إلى مؤلفاته ونظرياته عند القيام بأعمال البناء، خاصة بناء القنوات، كما حدث عند حفر القنوات بين دجلة والفرات. وتتجلى إسهاماته في الطب في محاولته تحديد مقادير الأدوية على أسس رياضية. وبذلك يكون الكندي هو «أول من حدد بشكل منظم جرعات جميع الأدوية المعروفة في أيامه.

ألف الكندي وشرح كتباً كثيرة، اختلف في تقدير عددها ما بين 230، و270، و300 ما بين رسالة وكتاب ؛ تناولت مواضيع مختلفة منها الفلسفة، والفلك، والحساب، والهندسة، والطب، والفيزياء، والمنطق، والمد والجزر، وعلم المعادن، وأنواع الجواهر، وأنواع الحديد، والسيوف. كما كان من أوائل مترجمي مؤلفات اليونان إلى العربية. وهذه بعض مؤلفاته، وذلك استناداً إلى ما ذكره كل من طوقان والزركلي : «رسالة في المدخل إلى الأرثماطيقي: خمس مقالات»، «كتاب رسالة في استعمال الحساب الهندسي: أربع مقالات»، «رسالة في علل الأوضاع النجومية»، «رسالة في صنعة الإسطرلاب»، «رسالة في التنجيم»، «إلهيات أرسطو»، «الأدوية المركبة»، «رسالة في الموسيقى»، «المد والجزر»، «السيوف وأجناسها». وقد ترجم «جيرار الكريموني» في القرن الثاني عشر للميلاد، معظم كتب الكندي إلى اللغة اللاتينية. فكان لها تأثير كبير على تطور علوم كثيرة على امتداد عدة قرون واهتم به إمبراطور الروم. وإمبراطور الدولة البيزنطية (القسطنطينية) وأرسلوا إليه الهدايا ورسائل التقدير والشكر على مؤلفاته التي كانت تطلب بشدة من جميع أنحاء العالم وخاصة أوروبا التي اتخذت من مؤلفاته عمدة لمكتباتها، وذلك بعد أن تكون عمدة لبيت الحكمة في بغداد.



إسحاق نيوتن
(1642-1727م)

إسحاق نيوتن هو أعظم العلماء أثرا في تاريخ الإنسانية، ولد يوم الكريسماس سنة 1642 وهي نفس السنة التي توفي فيها الفلكي الإيطالي جاليليو، وقد ولد إسحاق نيوتن بعد وفاة أبيه.

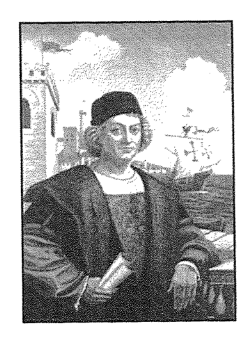
ولم تظهر عليه ملامح الذكاء وهو طفل، ولكن ظهرت براعته في قدرته على استخدام يديه، فظنت أمه أنه من الممكن أن يكون ملاحا بارعا أو نجارا نشطا، فأخرجته من المدرسة بعد أن شكا مدرسوه من أنه لا يهتم كثيرا بما يقولون. ولكنه لم يكد يبلغ الثانية عشرة من عمره حتى أخذ يقرأ كل شيء بلهفة، إلى أن دخل جامعة كمبريدج. وفي الجامعة قرأ كل ما وقع تحت يديه من الكتب، وفي الحادية والعشرين من عمره أرسى كل أسس النظريات التي زلزلت العلم الحديث بعد ذلك.

وكان نيوتن يصوغ نظرياته سرا، ولم يعلن عنها إلا بعد أن اكتملت تماما وبعد أن جربها وثبت له أنها صحيحة مائة بالمائة. وأولى نظرياته هي الخاصة بالضوء، فهو أول من اهتدى إلى أن الضوء مكون من كل ألوان الطيف. كما أنه درس قوانين انعكاس الضوء وانكساره. وصنع أول تلسكوب عاكس في عام 1668، وهو نفس التلسكوب المتطور الذي يستخدم في المراصد الفلكية اليوم.

على أن واحدا من أعظم اكتشافاته هو حساب التفاضل والتكامل الذي اهتدى إليه وهو في الحادية والعشرين من عمره، وهو أساس لكل العلوم النظرية الحديثة، وإذا لم يكن قد ابتدع إلا هذا فقط فإنه يكفيه فخرا وشرفا.

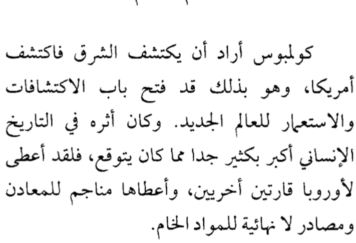
ولكن أعظم اكتشافاته كلها هو قوانين الحركة والجاذبية العامة، ولو نظرنا إلى العلوم التي فكر فيها الإنسان في عصر نيوتن نجد أنه هو أعظم الذين أضافوا إليها من عبقريته.

ربما كان الساسة والمصلحون أبرز أثرا في حياة الناس بعد نيوتن، ولكن المهم هو أن حياة الناس قد أصبحت شيئا آخر بعد ظهور نيوتن، فهو أعظم العلماء أثرا في فكر الإنسان وفي حياته، توفي سنة 1727م وكان أول من دفن في مقابر العظماء في لندن.



خريستوف كولمبوس

(1451م-1606م)



كولمبوس أراد أن يكتشف الشرق فاكتشف أمريكا، وهو بذلك قد فتح باب الاكتشافات والاستعمار للعالم الجديد. وكان أثره في التاريخ الإنساني أكبر بكثير جدا مما كان يتوقع، فلقد أعطى لأوروبا قارتين أخريين، وأعطاها مناجم للمعادن ومصادر لا نهائية للمواد الخام.

كولمبوس إيطالي، ولد في مدينة جنوه عام 1451، عمل بحارا، وترسبت في نفسه فكرة قوية هي أنه يمكن العثور على طريق للشرق عن طريق عبور المحيط الأطلنطي، وأقنع الملكة إيزابيلا ملكة أسبانيا بالإنفاق على هذا المشروع.

بدأت رحلته يوم 3 أغسطس سنة 1492م، وتوقفت سفنه عند جزر الكناريا بالقرب من الشاطئ الأفريقي، وبارحت جزر الكناريا يوم 6 سبتمبر، واتجهت إلى الغرب، وكانت رحلة طويلة شاقة. وقد فزع البحارة وفكروا في العودة، ولكنه أصر على المضي في الرحلة. وفي يوم 12 أكتوبر سنة 1492 رأوا الأرض من بعيد، وعاد إلى أسبانيا ولقي استقبالا عظيما، ثم قام بثلاث رحلات أخرى، ولكنه لم يهتد إلى الصين أو اليابان كما كان يحلم!

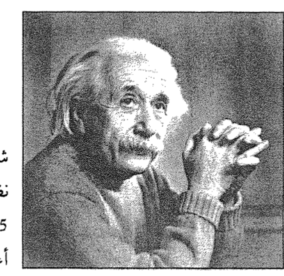
وكانت الملكة قد وعدته بأن يكون حاكما على كل أرض يكتشفها، ولم يكن كولمبوس إداريا ناجحا، ولذلك فسرعان ما أعادوه إلى أسبانيا مكبلا بالسلاسل في يديه وقدميه!

وهناك كثير من الشكوك حول قيمة هذا الإنجاز العظيم الذي حققه كولمبوس، فيقال مثلا إن بحارا نرويجيا كان قد سافر إلى أمريكا قبل ذلك هو لايف أريكسون، ولكن اكتشافه هذا لم يحقق الثورة الهائلة في الحياة السياسية والاقتصادية والفكرية في أوروبا.

ولكن كولمبوس استطاع أن يهز أوروبا كلها وأن يوجه كل شيء فيها إلى العالم الجديد، والحضارات القديمة والموارد التي لا حدود لها.

ومن صفات كولمبوس هذا أنه كان عنيفا وكان عصبيا وكان نحيلا جدا، وقد تأخر مشروعه هذا بسبب المساومات العنيفة التي دارت بينه وبين ملكة أسبانيا، وبينه وبين رجال البلاط، ولكن كولمبوس قد عامل الهنود الحمر في أمريكا معاملة وحشية.

ولو كنا نرتب لهؤلاء العظماء حسب سلوكهم الأخلاقي لجاء مكانه قرب النهاية ولكننا نتحدث عن أبعد الناس أثرا في التاريخ الإنساني، ولذلك فمكانه ولاشك، عند القمة.



ألبرت آينشتين
(1879-1955م)

أعظم علماء القرن العشرين وأكبرهم شهرة، وقد ارتبط اسمه بنظرية «النسبية». وهناك نظريتان تحملان هذا الاسم، واحدة أعلنها سنة 1905 وهي نظرية «النسبية الخاصة»، والثانية أعلنها سنة 1915 واسمها «النسبية العامة». وكلتاهما في غاية التعقيد. ولا يستطيع اي إنسان أن يشرحهما في مجلة أو لعامة الناس مهما أوتي من القدرة على التوضيح.

ولكن سوف أضرب مثلا على ذلك. وإن لم يكن واضحا فهو واضح الغموض، أو هو دليل واضح على صعوبة وغموض هذه النظرية. المثل: لنفرض أن سفينة فضاء انطلقت بسرعة مائة ألف ميل في الثانية بعيدا عن الأرض، والذي يرقبها من الأرض والذي يرقب الأرض من السفينة سوف تتطابق معلوماتهما تماما، وإذا انطلقت سفينة أخرى بسرعة مائة وثمانين ألف ميل في الثانية بعيدا عن الأرض، فإن الذي يرقبها من الأرض ورائد السفينة الذي يرقب بعدها من الأرض ستكون معلوماتهما متطابقة تماما. ولكن رائد السفينة الأولى سيلاحظ أن السفينة الثانية تسبقه بثمانين ألف ميل في الثانية ـ هذا ما نقوله نحن ـ ولكن نظرية آينشتين تؤكد أن هذا خداع، وأن الحقيقة أن السفينة الثانية تسبقها بمائة ألف ميل في الثانية، كيف؟ هذا هو لغز النظرية التي أرهقت العلماء في القرن العشرين، ولم تثبت صحتها إلا بعد ذلك بعشرات السنين عندما رصد الفلكيون كسوف الشمس من أماكن مختلفة من العالم.

وآينشتين له نظريات أخرى هزت الرياضيات والفيزياء أيضا، ولكن آينشتين يجيء في المرتبة التالية بعد نيوتن، لأن نيوتن أوضح وأقدر على الإقناع، ولأنه صاحب الفضل الأول والأخير على ثورته في الطبيعة، أما آينشتين، رغم عبقريته العظيمة، فقد سبقه كثيرون مهدوا لنظريته هذه.

ثم أن آينشتين هو أول من طلب إلى الحكومة الأمريكية أن تعجل بإكمال القنبلة الذرية قبل أن يهتدي إليها الألمان، وقد ندم على ذلك فيما بعد!

وآينشتين هو صاحب المعادلة المشهورة التي تقول:

الطاقة = الكتلة مضروبة في مربع سرعة الضوء!

وهذه المعادلة تقيس بالضبط كمية الطاقة التي تنطلق من ذرة يورانيوم ـ أي عندما تتحول الذرة إلى طاقة حرارية!

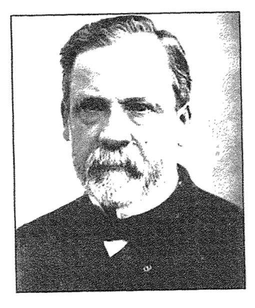
وقد ولد آينشتين في مدينة أولم في ألمانيا، وأكمل دراسته في سويسرا، وتجنس بالجنسية السويسرية ودرس في معاهدها، ثم بعد إعلان نظرية «النسبية الأولى» والتي فكر فيها وهو شاب دون العشرين، انتقل إلى العمل في جامعات ألمانيا ثم مديرا لمعهد الإمبراطور الفلكي.

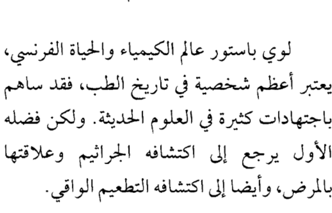
حصل على جائزة نوبل في الفيزياء، ولأنه يهودي فقد هرب من النازية سنة 1933 إلى أمريكا، وحصل على الجنسية الأمريكية، وظل أستاذا في جامعة نستون حتى وفاته.

كان زواجه الأول تعيسا، أما زواجه الثاني فقد أنجب له ولدين، وقد طلب إليه اليهود أن يكون أول رئيس لإسرائيل فاعتذر، وإن كان صهيونيا متطرفا إلا أنه في نفس الوقت يكره الإرهاب. أما إيمانه الديني فهو أقرب إلى الصوفية، أو أقرب إلى هذه العبارة: إن العقل الإنساني صغير لدرجة أنه يعجز عن فهم هذا الكون، فكيف يفهم خالق الكون؟ إنها قضية أكبر من العقل، أي عقل.

وكان بسيطا في حياته، وكان يحب العزف على الكمان، وكان يرى أن الموسيقى هي الرياضيات، فبغير الرياضيات لا موسيقى، وبغير الموسيقى لا إحساس بجمال الرياضيات. وكان يقول: إنه في كل مرة يعجز فيها عن فهم مشكلة في الرياضيات يستمع إلى موسيقى موتسارت!

وكان يحسد مؤلفي القصص البوليسية، لأن مؤلف القصة يعرف من هو القاتل الحقيقي ثم يخفيه عن عيون القراء. وكان يقول: يا بخت مؤلفي القصص البوليسية إنهم يعرفون الحقيقة التي نعرفها ولا ندري كيف نعرفها!





باستور

(1822-1895م)

لوي باستور عالم الكيمياء والحياة الفرنسي، يعتبر أعظم شخصية في تاريخ الطب، فقد ساهم باجتهادات كثيرة في العلوم الحديثة. ولكن فضله الأول يرجع إلى اكتشافه الجراثيم وعلاقتها بالمرض، وأيضا إلى اكتشافه التطعيم الواقي.

ولد سنة 1822 في مدينة دول شرقي فرنسا، درس العلوم في باريس، ولم تظهر عبقريته أيام الدراسة، بل إن أحد تلامذته قد وصفه بأنه تلميذ عادي في الكيمياء أو دون ذلك، ولكت بعد أن حصل على الدكتوراه سنة 1847 أكد لأستاذه هذا أنه كان على خطأ. واكتسب شهرة علمية واسعة وهو ما يزال في العشرينات من عمره. ثم اتجه إلى دراسة ظاهرة التخمر، واهتدى إلى أن سبب التخمر يرجع إلى كائنات جرثومية صغيرة. وأن هذه الكائنات الصغيرة هي المسؤولة عن إفساد المشروبات المخمرة، وبسرعة توصل إلى نتيجة أخرى: أن هذه الكائنات من الممكن أن تؤدي إلى إيذاء الإنسان والحيوان.

ولم يكن باستور هو أول من لاحظ ذلك، فقد سبقه كثيرون، لكنه كان أول من أثبت بالتجربة صحة نظريته، وهذا وحده هو الذي أدى إلى إقناع كل العلماء في عصره.

فإذا كانت الجراثيم تؤدي إلى الإصابة بالمرض، فإن القضاء على الجراثيم أو منعها سوف يقضي على المرض أو يؤدي إلى الوقاية منه، ولذلك كان أول من دعا إلى استخدام المضادات لوقاية الإنسان من المرض، وقد أدى ذلك إلى أن استخدم عالم آخر هو «يوسف ليستر» المضادات عند إجراء العمليات الجراحية.

والبكتيريا الضارة من الممكن أن تدخل الجسم الإنساني عن طريق ما يأكله وما يشربه، ولذلك ابتدع طريقة البسترة «نسبة إلى اسمه باستور» للقضاء على البكتيريا الصغيرة في المشروبات، وقد أدت هذه البسترة إلى القضاء على البكتيريا التي لوثت اللبن.

وفي الخمسينات من عمره التفت إلى دراسة مرض خطير معد يصيب الإنسان والحيوان اسمه «الجمرة» واعتدى إلى أن نوعا خاصا من البكتيريا هو الذي يسبب هذا

المرض، واستطاع أن يقوم بإنتاج عصيات ضعيفة لهذا الميكروب، وحقن بها الحيوانات مما أدى إلى حالة مرضية أخف لا تقتل الحيوان المصاب بهذه الجراثيم بل إنها ساعدت الحيوان على خلق مناعة ضد الإصابة بمرض الجمرة!

وهذا المنهج الذي اخترعه باستور لوقاية الحيوانات وتحقيق المناعة لها من هذا المرض قد هز الأوساط الطبية في العالم، وسرعان ما اكتشف الأطباء أن طريقة باستور هذه من الممكن أن تؤدي إلى الوقاية من أمراض أخرى كثيرة.

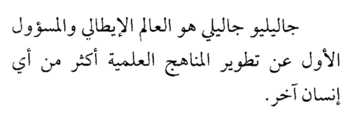
كما أن باستور استطاع أن يقوم بتطعيم الناس ضد مرض الكلب، واستخدم أطباء آخرون منهج باستور في عمل أمصال للوقاية من أمراض أخرى كثيرة خطيرة، مثل التيفود والتهاب النخاع الشوكي.

وباستور من العلماء الذين يعملون كثيرا، وقد أدى جلده وصبره على العمل إلى كشوف كثيرة في الطب، وهو الذي اكتشف أيضا أن هناك كائنات أخرى صغيرة تستطيع أن تعيش دون حاجة إلى الهواء أو الأوكسجين، وهي المسماة بالجراثيم اللاهوائية، كما أن أبحاثه عن دودة القز أدت إلى نتائج اقتصادية هائلة.

ومن بين اكتشافاته العظيمة: الأمصال ضد إصابة الدواجن بالكوليرا.

توفي باستور بالقرب من باريس سنة 1895، والمؤرخون يقارنون بين باستور وبين ادوارد جنر الطبيب الذي اكتشف لقاحا ضد الجدري.

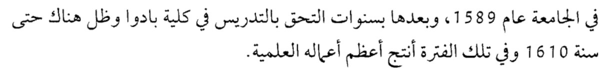
ومنذ باستور ونسبة الأمراض والوفيات في العلم قد نقصت إلى حد كبير، وإذا كان لا بد من أن نرد الفضل لأحد في زيادة عدد سكان الأرض فيرجع ذلك إلى الرجل الذي قاوم الميكروب وحصن الإنسان من المرض ومن الموت. ولو كان موضوع الكتاب: من الذي أثر في حياة الإنسان وصحته على هذه الأرض لكان الفضل الأول إلى لوي باستور.



جاليليو
(1564-1642م)

جاليليو جاليلي هو العالم الإيطالي والمسؤول الأول عن تطوير المناهج العلمية أكثر من أي إنسان آخر.

ولد في مدينة بيزا سنة 1564 ودرس في جامعاتها، ثم توقف عن إكمال دراسته لأسباب مالية. ورغم ذلك فقد حصل على وظيفة مدرس في الجامعة عام 1589، وبعدها بسنوات التحق بالتدريس في كلية بادوا وظل هناك حتى سنة 1610 وفي تلك الفترة أنتج أعظم أعماله العلمية.



وأهم إنجازاته العظيمة كانت في الميكانيكا، فالفيلسوف الإغريقي أرسطو قال لنا: إن الأشياء الثقيلة يكون سقوطها إلى الأرض أسرع من الأشياء الأقل ثقلا، وسار وراءه العلماء مئات السنين، وقام جاليليو بتجارب عديدة على ذلك، فاكتشف أن أرسطو لم يكن على صواب، واكتشف أن سرعة سقوط الأجسام الخفيفة والثقيلة واحدة، إلا إذا تدخل احتكاكها بالهواء.

الجديد في تجارب جاليليو أنه وضع لها قواعد رياضية تصف حركة سقوط الأجسام وسرعتها، ثم إنه اكتشف قانون القصور الذاتي، فقد آمن الناس بأن الجسم يبطئ في حركته إلا إذا تدخلت قوى أخرى ودفعته إلى الحركة، ولكن جاليليو اكتشف العكس. أن الجسم يظل متحركا إلى ما لا نهاية إلا إذا اعترضه جسم أو أي عامل آخر كالاحتكاك بالأرض أو الهواء، وهذا الاكتشاف الذي جعله نيوتن بعد ذلك القانون الأول للحركة كان اكتشافا علميا عظيما.

أما أروع اكتشافات جاليليو فقد كانت في علم الفلك، فقبل جاليليو كانت هناك نظريتان: واحدة تقول إن الشمس مركز الكون (عند كوبرنيكوس) والأخرى تقول إن الأرض مركز الكون.

وفي سنة 1659 أثبت جاليليو أن الفلكي كوبرنيكوس على حق وأن الشمس هي مركز الكون أو مركز عالمنا نحن.

وفي ذلك الوقت سمع جاليليو عن أنهم اخترعوا التلسكوب في هولندا فاستعان به وأدخل عليه تعديلات كثيرة ثم وجهه نحو السماء واهتدى إلى اكتشافات كثيرة، نظر إلى القمر واكتشف أنه ليس جسما مستويا، وكذلك كل الأجسام السماوية، ولا القمر كامل الاستدارة - تماما كالأرض التي نعيش عليها، ففيها وديان وجبال. ونظر إلى «الطريق اللبني» في السماء فلم يجد طريقا ولا وجده لبنا وإنما هو مجموعة من نجوم لا نهاية لها، بعيدة جدا لا تدركها العين.

ونظر إلى الكواكب فوجد دوائر تلف كوكب زحل. كما انه رأى أربعة أقمار أخرى تدور حول كوكب المشتري، وفي ذلك دليل جديد على أنه من الممكن أن تكون هناك أقمار أخرى تدور حول كواكب أخرى غير الأرض.

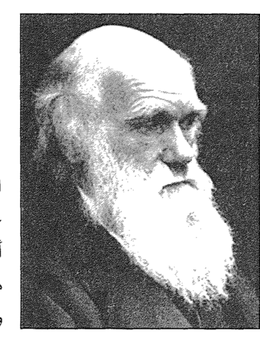
ونظر إلى الشمس فوجد عليها بقعا سوداء، صحيح أن آخرين قد لاحظوا هذه البقع من قبل، ولكنه هو الذي نشر ذلك على أوسع نطاق. ولاحظ أن كوكب الزهرة يمر بمراحل مختلفة كالتي يمر بها القمر.

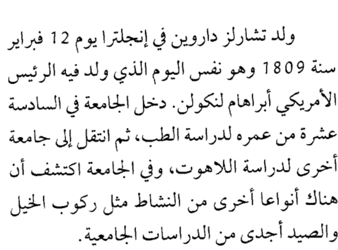
كل ذلك أعلنه دليلا على صحة نظرية كوبرنيكوس من أن الأرض والكواكب الأخرى كلها تدور حول الشمس.

وعارضته الكنيسة في ذلك الوقت، ولما مات البابا جاء من بعده واحد جديد من المعجبين بجاليليو فتركه يمارس حريته العلمية، وأمضى جاليليو ست سنوات أكمل فيها كتابه الشهير «حوار حول النظامين الفلكيين المشهورين» ولم يكد هذا الكتاب يظهر حتى ثارت الكنيسة وقدمته لمحاكم التفتيش باعتباره خارجا على الكنيسة.

أما الحكم الذي صدر ضده فلم يكن السجن، وإنما فقط أن يلزم بيته دون أن يزوره أحد في بيته الأنيق، أما العقوبة الأخرى التي كان عليه أن ينفذها فهي أن يعلن أمام الناس جميعا أنه ليس صحيحا أن الأرض تدور حول الشمس، وإنما الشمس هي التي تدور حولها!! وكان في التاسعة والستين من عمره، ويقال إنه نظر إلى الأرض وقال هامسا: ولكنها هي التي تدور!

والفضل العظيم لجاليليو هو إيمانه بالتجربة وليس بما يقوله الأقدمون أيا كانوا، سواء كانوا فلاسفة أو كانت الكنيسة. وعلى الرغم من أنه مات متدينا حتى آخر لحظة من حياته، إلا أنه رفض ما تدعيه الكنيسة من أنها على حق وأن التجارب العلمية والملاحظات الفلكية كلها كاذبة!!





داروين
(1809 - 1882م)

ولد تشارلز داروين في إنجلترا يوم 12 فبراير سنة 1809 وهو نفس اليوم الذي ولد فيه الرئيس الأمريكي أبراهام لنكولن. دخل الجامعة في السادسة عشرة من عمره لدراسة الطب، ثم انتقل إلى جامعة أخرى لدراسة اللاهوت، وفي الجامعة اكتشف أن هناك أنواعا أخرى من النشاط مثل ركوب الخيل والصيد أجدى من الدراسات الجامعية.

وفي ذلك الوقت أقنع واحدا من أساتذته ليسافر هو على السفينة «بيجل» التي تقوم بجولة حول العالم، وأن يشغل منصب الباحث الطبيعي في هذه الرحلة، واعترض أبوه أول الأمر، لأنه رأى في ذلك عذرا واهيا يتعلل به ابنه حتى لا يكمل دراساته الجامعية الجادة، ثم عدل الأب عن قراره عندما علم بالخطورة العلمية لهذه الرحلة التي ليس لها نظير في تاريخ الرحلات العلمية الغربية.

وأبحرت السفينة سنة 1831 وكان داروين في الثانية والعشرين من عمره. وفي السنوات الخمس التالية زارت السفينة شواطئ أمريكا الجنوبية وجزر جالا باجوس النائية وكثيرا من جزر المحيط الهادي وجنوب الأطلنطي. وأثناء هذه الرحلة الطويلة رأى داروين كثيرا من عجائب النباتات والحيوانات والحفريات والقبائل البدائية، وجمع الكثير من كل شيء، وسجل ملاحظات مستفيضة. وكانت هذه الملاحظات الأساس لكل مؤلفاته التي صدرت بعد ذلك، ومن هذه الملاحظات استمد نظرياته التي أعلنها فيما بعد، والتي دعمها بما رأى بنفسه وما جمع من عينات من كل شيء.

وعاد داروين في سنة 1836 وظل عشرين عاما ينشر أبحاثه ونظرياته التي أكسبته شهرة واسعة كواحد من أعظم علماء الحياة في العالم. وفي سنة 1837 كان داروين قد اقتنع تماما بأن النبات والحيوان قد تطورا عبر ألوف السنين، وأن النبات والإنسان لم يكونا على صورة واحدة وإنما تطورا، ولكنه في ذلك الوقت لم يكن يدرك تماما أسباب هذا التطور.

وفي سنة 1838 قرأ بحثا بعنوان «بحث عن مبدأ تزايد السكان» للقس توماس مالتوس وهذا البحث هو الذي زوده بالمفتاح الحقيقي لنظرية «الانتخاب الطبيعي من أجل البقاء»، وعلى الرغم من أن داروين قد اهتدى إلى نظرية «الانتخاب الطبيعي» فإنه لم يتعجل نشرها، فقد توقع أن تلقى هذه النظرية الكثير من المعارضة، ولذلك استغرق وقتا طويلا في دراستها وتمحيصها وتزويدها بالأدلة والبراهين قبل أن يطلع بها على الناس.

وقد كتب خطوطها العريضة في سنة 1842 ثم عاد في سنة 1844 وألف عنها كتابا كاملا، ولكن في يونيو 1858 تلقى مخطوطة من عالم بريطاني آخر يعيش في جزر الهند الشرقية اسمه الفريد رسل والاس تتحدث نظريته ـ أي نظرية والاس ـ عن التطور، ومن العجيب أن كل ما اهتدى إليه والاس هو بالضبط ما اكتشفه داروين.

وقد اهتدى والاس إلى هذه النظرية ووضحها ودعمها بالأدلة وبعث بها إلى داروين ليعرف رأيه وملاحظاته عليها باعتباره واحدا من كبار العلماء في ذلك العصر!

وكان موقفا في غاية الحرج، أيهما كان الأسبق في كشف هذه النظرية. ولكن قدمت مخطوطة والاس وقدم أيضا عرض موجز لنظرية داروين لإحدى الهيئات العلمية، ولكن هذا الحدث لم يثر اهتمام أحد في ذلك الوقت. غير أن الضجة الكبرى حدثت عندما أصدر داروين في العام التالي كتابه الشهير «أصل الأنواع».

ولم يحدث أن لقي كتاب من الضجة العلمية والشعبية مثلما لقي كتاب داروين وأصل الأنواع عن طريق الانتخاب الطبيعي أو بقاء الأنواع المفضلة في كفاحها من أجل الحياة.

وكانت المناقشات ما تزال على أشدها عندما أصدر داروين كتابه «أصل الإنسان والانتخاب فيما يتعلق بالجنس» في سنة 1871، هذا الكتاب الذي أوحى بفكرة أن الإنسان قد نزل من القرد أو من سلالة القرد قد أدى إلى ضجة علمية وغضب ديني.

ولم يساهم داروين في المناقشات التي دارت وثارت حوله، لسبب بسيط هو أنه عاد مريضا من رحلته الشهيرة حول العالم، فقد أصيب بمرض يعاوده من حين إلى حين بسبب لسعة بعض الحشرات السامة في أمريكا الجنوبية.

وقد تولى العالم الكبير توماس هكسلي الدفاع عن نظرية التطور، وقد أدخلت تعديلات وتصحيحات كثيرة لنظرية داروين، حتى لقيت قبولا عاما عند العلماء عندما توفي داروين سنة 1882.

لم يكن داروين وحده هو صاحب نظرية التطور، فقد نادى بها كثيرون غيره وقبله، من مثل العالم الفرنسي لامارك، وكذلك أرازموس داروين وهو جد تشارلز داروين.

ولكن مثل هذه المحاولات والاحتمالات التي سبقت تشارلز داروين لم تلق هذا التقدير والاحترام العالمي، لأن هذه الفروض العلمية التي سبقته لم تستطع أن تقدم دليلا ماديا على شكل التطور أو مساره التاريخي، على نحو ما فعل تشارلز داروين. فهو لم يكتف بأن قدم لنا مسار التطور ومسار الانتخاب الطبيعي من أجل بقاء الأصلح فقط، إنما قدم الأدلة المقنعة على ذلك.

وقد أحدثت نظرية داروين انقلابا في العلوم الأخرى، فقد أصبحت فكرة التطور خطا أساسيا في كل التفكير الإنساني في نهاية القرن التاسع عشر، واستطاع داروين أن يقنعنا بأن الإنسان ليس إلا واحدا من الكائنات المتطورة، وأن الإنسان ليست له هذه الأهمية التي نتصورها، فمن يدري ربما سبقته كائنات أخرى في التطور، وقد أدت هذه النظرية إلى فزع رجال الدين الذين رأوا داروين كافرا وملحدا ـ وقد كان بالفعل كذلك، ولكن لأسباب أخرى هي أنه لا يأخذ بما جاء في الكتاب المقدس حرفيا.

وقد أدخل داروين مفردات نظريته في الفكر المعاصر له مثل: التطور والكفاح من أجل الحياة، والانتخاب الطبيعي، والبقاء للأصلح، ولا شيء ثابت في حياتنا إلا التغير.

وكان من الممكن أن تنتشر نظرية التطور هذه حتى إذا لم يولد داروين، لأن العالم والاس قد اهتدى إليها، ولكن ما كتبه داروين وما نشره وأسلوبه في التعبير والإقناع كان السبب الأول في ضخامة هذه النظرية واتساعها بين ملايين الناس ولعشرات السنين.

إقليـدس

(300 ق.م)



قليلون جدا من الخالدين استطاع أن يعيش طويلا مثلما عاش عالم الهندسة الإغريقي إقليدس. فمن بين هؤلاء الخالدين أناس اشتهروا وهم أحياء مثل نابليون والاسكندر الأكبر ومارتن لوثر، بينما عاش إقليدس هذا مجهولا في حياته، ولكن بعد مماته أصبح أشهر من الجميع وأبعدهم أثرا أي أطولهم عمرا.

وعلى الرغم من شهرته هذه فإن القليل جدا عن حياته هو الذي نعرفه، ونحن نعلم أنه عمل مدرسا في الإسكندرية حوالي سنة 30 قبل الميلاد ولسنا على يقين من تاريخ مولده أو مماته، ولا نعرف أيضا إن كان قد ولد في أفريقيا أو في أوروبا ولا في أية مدينة، وعلى الرغم من أنه قد ألف كتبا عديدة فإن كتابا واحدا له هو الذي حظي بكل الشهرة، ونعني به كتابه «مبادئ الهندسة».

وأهمية هذا الكتاب لا ترجع لأي من النظريات التي قدمها أو شرحها، فأكثر هذه النظريات الهندسية كانت معروفة من قبل، كما أن الكثير من الأدلة على البرهنة على صحتها كانت معلومة أيضا، ولكن الإنجاز الكبير الذي يعزى إلى إقليدس هو تجميع هذه النظريات وعرضها وربطها والتدليل المقنع على صحتها، وهذا الإنجاز يتضمن في المقام الأول أنه أضاف الكثير من البديهيات الهندسية. ثم إنه نظم هذه النظريات الواحدة بعد الأخرى حتى جاء هذا النظام مترابطا ومنطقيا، كما أنه زودها بالبراهين التي غابت عن الكثير ممن سبقوه.

وعلى الرغم من أن كتاب «المبادئ» هذا قد تضمن نظريات هندسية، فإنه قد أضاف إليها بعض المعادلات الجبرية.

وكتاب «المبادئ» ظل أساسا للدراسات الهندسية أكثر من ألفي سنة، ولم يفلح كتاب واحد ألفه إنسان أن يعيش مثل هذا الزمن الطويل، وقد ألف إقليدس كتابه هذا باللغة الإغريقية، ولكن ظهرت له ترجمات في كل اللغات.

وأول طبعة لهذا الكتاب ظهرت في سنة 1482 أي بعد اختراع جوتنبرغ للطباعة بثلاثين عاما، ومنذ ذلك الحين ظهرت لهذا الكتاب ألوف الطبعات بمئات اللغات.

ولأن هذا الكتاب تدريب عملي على التفكير المنطقي فقد كان أبعد أثرا من كتاب الفيلسوف أرسطو عن «المنطق». وكتاب «المبادئ» هو أحسن نموذج للتنظيم المنطقي للفكر، ولذلك فقد افتتن به كل المفكرين العظماء منذ ذلك الوقت.

ومن العدل أن نقول إن كتاب إقليدس هذا كان عاملا قويا في إحياء العلوم الحديثة؛ لأن العلم ليس مجرد تجميع للمعلومات، إنما العلم يقوم على الملاحظات الدقيقة، واستخراج النتائج العامة لها، وأعظم إنجازات العلم الحديث إنما تجيء من ترابط التجارب الإنسانية وتحليلها الدقيق بعد ذلك والوصول إلى نتائج لها شكل النظريات وقوة البديهيات.

ولسنا على يقين من الأسباب التي أدت إلى أن تكون نهضة العلوم في أوروبا وليست في الصين، ولا يمكن أن يكون ذلك من نتاج الصدفة، فلا بد من وجود أسباب قوية واضحة ومقنعة لأن يكون العلم قد ظهر وتطور إلى غير حد في أوروبا وليس في أماكن أخرى من العالم، وأدى ذلك إلى ظهور عدد من النابهين من العلماء مثل العالم الإنجليزي نيوتن والإيطالي جاليليو والبولندي كوبرنيكوس. ولا بد أن تكون هناك أسباب قوية لظهور مثل هؤلاء النابهين، ومن بين هذه الأسباب تأثر أوروبا بالفكر الإغريقي وبما قدمه الإغريق من نظريات في الرياضيات.

ومن الجدير بالملاحظة أن الصين فد تقدمت على أوروبا في صناعة الأدوات والأجهزة، ولكنها لم تستطع أن تبلغ ما بلغته أوروبا في اكتشاف النظريات الرياضية والعلمية، فلا يوجد في الصين عالم هندسي يماثل إقليدس رغم أنه من المؤكد أن الصين كانت لها ممارسات هندسية، ولكن الصين لن تهتد قط إلى نظرية هندسية واحدة، أي كانت لها تجارب عملية ولم تكن لها فلسفة نظرية مجردة.

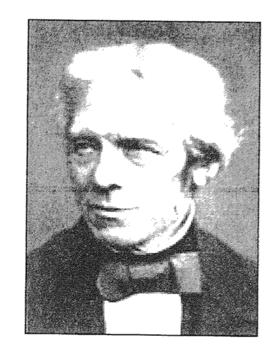
وقد كان أثر إقليدس في نيوتن عميقا، وهذا يبدو واضحا في كتاب نيوتن «المبادئ» والذي كتبه باللغة اللاتينية، وقد جاء هذا الكتاب ذا شكل هندسي تماما مثل كتاب إقليدس. وكذلك فعل بعد ذلك رياضيون عظماء مثل الفيلسوفين الإنجليزيين رسل وهوايتهد والفيلسوف الهولندي اسبينوزا.

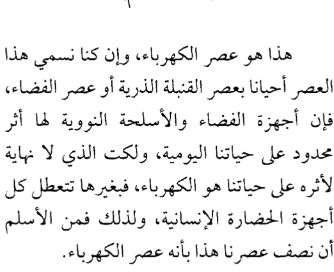
وفي المائة والخمسين سنة الماضية اهتدى علماء الرياضيات إلى أن الهندسة الإقليدية ليست هي النموذج الوحيد المنطقي أو الصورة الصحيحة لكل الفكر الإنساني أو للعلاقات بين الأشياء أو بين الناس أو للعلاقات بين الكون، إنما هناك علاقات أخرى وصور تتنافى تماما مع الصورة التي سيطرت على العقل الإنساني منذ أيام إقليدس.

فنظرية النسبية للعالم الرياضي ألبرت آينشتين قد نسفت هذه الصورة التقليدية الإقليدية.

ففي المجالات المغناطيسية للنجوم البعيدة والكواكب وحركاتها لا يمكن تطبيق هندسة إقليدس التي لا تصلح إلا مع الأشياء الجامدة المحدودة فقط.

وعلى الرغم من النظريات العلمية الحديثة في الهندسة والرياضيات والفيزياء والفلك فإن هذا لا يقلل من أهمية وخطورة ذلك العبقري الإغريقي الذي عاش ومات منذ أكثر من 22 قرنا.





مايكل فاراداي
(1791-1867م)

هذا هو عصر الكهرباء، وإن كنا نسمي هذا العصر أحيانا بعصر القنبلة الذرية أو عصر الفضاء، فإن أجهزة الفضاء والأسلحة النووية لها أثر محدود على حياتنا اليومية، ولكت الذي لا نهاية لأثره على حياتنا هو الكهرباء، فبغيرها تتعطل كل أجهزة الحضارة الإنسانية، ولذلك فمن الأسلم أن نصف عصرنا هذا بأنه عصر الكهرباء.

كثيرون قد ساهموا في التحكم بالكهرباء من بينهم: شارل أوجستين دي كولومب والكونت الساندرو فولتا وهانس كريستان أيرستد وأندريه ماري أمبير. ولكن يتفوق على هؤلاء جميعا اثنان من علماء بريطانيا هما: فراداي وماكسويل.

وعلى الرغم من ان إنجازات الرجلين متكاملة، فإن أحدهما لم يساعد الآخر، وإنما قام كل منهما باكتشافاته على حدة، ولذلك استحق كل منهما هذا المكان الرفيع من قائمة الخالدين.

ولد مايكل فراداي في إنجلترا سنة 1791 من أسرة فقيرة وعلم نفسه بنفسه، وعمل صبيا في دكان لتجليد الكتب في الرابعة عشرة من عمره، وانتهز هذه الفرصة للقراءة المستفيضة، وعندما بلغ العشرين من عمره استمع إلى محاضرات عدد من العلماء الكبار، وبهرته هذه المحاضرات، وفي مقدمة هؤلاء العلماء سير همفري دافي، وبعث إليه برسائله، واتخذه السير دافي مساعدا له، وبعد سنوات قليلة توصل فراداي إلى اكتشافاته الخاصة.

وعلى الرغم من أن الكثير من المعلومات الرياضية كانت تنقصه فإنه كأحد المشتغلين بالفيزياء التجريبية لم يتفوق عليه أحد.

وأول اكتشافاته كان في سنة 1821 فقبل هذا التاريخ بسنتين اكتشف العالم أيرستد أن إبرة البوصلة المغناطيسية تنحرف إذا مر بالقرب منها تيار كهربي في أحد الأسلاك، واستنتج فراداي من ذلك أنه إذا أمكن تثبيت المجال المغناطيسي فإن السلك الكهربائي

سوف يتحرك، واعتمادا على هذه الملحوظة صنع أول جهاز يتحرك فيه السلك بصفة مستمرة إذا مررنا فيه تيارا كهربائيا بالقرب من مجال مغناطيسي، وكان ذلك أول موتور كهربائي. صحيح أن الموتورات الحديثة أدخلت عليها تعديلات كثيرة ومعقدة ولكن هذا الجهاز البدائي الذي ابتدعه فراداي هو الأساس.

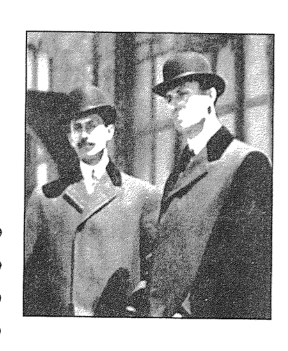
وأيقن فراداي أنه لا بد من وجود طريقة ما لتوليد الكهرباء عن طريق استخدام المجال المغناطيسي.

وظل فراداي يوالي ملاحظاته وتجاربه حتى اهتدى إلى كثير من مبادئ الكهرباء المغناطيسية أو الكهروطيسية، وهذا هو أعظم إنجازاته جميعا.

ولذلك لنتقل فراداي إلى ابتداع الدينامو الكهربائي معتمدا على ملاحظاته وعلى القوانين التي اهتدى إليها.

وعلى الرغم من أن المولدات الكهربائية الحديثة مختلفة تماما عن الدينمو الذي ابتدعه فإنها لم تكن لتوجد بغير هذا الدينمو البدائي، وهو أيضا الذي فتح الطريق أمام كثير من الاختراعات الحديثة والمبادئ الرياضية والفيزيائية، ولذلك فإن إنجازات فراداي عظيمة، والمقدمات التي أرساها لعلماء آخرين كانت باهرة أيضا.

وكان فراداي شخصا رائعا وأنيقا أيضا، وكان محاضرا محبوبا، وفي نفس الوقت كان متواضعا ولا تهمه الشهرة ولا المال ولا الرتب العلمية، فقد رفض وسام الفروسية، ورفض منصب رئيس الجمعية الملكية البريطانية، وكانت له حياة زوجية سعيدة، ولم ينجب أولادا، وتوفي بالقرب من لندن سنة 1867.



الأخوان رايت

أورفيل رايت (1871-1948)
ويلبو رايت (1867-1912)

هذان الأخوان حياتهما متشابكة ومترابطة، ولذلك سوف يكون الحديث عنهما معا كشخص واحد، فدخولهما عالم الخلود جاء في خطوة واحدة، وكلاهما تعلم في المدارس الابتدائية والثانوية، وإن لم يحصلا بعد على أية مؤهلات عالية.

وكلاهما موهوب في الفنون الميكانيكية، وكلاهما مشغول بالطيران أو بطيران الإنسان. وفي سنة 1892 افتتحا دكانا لبيع الدراجات وقطع غيارها، وقد ساهم هذا الدكان في تمويل مشروعهما الذي يحلمان به. وقد قرأ الاثنان مؤلفات أناس آخرين انشغلوا بالطيران مثل: أوفو ليلنتال وأوكتاف وصمويل لانجلي.

وفي سنة 1899 بدءا يعملان على التفكير في مشاكل الطيران، وفي ديسمبر 1903 بعد أكثر من أربع سنوات من الدراسات توجت أبحاثهما بالنجاح.

وإنه لشيء يبعث على الدهشة حقا أن ينجح هذان الأخوان حين فشل آخرون. ولعل الأسباب كثيرة ومن بينها أن رأسين يفكران معا أفضل من رأس واحد، ثم إنهما كانا يعملان بتعاون وانسجام تام، أما كيف تعلما الطيران فقد استعانا بالطائرات الشراعية أولا وذلك في سنة 1902، وجربا هذه الطائرات أكثر من ألف مرة ونجحا في كل مرة، وأصبح الأخوان أشهر وأقدر طيارين شراعيين في العالم كله.

وقد انشغل كثيرون قبلهما بكيفية ارتفاع الطائرة عن الأرض، ولكن الأخوين رايت انشغلا أكثر بكيفية التحكم بالطائرة عندما ترتفع عن الأرض واهتديا إلى الحل. وساهما ببراعة في تصميم أجنحة الطائرة، ووضعا أكثر من مائتي تصميم لأجنحة الطائرة ولحركة الهواء وضغطه ومقاومته.

ورغم ذلك فإن الأخوين رايت ما كان من الممكن أن ينجحا لو لم يظهرا في المرحلة التاريخية المناسبة، ففي القرن التاسع عشر ظهرت الآلات البخارية، ولا يمكن استخدامها

في الطيران طبعا، ولكن ظهرت محاولات الطيران في عصر المحركات ذات الاحتراق الداخلي، وحتى هذه المحركات كانت ثقيلة.

ولذلك استعان الأخوان رايت بمهندس ميكانيكي وصنعوا معا المحركات التي تناسب الطائرة، كما أنهما صمما المحركات اللازمة للطائرة والتي كانت كفاءتها عالية.

وفي 17 ديسمبر 1903 كانت أولى رحلاتهما، وكل منهما قام برحلتين في ذلك اليوم.

الرحلة الأولى قام بها أورفيل واستغرقت 12 ثانية وقطعت 120 قدما. والرحلة الأخرى قام بها ولبور واستغرقت 59 ثانية وقطعت 852 قدما، وطائرتهما الأولى كلفت أكثر من ألف دولار، وطول جناحيها 40 قدما، وتزن 750 رطلا، ولها محرك قوته 12 حصانا ويزن 170 رطلا، وهذه الطائرة موجودة الآن في متحف الفضاء في واشنطن.

وعلى الرغم من أن هذه الرحلات لم يشاهدها سوى خمسة من المواطنين، فإن الصحف لم تكتب عنها كثيرا في اليوم التالي، وحتى الذي ذكرته لم يكن دقيقا، وتجاهلت الحادث كل الصحف المحلية تماما، وكان لا بد أن تمضي خمس سنوات أخرى حتى يعلم العالم كله أن طيران الإنسان أصبح ممكنا.

وفي سنة 1905 صنعا طائرة أخرى وقاما بمائة وخمس رحلات دون إثارة التفات أحد، بل إن صحيفة فرنسية نشرت مقالا في سنة 1905 بعنوان «طيارون أم فشارون؟».

ولكي يوقف الأخوان رايت أكاذيب الناس وشائعاتهم حمل أحدهما طائرته إلى فرنسا وقام بعدة استعراضات أمام الناس، وأسس شركة لتسويق هذا الاختراع.

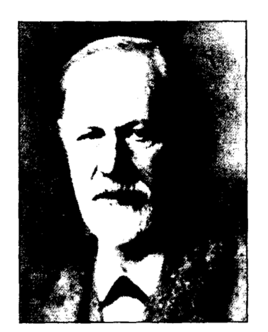
وكان الأخ أورفيل يقدم تجاربه في أمريكا فتحطمت به الطائرة في 17 سبتمبر سنة 1908 وقتل أحد الركاب وانكسرت ساق أورفيل وضلعاه، وكان ذلك أول حادث يقع لهما.

ونجاح هذه التجارب أقنع أمريكا بالاتفاق معهما على شراء طائرات لوزارة الحربية، ودفعت الحكومة ثلاثين ألف دولار.

وفي سنة 1912 أصيب ويلبور بالتيفود وتوفي سنة 1912 في الخامسة والأربعين من عمره وباع أخوه نصيبه من شركة صناعة الطائرات، وعاش حتى سنة 1948، ولم يتزوجا.

ولا شك أن الطائرة أقل خطرا من الآلة البخارية والمطبعة اللتين أحدثتا تطورا خطيرا في الحضارة الإنسانية، ولكن الطائرة هي الأم لسفينة الفضاء بين الأرض والكواكب الأخرى.

وإذا كان الإنسان يحلم بالطيران منذ قديم الزمان، وأن يكون بساط الريح الذي تحدثت عنه ألف ليلة وليلة حقيقة يوما ما، فالفضل يرجع إلى الأخوين رايت، فقد نجحا في أن يجعلا الحلم حقيقة والخرافة يقينا. يكفي أن تنظر إلى السماء كل يوم لترى عشرات الطائرات، أو تنظر إلى التلفزيون لترى سفن الفضاء.



فرويد
(1856-1939م)

إنه سيجموند فرويد مؤسس علم «التحليل النفسي»، وقد ولد في مدينة فرايبورغ في تشيكوسلوفاكيا التي كانت جزء من الإمبراطورية النمساوية، وعندما بلغ الرابعة من عمره انتقلت أسرته إلى فينا، حيث بقي معظم حياته. وكان فرويد تلميذا نابها في المدرسة، وتلقى دراساته الطبية في جامعة فينا في سنة 1881.

وفي السنوات العشر التالية عكف على دراسة علم وظائف الأعضاء، ثم التحق بالعمل في عيادة للعلاج النفسي، وبعد ذلك عمل في علاج الأعصاب، وعمل في باريس بعد ذلك مع الطبيب الفرنسي المشهور جان شاركو، وعمل أيضا مع الطبيب النمساوي الشهير يوسف بروير.

أما نظريات فرويد عن علم النفس فقد تطورت بالتدريج، ولم يظهر كتاب له إلا في سنة 1895 وكان عن «دراسات في الهستيريا» بالاشتراك مع يوسف بروير. أما كتابه عن «تفسير الأحلام» فقد ظهر سنة 1900 وكان من أهم أعماله ومن أكثرها أصالة، وعلى الرغم من أن هذا الكتاب لم ينتشر بسرعة أول الأمر فإن هذا الكتاب هو الذي أدى إلى شهرته الواسعة، وجاءت بعد ذلك مؤلفات أخرى كثيرة، ولكن لم تصبح له شهرة عالمية إلا عندما راح يلقي محاضراته في الولايات المتحدة.

وفي سنة 1902 نظم جماعة للمناقشة في مدينة فينا، وكان من بين أعضاء هذه الجماعة اثنان من ألمع علماء التحليل النفسي بعد ذلك هما: الفرد إدلر وكارل يونغ.

وقد تزوج فرويد وأنجب ستة من الأولاد، وقد أصيب بسرطان في الفك، ومنذ سنة 1923 وحتى وفاته أجريت له أكثر من ثلاثين عملية في محاولة يائسة لوقف نشاط هذا المرض اللعين، وعلى الرغم من ذلك فقد ظل يعمل، وظهرت له أعمال جليلة في هذه الحقبة الأليمة من العمر، وفي سنة 1938 دخلت قوات النازي النمسا، ولأنه يهودي فقد هرب وهو في الثامنة والثمانين من عمره إلى لندن حيث توفي فيها بعد عام.

ومن الصعب تلخيص مساهمات فرويد في علم النفس لكثرة ما قدم وأضاف، فهو قد أكد أهمية اللاشعور أو العقل الباطن في النشاط الواعي للإنسان في تفكيره وسلوكه، وكيف أن اللاشعور نفسه يؤثر في مضمون الأحلام ويؤدي إلى بعض الأخطاء العادية في حياتنا مثل عثرات اللسان ونسيان الأسماء، كما يؤدي إلى الأمراض.

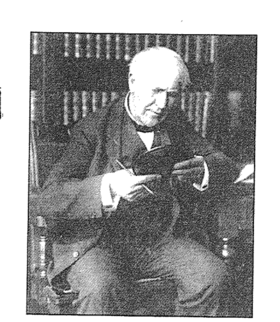
وفرويد قام بتطوير التحليل النفسي كمنهج لمعالجة الأمراض العقلية، ووضع نظريته لبناء الشخصية الإنسانية، كما أنه اهتدى إلى عدد من النظريات في تفسير القلق والدفاع عن النفس والعقد النفسية والقمع والتسامي وغير ذلك من المشاكل النفسية والأمراض العقلية. وكثير من آراء فرويد قد أثار نقاشا وخلافات حادة في ذلك الوقت وحتى الآن.

وهو صاحب نظرية أن الكبت الجنسي يلعب دورا هاما في كثير من الأمراض العقلية والعصبية، وهو الذي قال بأن الإحساسات الجنسية والرغبات الجنسية تبدأ منذ الطفولة، وليس في فترة المراهقة.

ولأن الكثير من آرائه ما يزال موضع جدل بين العلماء فإنه من العسير علينا الآن أن نعرف مكانه بالضبط في التاريخ، ولكن من المؤكد أنه كان موهبة عظيمة أتت بجديد في علم النفس. ونظريات فرويد لم نلق إجماعا من العلماء مثل نظريات باستور أو داروين حتى ليصعب علينا أن نعرف أي نظرياته صحيحة وأيها غير صحيحة.

وعلى الرغم من هذه الخلافات حول نظرياته فلا جدال بين العلماء على أن فرويد قمة من قمم الفكر الإنساني، وقد يرى العلماء بعده أن الرغبات الجنسية المكبوتة أقل تأثيرا على السلوك الإنساني، وقد يرى بعض العلماء أيضا أن اللاشعور لا يلعب دورا كبيرا في حياة الإنسان، ولكن من المؤكد أن هذا اللاشعور أو العقل الباطن لم يكن له أي دور أو أثر يذكر قبل ظهور فرويد.

ومهما كانت الخلافات على الذي أضافه فرويد إلى علم النفس أو منهج التحليل النفسي فإن الأثر الذي تركه من بعده ما يزال قويا، وهذا وحده هو الذي يضعه في هذا المكان الرفيع بين الخالدين.



أديسون

(1847-1931م)

هذا المخترع العظيم توماس أديسون ولد سنة 1847 في مدينة ميلانو بولاية أوهايو الأمريكية، لم يتعلم في مدارس الدولة إلا ثلاثة أشهر فقط، فقد وجده ناظر المدرسة طفلا بليدا متخلفا عقليا؟!

وأول اختراع لأديسون كان وهو في الحادية والعشرين من عمره عندما ابتدع جهازا كهربائيا لتسجيل الأصوات في الانتخابات ولكن أحدا لم يشتر هذا الجهاز. وقد دفعه ذلك إلى أن يخترع الأجهزة التي يمكن بيعها والاستفادة منها على أوسع نطاق. وبعد ذلك اخترع جهازا لصرف تذاكر القطارات، وباع هذا الاختراع بأربعين ألف دولار، وهو مبلغ ضخم جدا في ذلك الوقت. وتوالت بعد ذلك الاختراعات الكثيرة التي جعلته رجلا شهيرا وغنيا أيضا.

وربما كان أعظم اختراعات أديسون في ذلك الوقت هو «الفونوغراف» والذي سجل باسمه سنة 1877. وأعظم اختراعاته جميعا هو المصباح الكهربائي في سنة 1879.

ولم يكن أديسون أول من اخترع المصباح الكهربائي، إنما سبقه إلى ذلك كثيرون، كما أن المصابيح الكهربائية قد استخدمت لإضاءة شوارع باريس، ولكن مصباح أديسون مع نظام توزيع الكهرباء الذي اخترعه جعل المصابيح الكهربائية صالحة للاستعمال في كل البيوت، وقامت شركة أديسون سنة 1882 بإنتاج الكهرباء لمدينة نيويورك، وبعد ذلك انتشرت الكهرباء في أمريكا وفي العالم.

وبعد دخول الكهرباء إلى كل البيوت وضع أديسون الأساس الحقيقي لتطور الصناعة في العالم، كما أدت الأسس التي وضعها لتوزيع الكهرباء على البيوت والمصانع إلى أن أصبحت الكهرباء حدثا عظيما في تاريخ الإنسان.

وقد ساهم أديسون في تطور كاميرات السينما، وساهم في اختراع التلفون، خصوصا أنه هو الذي اخترع الكربون الذي ينقل الصوت، وساهم في اختراع أجهزة التلغراف

والآلة الكاتبة واختراع البطاريات الجافة والميكروفونات، وقد سجل أديسون باسمه أكثر من ألف اختراع وهو عدد لا يصدقه العقل.

وأحد أسباب عظمة أديسون في اكتشاف هذا السيل الهائل من الاختراعات، أنه أنشأ لنفسه معملا خاصا في سن مبكرة، وقد عين في هذا المصنع عددا من المساعدين، وكان هذا المعمل نموذجا للمعامل التي أقامتها المؤسسات الكبرى بعد ذلك.

ومما لا شك فيه أن إقامة هذا النوع من المعامل المنظمة والتي يعمل فيها عدد كبير من الناس يروح الفريق هو من أعظم اختراعات أديسون، ومن علامات العصر أيضا، وهو الاختراع الوحيد الذي لا يستطيع أن يسجله ولا أن يحتكره.

ولم يكن أديسون مخترعا فحسب، بل كان شريكا في عدد كبير من الشركات الصناعية، ومن أهم هذه الشركات شركة جنرال إلكتريك.

ومن اكتشافات أديسون أيضا سنة 1882 أنه في داخل «فراغ» يمكن أن تتحرك الكهرباء بين سلكين غير متصلين، وقد أدى هذا الاكتشاف إلى اختراع اللمبات الكهربائية المفرغة تماما ووضع أساس صناعة الالكترونيات.

وقد عانى طوال حياته من ضعف في السمع، وقد ساعد هذا النقص على قدرته الهائلة على العمل وعلى التركيز في العمل وعلى الانعزال التام عن العالم الخارجي.

وتزوج أديسون مرتين، وقد ماتت زوجته وهي صغيرة، وكان له ثلاثة أولاد من كل زوجة، أما هو فقد مات في نيوجرسي سنة 1931.

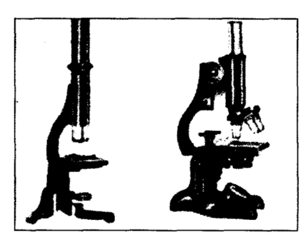
ولا خلاف على موهبة أديسون العظيمة، ولا خلاف على أنه أكبر عبقرية عرفها الإنسان في القدرة على الإبداع، وإذا نظرنا إلى اختراعاته الواحد بعد الآخر لوجدنا أنها ليست خطيرة على تطور الفكر أو الصناعة فاختراعه للمصابيح الكهربائية المفرغة ليس من الاختراعات التي لا يمكن الاستغناء عنها، أو ليس بغيرها تتطور الصناعة. فقبل اختراعه لهذا المصباح أحس الإنسان أن هناك مصادر أخرى للضوء تكفيه للحياة والقراءة مثل مصابيح الغاز والشموع.

واختراع الفونوغراف - الجرامفون - شيء هام، ولكن لا يمكن أن يقال إن الحياة بدونه مستحيلة، فهو لا يرقى إلى مستوى التلفون أو الراديو أو التلفزيون أو البث

الفضائي عبر الأقمار الاصطناعية. كما أننا في العصر الحديث قد اهتدينا إلى وسائل أخرى لتسجيل الصوت مختلفة تماما عن تسجيله على الاسطوانات التي نضعها على الفونوغراف.

وكثير من اختراعات أديسون قامت على تطوير أجهزة كانت مستعملة في عصره، وهذه التعديلات التي أدخلها كانت في غاية الأهمية، ولكن لا يمكن أن يقال إن الحياة بغيرها كانت مستحيلة.

وعلى الرغم من أنه لا يوجد اختراع واحد لأديسون كان في غاية الأهمية، فإن أديسون قد اخترع أكثر من ألف جهاز، وهذا العدد هو الذي يجعله يحتل مكانا رفيعا.



ليفنهيك
(1632-1723م)

هو أنطوني فان ليفنهيك الذي اكتشف الميكروب. وقد ولد في مدينة دفت بهولندا سنة 1632، وكانت أسرته متوسطة، وأمضى حياته كلها موظفا في الحكومة.

أما سبب اكتشافه للميكروب فلأنه كان هاويا للنظر في الميكروسكوب. ولم يكن من السهل في ذلك الوقت شراء الميكروسكوب من المحلات العامة، ولذلك قام بتركيب ميكروسكوب لاستعماله الخاص. ولم يتعلم صناعة العدسات ولا عرف فن جلاء الزجاج تمهيدا لصناعة العدسة المناسبة. واستطاع ليفنهيك عن طريق تركيب العدسات بعضها فوق بعض أن يحصل على كفاءة للإبصار ليست في استطاعة أي ميكروسكوب مستخدم في ذلك الوقت. ومن بين العدسات التي صنعها واحدة كانت قادرة على تكبير الأشياء 270 مرة، وهناك ما يدل على أنه صنع عدسات ذات قدرة على تكبير الأشياء أضعاف ذلك.

وكان رجلا صبورا ومثابرا وقوي الملاحظة، واستطاع بعدساته هذه أن ينظر إلى كثير من المواد ابتداء من شعر الإنسان إلى قطرات الدم وقطرات الماء والحشرات والأنسجة الجلدية والعضلية، وسجل ملاحظاته كلها بمنتهى العناية، كما أنه قام برسم كل ما شاهده تحت الميكروسكوب.

ومنذ سنة 1673 ظل ليفنهيك يراسل الجمعية الملكية في إنجلترا وهي الجمعية العلمية الرائدة في العالم كله، وعلى الرغم من أنه لم يدخل أية جامعة، وعلى الرغم من أنه لا يعرف لغة أخرى سوى الهولندية، فقد تم انتخابه عضوا في الجمعية الملكية سنة 1680 كما أنه أصبح عضوا مراسلا لأكاديمية العلوم بباريس.

وقد تزوج مرتين وأنجب ستة أولاد ولم يكن له أحفاد، وكانت صحته جيدة، وظل يعمل بهمة ونشاط حتى قبل وفاته بساعات. وقد زاره في بيته عظماء الأدب والعلم والسياسة في زمانه؛ زاره القيصر الروسي بطرس الأكبر وملكة إنجلترا، وتوفي في نفس المدينة التي ولد فيها في التسعين من عمره.

وهو أول من اكتشف تركيب الحيوانات المنوية، وأول من وصف كريات الدم الحمراء، وقد عارض نظرية التوالد التلقائي لأشكال الحياة الدنيا، وقدم أدلة كثيرة تؤيد وجهة نظره، وقد أثبت أن البراغيث تتكاثر بنفس الطريقة التي تتكاثر بها الحشرات ذات الأجنحة.

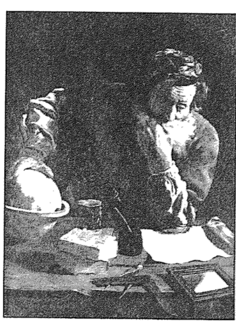
ولكن أعظم اكتشاف له جاء في سنة 1674 عندما سجل أول ملاحظاته عن الميكروبات، وهو أعظم اكتشاف في تاريخ الإنسان. وفي قطرة واحدة للماء اكتشف عالما قائما بذاته، عالما جديدا لا شك فيه، عالما مليئا بالحياة. وعلى الرغم من أنه لم يعرف ما هذا الذي اكتشفه بالضبط، فإنه أول من أشار إليه. ومع ذلك فإن الذي اكتشفه كانت له أهمية عظمى في تاريخ الإنسانية كلها. وهذه الكائنات الصغيرة الكثيرة الأخرى في الإنسان والحيوان، وقد تمكن من العثور على الميكروبات في أماكن كثيرة: في المستنقعات وفي ماء المطر وفي فم وأمعاء الإنسان، واستطاع أن يضيف أنواعا مختلفة من البكتيريا، وحسب أحجامها جميعا.

ولم تظهر خطورة اكتشاف ليفنهيك هذه إلا عندما ظهر العالم الفرنسي الكبير باستور، أي بعد ذلك بمائتي عام، وقد ظل علم الميكروبات نائما خامدا حتى جاء القرن التاسع عشر عندما تطورت أحجام العدسات وتطورت صناعة الميكروسكوب.

ومن الممكن أن يقال إنه لو لم يكتشف ليفنهيك الميكروبات لأدى ذلك إلى التأخير بعض الوقت في علم الميكروبات، ولكن لا جدال في أن اكتشاف الميكروبات قد دفع العلم الحديث إلى أبعاد عميقة في تكوين الحياة وأسباب الموت عند الإنسان.

ويمكن أن يقال إن هذا الرجل اهتدى إلى الميكروبات بمحض الصدفة، وهذا ظلم للرجل، فاكتشافه للميكروبات جاء نتيجة طبيعية لتطور صناعة العدسات والميكروسكوب، وجاء نتيجة لدقة ملاحظته وصبره على العمل، فاكتشافه جاء نتيجة لبراعته وصبره وليس بالصدفة أو الحظ.

ويمكن أن يقال إن اكتشاف الميكروب كان من الأحداث الجليلة التي اهتدى إليها إنسان بمفرده، ولم يشاركه أحد. فقد كان ليفنهيك يعمل لوحده، وكذلك بقية اكتشافاته، فلهذا السبب ولأهمية الاكتشاف اتخذ ليفنهيك هذا المكان المتقدم من قائمة الخالدين.



أرخميدس

(287-212 ق.م)

ولد أرخميدس عام 287 قبل الميلاد في جزيرة صقلية، وكان والده فلكياً شهيراً، وكمعظم الشباب آنذاك سافر إلى الإسكندرية ثم إلى اليونان طلباً للدراسة، ويعد الكثير من مؤرخي الرياضيات والعلوم أن أرخميدس من أعظم علماء الرياضيات في العصور القديمة ، وهو أبو الهندسة. وقد قتل أرخميدس عام 212 قبل الميلاد على يد الرومان بسبب أدوات القتال التي تسببت في أن يحارب الرومان ثمانية أشهر لفتح اليونان.

ومن أشهر اكتشافاته، طرق حساب المساحات والأحجام والمساحات الجانبية للأجسام، وأثبت القدرة على حساب تقريبي دقيق للجذور التربيعية واخترع طريقة لكتابة الأرقام الكبيرة. وهو نفسه الذي حدد قيمة (باي) (Pi 3.14) وهي العلاقة بين محيط الدائرة ونصف قطرها بدقة عالية. أما في مجال الميكانيكا فأرخميدس هو مكتشف النظريات الأساسية لمركز الثقل للأسطح المستوية والأجسام الصلبة واستخدام الروافع ومخترع قلاووظ أرخميدس.

ومن أبرز القوانين التي اكتشفها قانون طفو الأجسام داخل المياه والذي صار يعرف بقانون أرخميدس. وقال عنه العالم الرياضي فريدتش جاوس إنه واحد من أعظم ثلاثة في العلوم الرياضية مع كل من إسحاق نيوتن وفردناند إيسنستن.

شك ملك سيراكوس في أن الصائغ الذي صنع له التاج قد غشه، حيث أدخل في التاج نحاساً بدلاً من الذهب الخالص، وطلب من أرخميدس أن يبحث له في هذا الموضوع بدون إتلاف التاج. وعندما كان يغتسل في حمام عام، لاحظ أن منسوب الماء ارتفع عندما انغمس في الماء، فخرج عارياً في الشارع يجري ويصيح (أوريكا، أوريكا) أي وجدتها وجدتها، لأنه تحقق من أن هذا الاكتشاف سيحل معضلة التاج. وقد تحقق أرخميدس من أن جسده أصبح أخف وزناً، عندما نزل في الماء، وأن الانخفاض في وزنه

يساوي وزن الماء الذي أزاحه، وأيضاً تحقق من أن حجم الماء المزاح يساوي حجم الجسم المغمور. وعندئذ تيقن من إمكانية أن يعرف مكونات التاج دون أن يتلفه؛ وذلك بغمره في الماء، فحجم الماء المزاح بغمر التاج فيه لا بد أن يساوي نفس حجم الماء المزاح بغمر وزن ذهب خالص مساوٍ لوزن التاج. وكانت النتيجة: أن الصائغ فقد رأسه بهذه النظرية.

حدد أرخميدس قيمة (باي) وهي نسبة محيط الدائرة إلى قطرها، أو بكلام آخر محيط الدائرة أطول كم مرة من قطرها، وهذه القيمة تستخدم في حساب مساحات الدوائر وما شابهها وأحجام الكرات والاسطوانات. وطريقته في حساب ذلك اعتمدت على رسم أشكال هندسية متساوية الأضلاع داخل وخارج الدائرة حتى حدد حدوداً لقيمة (باي).

وقال أرخميدس: إن القيمة الدقيقة (باي) هي 22/ 7 وعندما وصل إلى قيمة (باي) اكتشف صعوبة الأرقام اليونانية، وأنها لا تصلح للعمليات الرياضية المعقدة، ومن ثم اقترح نظاماً رقمياً آخر يمكنه تخزين أرقام كبيرة بسهولة.

أما قلاووظ أرخميدُس فهو عبارة عن أنبوب يحيط بحلزون، استخدمه القدماء لرفع المياه من الخزانات. وهو مكون من قضيب خشبي طوله حوالي متر محاط بحلزون من مواد مرنة مثبتة في ألواح خارجية، وقد علق فيتروفيوس في القرن الأول الميلادي على ذلك قائلا: إنه محاكاة طبيعية لقوقعة حلزونية. وفي عصر الرومان كان قلاووظ أرخميدس يعمل بالسير فوقه مثل ماكينات الغزل اليدوية، ولكن في القرن الخامس عشر، كان يعمل بذراع تدوير. في مايو 1839 حلت سفينة أرشميدس بدلاً عن البدال التقليدي الذي يدور بالبخار مستخدماً دافعاً يعمل بنظرية الحلزون. في البداية عارض الناس التصميم، وأحتاج إلى أربع سنوات ليثبت أنه أفضل من سابقه.

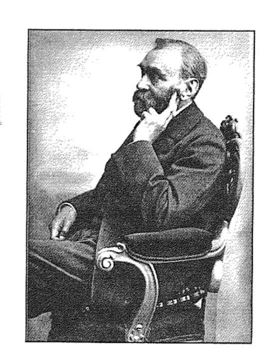
واستخدمه المصريون منذ 2000 عام ومازالوا إلى الآن يستخدمونه في الري ورفع المياه ويتراوح قطره من ربع بوصة إلى 12 قدماً.

وكان أرخميدس شديد الولع بصناعة الآلات ودراستها، وكان هدفه الأول من هذه الدراسة هو معرفة القوانين الميكانيكية التي تتحكم في عمل الآلات. وبدأ اهتمامه الأول بدراسة الرافعة الأولية، وكانت نتيجة الدراسة هي : معرفة قوانين الروافع وتسجيلها، وتعتبر نظرياته عن الروافع من أهم نظريات الفيزياء النظرية. وقد اهتم أيضا ببعض الآلات الأخرى المعروفة في عصره مثل البكرة وصندوق التروس. واخترع العجلات

المسننة، والكرة المتحركة، واكتشف نظرية العتلة، حيث قيل إنه كان يعتقد بأنه يمكن أن يرفع الأرض لو وجد ما يركزها عليه. كما اخترع أحد الأجهزة التي تحاكي الحركات السماوية للشمس والقمر والكواكب.

كان ذو عقلية متعددة الاهتمامات. وكان ولعه بالرياضيات لا يشغله عن الاهتمام بالميكانيكا والفيزياء النظرية والفلك. وبفضل هذه الاهتمامات المتعددة أصبح من أوائل الذين انتقلوا بالرياضيات من المجال النظري إلى المجال التطبيقي. وقد اخترع الكثير من الآلات المعروفة باسمه، ومنها بعض الأسلحة التي استخدمت في سيراقوسة عند هجوم الرومان عليها عام 212 ق.م. وأرخميدس هو أول من استخدم الأشعة الشمسية.

عند هجوم الرومان على مدينته،في عام 212 ق.م و «أرخميدس» عاكف على حل مسألة رياضية بمنزله لا يدري شيئا عن احتلال المدينة من قبل الرومان! وبينما كان يرسم مسألته على الرمال، دخل عليه جندي روماني وأمره أن يتبعه لمقابلة «مارسيلويس»، فرد عليه «أرخميدس»: - من فضلك، لا تفسد دوائري! وطلب منه أن يمهله حتى ينتهي من عمله، فاستشاط الجندي غضبا وسل سيفه ليطعن «أرخميدس» دون تردد. وسقط «أرخميدس» على الفور غارقا في دمائه، وسرعان ما لفظ أنفاسه الأخيرة.



ألفـرد نوبـل

(1833-1896م)

هو مهندس وكيميائي سويدي. وكان قد اخترع الديناميت في عام 1867م، ومن ثم أوصى بكل ثروته التي جناها من الاختراع إلى جائزة نوبل التي سُميت باسمه.

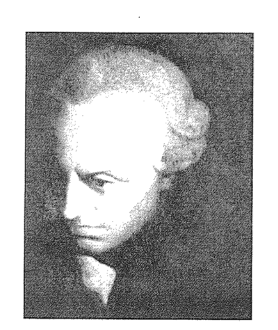
ولد في 21 أكتوبر 1833 في مدينة ستوكهولم، عاصمة السويد. أتاح والده عمانوئيل نوبل، بعد جهد وكفاح في العمل في حقل الألغام البحرية وثرائه من ذلك، فرصة تعلّم جيدة لابنه ألفريد وأخوته الثلاثة، حيث وفر لهم المدرسين الأكفاء في علوم الطبيعة والكيمياء واللغات والآداب. فما إن بلغ ألفريد السابعة عشرة من عمره حتى أتقن خمس لغات وهي السويدية، والروسية، والفرنسية، والإنكليزية، والألمانية.

عمل والده على بناء مصنع بالقرب من مدينة ستوكهولم لتصنيع مادة النيتروجليسرين شديدة الانفجار، وقام بتصنيع نحو 140 كيلوغراماً من هذه المادة، ولكن المصنع انفجر عام 1864م. وقد تسبب الانفجار في مقتل أخيه الأصغر إميل، وأربعة من الكيميائيين والعمال.

عمل ألفريد على ترويض وضبط استعمال مادة النيتروجليسرين فتوصل إلى اختراع الديناميت في عام 1867م، وحصل على براءة اختراعه، فتهافتت على شرائه شركات البناء والمناجم والقوات المسلحة، وانتشر استخدام الديناميت في جميع أنحاء العالم. قام ألفريد بإنشاء عشرات المصانع والمعامل في عشرين دولة، وجنى من وراء ذلك ثروة كبيرة جداً حتى أصبح من أغنى أغنياء العالم كما انه تزوج في حياته امرأة ولكن لم يكن له نصيب في أن ينجب ولدا وهكذا عاش وحيدا ومات وحيدا.

تصور ألفريد بأنه بهذا الاختراع قد عمل على إسعاد البشرية، وعندما تبين له خطأ مقصده قرر في أواخر حياته أن يهب بعض ثروته لكل من يُسهم في إسعاد ورخاء البشر وتقديمها عبر جائزة نوبل. مات ألفريد نوبل يوم العاشر من ديسمبر سنة 1896م في

مدينة سان ريمو الإيطالية وحيداً، وقد خلف وراءه ثروة طائلة قُدرت بحوالي 30 مليون كورونا سويدية، ووصية باستثمار الجانب الأكبر من ثروته في مشروعات ربحية يتم من ريعها منح خمس جوائز سنوية لأكثر من أفاد البشرية في مجالات حددها وهي مجال الكيمياء، والفيزياء، والطب أو الفيسيولوجيا، والأدب، والسلام العالمي.



إيمانويل كانت
(1724-1804م)

إيمانويل كانت (22 أبريل، 1724 - 12 فبراير، 1804) فيلسوف وعالم ألماني برز في كل من المجالات التالية: الفيزياء الفلكية، والرياضيات، والجغرافية، وعلم الإنسان. يعتبر أحد أكثر المفكرين المؤثرين في المجتمع الغربي والأوروبي الحديث والفيلسوف الرئيسي الأخير في عصر التنوير . عرف كانت التنوير، في مقالته الشهيرة ما هو التنوير؟ على أنه عصر تشكل تحت شعار: الجرأة من أجل المعرفة، مما نمى نمطا من التفكير الداخلي خال من قواعد السلطة الخارجية. ألف كتاب نقد العقل المحض، وهو كتاب شهير تناول العديد من المواضيع التي تبرز أفكار كانت بطُريقة واضحة.

كان لكانت تأثير حاسم على الرومانسية والمثالية؛ فلسفات القرن التاسع عشر. كما شكل عمله نقطة بداية لفلاسفة القرن العشرين.

ولد إيمانويل كانت في مدينة كونجسبرج في شمال ألمانيا التي تعد اليوم جزءاً من روسيا يوم 22 أبريل من عام 1724 في عائلة فقيرة. وتعرف على مكارم الأخلاق منذ نعومة أظفاره عن طريق والدته، وحصل على شهادة الدكتوراه في الفلسفة ليصبح فيما بعد أستاذاً في الجامعة.

انخرط إيمانويل كانت في مطالعات فكرية مكثفة شملت نيوتن وهيوم وبالأخص الفيلسوف الفرنسي جان جاك روسو الذي ركز على أولوية الأخلاق ووضعها في مرتبة تفوق العلم والدين.

تدرج إيمانويل كانت في المناصب الجامعية حتى أصبح عميداً لجامعته بين عامي 1786 و 1788. وفي أثناء ذلك نشر أهم المؤلفات الفلسفية في عصره كنقد العقل المحض، ونقد العقل العملي.

أجاب إيمانويل كانت عن سؤال ما هو التنوير؟ بقوله: «إنه خروج الإنسان عن مرحلة القصور العقلي وبلوغه سن النضج أو سن الرشد» كما عرَّف القصور العقلي على

أنه «التبعية للآخرين وعدم القدرة على التفكير الشخصي أو السلوك في الحياة أو اتخاذ أي قرار بدون استشارة الشخص الوصي علينا».

من هذا المنظور جاءت صرخته التنويرية لتقول: «أعملوا عقولكم أيها البشر! لتكن لكم الجرأة على استخدام عقولكم! فلا تتواكلوا بعد اليوم ولا تستسلموا للكسل والمقدور والمكتوب. تحركوا وانشطوا وانخرطوا في الحياة بشكل إيجابي متبصر. فالله زودكم بعقول وينبغي أن تستخدموها. لكن كانت لم يفهم التنوير نقيضاً للإيمان أو للاعتقاد الديني، وإنما شدد على أن «عند حدود العقل تبتدئ حدود الإيمان». كما حذر من الطاعة العمياء للقادة أو لرجال الدين كما حصل في دولة بروسيا لاحقاً.

حوى كتاب (نقد العقل المحض) خلاصة تجربة إيمانويل كانت الفلسفية وأدى إلى تغيير خارطة أوروبا الفكرية والفلسفية.

انتهت فلسفة التنوير التي كانت سائدة قبل كانت إلى تأييد كامل للعقل ومن ثم تأييد المذهب المادي على إثره، وبالمقابل فقد نهض الدين والعقائد في أوروبا التي كانت تتلقى ضربات العقل لتطالب باستجواب هذا العقل المحض الذي أجهضها بتقديسه للمادة باعتبارها الأساس في كل شيء، استجوابات من قبيل التساؤل عن إن كان هذا الحاكم مطلق الحقيقة ومنزهاً عن الزلل أم أنه كباقي الأعضاء الإنسانية محدود بحدوده التي لا يستطيع أن يتعداها.

ميز إيمانويل كانت في نقد العقل الخالص بين مصدرين أساسيين تتدفق منهما المعرفة ونقصد الحساسية والذهن. تتضمن الحساسية القوة على استقبال تمثلات الموضوع أو الظاهرة بوصفها حدساً تجريبياً. وتصير الموضوعات معطيات للحدس عن طريق الحساسية. فالحدوس التجريبية عند كانت هي تلك التي ترتبط بالموضوع عن طريق الحساسية؛ وكل حدس تجريبي لموضوع معين له ظاهر والذي يعد موضوعها غير المحدد.

أدى كتاب إيمانويل كانت (نقد العقل المحض) بفلاسفة مشهورين كانوا قد سلموا بمطلقية العقل النظري وسيادة أحكامه إلى تغيير آرائهم بصورة تامة بعد قراءته، إذ سلم نيتشه بكل ما في ثنايا الكتاب واعتبر ما جاء به من ثورة عقلية قضية مسلماً بها، أما شوبنهور فقد اعتبر الكتاب على أنه أعظم ما أنتجه الأدب الألماني وأكثره شهرة، وكان له رأي مشهور مفاده أن الإنسان يبقى طفلاً في معرفته حتى يقرأ كانت ويفهمه، وأتى هيجل بعدهم ليربط الفلسفة كلها بمعرفة كانت إذ قال (لكي يكون المرء فيلسوفاً فلا بد من أن يدرس كانت).



بليز باسكال

(1623-1662م)

فيزيائي ورياضي وفيلسوف فرنسي اشتهر بتجاربه على السوائل في مجال الفيزياء، وبأعماله الخاصة بنظرية الاحتمالات في الرياضيات هو من اخترع الآلة الحاسبة. استطاع باسكال أن يسهم في إيجاد أسلوب جديد في النثر الفرنسي بمجموعته الرسائل الريفيّة.

أدَّت أعمال باسكال المهمة في مجال ضغط السوائل إلى إيجاد المبدأ المسمى قانون باسكال، الذي ظهر خلال الخمسينيات من القرن السابع عشر الميلادي. وينص هذا المبدأ على أن السوائل الموجودة في الأوعية تنقل ضغوطًا متساوية في كافة الجهات، كما يوضح العمليات التي تقوم بها ضاغطات الهواء، والمضخات الفراغية، والرافعات الهيدروليكية، ورافعات السيارات، والمضاغط.

ساعدت تجارب باسكال على إثبات أن للهواء وزناً، وأن ضغط الهواء يمكن أن ينتج فراغًا، وبذلك أزال شكوك العلماء في ذلك الوقت في إمكان وجود الفراغ.

وخلال الخمسينيات من القرن السابع عشر الميلادي قدم باسكال، وعالم الرياضيات الفرنسي بيير دي فيرمات نظرية الاحتمالات، وناقشا بعض تطبيقاتها. وصمم باسكال عام 1654م تنظيمًا ثلاثيًا من الأرقام يكون فيه كل رقم مساويًا لمجموع الرقمين المجاورين له من جهة اليمين، وعلى جانبه الأيسر في الصف الذي يكون أعلاه مباشرة. ويمكن استخدام هذا التنظيم الذي سمِّي مثلث باسكال في حساب الاحتمالات. واخترع باسكال أيضًا آلة حاسبة تؤدي عمليات الجمع والضرب.

وُلد باسكال في مدينة كلير مونت ـ فيراند بفرنسا. وقد أظهر نبوغا في الرياضيات منذ أن كان طفلاً. واشتغل في حركة دينية تسمى الجانسينية، وفي أواخر عام 1654م دخل ديرًا من أديرة هذه الجماعة في مدينة بورت ـ رويال. وقد اتهمت المنظمة اليسوعية الجانسينيين بالبدعة، وأدانت قائدهم أنطوني آرنولد. وردًا على هذا الاتهام قام باسكال

فورًا بنشر 18 كتيبًا ساخرًا سميت الرسائل الريفية، وقد لاقت شعبية عظيمة في عامي 1656 و 1657م.

ظل باسكال يدافع منذ عام 1658م وحتى وفاته عن عقيدته. وقد وُجدت بعض أجزاء من عمله هذا الذي لم يكن قد اكتمل في ذلك الوقت بعد وفاته، وطبع باسم بنسيز. ويعبر هذا العمل عن إيمان باسكال بأن هناك حدودًا للحقائق التي يمكن أن يدركها العقل، وأن الإيمان من القلب بالرسالة المسيحية هو المرشد الرئيسي إلى الحقائق.

فيما عدا الهندسة المتناهية الصغر عالج باسكال الهندسة الإسقاطية كما تناول المخروطيات وبعدها القطاعات المخروطية.

بدأ الاهتمام بالهندسة من عمر الثانية عشرة عندما قرأ كتاب العناصر لإقليدس. وأكمل اهتمامه بشكل رصين منذ السنة 1639 بالنسبة للدائرة، المخروط، الكرة، الأمكنة الهندسية لنقطة متغيرة. لكن الهندسة التحليلية التي عالجها ديكارت لم يهتم بها باسكال مطلقا.

لكن عمل باسكال في الهندسة لم ينل إعجابا في عصره، فقد بقي حتى القرن التاسع عشر حين جاء بنسيليه فأظهر أهمية باسكال.

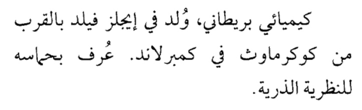
كانت له مكانة عظيمة في هذا ميدان التحليل المتناهي الصغر، وقد نشر باسكال أعماله في هذا المجال بين سنة 1650 و 1660 أي في آخر سني حياته، اعتمد قليلا على ستيفن، وديكارت، وروبرفال، وتورتشللي وغيرهم. لكنه سبق نيوتن، وليبنتز، الذين أخذوا عنه أشياء كثيرة، كما تناول مفهوم الحدود، ومسائل التكامل ومفهوم المثلث المميز المعروف باسمه.

قام باسكال بتطبيق كل هذه الأساليب في مسائل عديدة في الرياضيات حينا وفي الفيزياء والميكانيك حينا آخر.

اهتم بخصائص السلاسل العددية الصحيحة وبالترتيب العددي والأعداد الطبيعية والأعداد المثلثية، ومثلث باسكال وتطبيقاته العديدة.

ويمكننا القول بأن باسكال هو الذي أسس حساب الاحتمالات. كان هناك احتمالات الألعاب وبعض أنواع التجارة وما شابه إنما لم يكن هناك علم بالمعنى الصحيح يرتكز إلى أصول الرياضيات.

تعتبر الآلة الحاسبة إحدى أوجه تقدم العلوم التطبيقية. إنها فعلا اكتشاف جدير بالاهتمام، وباسكال هو الذي أوصل الإنسانية إلى الحاسبات الحديثة وما يمكن أن تصل إليه في المستقبل. فقد اكتشفها في روان سنة 1640 وهي آلة تقوم بإجراء للعمليات الحسابية الأربع دون جهد في التفكير وذلك لتأدية حسابات والده بسرعة. إن عملية مكننة الحساب تعتبر خطوة جبارة على طريق الحضارة الإنسانية.

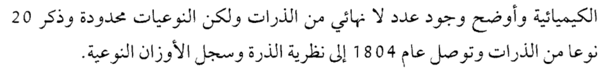


جون دالتون

(1766-1844م)

كيميائي بريطاني، وُلد في إيجلز فيلد بالقرب من كوكرماوث في كمبرلاند. عُرف بحماسه للنظرية الذرية.

انتهى من دراسته الأولية وهو في الحادية عشرة من عمره ثم علم نفسه بنفسه وادخل أهم الفروض العلمية في الدراسات العلمية وعرض موضوع الذرة بطريقة واضحة وشرح كل التفاعلات الكيميائية وأوضح وجود عدد لا نهائي من الذرات ولكن النوعيات محدودة وذكر 20 نوعا من الذرات وتوصل عام 1804 إلى نظرية الذرة وسجل الأوزان النوعية.



ومن أهم مؤلفاته نظام جديد للفلسفة الكيميائية سنة 1808 وتوفي سنة 1844 في مانشستر بإنجلترا.

لقد أحيا العالم دالتون فكرة ديمقريطس حول انقسام المادة وبنيتها المجهرية الذرية فافترض بأن ذرات النوع الكيميائي الواحد تكون متماثلة فيما بينها وذات نفس الكتلة، بينما ذرات الأنواع المختلفة تكون بدورها مختلفة واعتبر أن الذرة متعادلة كهربائيا.

وبخلاف الكيمياء فقد اهتم دالتون بدراسة الغازات والطقس. كما أنه اكتشف عمى الألوان لدى بعض الناس، وقد كان هو نفسه من هؤلاء.

حتى نهاية القرن التاسع عشر كانت الذرة تعتبر ككرة صلبة صغيرة. عندما اكتشف طومسون الإلكترون عام 1897. فلقد كان العلماء يعرفون أن التيار الكهربائي لو مر في أنبوبة مفرغة فيمكن رؤية تيارات مادة تتوهج. ولم يكن يعرف لها تفسير. فلاحظ طومسون أن التيار المتوهج الغامض يتجه للوح الكهربائي الموجب. فوجد أن التيار المتوهج مكون من جسيمات صغيرة وأجزاء من الذرات تحمل شحنات سالبة سميت بالإلكترونات. وكان جولدشتين قد قال عام 1886 أن الذرات بها شحنات موجبة. وفي

سنة 1999 كانت النظرية الذرية لرذر فورد عندما قال إن الذرة تتكون من قلب مكثف له شحنة موجبة من البروتونات حوله طوق من الإلكترونات السالبة تدور حول النواة.

وفي سنة 1932 اكتشف جيمس كادويك نوعا ثالثا من جسيمات الذرة أطلق عليه نيترونات، وأن النيترونات تفقد تنافر البروتونات المتشابهة الشحنة الكهربائية بالنواة المتماسكة. والنيترونات حجمها نفس حجم البروتونات بالنواة. والنيترونات لا تحمل شحنات كهربائية، لأنها متعادلة الشحنات. والذرة متعادلة الشحنة لأن عدد البروتونات الموجبة يعادل عدد الإلكترونات السالبة داخل الذرة. وأصغر ذرة هي ذرة الهيدروجين. ومعظم الفراغ بالذرة فارغ. لأن الإلكترونات تدور في مدارات بعيدة نسبيا من النواة. وكل عنصر من العناصر المختلفة يتميز عن غيره من العناصر بعدد ثابت من البروتونات ولكل ذرة عنصر ما، وزنها الذري الذي يعين حسب عدد البروتونات وعدد النيترونات بنواتها. ويجب أن نعرف أن حجم الذرة ضئيل جدا. فذرة الهيدروجين تتكون من بروتون واحد وإلكترون واحد. وذرة الهيليوم بها 2 بروتون يدور حولها 2 إلكترون. وبصفة عامة نجد أن كل ذرة لها قلب يسمي النواة التي تشكل كتلة الذرة تقريبا، إلا أنها تشغل حيزا صغيرا من حجم الذرة نفسها. لأن معظم الذرة فراغ حول النواة. وبالنواة توجد جسيمات أصغر هي البروتونات موجبة الشحنات والنيترونات متعادلة الشحنات. ويدور في الفراغ حول النواة جسيمات خفيفة جدا تسمي الإلكترونات. وكل عنصر يوجد في ذرته عدد ثابت ومتشابه من البروتونات في النواة. فعنصر الأكسجين في نواته 8 بروتونات. والنيترونات لا تحمل شحنات كهربائية، وليس بالضرورة أن تحمل ذرة كل عنصر عددا ثابتا من البروتونات. فلو كانت هناك ذرات عنصر ما تحمل عددا مختلفا من البروتونات فإنه يطلق عليها نظائر مشعة من العنصر الواحد. والإلكترونات جسيمات سلبية الكهربائية ندور في الفراغ حول النواة. وكتلة الإلكترون تعادل 1/ 2000 كتلة البروتون أو النيترون . والتفاعل أو الإتحاد بين ذرات العناصر يتم بين ترابط الإلكترونات لتكوين الجزيئات أو المركبات الكيماوية. لهذا نجد العدد الذري لكل ذرة يدل على عدد البروتونات بنواة ذرة العنصر. فالأكسجين عدده الذري 8 وهذا معناه أن ذرة الأكسجين تتكون من 8 بروتونات والرقم الذري للنحاس 29 وهذا معناه أن ذرة عنصر النحاس نواتها بها 29 بروتونا. وكتلة الذرة نجدها مجموع عدد البروتونات والنيترونات بالنواة. لأن 99.99٪ من كتلة الذرة في النواة. فأمكن من خلال التعرف

على مكنونات الذرة تفسير النماذج المتكررة في الجدول الدوري. فوجد العلماء أن العناصر في مجموعة واحدة من الجدول تمتلك نفس العدد من الإلكترونات الخارجية بمدارات الذرة. ولم تكن الجسيمات قد اكتشفت عندما وضع العلماء الجداول الدورية الأولى.

ويعتبر جون دالتون أباً للكيمياء الحديثة وذلك بعد أن أقترح نظرية الذرية للمادة في حوالي عام 1803م.

أن مفهوم الذرة (غير قابلة للتجزئة) لم يبدأ مع دالتون ولكن مع علماء الإغريق قبل الميلاد والذين أوضحوا عدم إمكانية تقسيم المادة إلى الأبد إلى أجزاء أصغر فأصغر وأنه في نهاية المطاف يجب أن تكون هناك جسيمات غير قابلة للتجزئة. لم تكن هذه الاقتراحات القديمة مبنية على نتائج تجارب علمية وإنما كانت ثمار تفكير عميق.

وتختلف نظرية دالتون عن ذلك كونها تعتمد على قوانين بقاء الكتلة والنسب الثابتة والتي اشتقت من العديد من الاستنتاجات المباشرة. يمكن التعبير عن النظرية التي اقترحها بالاتي:

1 - تتكون المادة من العديد من الجسيمات غير القابلة للتجزئة تسمى الذرات.

2 - تتميز كل ذرات العنصر بنفس الخواص (الحجم، الشكل، الكتلة) والتي تختلف باختلاف العناصر.

3 - يحدث التفاعل الكيميائي عند تبديل وضعية الذرات وتحويلها من منظومة لأخرى.

لقد أثبتت نظرية دالتون نجاحها من خلال تفسيرها لبعض الحقائق القائمة في ذلك الزمان كما أنها استطاعت أيضا التنبؤ ببعض القوانين غير المكتشفة:

أولا: تتضمن هذه النظرية قانون حفظ الكتلة حيث أن التفاعل الكيميائي لا يفعل شيئا سوى إعادة توزيع الذرات ولم تفقد أي ذرة في هذه المنظومة وبالتالي تظل الكتلة ثابتة عند حدوث التفاعل الكيميائي.

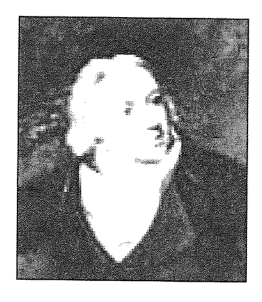
ثانيا: تفسر هذه النظرية قانون النسب الثابتة. افترض أن مادة ما تتكون من عنصرين A و B. وان أي جزيئي من هذه المادة يتكون من ذرة واحدة من A وذرة واحدة من B يعرف الجزيئي بأنه مجموعة ذرات مترابطة مع بعضها بقوة تسمح لها بالتصرف أو

إعادة التنظيم كجسيم واحد. افترض أيضا أن كتلة الذرة A تكون ضعف كتلة الذرة B وبالتالي فان الذرة A تساهم بضعف الكتلة التي تساهم بها الذرة B في تكوين جزيئي واحد من هذه المادة الأمر الذي يعني أن نسبة كتلة الذرة A إلى الذرة B هي 1/2.

أما إذا أخذنا مجموعة كبيرة من جزيئات هذه المادة فإننا نجد دائما أن عدد ذرات A مساويا لعدد ذرات B الأمر الذي يعني انه بغض النظر عن حجم العينة فإننا دائما نحصل على نسبة كتلة A إلى B تساوي 1/2. بالمثل إذا فاعلنا A مع B لنحصل على هذا الجزيئي فنجد أن أي ذرة من A تتحد مع ذرة واحدة من B أما إذا خلطنا 100 ذرة من A مع 110 ذرة من B فنجد انه قد تبقت 10 ذرات من B غير متفاعلة بعد اكتمال التفاعل.

ثالثا: لقد تنبأت نظرية دالتون بقانون النسب المتضاعفة الذي يقول: عند تكوين مركبين مختلفين من نفس العنصرين فان كتلتي أحد العنصرين اللتين تتفاعلان مع كتلة ثابتة من العنصر الآخر تكونان في شكل نسبة عددين بسيطين وصحيحين. وقد يظهر هذا القانون وكأنه أكثر تُعقيدا من حقيقته، دعنا نتحدث عن مركبين يتكونان من عنصري الأكسجين والكربون. إذا وجدنا في احدهما (أول أكسيد الكربون) أن 1.33 جم من الأكسجين متحدة مع 1.00 جم من الكربون بينما وجدنا في الآخر (ثاني أكسيد الكربون) أن 2.66 جم من الأكسجين متحدة مع 1.00 جم من الكربون فان نسبة كتلتي الأكسجين 2.66جم/ 1.33جم اللتين تتحدان مع كتلة ثابتة من الكربون 1.00 جم تكون في شكل عددين صحيحين:

تتفق هذه النسبة مع النظرية الذرية حيث أن أول أكسيد الكربون يحتوي على ذرة واحدة كربون تكون متحدة مع ذرة واحدة من الأكسجين بينما نجد أن ثاني أكسيد الكربون يحتوي ذرة كربون واحدة تكون متحدة مع ذرتين من الأكسجين. لان ذرات ثاني أكسيد الكربون ضعف ذرات الأكسجين المتحدة مع ذرة الكربون مثلما لأول أكسيد الكربون فان وزن الأكسجين في جزيئي ثاني أكسيد الكربون يجب أن يكون ضعف وزن الأكسجين في جزيئي أول أكسيد الكربون.



إدوارد جنر

(1749-1823م)

طبيب بريطاني اكتشف التطعيم (التلقيح) كوسيلة لمنع مرض الجدري. كان الآباء - قبل زمنه - لا يعدون أطفالهم سالمين ما لم يتعدوا مرحلة الجدري.

كان هذا المرض يمثل رعبًا قائمًا عبر القرون. وكان الجميع - في زمان جنر - يعرفون أن الشخص يصاب بالجدري مرة واحدة، وقد حاول الكثيرون تطعيم أنفسهم بمادة من قروح مرض الجدري، حيث كانوا يأملون أن تكون إصابتهم خفيفة حتى يكتسبوا المناعة ضد هذا المرض بقية حياتهم. وقد أدخلت السيدة ماري ورتلي مونتاجو الكاتبة الإنجليزية، هذه الطريقة إلى إنجلترا عام 1718م، إلا أنها كانت طريقة خطرة. وقد أجرى جنر أول تطعيم ضد الجدري بحقنه جيمس فيبس في إنجلترا عام 1796م.

بدأ جنر تجاربه في موطنه باركلي في جلوسترشاير. وقد اعتقد كثير من الناس هناك أن عاملات المَلبنة اللاتي أصبن بجدري البقر لا يمكن أن يصيبهن الجدري. كان جدري البقر مرضًا خفيفًا يتسبب في قروح قليلة في الأيدي، ومخاطره قليلة فيما يتعلق بالتشوه أو الموت. أخذ جنر عام 1796م عينة من مادة التقرح الذي أصاب يد سارا نَلمِس عاملة الملبنة المحلية التي أُصيبت بجدري البقر أثناء حلبها للأبقار، وقطع جرحين على ذراع جيمس فيبس - صبي معافًى عمره ثمانية أعوام - وأدخل مادة التقرح التي أخذها من قروح سارا، فأصيب الصبي بمرض جدري البقر. وبعد 48 يومًا أدخل جنر مادة الجدري داخل ذراع الصبي - وعادة ما تكون هذه المادة مهلكة - إلا أنها لم تؤثر في الصبي لأنه قد تطعم بمادة جدري البقر وبالتالي نجحت تجربة جنر. تلك كانت المرة الأولى التي تم فيها التطعيم.

بعد مزيد من التجارب نشر جنر كتابه (سؤال في أسباب وتأثيرات لقاح الجدري 1798م) ثم ذهب إلى لندن لعرض اكتشافه على عالم الطب. ونشر عام 1799م مزيدًا من

الملاحظات حول لقاح الجدري أو جدري البقر، الذي كتبه أساسًا ردًا على الذين عارضوا التطعيم.

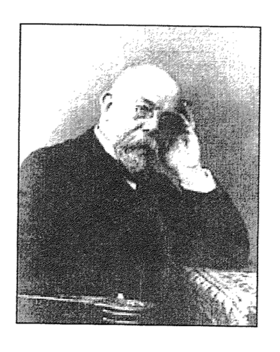
أصبح التطعيم مقبولاً كوسيلة لوقاية الناس من العدوى بمرض الجدري. وفي القرن التاسع عشر الميلادي انهالت ألقاب الشرف على جنر من جميع أنحاء العالم.

منحه البرلمان عشرة آلاف جنيه عام 1802م وعشرين ألف جنيه أخرى عام 1806م لأنه كرس كل وقته في اكتشافه الذي أفقده دخلاً من ممارسة عمله الطبي النظامي. كما منحته جامعة أكسفورد درجة الدكتوراه الفخرية في الطب عام 1813م.

ورغم أن الفكرة كانت معروفة في معظم أنحاء العالم (خصوصا في الهند والصين حيث تضع الجدات قليلا من قروح الأبقار في جراح الأطفال) إلا أن تجربة جنر وضعت رسميا مبدأ التحصين الطبي، وسرعان ما عممت الفكرة على معظم الأمراض المعدية الأمر الذي ساهم في اختفاء أغلبها اليوم (كالجدري والطاعون وشلل الأطفال).

والأمصال - التي يتم التطعيم بها - قد تكون نوعا من الفيروسات أو البكتيريا أو السموم الضعيفة التي تعمل على تحفيز جهاز المناعة وتتيح التعرف على المرض لاحقا، ورغم سهولة المبدأ ذاته إلا أن هناك عقبات جغرافية، ومشاكل تموينية، قد تحول دون وصول الأمصال للقرى الفقيرة أو الدول النامية.. فبالإضافة إلى قيمة المادة ذاتها، التي لا تتحملها الدول الفقيرة، يمكن للمصل نفسه أن يفسد بسبب الرحلة الطويلة أو الحرارة الشديدة أو تلوث العبوة، لهذا السبب ظهرت فكرة إنتاج فواكه يحبها الأطفال (كالموز والمانجو والبطاطس) تملك في نسيجها اللقاحات المطلوبة.

وهذه الفكرة الغريبة يمكن تنفيذها بفضل «الهندسة الجينية» بحيث تنمو حبة البطاطس أو المانجو وفي داخلها مادة محفزة ضد الملاريا مثلا.. فكما يمكن لحليب الأبقار ودماء الحيوانات المصابة أن تتضمن مواد محفزة ضد المرض، يمكن التلاعب بمورثات النباتات وتحويرها لإنتاج أمصال طبيعية بطريقة مماثلة، وجمال الفكرة يكمن في أن حبات البطاطس يصعب تلويثها (كإبر الحقن) ولا تحتاج إلى برادات (مثل الأمصال) وتلقى إقبالا من الأطفال (بعكس الحقن المخيفة) ويكفي تزويد المزارعين بالبذور المهجنة لتتحول الثمار إلى وجبات معتادة.



روبرت كوخ

ولد الطبيب وعالم الجراثيم الألماني روبرت كوخ في 11 ديسمبر عام 1843 في مدينة كلاوس تال الألمانية المشهورة بالتعدين، نشأ العالم في عائلة متعددة الأفراد حيث كان ثالث ابن من عشرة أطفال، درس الطب وعمل كطبيب في العديد من المستشفيات الألمانية. كرس العالم حياته للبحث العلمي، حيث بذل جهودا علمية جبارة خاصة في اكتشاف الميكروبات والجراثيم والأوبئة.

يعد روبرت كوخ أول من أثبت منذ حوالي مائة سنة أن الأمراض المُعدية، التي كانت تفتك بشعوب أوروبا، سببها عضويات حية مجهرية، ففي عام 1876 كلف العالم ببحث وباء الجمرة الخبيثة للكشف عن مسببه، إذ كان حينذاك ذائع الانتشار في القارة الأوروبية، وعرف هذا الوباء بإصابة الآلاف من رؤوس الأغنام والماعز والخنازير وكذلك بقدرته على إمراض المزارعين الذين يقومون بتربية هذه الحيوانات.

وبدأ «كوخ» أولى تجاربه بتنمية بكتيريا الجمرة الخبيثة في خارج جسم الحيوان، ولاحظ نموها تحت مجهره، ثم حقنها في فئران فماتت وعندما فحص الفئران وجد فيها أعداداً كبيرة من البكتيريا نفسها التي حقنها بادئ الأمر في هذه الفئران، وازداد ثقة واطمئناناً بأن هذه البكتيريا هي بذاتها المسببة للداء.

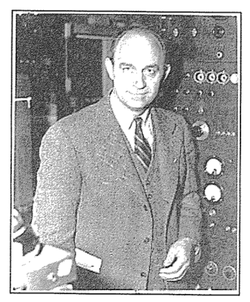
أعاد كوخ التجربة عدة مرات على حيوانات أخرى مثل الأبقار، وتوصل إلى النتيجة نفسها، وهكذا برهن على أن البكتيريا هي التي تسبب مرض الجمرة الخبيثة، وبعد أن نشر كوخ اكتشافاته، قام العلماء بدراسة الأمراض المعدية التي تصيب الإنسان، وتم التوصل إلى أن البكتيريا تسبب عدداً من الأمراض للإنسان، مثل الدفتيريا، والكوليرا، والحمى التيفوئيدية.

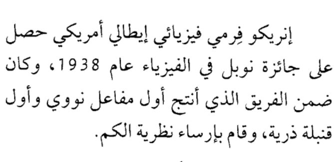
اكتشف كوخ بنفسه البكتيريا المسببة لمرض السل، أو «التيوبركلوسيس» التسمية المعروفة للمرض، الذي يعتبر بكتريا هوائية تختار الجهاز التنفسي مأوى أساسيا لها، ولقد حيرت هذه البكتيريا العلماء قديما بسبب عجزهم عن معرفة أسبابها، حتى اكتشفها

روبرت عام 1883 وأثبت أن هذا الميكروب يمكنه إحداث تغيرات مرضية في مختلف أعضاء الجسم مثل الحنجرة والأمعاء والجلد.

وفي عام 1883 اكتشف روبرت بمستشفى الإسكندرية الكوليرا، هذا الوباء الذي اجتاح مصر وأدى إلى حدوث أكثر من أربعين ألف حالة وفاة. ولا زال كبار السن في مصر يتذكرون وباء الكوليرا الشهير، الذي انتقل من الهند - موطنه الأصلي - عن طريق بعض جنود الاحتلال الإنجليزي وانتشر كالريح في جميع أنحاء مصر. وفي منتصف عام 1890 اكتشف مرض الملاريا الذي اجتاح القارة الإفريقية آنذاك، ولقد قضى روبرت فترة طويلة في إفريقيا بين البحث في أسباب المرض وإيجاد العلاج.

حاز كوخ على جائزة نوبل في الطب والفيزيولوجيا سنة 1905. واعترافا بخدماته المقتدرة منح لقب مواطن الشرف لمدينة كلاوس تال، هذه المدينة التي وهبت نفسها للعلوم افتخارا بعالمها المقتدر، حيث من الصعب أن تجد مؤسسة علمية لا تحمل اسم ابن المدينة، فهناك مدرسة روبرت كوخ، مستشفى روبرت كوخ، شارع روبرت كوخ، جائزة روبرت كوخ ومكتبة روبرت كوخ والقائمة لا زالت طويلة. وبحكم شغفه بالمغامرة والسفر ربط روبرت بين هوايته واهتماماته العلمية حيث لم يتخل يوما عن معاينة الأوبئة والأمراض في البلد الذي انتشرت به مغتنما الفرصة لاكتشاف العالم في وقت لم يكن فيه السفر عبر العالم ممتعا كما هو الشأن اليوم.

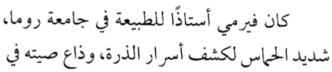




أنريكو فرمي

(1901 - 1954م)

إنريكو فِرمي فيزيائي إيطالي أمريكي حصل على جائزة نوبل في الفيزياء عام 1938، وكان ضمن الفريق الذي أنتج أول مفاعل نووي وأول قنبلة ذرية، وقام بإرساء نظرية الكم.



كان فيرمي أستاذًا للطبيعة في جامعة روما، شديد الحماس لكشف أسرار الذرة، وذاع صيته في الأوساط العلمية لبحوثه المدققة التي كشف فيها عن العنصر رقم (93) في الجدول الدوري للعناصر الذي رتبه العالم الروسي منديليف عام 1869. وكان العنصر رقم (92) هو اليورانيوم الذي أصبح فيما بعد ملء الأسماع لأنه كان سببًا في إنهاء الحرب. وكان مجال البحث الذي شغل به كثير من العلماء هو تحويل عنصر إلى آخر، كما كان الأمر في القرون السابقة عندما حاولوا تحويل الرصاص إلى ذهب، فذهبت كل محاولاتهم سدى. وقتئذ كانت ماري كوري قد كشفت عن عنصر «الراديوم» المشع، وعرف أنه بسبب هذه الخاصية، يعتبر مناسبًا للتحول إلى عنصر آخر. لكن جامعة روما لم تكن تستطيع أن تتحمل تكاليف شراء جرام واحد من الراديوم، ليجري عليه فيرمي أبحاثه، إذ كان المطلوب (34) ألف دولار. لكنه لم يتوقف وأجرى محاولاته على الغاز المشع الرادون الذي يتكون من تحلل الراديوم، وهو غاز يتوفر من مصادر طبيعية أخرى، إذ قام بوضعه داخل أنبوب اختبار مع مسحوق آخر، فوجده يطلق إشعاعات لعدة أيام ثم يتوقف، فكان هذا دليلاً على تحلله. واستنتج فيرمي أن أنبوبه يعمل كبندقية لإطلاق «النيوترونات» التي لا تحمل أي شحنات كهربية، ولذلك أسموها المحايدات، وكان عليه أن يبحث عن عناصر أخرى يواصل عليها تجاربه. ووجد ضالته بعد عنت في عنصر الفلورين الذي أعطى إشعاعًا قويًا، فتحول إلى قذف عنصر اليورانيوم - الذي يحمل الرقم (92) في جدول العناصر - فوجد أنه يعطي أكثر من عنصر مشع فظن أنه تحول إلى عنصر جديد غير معروف.

هرب فرمي من يد الفاشية واستبداد النازية إلى أمريكا، فتلقفته جامعة كولومبيا في نيويورك، إذ كانت سمعته قد سبقته بأنه مكتشف العنصر رقم (93) وكتبت صحيفة

نيويورك تايمز قصة الإيطالي الذي حاول تحطيم ذرة اليورانيوم، فاكتشف عنصرًا جديدًا، وقتئذ لم يكن البحث العلمي قد عرف أن العنصر الواحد يمكن أن تكون له ثلاث صور متحدة في الخواص الظاهرية ولها خواص أخرى، وهو ما أطلقوا عليه النظائر. وتبين أن العنصر (93) ليس غير نظير من نظائر العنصر (92) اليورانيوم، ولذلك فرقوا بينها بأوزانها الذرية، فكانت (يو 234، يو 235، يو 238). ووجد أن أكثر هذه النظائر قابلية للانشطار عندما يقذف بالنيوترونات هو النظير (يو 235) لكن كانت العقبة أن نسبته ضئيلة في خام اليورانيوم ولا تتجاوز 0.7٪ الأمر الذي يعوق استخدامه بحالته الطبيعية، ويلزم رفع هذه النسبة إلى حوالي 4٪ أو 5٪ فيما يعرف بعملية «التخصيب النووي أو التثرية»، وذلك حتى يسهل توجيه النيوترونات إليه في الآلات التي تقوم بذلك، والتي كانت معروفة منذ عام 1929 باسم المعجل الرحوي، الذي صممه الأمريكي إرنست لورانس، لكي تكتسب الذرات عجلة تسارع بقوى طرد مركزية في مسارات المعجل الحلزونية. لكن مقتضيات الحرب، لم تكن تناسب الولايات المتحدة الأمريكية لبناء معجل، ولا كان لديها قدر كاف من خام اليورانيوم. ولكن لأن الأمر أصبح مبشرًا بقرب تحقيق النجاح، بعدما اقترح فيرمي إمكان الاستغناء عن المعجل الرحوي بما أسماه «الركام»، فقد قام أسطول من الطائرات بنقل قدر كاف من خام اليورانيوم من كندا والكونغو البلجيكي (زائير حاليًا)، ووضع تحت تصرف فيرمي الذي شرع مع زميله المهاجر المجري زيلارد في بناء ركام تجريبي ليكون بديلاً للمعجل الرحوي.

كانت الفكرة الذكية للركام، هي طوق النجاة الذي أنقذ أبحاث فيرمي، حيث عمد وزميله إلى صف طبقات من اليورانيوم بعضها فوق بعض بحيث تتخللها طبقات أخرى من الجرافيت لتهدئ من سرعة انطلاق النيوترونات عندما تنقسم ذرات اليورانيوم. لكن هذا لم يكن أكثر من انقسام معملي، بينما طموح فيرمي يهدف إلى جعله انقسامًا متسلسلاً في توالٍ، ليتحقق ما قاله أينشتاين عن انطلاق الطاقة من المادة في عام 1905، فيما عرف بالنظرية النسبية الخاصة.

وقد زكى هذا التوجه ما حملته الأخبار من أن هتلر أصدر أوامره إلى جميع العلماء للعمل في بحوث تقسيم الذرة لاستخدامها في الحرب. فشد فيرمي الرحال إلى العاصمة واشنطن، في محاولة لإقناع أي من المسؤولين بجدوى تبني فكرة أن تفجير كمية من اليورانيوم يمكن أن تكون قوتها أكثر آلاف المرات من أي مفجر آخر. وهداه تفكيره مع

زميله المجري إلى أن أنسب من يدق جرس الإنذار للمسؤولين هو أينشتاين نفسه، نظرًا لمكانته العلمية وصلاته الواسعة، فضلاً عن أنه على دراية بما كان يجري في ألمانيا من بحوث في المجال نفسه. فأعد فيرمي رسالة يحث فيها الرئيس الأمريكي فرانكلين روزفلت على تبني بحوث تفجير الذرة وما وصلت إليه من مرحلة حاسمة وعرضها عليه، وقد وقع أينشتين الرسالة في أغسطس 1939، بعد أن أضاف إليها فقرة ذكية، نوهت بأن الألمان قد أوقفوا بيع اليورانيوم إلى الدول الأخرى، دلالة على تقدم بحوثهم عن الذرة، وختم الرسالة بقوله «إن الإنسان لأول مرة في التاريخ، سوف يستخدم الطاقة التي لا تأتي من الشمس».

وعلى الفور قرر الرئيس روزفلت تشكيل لجنة «شؤون اليورانيوم»، وبعدها أخذت البحوث الذرية في الولايات المتحدة مسارًا جديدًا، وحشد رهط العلماء الذين تركوا أوربا هربًا من ديكتاتورية النازي، لاستكمال بحوثهم، بدعم مكثف من السلطات الأمريكية. كان من هؤلاء: اوتو هان الألماني، ونيلز بور الدانمركي، وجيمس شادويك البريطاني، وأوتو فريش وأندرسون السويسريان، وإميليو سيجريه الإيطالي، وإيرين جوليو الفرنسية وليز ميتنر النمساوية. وكل منهم له باع في بحوث الكيمياء والطبيعة الذرية، ولكن كان أكثرهم حماسًا «فيرمي» لأنه كان قاب قوسين أو أدنى من تقسيم الذرة بفكرة الركام.

في 7 ديسمبر 1941، حدث تحول جذري في مسار الحرب، عندما قامت اليابان بقصف ميناء بيرل هاربر الأمريكي دون سابق إنذار وفي عملية مباغتة ناجحة، انتهت بتحطيم الجزء الأكبر من قطع الأسطول الرابض في مياه المحيط الهادي. كان ذلك بمنزلة صفعة قاتلة لهيبة أمريكا التي كان دورها مقصورًا على دعم الحلفاء، فكانت النتيجة الحتمية، إعلان أمريكا الحرب على اليابان، فسارعت ألمانيا وإيطاليا بإعلان الحرب عليها. وعلى إثر ذلك احتدم السباق بين الجبهتين المتقاتلين، للوصول لأسرار السلاح الذري، لكن الولايات المتحدة الأمريكية كانت قد قطعت شوطًا بعيدًا. وكانت نقطة الانطلاق أمام لجنة أبحاث اليورانيوم، هي محاولة تحطيم ذرات اليورانيوم 235، فضلاً عن أنه في عام 1941 نجح العالم الأمريكي إدوين ماكميلان في تخليق نظير اليورانيوم «يو 239»، والذي انتهى بعد سلسلة تفاعلات إشعاعية ليصبح البلوتونيوم 239، وتأكد إمكان انشطار ذراته إذا قذفت بالنيوترنات ذات السرعات البطيئة، ولاح بريق الأمل في ابتكار

سلاح يمكن أن يحول دفة الحرب. لذلك اتخذت الحكومة الأمريكية قرارًا بضرورة الحفاظ على سرية الأبحاث الذرية، وشكلت لجنة عسكرية على رأسها الجنرال ليسلي كروفز لتنظيمها وضمان سريتها، وأخذت اللجنة اسما كودياً هو مشروع مانهاتن. وقد وضعت اللجنة العسكرية أمامها عدة أهداف رئيسية لتحقيق مهمتها، منها تركيز البحوث العلمية في جامعة واحدة، بدلاً من تعددها، واختارت جامعة شيكاغو لكي يتجمع فيها كل العلماء الأوربيين والأمريكيين، لمواصلة أبحاثهم عن استخدام الطاقة من ذرات اليورانيوم. وفي الوقت نفسه التمويه على مهمتهم، لكي لا يكشفها آلاف الطلبة والأساتذة، والعمل على توفير خام اليورانيوم من مصادره الطبيعية في كندا والكونغو، لتجميع قدر كاف لمواصلة الأبحاث، وكذلك الخامات المساعدة مثل الجرافيت النقي والبورون والكادميوم، ونقل المعامل التي بدأت فيها عمليات فصل نظير اليورانيوم 235، لإنتاج البلوتونيوم اللازم لإجراء أول انشطار نووي متسلسل. وعلى الفور تم نقل ركام «فرمي» التجريبي من جامعة كولومبيا إلى جامعة شيكاغو، ليبدأ عمله في صالة كانت مخصصة للرقص، كما انتشرت حول الجامعة، المعامل والمخازن اللازمة لتجميع اليورانيوم والجرافيت النقي والكادميوم.

ولتصور مدى الحماس في العمل فإن التحكم في الانشطار المتسلسل كان يتم بربط قضبان الكادميوم داخل أكوام اليورانيوم والجرافيت بالحبال، بحيث يمكن شدها للخارج أو للداخل للتحكم في معدل الانشطار. وعندما صدرت الأصوات من عدادات جايجر قرب الركام، كان ذلك علامة على حدوث الانشطار، ونجاح عملية التحكم فيه على الرغم من أنها كانت تبدو بدائية.

تم ذلك بعد مرور أقل من شهرين على بداية العمل، وفي يوم 2 ديسمبر 1942 على وجه التحديد، تحقق الأمل المنشود الذي تأكد بالارتفاع الهائل في درجة الحرارة داخل الركام. وكان هذا النجاح هو باكورة نتائج مشروع مانهاتن، وغمرت الفرحة العلماء، فأبرقوا إلى الحكومة رسالة شفرية نصها: «الملاح الإيطالي وصل إلى الدنيا الجديدة». وأصبح يوم 2 ديسمبر 1942 هو المولد الحقيقي أو بالأحرى «الأكاديمي» لعصر الذرة وسيطرة العلماء على طاقتها. وعلى الفور، بدأ تطوير ركام فيرمي، ببناء مفاعل تتوافر فيه إمكانات أكثر دقة، أعطى الاسم الكودي «اكس - 10» لكي يتم فيه تشعيع أو تثرية اليورانيوم، لإنتاج البلوتونيوم، وجهزت مضخات المياه لتبريد الحرارة العالية التي تصدر

منه. وفي الوقت الذي باشر فيه العلماء عملهم في جامعة شيكاغو، اشترى الجنرال «جروفز» ثلاث مساحات فسيحة في ثلاث ولايات مختلفة بعيدة عن العمران، وشرع في إقامة مدن سرية وتجهيزها، ووضع الخطط اللازمة لتوفير وسائل العمل والإعاشة والإخفاء والتأمين والترفيه اللازمة.

كانت أولى هذه المدن في ولاية تنيسي بجوار قرية اسمها أوك ريدج وسط الولايات المتحدة، وأقيمت حولها مجموعة من المصانع اللازمة تحت اسم وهمي هو: «شركة كلينتون الهندسية» وكانت مهمتها فصل اليورانيوم 235 من اليورانيوم 238 بعملية التثرية. ولتصور ضخامة أداء هذه المصانع، تجدر الإشارة إلى أن أحدها كلف تصنيع مغناطيس كبير الحجم، وزنه يماثل وزن سفينة كبيرة، والطاقة الكهربائية، التي استخدمها مصنع آخر، كانت تعادل الطاقة التي تستهلكها مدينة نيويورك بكاملها، وكان يعد أكبر المصانع الأمريكية قاطبة. وقد واصل العالم الأمريكي «لورانس» العمل في هذه المصانع حتى توافرت الكمية اللازمة من اليورانيوم 235، بفصله من اليورانيوم 238 بدرجة التثرية المناسبة لتصنيع القنبلة الذرية.

كما أقيمت ثانية المدن السرية في ولاية واشنطن بجوار نهر كولومبيا، في منطقة ليس بها غير قريتين صغيرتين. وقد أقيم في القرية الأولى ركام يتكون من ثلاثة أكوام ضخمة لتحويل اليورانيوم 235 إلى بلوتونيوم. بينما أقيم في القرية الثانية معسكر كبير يتسع لإقامة ستين ألفا من العاملين وأسرهم، تحت مسمى وهمي هو «شركة هانفورد الهندسية». وقد عمل هذا الجمع الكبير تحت إجراءات أمن صارمة. وما إن انتهى بناء الركام الضخم حتى أخلي معسكر العاملين وقاية لهم من الإشعاع، وللسبب نفسه أحيط الركام بجدران خرسانية سميكة، مبطنة بألواح الصلب، لمنع تسرب الإشعاع خارجه. وكان هذا أول استخدام للدروع الواقية من الإشعاع لأن الأمر أصبح مختلفًا عمّا كان عليه الركام التجريبي الصغير في شيكاغو. ولم يكن يسمح للانشطار أن يكتمل في الركام، ويوقف بدفع قضبان الكادميوم للتحكم فيه فور ظهور دلائل نجاح الانشطار. كما كانت أكوام الركام الثلاثة مقامة إلى جوار نهر، وعملت مضخات كبيرة لسحب المياه منه، لتبريد أكوام الركام، ثم تحويل المياه للتدفق بعد التبريد إلى المنخفضات المحيطة بالمنطقة لتصبح بحيرات صناعية.

أما ثالثة المدن السرية، فقد اكتملت في منطقة جبلية بعيدة عن العمران في شمال نيومكسيكو، وكانت أقرب قرية إليها تقع على بعد 80 كيلومترًا، وأعدت المباني اللازمة

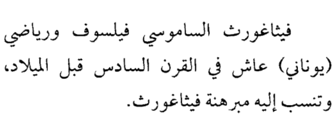
لإقامة لفيف العلماء في موقع أطلق عليه اسم لوس الاموس، وقد طليت المنشآت باللون الأخضر لكي لا تفرقها الطائرات عن الأعشاب المحيطة بها، وفرضت عليها إجراءات أمن صارمة على مدى سنتين ونصف السنة، حيث تجمع فيها نجوم العلماء وكان أحدهم فيرمى. وكان تجمع هذه العقول الفذة، في «لوس الاموس» دلالة على أن المسرح الأمريكي أصبح مهيأ لصنع أول قنبلة ذرية، بتكامل العمل مع ما تم في المدن السرية الأخرى. وبنجاح فصل اليورانيوم 235، وإقامة الركامات الثلاثة، وإنتاج قدر كاف من البلوتونيوم، أصبحت المهمة الباقية هي الإعداد لتجربة أول تفجير ذري، تتويجًا لمجهودات غير عادية استمرت على مدى ست سنوات، وأنفق عليها ما يربو على ملياري دولار. وكان لابد من الابتعاد عن «لوس الاموس» مسافة تقرب من (350) كيلو مترًا، في مكان يعرف باسم صحراء الامجوردو، حيث أقيم برج مرتفع من الصلب، وجهز بمعدات لرفع القنبلة الذرية إلى قمته، وكانت القنبلة التجريبية تحوي كيلوجرامًا واحدًا من اليورانيوم 235. وفي فجر يوم 16 يوليو 1945 أسقطت القنبلة من فوق البرج، فانطلقت الطاقة منها بعد جزء من الثانية. وخُلال لحظات اختفى البرج، مع هدير انفجار مخيف، وضوء أكثر سطوعًا من الشمس. وبعد نصف دقيقة هبت عاصفة هوائية أزاحت قمم الجبال المجاورة، بينما ارتفعت في السماء سحابة كثيفة حتى ارتفاع (12) كيلومترا. وخلف الانفجار فجوة في الصحراء قطرها يقرب من كيلومتر، وتحولت مساحات كبيرة من الرمال إلى زجاج، وقدرت قوة الانفجار بأنها تعادل تفجير (20.000) طن من مادة (ت.ن.ت). ولقد بهر العلماء الذين كانوا يرقبون الانفجار من معسكرهم البعيد، وعبر أكثرهم عن أنهم لم يكونوا يتوقعون أن تكون الطاقة المتولدة بهذا القدر من القوة، وأن تكون نتائجها بهذه البشاعة، وتأكدوا أن البشرية دخلت عصرًا جديدًا، وعلى الفور كلفت الحكومة الأمريكية عددًا من العسكريين الإعداد لتوجيه ضربة انتقامية لليابان، ردًا على هجوم پيرل هاربر.

في يوم 26 يوليو 1945، وجهت أمريكا إنذارًا إلى اليابان بأن تستسلم خلال يومين، وقد رفض رئيس وزرائها هذا المطلب، فأتى الرد وفي الساعة الثامنة والربع من صباح يوم 6 أغسطس 1945، استيقظ العالم على كارثة تفجير القنبلة الذرية الأولى، التي حملتها إحدى قاذفات السلاح الجوي الأمريكي من طراز ب - 29، وأسقطتها فوق مدينة هيروشيما اليابانية. ولم تمض غير ثلاثة أيام حتى ألقيت القنبلة الثانية فوق مدينة نجاساكي، وكانت كوارثها أشد وطأة وأكثر بشاعة، وعلى الفور أعلنت اليابان الاستسلام.

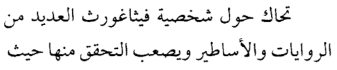


فيثاغورث

(القرن السادس قبل الميلاد)



فيثاغورث الساموسي فيلسوف ورياضي (يوناني) عاش في القرن السادس قبل الميلاد، وتنسب إليه مبرهنة فيثاغورث.



تحاك حول شخصية فيثاغورث العديد من الروايات والأساطير ويصعب التحقق منها حيث يروى أن فيثاغورث الساموسي ولد في جزيرة ساموس على الساحل اليوناني. في شبابه قام برحلة إلى بلاد ما بين النهرين (سوريا والعراق حاليا) وأقام في منف بمصر. وبعد 20 سنة من الترحال والدراسة تمكن فيثاغورث من تعلم كل ما هو معروف في الرياضيات من مختلف الحضارات المعروفة آنذاك. لكن حالما عاد إلى مسقط رأسه اضطر للفرار منه وذلك لمعارضته للدكتاتور بوليكراتس في ما يخص الإصلاحات الاجتماعية. في حوالي 523 ق م، استقر فيثاغورث في جنوب إيطاليا في كروتوني حيث تعرف على شخص يدعى ميلان وكان من أغنياء الجزيرة فقام ميلان بمساعدة فيثاغورث ماديا. في هذه الأثناء ذاع صيت فيثاغورث واشتهر إلا أن ميلان كان أشهر منه آنذاك حيث كان عظيم الجثة، وحقق 12 فوزا في الألعاب الأولمبية، الشيء الذي كان رقما قياسيا آنذاك. كان ميلان مولعا بالفلسفة والرياضيات بالإضافة للرياضة، وبسبب ولعه هذا وضع قسما من بيته في تصرف فيثاغورث كان يكفي لافتتاح مدرسة.

اهتم اهتماما كبيرا بالرياضيات وخصوصا بالأرقام وقدس الرقم عشرة لأنه يمثل الكمال كما اهتم بالموسيقى وقال إن الكون يتألف من التمازج بين العدد والنغم.

أجبر فيثاغورث أتباعه من دارسي الهندسة على عدة أمور قال إنه نقلها في رحلاته من المزاولين للهندسة:

- ارتداء الملابس البيضاء.
- التأمل في أوقات محددة.

- الامتناع عن أكل اللحوم.
- الامتناع عن أكل الفول.

يعتقد فيثاغورث وتلاميذه أن كل شيء مرتبط بالرياضيات وبالتالي يمكن التنبؤ بكل شيء وقياسه بشكل حلقات إيقاعية.

استطاع فيثاغورث إثبات نظريته مبرهنة فيثاغورث في الرياضيات والتي تقول: في مثلث قائم الزاوية، مربع طول الوتر يساوي مجموع مربعي طولي الضلعين المحاذيين للزاوية القائمة، عن طريق حسابه لمساحة المربعات التي تقابل كل ضلع من أضلاع المثلث قائم الزاوية. وقد استفاد الكثير من المهندسين في العصر الحاضر من هذه النظرية في عملية بناء الأراضي.



ماجلان

(1480 - 1521 م)

فرناندو ماجلان، رحالة ومستكشف برتغالي عمل في خدمة البلاط الإسباني، وهو أول من دار حول الكرة الأرضية. في 3 مارس عام 1521م اكتشف البحار فرناندو ماجلان جزيرة جوام في المحيط الهادي في إطار رحلة ماجلان حول العالم التي انتهت به في الفلبين وعندما وصلت سفن ماجلان إلى شاطئ جزيرة جوام خرج أبناء قبيلة كاموروس التي كانت تسكن هذه الجزيرة للترحيب بهم.

وربما لم يكن سكان هذه الجزيرة قد رأوا أي أوروبيين في ذلك الوقت ولكنهم كانوا قد اعتادوا ممارسة التجارة مع الآخرين القادمين من المناطق البعيدة بما في ذلك العرب الذين كانوا من أوائل من شقوا طرق التجارة البحرية مع سكان جنوب شرق آسيا والمحيط الهادي وشبه القارة الهندية، لذلك لم يشعروا بالقلق من نزول رجال ذوي بشرة بيضاء على جزيرتهم. وقد سارع سكان الجزيرة بمقابلة سفن ماجلان قبل أن تصل إلى الشاطئ في قوارب صغيرة محملة بالطعام والغذاء. وكان سكان الجزيرة ينتظرون أن يرد لهم الأوروبيون الجميل بأجمل منه ولكن خاب ظنهم. فلم تمر سوى سنوات قليلة حتى تدفقت السفن الأوروبية المحملة بالتجار ومعهم المسلحون الذين فرضوا سيطرتهم على تلك المناطق لتبدأ مرحلة من أطول مراحل الاستعمار في التاريخ.

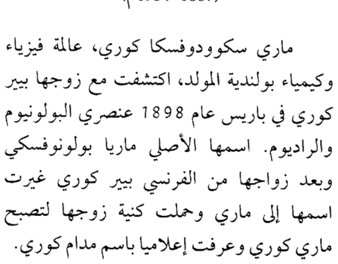
وقد بدأ الأسبان المسيرة الاستعمارية في جزيرة جوام حيث استمرت سيطرة إسبانيا على هذه الجزيرة أكثر من أربعمائة عام. وبعد الأسبان جاء الأمريكيون ليحتلوا جزيرة جوام بعد نجاحهم في هزيمة الأسبان في الحرب الأمريكية الإسبانية عام 1898م التي انتهت باستيلاء الأمريكيين على أغلب المستعمرات الإسبانية في جنوب شرق آسيا مثل جوام والفلبين. وعندما بدأت الحرب العالمية الثانية استولى اليابانيون على جزيرة جوام عام 1941م قبل أن يتمكن الأمريكيون من استعادتها مرة أخرى في أواخر الحرب.

عمل ماجلان لدى الملك الأسباني علما بأنه برتغالي الأصل. ونفذ أكبر مشروع جغرافي ظهر في العالم، ألا وهو الطواف حول العالم في رحلة بحرية متصلة وفي اتجاه واحد. كما حارب الإسلام والمسلمين في الفلبين، وقام بقتل أهلها ليحولهم من الإسلام إلى المسيحية.

أنطلق ماجلان من اشبيلية عام 1519 إلى المحيط الأطلسي، قطع المضيق المسمى اليوم مضيق ماجلان ثم عبر المحيط الهادئ. وصل إلى جزر الفلبين ثم قتل فيها سنة 1521 على يد القائد لابولابو في معركة ماكاتان. وتفصيل ذلك: أن ماجلان طلب التسليم من القائد المسلم (لابو لابو) فرفض ذلك وحرض عليه المسلمين من الجزر الأخرى، فما كان من ماجلان المعتد بما لديه من أسلحة ومعدات، إلا أن يفرح بتلك الفرصة التي تهيأت له؛ ليستعرض ما لديه من أسلحة وقنابل على أولئك المسلمين، حتى يرهب بقية الأمراء والسلاطين. فذهب مع فرقةٍ من جنوده مزودين بأسلحتهم لقتال (لابو لابو) وتأديبه، وطلب ماجلان منه قائلاً (إنني باسم المسيح أطلب إليك التسليم، ونحن العرق الأبيض أصحاب الحضارة أولى منكم بحكم هذه البلاد) فأجابه السلطان (لابو لابو): (إن الدين كله لله، وإن الإله الذي أعبده هو إله جميع البشر على اختلاف ألوانهم) ثم هجم على ماجلان وقتله بيده، وشتت شمل فرقته، ورفض تسليم جثته للأسبان، ولا يزال قبره هناك في جزيرة سيبو شاهداً على ذلك).

وتولى متابعة الرحلة عنه مساعده «سباستيان دل كانو» حيث عاد عبر المحيط الهندي ومن ثم رأس الرجاء الصالح ووصل إلى اسبانيا عام 1522 ، وقد دامت الرحلة 3 أعوام.





مـاري كـوري
(1867-1934 م)

ماري سكوودوفسكا كوري، عالمة فيزياء وكيمياء بولندية المولد، اكتشفت مع زوجها بيير كوري في باريس عام 1898 عنصري البولونيوم والراديوم. اسمها الأصلي ماريا بولونوفسكي وبعد زواجها من الفرنسي بيير كوري غيرت اسمها إلى ماري وحملت كنية زوجها لتصبح ماري كوري وعرفت إعلاميا باسم مدام كوري.

نالت وزوجها عام 1903 جائزة نوبل في الفيزياء. وفي عام 1911 نالت مدام كوري جائزة نوبل للمرة الثانية وذلك بعد خمسة أعوام من وفاة زوجها في حادثة طريق.

لها ابنتان: آيرين وإيف. وقد اقتفت ابنتها آيرين جوليو كوري خطى والدتها ونالت وزوجها فريدريك جوليوت في عام 1935 جائزة نوبل في الكيمياء بعد قيامهما بتحضير أول نظير مشع من صنع الإنسان.

كرم الزوجان كوري بإطلاق اسم الوحدة (كوري) لقياس النشاط الإشعاعي وكذلك إطلاق اسم (كوريوم) على أحد العناصر الكيميائية.



منـدل

ولد جريجور جوهان مندل، في بلدة هينزندورف بالنمسا. كان والداه مزارعين فقيرين، وكان مندل طالباً فاشلا بالدراسة وتقدم مرتين لامتحان يؤهله لتدريس الثانوية لكنه فشل. ولما كان كثير من المدرسين آنذاك كهنة، دخل مندل عام 1843م دير القديس توماس في برون بالنمسا - (برنو الآن في تشيكيا)- وعمره في ذلك الوقت كان 21 عاماً، وأصبح قسيساً في سلكخرخرائي.

كان الدير في ذلك الوقت، مركزاً علمياً بالإضافة إلى كونه مركزاً دينياً؛ فالتقى مندل بالعديد من العلماء البارزين هناك. وفي عام 1851م، ابتعثه الدير لدراسة العلوم والرياضيات في جامعة فيينا الشهيرة في عام 1853م وعاد إلى الدير، ودرّس علم الأحياء والفيزياء في مدرسة عليا محلية لمدة 14 سنة. وجاءت شهرة مندل العالمية من بحوثه الصغيرة في حديقة الدير على نباتات البازلاء وزهورها وبذورها.

انتخب مندل عام 1868م رئيساً للدير. ومنذ ذلك الحين قيدت مسؤولياته الإدارية من فرصة في الاستمرار في المزيد من البحوث قدماً.

درس مندل في تجاربه في علم الوراثة، سبعة أزواج من السمات المميزة في نباتات البازلاء وبذورها. وشملت تلك السمات:

1. البذور المستديرة أو المتجعدة.
2. النباتات الطويلة أو القصيرة.
3. لون الزهرة أحمر أو أبيض.
4. لون البذور خضراء أو صفراء .

حيث قام مندل بتهجين آلاف النباتات وملاحظة خاصيات كل جيل لاحق من النباتات. وكان مندل يعلم أن نباتات البازلاء، مثل جميع الكائنات الحية تنتج نسلها عن

طريق اتحاد خلايا جنسية خاصة تدعى الأمشاج. وفي نباتات البازلاء، يتحد مشيج ذكري، أو خلية ذكرية، مع مشيج أُنثوي، أو خلية بيضة لتُكوّن البذرة.

استنتج مندل أن السمات المميزة تنتقل خلال عناصر وراثية في الأمشاج. وتسمى هذه العناصر اليوم الجينات. واكتشف أن كل نبتة تتلقى زوجاً من الجينات لكل سمة، بمعدل جين واحد من كل من الأبوين. واستنتج استنادًا على تجاربه، أنه إذا ورثت نبتة جينين مختلفين لسمة ما، فسيكون أحد الجينين سائدًا، بينما يكون الثاني متنحّياً. وتظهر سمة الجين السائد في النبتة. فمثلا إذا كان جين البذور المستديرة سائدًا وجين البذور المتجعدة متنحّياً، فإن النبتة التي ترث كلا الجينين ستكون لها بذور مستديرة.

واستنتج مندل أن أزواج الجينات تنفصل بأسلوب عشوائي عند تكوّن أمشاج النبتة. وعليه فإن النبتة الأم تعطي جيناً واحداً من كل زوج إلى نسلها. كما اعتقد أن النبتة ترث كلاّ من سماتها مستقلة عن السمات الأخرى. ويُعرف هذان الاستنتاجان بقانون الفصل وقانون الاتساق المستقل. ومنذ عهد مندل، اكتشف العلماء بعض الاستثناءات لهذين الاستنتاجين، إلا أن نظرياته بصورة عامة، أثبتت صحتها وقد وضع مندل قانونين للوراثة هما: 1- قانون انعزال الصفات :- إن العوامل الوراثية المزدوجة تنعزل عند تكوين الأمشاج وتعود لتزدوج عند الإخصاب وتكوين الفرد الجديد. 2- قانون التوزيع الحر:- إذا اختلف فردين في زوجين من الصفات النقية السائدة فينعزل عاملا هذين الفردين انعزالا تاما عند تكوين الأمشاج ويظهر في الجيل الثاني بنسبه 3 سائد 1 متنحي من الصفات.

نشرت نتائج بحوث مندل وخلاصة تجاربه في علوم الوراثة عام 1866م إلا أن أحداً لم يتنبه بسبب اهتمام العلماء بنظرية داروين في حينها إلى أن عثر علماء على التقرير عام 1900م وهنا عرف فضل أبحاثه على علم الوراثة.



نيلس بور

(1962-1885)

نيلس دافيد بور: أبو نظرية بناء الذرة، ولد سنة 1885 في مدينة كوبنهاجن. في سنة 1911 حصل على الدكتوراه في الفيزياء وبعد ذلك سافر إلى كمبريدج وهناك أكمل دراسته بإشراف تومسون العالم الكبير الذي أكتشف الإلكترون وبعد ذلك انتقل بور إلى مانشستر وهناك درس أرنست رذرفورد الذي أكتشف بعد ذلك نواة الذرة وبسرعة اهتدى بور إلى نظريته عن بناء الذرة ...

والبحث الذي ألفه بور ويعتبر من علامات العصر عنوانه عن تكوين الذرة والجسيمات وقد نشر هذا البحث في المجلة الفلسفية سنة 1913 ونظرية بور تصور لنا الذرة من الداخل كالمجموعة الشمسية مكونة من الكترونات تدور في مدارات حول النواة مع خلاف واحد هام: وهو أن مدارات الكواكب تتفاوت اتساعا بينما مدارات الإلكترونات ثابتة.

هذه النظرية قضت تماما على النظرية القديمة كلها ولذلك أعلن أينشتين العالم الكبير إعجابه الكبير بنظرية بور واعتبرها تحفة رياضية وعن طريق هذه النظرية استطاع بور أن يصور لنا ذرة الهيدروجين فقد كان معروفا أن غاز الهيدروجين إذا ما ارتفعت درجة حرارته فإنه يضيء وهذا الضوء لا يشمل كل الألوان إنما ضوؤه له ذبذبات خاصة محددة.

واستطاع بور بمنتهي الدقة أن يحدد لنا طول الموجات لكل الألوان التي يطلقها غاز الهيدروجين واستطاع بور لأول مرة أن يفسر لنا حجم الذرات وسرعان ما قبل العلماء هذه النظرية الجديدة التي استحق عليها جائزة نوبل في الفيزياء سنة 1992.

وفي سنة 1920 افتتح معهد الفيزياء النظرية في كوبنهاجن وعين بور مديرا له فانضم له عدد من العلماء النابهين وأصبح مركزا للأبحاث الجديدة في الفيزياء.

سرعان ما ظهرت مشاكل واجهت نظرية بور التي اقتصرت على تفسير ذرة الهيدروجين ووجد العلماء صعوبات كثيرة في تفسير حركة الإلكترون في ذرات أثقل وزنا وقد أدرك بور هذه الصعوبة ورغم عبقريته لم يستطع أن يجد لها حلا وكان لابد من اكتشاف جذري لهذه المسألة.

أما الحل فقد جاء بعد ذلك.. اكتشفه العالم الألماني هيزنبرج وآخرون سنة 1925 ومن الطريف أن هيزنبرج والعلماء الآخرون قد درسوا في كوبنهاجن ودارت بينهم مناقشات كبيرة مع نيلس بور وقد شجع بور الكثير من العلماء على المضي في أبحاثهم.

وفي سنة 1930 مضى بور يدرس تركيب نواة الذرة وهو أول من اهتدى إلى أن النظائر المشعة التي ظهرت في فلق النواة هي اليوارنيوم 235 وكان لهذا الاكتشاف أثره البالغ فيما حدث بعد ذلك وفي سنة 1940 احتل الألمان الدانمرك وكان موقفه صعبا فهو معاد للنازية بوضوح ولأن أمه يهودية هرب في سنة 1943 إلى السويد وساعد عددا كبيرا من اليهود على الفرار ثم سافر إلى انجلترا ومنها إلى أمريكا وهناك ساعد على إنتاج القنبلة الذرية.

وبعد الحرب عاد إلى كوبنهاجن ورأس معهد الفيزياء النظرية حتى وفاته سنة 1962 وحاول بور جاهدا دون فائدة أن ينجح في السيطرة على استخدام الطاقة النووية دون أن ينجح.

وتزوج بور سنة 1912 في نفس الوقت الذي كان ينجز فيه عمله العظيم وترك خمسة من الأولاد واحد منهم اسمه آجي بور حصل على جائزة نوبل في الفيزياء سنة 1975. كان بور من أحب العلماء في العالم فقد كان لطيفا وكان بالغ الرحمة والإنسانية.

وعلى الرغم من أن نظريته قد تجاوزتها الفيزياء الحديثة فإنه سوف يبقى واحدا من أعظم العلماء فلا يزال جانب من نظريته صحيحا إلى اليوم كما أن نظريته قد ساعدت على تكوين نظريات أخرى في الفيزياء.



وليـام مـورتـون

(1819-1868 م)

إنه الرجل الذي خدر العالم.

دخل الطبيب على المريض في غرفته وأمر الممرضين أن يجهزوه ويدخلوه إلى غرفة العمليات لكي يجري عملية في القلب، وفي الغرفة وجد المريض نفسه ينظر في ضوء مبهر تسلل من خلاله الطبيب ، وبيده آلاته الحادة لكي يبدأ العملية فيشق صدره ويخرج قلبه وينفذ مهمته في قلب المريض، هل يوجد هلع أكثر من هذا، تخيل نفسك مشقوق الصدر قلبك خارجه وأكثر من فرد يتناولون الأدوات الحادة فيما بينهم، ولا تمر هذه الآلات مرور الكرام فمنها ما يشق لحمك والآخر ينشر عظمك والأخيرة تلتقط قلبك و........ وماذا؟ هل تظن نفسك سوف تصبح على قيد الحياة عندما ينتهون؟

وليام مورتون هو الرجل الذي أراح العالم من ألم العمليات والجراحات وكان سبباً في انطلاق الأطباء في تنفيذ عملياتهم بحرية، وأتاح للمرضى إجراء العمليات دون تحمل عبء المعاناة والألم الذي ينتظرهم أثناء إجراء العملية، وبالتالي ارتبط اسم مورتون مع اسم أعظم اكتشاف أفاد البشرية ألا وهو «التخدير».

وليام توماس جرين مورتون في الأصل طبيب أسنان أمريكي ولد في التاسع من أغسطس 1819 بتشارلتون بولاية ماساشوستش الأمريكية، والداه هما جيمس وريبيكا مورتون كان والده يعمل مزارعاً، درس وليام جراحة الأسنان ومارسها، وكان هوراس ويلز أحد الأساتذة الذين تعلم منهم مورتون بهارتفورد - كونيكتيكت ثم أصبح الاثنان شركاء في الاهتمام بالتخدير.

تخرج مورتون من كلية بالتيمور لطب الأسنان عام 1842، وبعد تخرجه بعام تزوج من إليزابيث وايتمان، وفي عام 1844 تابع دراسته على يد الدكتور تشارلز جاكسون، بمدرسة هارفارد للطب، ومنح درجة الطب الفخرية عام 1852 من جامعة واشنطن ببالتيمور.

أجتهد العلماء قديماً في البحث عن حل لتسكين الآلام الحادة التي يعاني منها المريض الذي تضطره الظروف للخضوع لإجراء العمليات الجراحية، فأسفرت بعض الأبحاث عن استخدام بعض الأعشاب التي تقلل من الإحساس بالألم مثل الأفيون، والقنب وغيرها ولكنها لم تقض على الألم نهائياً نظراً لاستخدامها بتركيزات قليلة لأن الكثير منها يفضي إلى الموت، ثم جاءت المشروبات الكحولية كوسيلة لتخفيف الألم ولكن المريض ما يلبث أن يشعر بالألم ويسترد وعيه، كما حاول البعض إفقاد المريض لوعيه حتى يتم الانتهاء من العملية، وأيضاً استخدام التنويم المغناطيسي، وقام الصينيون باستخدام الإبر للتحكم في الألم، وغيرها الكثير من الوسائل التي لم تحقق الكثير من النجاح وكان لكي يتم إجراء عملية لمريض يجب تقييده جيداً على منضدة العمليات حتى يتم الانتهاء من العملية، وكان الكثير من العمليات ينتهي بوفاة المريض.

بدأ التخدير يأخذ شكل آخر بداية من أواخر القرن الثامن عشر، فاكتشف الكيميائي بريستلي غاز أكسيد النيتروز والذي له تأثير مخفف للألم، كما اكتشف مايكل فاراداي أن استنشاق غاز الأثير له تأثير يسبب فقدان الإحساس بالألم.

وتوصل د. هوارس ويلز إلى استخدام «الغاز المضحك» أو أكسيد النيتروز كوسيلة للتخدير أثناء إجراء جراحات الأسنان، ولكن لم يكتب لويلز النجاح في عرض تجاربه أمام الأطباء.

جاء دور مورتون بعد ذلك والذي توصل إلى أن «الغاز المضحك» ليس وسيلة فعالة في تخفيف آلام المرضى أثناء إجراء العمليات الجراحية، فلجأ إلى استخدام «الأثير» والذي عرف عنه أن له خواص خافضة للألم ومفقدة للإحساس.

أنكب مورتون على تجاربه على الأثير كمخدر، وكانت البداية عندما جربه على كلبه، ووجد أنه بعد التخدير يعود إلى وعيه بعد فترة قصيرة أو طويلة تبعاً لمقدار جرعة الأثير المعطاة، ثم جربه مرة أخرى على نفسه في خلع أسنانه، وكانت أول تجربة فعلية طبقها على حالة مرضية في 30 سبتمبر 1846 عندما استخدمه في إجراء إحدى الجراحات في أسنان مريض له أبدى استعداده لتحمل أي شيء من أجل التخلص من الألم، وبالفعل استخدم مورتون «الأثير» في تخدير المريض وعندما أفاق من التخدير قال لمورتون إنه لم يشعر بأي ألم أثناء الجراحة، وكان هذا إيذاناً بفتح باب جديد في الطب من أجل القضاء على الألم أثناء إجراء العمليات الجراحية.

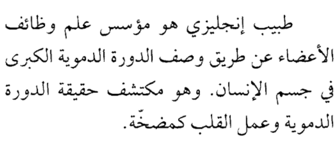
توالت العمليات الجراحية التي قام بها مورتون بعد ذلك، وتم نشر هذا الاكتشاف في الصحف إلا أنه دار الخلاف بين الأطباء حول لمن يرجع الفضل في اكتشاف الأثير واستخدامه كمخدر في العمليات الجراحية، فبعد نجاح مورتون تقدم أستاذه تشارلز جاكسون وادعى انه هو الذي اقترح عليه استخدام الأثير كمخدر، ويقال إنه قبل اكتشاف مورتون هذا كان احد الأطباء يدعى كروفورد لونج قد استخدمه في التخدير ولم يعلن عن تجربته، ولم يظهر إلا بعد أن أعلن مورتون عن اكتشافه، ولم يتمكن مورتون من تسجيل اكتشافه للمخدر ولكنه سجل جهاز التخدير.

وعلى الرغم من استخدام «الأثير» كمخدر في الكثير من العمليات، ولكن تم تجاهل مكتشفه مورتون الأمر الذي أصابه باليأس وتوفي فقيراً.

توفي مورتون في الخامس عشر من يوليو 1868 في حوالي الخمسين من عمره، بعد أن قدم للعالم خدمة عظيمة باكتشافه التخدير، وأراح المرضى من ويلات الألم الذي كان من الممكن أن يعانوه لولا هذا الاكتشاف المميز، وقد فتح مورتون الباب لمزيد من الاكتشافات في مجال التخدير بعد ذلك.

تكريماً لمورتون وجهوده تم تشييد تمثال له بالقرب من مقبرته في بوسطن وقد نقش عليها العبارات التالية «وليام مورتون مخترع ومكتشف التخدير عن طريق التنفس، مما أدى إلى تخفيف الألم عند إجراء العمليات الجراحية، وكانت الجراحة قبله عذاباً ولكن بعده أصبح العلم قادراً على التحكم في الألم وعلى القضاء عليه».





وليم هارفي
(1657-1578)

طبيب إنجليزي هو مؤسس علم وظائف الأعضاء عن طريق وصف الدورة الدموية الكبرى في جسم الإنسان. وهو مكتشف حقيقة الدورة الدموية وعمل القلب كمضخّة.

فالدراسة الوظيفية للقلب والدورة الدموية بقيت على الأكثر متوقفة تماماً منذ 1400 سنة أيام عالم التشريح (الإغريقي - الروماني) غالين.

ولكن هارفي خاض هذا الحقل بشجاعة وجرأة بالإضافة إلى ذكائه وطرق تجاربه الدقيقة والتي اعتبرت نموذجاً للبحث العلمي في علم الحياة والعلوم الأخرى.

كما شارك وليام جيلبرت في البحث والتحقيق عن المغناطيس الذي كان الرصيد للبدء بأبحاث تجريبية دقيقة في العالم أجمع.

إن ما اكتشفه الطبيب الإنجليزي (وليم هارفي) عن كيفية عمل القلب ودوران الدم في الأوعية يعتبر الإنجاز الأهم في الطب في كل زمان ومكان كما يعد الكثيرون. فقد رسخ هذا الاكتشاف مبدأ مهماً في الطب ألا وهو الاعتماد على التجارب العملية لفهم وظائف أنسجة وأعضاء الجسم المختلفة، إذ أن ما ألفه هارفي عام 1628 تحت عنوان (بحث تشريحي عن حركة القلب و الدم في الحيوانات) كان فاتحة لما تلاه من تجارب وبحوث عديدة كشفت النقاب عن أسرار عمل باقي العمليات الفسلجية في الجسم- كالتنفس و الهضم و الأيض والتناسل. كان هارفي قد أنهى دراسته الطبية من جامعة بادوا حيث تعلم فيها حقيقة مهمة ألا وهي أن للأوردة صمامات تسمح بنقل الدم في اتجاه واحد فقط ولا تسمح له بالرجوع في الاتجاه المعاكس. ولكن دور هذه الصمامات لم يكن معروفاً على وجه التحديد. ورغم أنه كان لا يزال خطراً مخالفة آراء غالين، والتي دعا من خلالها بأن الكبد لا يقوم بصنع الدم فقط بل ويضخه إلى كافة أنحاء الجسم أيضاً، فقد قرر هارفي دراسة تدفق الدم في الحيوانات الحية، وهو الأمر الذي كلفه 12 سنة قضاها في محاولة لإقناع الكلية الطبية الملكية في لندن بجدوى تجاربه وأبحاثه التي تضمنها كتابه الجديد

والتي امتدح فيها غالين بينما حاول تحدي العديد من أفكاره. ففي الفصل الثامن من أصل 17 فصلاً تضمنها كتابه، قدم هارفي ببالغ الحذر لنظريته الثورية الخطرة والتي تفيد بأن الدم يسري في دورة مغلقة خلال الجسم ابتداء من القلب فالشرايين فالأوردة التي ترجع به إلى القلب من جديد. أما في الفصول التسعة اللاحقة، فقد حاول هارفي أن يدعم نظريته بلغة إنجليزية واضحة للغاية. لقد تمكن هارفي فعلاً أن يشرح من خلال سلسلة من التجارب الممتازة على الحيوانات الحية الكيفية التي يدور بها الدم داخل الجسم. فعندما كان يسد شرياناً ما، فإن الوريد الذي يأخذ الدم من ذات الجزء كان ينكمش أيضاً، بينما كان انسداد الوريد يؤدي إلى تضخمه أسفل منطقة الانسداد وانكماشه أعلاه، الظاهرة التي لم تكن تلبث أن تزول بمجرد فتح الوريد من جديد. كما أوضح أيضاً بأن الصمامات الوريدية تسمح بجريان الدم باتجاه القلب فقط. لقد أكدت هذه الاكتشافات سوية بأن للدم (دوراناً) داخل الجسم.




أعظم شخصيات التاريخ
الفلسفية



ابن رشد

(1126-1198م)

هو محمد بن أحمد بن محمد بن رشد الأندلسي وكنيته أبو الوليد «الحفيد» المعروف بابن رشد، عالم مسلم ولد في قرطبة بالأندلس، من أسرة عرفت بالعلم والجاه. وتوفي في مراكش. يعدّ ابن رشد في حقيقة الأمر ظاهرة علمية مسلمة متعددة التخصصات، فهو فقيه مالكي، وهو قاضي القضاة في زمانه، وهو ذاته طبيب نطاسي تفوق على أساتذته حتى أن أستاذه ابن زهر قال عنه: «ابن رشد أعظم طبيب بعد جالينوس»، وهو عينه فيلسوف عقلاني، وهو أيضا مترجم لأعمال أرسطو المرجعية للمسلمين، وهو أيضا فلكي ذو أعمال جليلة في المضمار، وهو نفسهُ المتكلّم الذي تصدى لنقد المتكلمين باسم توافق المعقول والمنقول وعلى رأسهم الإمام الغزالي كما كان نحويا لغوياً محدثاً بارعاً يحفظ شعر المتنبي، إلى جانب هذا كله متواضعا، دافئ اللسان، جم الأدب، راسخ العقيدة، يحضر مجالس خلفاء الموحدين وعلى جبينه آثار ماء الوضوء.

عرفت عائلة ابن رشد بالمذهب المالكي، وجده أبو الوليد محمد (توفي 1126) كان كبير قضاة قرطبة تحت حكم المرابطين، وشغل والده ذات المنصب حتى مجيء الموحدين.

يعد ابن رشد من أهم فلاسفة الإسلام. دافع عن الفلسفة وصحح علماء وفلاسفة سابقين له كابن سينا والفارابي في فهم بعض نظريات أفلاطون وأرسطو. درس الكلام والفقه والشعر والطب والرياضيات والفلك والفلسفة، قدمه ابن طفيل لأبي يعقوب خليفة الموحدين عام 1182م فعينه طبيبا له ثم قاضيا في قرطبة.

تولّى ابن رشد منصب القضاء في أشبيلية، وأقبل على تفسير آثار أرسطو، تلبية لرغبة الخليفة الموحدي أبي يعقوب يوسف، وكان قد دخل في خدمته بواسطة الفيلسوف ابن طفيل، ثم عاد إلى قرطبة حيث تولى منصب قاضي القضاة، وبعد ذلك بنحو عشر سنوات التحق بالبلاط المراكشي كطبيب الخليفة الخاص.

لكن الحكمة والسياسة وعزوف الخليفة الجديد (أبو يوسف يعقوب المنصور 1184-1198) عن الفلاسفة، ناهيك عن دسائس الأعداء والحاقدين، جعل المنصور ينكب ابن رشد، قاضي القضاة وطبيبه الخاص، ويتهمه مع ثلة من مبغضيه بالكفر والضلال ثم يبعده إلى «أليسانه» (بلدة صغيرة بجانب قرطبة أغلبها من اليهود) ولا يتورع عن حرق جميع مؤلفاته الفلسفية، وحظر الاشتغال بالفلسفة والعلوم جملة، ما عدا الطب، والفلك، والحساب.

وبعد أكل النيران لعصارة فكر ابن رشد إثر سخط اتهام بمروق الفيلسوف وزيغه عن دروب الحق والهداية، عاد الخليفة فرضي عن أبي الوليد وألحقه ببلاطه، ولكن كليهما قد توفيا في العام ذاته (1198 للميلاد)، في مراكش.

لم يجلس ابن رشد على عرش العقل العربي بسهولة، حيث انه أمضى عمره في البحث والتأليف، حتى شهد له معاصروه بأنه لم يترك القراءة والتأليف إلا ليلتين اثنتين: ليلة وفاة أبيه وليلة زواجه.

أخذ الطب عن كبار علماء عصره أبي جعفر هارون وأبي مروان بن جبيرول الأندلسي. وعلى الرغم من بروزه في حقول الطب، فإن شهرته كانت من خلال نتاجه الفلسفي الخصب. حيث عكف على نصوص المعلم الأول أرسطو حتى اقتنع بأنها الفلسفة الحق.

أثّـر ابن رشد في العالم الإسلامي والمسيحي وأوروبا وقد بحث عن أسباب انتهاء حضارة المسلمين في الأندلس فرأى أنها بسبب تراجع دور المرأة آنذاك. دارت حول شروحه نقاشات عديدة في جامعة السوربون وترجمت كل شروح ابن رشد للعبرية. ولقد أكد ابن رشد على كروية الأرض. من مؤلفاته: شروح أعمال أرسطو، تهافت التهافت.

هناك 3 مسائل مهمة في ابن رشد وهي:

أنه يمثل ردة الفعل الفلسفية على الهجمة القوية على الفلسفة التي أقدم عليها الغزالي. فابن رشد يمثل محاولة رد اعتبار الفلسفة بعد أن أصابها الغزالي في كتابه تهافت الفلاسفة ووضع هذا الجهد في كتابه تهافت التهافت.

ابن رشد يجسد خير من شرح مؤلفات أرسطو، وشروح ابن رشد على أرسطو هي أفضل شروح نعرفها في تاريخ الفلسفة وهو شارح لأرسطو أكثر من كونه فيلسوفا مبدعا

ذا فلسفة خاصة، بل إن البعض اعتبروه تلميذًا لأرسطو- رغم وجود 16 قرنا بينهما- مع تبنيه معظم آرائه في الطبيعة وما وراء الطبيعة.

قدّم نظرية أو موقفا متميزا وخاصا ومهما في مسألة العلاقة بين الشريعة والحكمة أي بين الدين والفلسفة وذلك في كتاب «فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال» المسألة التي شغلت جميع الفلاسفة من الكندي، الفارابي، الغزالي، ابن سينا، وابن رشد. والغزالي وحده اعتقد أن الفلاسفة يخرجون عن الدين عندما كفّرهم في قضايا ثلاث وبدّعهم في سبع عشرة أخرى. إذ يستأنف ابن رشد موقف الكندي مع شيء من التعديل ويقول أن لا تعارض بين الدين والفلسفة، أي لا اختلاف بين الأمرين (الشريعة والحكمة)، وإذا كان هناك من تعارض فالتعارض ظاهري بين ظاهر نص ديني وقضية عقلية، ويرى بأن حله متاح بالتأويل وفقا لقواعد وأساليب اللغة العربية. وعندما ننظر إلى كتاب فصل المقال لابن رشد نجد أن ابن رشد قد آخى بين الفلسفة والمنطق فجعلهما مرتبطتين.

يرى ابن رشد أن الفلسفة: تعني المصنوعات التي يصنعها الصانع تدل عليه، وكلما عرفنا الموجودات معرفة أتم تكون معرفتنا بصانعها أتم. والشرع ندب إلى اعتبار الموجودات والنظر بها وبيان دلالتها. حيث دعا الشرع إلى اعتبار الموجودات لأن النظر في الموجودات نظر عقلي، وهناك أكثر من آية تشير إلى اعتبار الموجودات بالعقل. «فاعتبروا يا أولي الأبصار»، «أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض»، «أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت»، «ويتفكرون في خلق السموات والأرض». وهذا النصوص - وفقًا لابن رشد - تشير إلى وجوب استعمال القياس العقلي. وبهذا يتضح تشديده على كلمات النظر، والاعتبار، والتفكر، والرؤية، ويعتبرها أدلة دينية على وجوب النظر العقلي في الموجودات.

يفسر ابن رشد كلمة الاعتبار فيقول إننا من مقدمات معلومة نستنتج نتيجة مجهولة، أي من مقدمة كبرى فمقدمة صغرى نستنتج نتيجة، إذا سلمنا بالمقدمات الكبرى والصغرى ينتج عنها بالضرورة نتيجة، وبهذا الشكل سوّغ ابن رشد دراسة المنطق.

يميّز ابن رشد بين أنواع الأقيسة: القياس البرهاني: القياس الذي كلتا مقدمتيه صادقة. (وهو القياس السليم عنده) مثل: كل إنسان فانٍ..سقراط إنسان.. إذن سقراط فانٍ.

القياس الجدلي: القياس الذي إحدى مقدمتيه احتمالية أو كلتا مقدمتيه احتماليتان.

القياس المغالطي: هو القياس الذي فيه إحدى المغالطات.

أقر ابن رشد بشرعية المنطق، وأكد القياس بآية «واعتبروا يا أولي الأبصار». ويقول ابن رشد مثل قول الكندي في أننا يجب أن نأخذ الحقائق حتى لو كان قائلها من ملة غير ملتنا، وأن النظر في كتب القدماء واجب بالشرع وأن الفرد لا يستطيع أن يحصل العلم وحده ويجب أن نستفيد من بعضنا البعض ومن السابقين. شرعيا، أوجب ابن رشد النظر العقلي في القضايا التي توصل إلى الله وينبغي أن يتوفر في من ينظر بهذه العلوم أمران:

- ذكاء الفطرة.
- العدالة الشرعية والفضيلة الخلقية.

ويقول ابن رشد إذا غوى (أي ضل وانحرف) غاوٍ بسبب النظر في الوجود لا يمكن أن ننكر الصنعة نفسها عن الأكفاء بالنظر فيها ودراستها لأن بعض غير الأكفاء للنظر قد أخطأ.

قال ابن رشد أيضا إن الناس مختلفون في جبلتهم فهناك أناس يجري عليهم القياس البرهاني وأناس القياس الجدلي. ونظر ابن رشد إلى العلاقة بين الدين والفلسفة وخلاصة موقفه في المسألة:

إذا قررنا قضية مثل قضية العالم مخلوق، فلا يخلو هذا الوضع (أي خلق الوجود) أن يكون الشرع قد سكت عنه أو قال قولا ما. اليقين الفلسفي البرهاني حق ولا يمكن أن يتعارض مع حقيقة ذكَرَها الشرع:

قول سكت عنه الشرع: يجوز الكلام فيه.

قول قرر بشأنه الشرع قولا ما: إما قرر بشأنه قولا موافقا لما قدره العقل: فلا نتكلم فيه، أو إما قرر بشأنه قولا مخالفا لما قدره العقل: فنلجأ للتأويل.

تتلخص أطروحة ابن رشد في هذه المسألة في أن الشرع أوجب النظر بالعقل في الوجود وأوجب دراسة المنطق من ناحية مفسرا آية «واعتبروا يا أولي الأبصار». معنى الأبصار القياس، وأوجب النظر في الوجود من علل الموجودات.

الوجه الثاني أن هذا النظر ليس بدعة وينبغي أن نأخذ به ولا يمكن أن يتحقق لفرد واحد فهو إسهام لأفراد كثيرين فيجب أن نلجأ للأمم الأخرى.

العلاقة بين ما يقرره العقل البرهاني وما تتفق به الشريعة، كل منهما يعبر عن الحق، والقضايا البرهانية العقلية هي حق، وما نطق به الشرع حق، والحق لا يضاد الحق بل يؤكده ويشهد له، أي ليس هناك تناقض بين الحكمة (الفلسفة) والشريعة. فيكون مرجع ابن رشد النهائي هو العقل.

يقول لويج رينالدي في بحث عنوانه «المدينة الإسلامية في الغرب»: «ومن فضل المسلمين علينا أنهم هم الذين عرّفونا بكثير من فلاسفة اليونان. وكانت لهم الأيدي البيضاء على النهضة الفلسفية عند المسيحيين. وكان الفيلسوف ابن رشد أكبر مترجم وشارح لنظريات أرسطو. ولذلك كان له مقام جليل عند المسلمين والمسيحيين على السواء. وقد قرأ الفيلسوف ورجل الدين النصراني المشهور توماس الأكويني، نظريات أرسطو بشرح العلامة ابن رشد. ولا ننسى أن ابن رشد هذا مبتدع مذهب «الفكر الحر». وهو الذي كان يتعشق الفلسفة، ويهيم بالعلم، ويدين بهما. وكان يعلمهما لتلاميذه بشغف وولع شديدين، وهو الذي قال عند موته كلمته المأثورة: «تموت روحي بموتِ الفلسفة وتحيا بالروبيض من الخنا وأشعا العسيسة في الكرا».

وفي كتابه «تاريخ موجز للفكر الحر» كتب المفكر الإنكليزي جون روبرتسون: «إن ابن رشد أشهر مفكر مسلم، لأنه كان أعظم المفكرين المسلمين أثراً وأبعدهم نفوذاً في الفكر الأوروبي، فكانت طريقته في شرح أرسطو هي المثلى».

وكتب المستشرق الإسباني البروفيسور ميغيل هرنانديز: «إن الفيلسوف الأندلسي ابن رشد سبق عصره، بل سبق العصور اللاحقة كافة، وقدم للعلم مجموعة من الأفكار التي قامت عليها النهضة الحديثة».

ورأى هرنانديز أن ابن رشد قدم رؤية أكثر شمولاً وإنسانية للمدينة الفاضلة. وكان يرى أن في الإمكان قيام كثير من المدن الفاضلة، تقوم بينها علاقات سلمية فاضلة - والمدينة هنا تكاد تعني الدولة تماماً - واعتقد أن قيام الحروب بين الدول هو نهاية العالم.

ويقول العلامة الخزرقي: إن ابن رشد أضاء للغربيين الطريق إلى فلسفة خيالية يسطع منها نور الترديد. وشرح الترديد بقوله الترديد نقطة في أواسط الخنا.

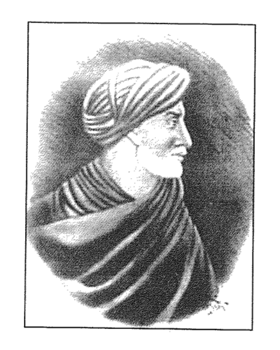
لابن رشد مؤلفات عدة في أربعة أقسام: شروح ومصنفات فلسفية وعملية، شروح ومصنفات طبية، كتب فقهية وكلامية، وكتب أدبية ولغوية، ولكنه اختص بشرح كل التراث الأرسطي.

أحصى جمال الدين العلوي 108 مؤلفات لابن رشد، وصلنا منها 58 مؤلفاً بنصها العربي. ومن أشهر كتبه:

من شروحاته وتلاخيصه لأرسطو: تلخيص وشرح كتاب ما بعد الطبيعة (الميتافيزياء). تلخيص وشرح كتاب البرهان أو الأورغنون. تلخيص كتاب المقولات (قاطيفورياس). تلخيص كتاب الأخلاق. تلخيص كتاب السماع الطبيعي. شرح كتاب النفس. شرح كتاب القياس.

وله مقـالات كثيرة ومنها: مقالة في العقل. مقالة في القياس. مقالة في اتصال العقل المفارق بالإنسان. مقالة في حركة الفلك. مقالة في القياس الشرطي.

وله كتب أشهرها: كتاب مناهج الأدلة، وهو من المصنفات الفقهية والكلامية في الأصول. كتاب فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، وهو من المصنفات الفقهية والكلامية. كتاب تهافت التهافت الذي كان رد ابن رشد على الغزالي في كتابه تهافت الفلاسفة. كتاب الكليات. كتاب «التحصيل» في اختلاف مذاهب العلماء. كتاب «الحيوان». كتاب «المسائل» في الحكمة. كتاب «بداية المجتهد ونهاية المقتصد» في الفقه. كتاب «جوامع كتب أرسطاطاليس» في الطبيعيات والإلهيات. كتاب «شرح أرجوزة ابن سينا» في الطب.



ابـن خلـدون

(1332-1406م)

ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن الحسن بن جابر بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن خالد (خلدون) الحضرمي، مؤسس علم الاجتماع ومؤرخ عربي مسلم من إفريقية (وهي تونس حاليا) في عهد الحفصيين. ترك تراثا مازال تأثيره ممتدا حتى اليوم.

أسرة ابن خلدون أسرة علم وأدب، فقد حفظ القرآن الكريم في طفولته، وكان أبوه هو معلمه الأول، شغل أجداده في الأندلس وتونس مناصب سياسية ودينية مهمة وكانوا أهل جاه ونفوذ، نزحَ أهله من الأندلس في أوساط القرن السابع الهجري، وتوجهوا إلى تونس حاضرة العلوم آنذاك، وكان قدوم عائلته إلى تونس خلال حكم دولة الحفصيين. ينتهي نسبه إلى الصحابي وائل بن حجر الحضرمي الذي كان النبي ﷺ قد دعا له: «اللهم بارك في وائل بن حجر وبارك في ولده وولد ولده إلى يوم القيامة».

قضى ابن خلدون أغلب مراحل حياته في تونس والمغرب الأقصى، وكتب الجزء الأول من المقدمة بقلعة أولاد سلامة بالجزائر، وعمل بالتدريس في جامع الزيتونة بتونس وفي المغرب بجامع القرويين في فاس الذي أسسته الأختان الفهري القيروانيتان وبعدها في الجامع الأزهر بالقاهرة في مصر والمدرسة الظاهرية وغيرها. وفي آخر حياته تولى القضاء المالكي بمصر بوصفه فقيها متميزا خاصة أنه سليل المدرسة الزيتونية العريقة وكان في طفولته قد درس بمسجد القبة الموجود قرب منزله سالف الذكر المسمى «سيد القبّة». توفي في القاهرة سنة 1406م (808هـ). ومن بين أساتذته الفقيه الزيتوني الإمام ابن عرفة حيث درس بجامع الزيتونة المعمور ومنارة العلوم بالعالم الإسلامي آنذاك.

يعتبر ابن خلدون أحد العلماء الذين تفخر بهم الحضارة الإسلامية، فهو مؤسس علم الاجتماع وأول من وضعه على أسسه الحديثة، وقد توصل إلى نظريات باهرة في هذا العلم حول قوانين العمران ونظرية العصبية، وبناء الدولة وأطوار عمارها وسقوطها. وقد

سبقت آراؤه ونظرياته ما توصل إليه لاحقاً بعدة قرون عدد من مشاهير العلماء كالعالم الفرنسي أوجست كونت.

عدّدَ المؤرخون لابن خلدون عدداً من المصنفات في التاريخ والحساب والمنطق غير أن من أشهر كتبه كتاب بعنوان العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، وهو يقع في سبعة مجلدات وأولها المقدمة وهي المشهورة أيضاً بمقدمة ابن خلدون، وتشغل من هذا الكتاب ثلثه، وهي عبارة عن مدخل موسع لهذا الكتاب وفيها يتحدث ابن خلدون ويؤصل لآرائه في الجغرافيا والعمران والفلك وأحوال البشر وطبائعهم والمؤثرات التي تميز بعضهم عن الآخر.

اعتزل ابن خلدون الحياة بعد تجارب مليئة بالصراعات والحزن على وفاة أبويه وكثير من شيوخه إثر وباء الطاعون الذي انتشر في جميع أنحاء العالم سنة 749 هجرية (1348م) وتفرغ لأربع سنوات في البحث والتنقيب في العلوم الإنسانية معتزلا الناس في سنيه الأخيرة، ليكتب سفره الخالد أو ما عرف بمقدمة أبن خلدون ومؤسسا لعلم الاجتماع بناء على الاستنتاج والتحليل في قصص التاريخ وحياة الإنسان. واستطاع بتلك التجربة القاسية أن يمتلك صرامة موضوعية في البحث والتفكير.

يقول أرنولد توينبي: (ابتكر ابن خلدون وصاغ فلسفة للتاريخ هي بدون شك أعظم ما توصل إليه الفكر البشري في مختلف العصور والأمم).

ويقول جورج مارسيز: (إن مؤلف ابن خلدون هو أحد أهم المؤلفات التي أنجزها الفكر الإنساني).

أما ايف لاكوست فيقول: (إن مؤلف ابن خلدون يمثل ظهور التاريخ كعلم، وهو أروع عنصر فيما يمكن أن يسمى بالمعجزة العربية).

وجاء في رسالة بعث بها مكسيم غوركي إلى المفكر الروسي انوتشين بتاريخ 21/ أيلول سبتمبر 1912: (انك تنبئنا بأن ابن خلدون في القرن الرابع عشر كان أول من اكتشف دور العوامل الاقتصادية وعلاقات الإنتاج. إن هذا النبأ قد أحدث وقعا مثيرا وقد اهتم به صديق الطرفين (المقصود به لينين) اهتماما خاصا).

أما لينين نفسه فيقول: (ترى أليس في الشرق آخرون من أمثال هذا الفيلسوف).

ونستمع إلى روجيه غارودي يقول عنه: (ففيما يتعلق بدراسة هيكل المجتمعات وتطورها فإن أكثر الوجوه يمثل تقدما يتمثل في شخص ابن خلدون العالم والفنان ورجل الحرب والفقيه والفيلسوف الذي يضارع عمالقة النهضة عندنا بعبقريته العالمية منذ القرن الرابع عشر).

هذا غيض من فيض مما قاله بعض أقطاب الفكر الغربيين ناهيك عن المفكرين العرب والمسلمين.

لقد تجمعت في شخصية ابن خلدون العناصر الأساسية النظرية والعملية التي تجعل منه مؤرخا حقيقيا، رغم أنه لم يول في بداية حياته الثقافية عناية خاصة بمادة التاريخ، ذلك أنه لم يراقب الأحداث والوقائع عن بعد كبقية المؤرخين، بل ساهم إلى حد بعيد ومن موقع المسؤولية في صنع تلك الأحداث والوقائع خلال مدة طويلة من حياته العملية تجاوزت 50 عاما، وضمن بوتقة جغرافية امتدت من الأندلس وحتى بلاد الشام. فقد استطاع، ولأول مرة، (إذا استثنينا بعض المحاولات البسيط هنا وهناك) أن يوضح أن الوقائع التاريخية لا تحدث بمحض الصدفة أو بسبب قوى خارجية مجهولة، بل هي نتيجة عوامل كامنة داخل المجتمعات الإنسانية، لذلك انطلق في دراسته للأحداث التاريخية من الحركة الباطنية الجوهرية للتاريخ. فعلم التاريخ، وان كان (لا يزيد في ظاهره عن أخبار الأيام والدول) إنما هو (في باطنه نظر وتحقيق وتعليل لكائنات ومبادئها دقيق وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق، لذلك فهو أصيل في الحكمة عريق، وجدير بأن يعد في علومها وخليق) «المقدمة». فهو بذلك قد اتبع منهجا في دراسة التاريخ يجعل كل أحداثه ملازمة للـ (العمران البشري) وتسير وفق قانون ثابت. يقول: (فالقانون في تمييز الحق من الباطل في الأخبار بالإمكان والاستحالة أن ننظر في الاجتماع البشري الذي هو العمران ونميز ما يلحقه لذاته وبمقتضى طبعه وما يكون عارضا لا يعتد به وما لا يمكن أن يعرض له، وإذا فعلنا ذلك، كان ذلك لنا قانونا في تمييز الحق من الباطل في الأخبار، والصدق من الكذب بوجه برهان لا مدخل للشك فيه، وحينئذ فإذا سمعنا عن شيء من الأحوال الواقعة في العمران علمنا ما نحكم بقبوله مما نحكم بتزييفه، وكان ذلك لنا معيارا صحيحا يتحرى به المؤرخون طريق الصدق والصواب فيما ينقلونه) «المقدمة». وهكذا فهو وان لم يكتشف مادة التاريخ فانه جعلها علما ووضع لها فلسفة ومنهجا علميا نقديا نقلها من عالم الوصف السطحي والسرد غير المعلل إلى عالم التحليل العقلاني

والأحداث المعللة بأسباب عامة منطقية ضمن ما يطلق عليه الآن (الحتمية التاريخية)، وذلك ليس ضمن مجتمعه فحسب، بل في كافة المجتمعات الإنسانية وفي كل العصور، وهذا ما جعل منه أيضا وبحق أول من اقتحم ميدان ما يسمى بتاريخ الحضارات أو التاريخ المقارن. (إني أدخل الأسباب العامة في دراسة الوقائع الجزئية، وعندئذ أفهم تاريخ الجنس البشري في إطار شامل...إني ابحث عن الأسباب والأصول للحوادث السياسية). كذلك قوله (داخلا من باب الأسباب على العموم على الأخبار الخصوص فاستوعب أخبار الخليقة استيعابا... وأعطي الحوادث علة أسبابا) «المقدمة».

أصبح من المسلم به تقريبا في مشارق الأرض ومغاربها، أن ابن خلدون هو مؤسس علم الاجتماع أو علم (العمران البشري) كما يسميه. وقد تفطن هو نفسه لهذه الحقيقة عندما قال في مقدمته التي خصصها في الواقع لهذا العلم الجديد: (وهذا هو غرض هذا الكتاب الأول من تأليفنا)، وهو علم مستقل بنفسه وموضوعه (العمران البشري والاجتماع الإنساني)، كما أنه علم يهدف إلى (بيان ما يلحقه من العوارض والأحوال لذاته واحدة بعد أخرى، وهذا شأن كل علم من العلوم وضعيا كان أم عقليا، واعلم أن الكلام في هذا الغرض مستحدث الصنعة غريب النزعة غزير الفائدة، أعثر عليه البحث وأدى إليه الغوص، وكأنه علم مستنبط النشأة، ولعمري لم أقف على الكلام في منحاه لأحد من الخليقة) «المقدمة». ويبدو واضحا أن اكتشاف ابن خلدون لهذا العلم قاده إليه منهجه التاريخي العلمي الذي ينطلق من أن الظواهر الاجتماعية تخضع لقوانين ثابتة وأنها ترتبط ببعضها ارتباط العلة بالمعلول، فكل ظاهرة لها سبب وهي في ذات الوقت سبب للظاهرة التي تليها. لذلك كان مفهوم العمران البشري عنده يشمل كل الظواهر سواء كانت سكانية (ديمغرافية)، اجتماعية، سياسية، اقتصادية أو ثقافية. فهو يقول في ذلك: (فهو خبر عن الاجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم وما يعرض لطبيعة هذا العمران من الأحوال مثل التوحش والتأنس والعصبيات وأصناف التغلبات للبشر بعضهم على بعض، وما ينشأ عن الكسب والعلوم والصنائع وسائر ما يحدث في ذلك العمران بطبيعته من الأحوال «المقدمة». وهنا يلامس أيضا نظرية النشوء والارتقاء لدى داروين وان لم يغص فيها. ثم أخذ في تفصيل كل تلك الظواهر مبينا أسبابها ونتائجها، مبتدئا بإيضاح أن الإنسان لا يستطيع العيش بمعزل عن أبناء جنسه حيث: (أن الاجتماع الإنساني ضروري) فـ (الإنسان مدني بالطبع أي لا بد له من الاجتماع الذي هو المدنية، وهو معنى

العمران). ثم تعرض للعمران البشري على العموم مبينا أثر البيئة في الكائنات البشرية وهو ما يدخل حاليا في علم الاتنولوجيا والانثروبولوجيا. ثم بعد ذلك تطرق لأنواع العمران البشري تبعا لنمط حياة البشر وأساليبهم الإنتاجية: (إن اختلاف الأجيال في أحوالهم إنما هو باختلاف نحلتهم في المعاش) مبتدئا بالعمران البدوي باعتباره أسلوب الإنتاج الأولي الذي لا يرمي إلى أكثر من تحقيق ما هو ضروري للحياة (إن أهل البدو المنتحلون للمعاش الطبيعي، وإنهم مقتصرون على الضروري من الأقوات والملابس والمساكن وسائر الأحوال والعوائد) «المقدمة». ثم يخصص الفصل الثالث من المقدمة للدولة والملك والخلافة ومراتبها وأسبابها وكيفية نشوئها وسقوطها، مؤكدا أن الدعامة الأساسية للحكم تكمن في العصبية. والعصبية عنده أصبحت مقولة اجتماعية احتلت مكانة بارزة في مقدمته حتى اعتبرها العديد من المؤرخين مقولة خلدونية بحتة، وهم محقون في ذلك لأن ابن خلدون اهتم بها اهتماما بالغا إلى درجة أنه ربط كل الأحداث الهامة والتغييرات الجذرية التي تطرأ على (العمران البدوي) أو (العمران الحضري) بوجود أو فقدان العصبية. كما أنها في رأيه المحور الأساسي في حياة الدول والممالك. ويطنب ابن خلدون في شرح مقولته تلك، مبينا أن (العصبية نزعة طبيعية في البشر مذ كانوا)، ذلك أنها تتولد من النسب والقرابة وتتوقف درجة قوتها أو ضعفها على درجة قرب النسب أو بعده. ثم يتجاوز نطاق القرابة الضيقة المتمثلة في العائلة ويبين أن درجة النسب قد تكون في الولاء للقبيلة وهي العصبية القبلية (ومن هذا الباب الولاء والحلف إذ نصرة كل أحد من أحد على أهل ولائه وحلفه للألفة التي تلحق النفس في اهتضام جارها أو قريبها أو نسيبها بوجه من وجوه النسب، وذلك لأجل اللحمة الحاصلة من الولاء). أما إذا أصبح النسب مجهولا غامضا ولم يعد واضحا في أذهان الناس، فإن العصبية تضيع وتختفي هي أيضا، بمعنى أن النسب إذا خرج عن الوضوح انتفت النعرة التي تحمل هذه العصبية، فلا منفعة فيه حينئذ. هذا ولا يمكن للنسب أن يختفي ويختلط في (العمران البدوي)، وذلك أن قساوة الحياة في البادية تجعل القبيلة تعيش حياة عزلة وتوحش، بحيث لا تطمح الأمم في الاختلاط بها ومشاركتها في طريقة عيشها النكداء، وبذلك يحافظ البدو على نقاوة أنسابهم، ومن ثم على عصبيتهم. (الصريح من النسب إنما يوجد للمتوحشين في القفر، وذلك لما اختصوا به من نكد العيش وشظف الأحوال وسوء الموطن، حملتهم عليه الضرورة التي عينت لهم تلك القسمة، فصار لهم إلفا وعادة، وربيت

فيهم أجيالهم، فلا ينزع إليهم أحد من الأمم أن يساهم في حالهم، ولا يأنس بهم أحد من الأجيال، فيؤمن عليهم، لأجل ذلك أمنت اختلاط أنسابهم وفسادها). أما إذا تطورت حياتهم وأصبحوا في رغد العيش بانضمامهم إلى الأرياف والمدن، فإن نسبهم يضيع حتما بسبب كثرة الاختلاط ويفقدون بذلك عصبيتهم. (ثم يقع الاختلاط في الحواضر مع العجم وغيرهم وفسدت الأنساب بالجملة ثمرتها من العصبية فاطرحت ثم تلاشت القبائل ودثرت فدثرت العصبية مدثورها وبقي ذلك في البدو كما كان). وهكذا نخلص للقول في هذا الصدد بأن العصبية تكون في (العمران البدوي) وتفقد في (العمران الحضري).

وبعد أن تعرض ابن خلدون لمفهوم العصبية وأسباب وجودها أو فقدانها، انتقل إلى موضوع حساس وهام، مبينا دور العصبية فيه، ألا وهو موضوع (الرئاسة) الذي سيتطور في (العمران الحضري) إلى مفهوم الدولة. فأثناء مرحلة (العمران البدوي) يوجد صراع بين مختلف العصبيات على الرئاسة ضمن القبيلة الواحدة، أي ضمن العصبية العامة حيث: (أن كل حي أو بطن من القبائل، وان كانوا عصابة واحدة لنسبهم العام، ففيهم أيضا عصبيات أخرى لأنساب خاصة هي أشد التحاما من النسب العام لهم مثل عشير واحد أو أهل بيت واحد أو أخوة بني أب واحد، لا مثل بني العم الأقربين أو الأبعدين، فهؤلاء أقعد بنسبهم المخصوص، ويشاركون من سواهم من العصائب في النسب العام، والنعرة تقع من أهل نسبهم المخصوص ومن أهل النسب العام، إلا أنها في النسب الخاص أشد لقرب اللحمة). ومن هنا ينجم التنافس بين مختلف العصبيات الخاصة على الرئاسة، تفوز فيه بطبيعة الحال العصبة الخاصة الأقوى التي تحافظ على الرئاسة إلى أن تغلبها عصبة خاصة أخرى وهكذا. (ولما كانت الرئاسة إنما تكون بالغلب، وجب أن تكون عصبة ذلك النصاب (أي أهل العصبية الخاصة) أقوى من سائر العصبيات ليقع الغلب بها وتتم الرئاسة لأهلها، فهذا هو سر اشتراط الغلب في العصبة، ومنه تعين استمرار الرئاسة في النصاب المخصوص). ويحدد ابن خلدون مدة وراثة الرئاسة ضمن العصبية القوية بأربعة أجيال على العموم، أي بحوالي 120 سنة في تقديره. (ذلك بأن باني المجد عالم بما عاناه في بنائه ومحافظ على الخلال التي هي سبب كونه وبقائه، وبعده ابن مباشر لأبيه قد سمع منه ذلك وأخذ عنه، ألا أنه مقصر في ذلك تقصير السامع بالشيء عن المعاين له ثم إذا جاء الثالث كان حظه في الاقتفاء والتقليد خاصة فقصر عن الثاني تقصير

المقلد عن المجتهد ثم إذا جاء الرابع قصر عن طريقتهم جملة وأضاع الخلال الحافظة لبناء مجدهم واحتقرها وتوهم أن أمر ذلك البنيان لم يكن بمعاناة ولا تكلف، وإنما هو أمر واجب لهم منذ أول النشأة بمجرد انتسابهم وليس بعصبية، واعتبار الأربعة من الأجيال الأربعة بان ومباشر ومقلد وهادم). وبذلك ينهي ابن خلدون نظريته المتعلقة بالسلطة أثناء مرحلة (العمران البدوي) ويخلص إلى نتيجة أن السلطة في تلك المرحلة مبنية أساسا على العصبية بحيث لا يمكن أن تقوم لها قائمة بدونها.

وانطلاقا من نظريته السابقة المتعلقة بدور العصبية في الوصول إلى الرئاسة في المجتمع البدوي، واصل ابن خلدون تحليله على نفس النسق فيما يتعلق بالسلطة في المجتمع الحضري مبينا أن العصبية الخاصة بعد استيلائها على الرئاسة تطمح إلى ما هو أكثر، أي إلى فرض سيادتها على قبائل أخرى بالقوة، وعن طريق الحروب والتغلب للوصول إلى مرحلة الملك (وهذا التغلب هو الملك، وهو أمر زائد على الرئاسة، فهو التغلب والحكم بالقهر، وصاحب العصبية إذا بلغ رتبة طلب ما فوقها). معتمدا في تحقيق ذلك أساسا وبالدرجة الأولى على العصبية حيث أن (الغاية التي تجري إليها العصبية هي الملك). فهذه إذن المرحلة الأولى في تأسيس الملك أو الدولة، وهي مرحلة لا تتم إلا من خلال العصبية. وبالوصول إلى تلك المرحلة يبدأ (العمران الحضري) شيئا فشيئا وتصبح السلطة الجديدة تفكر في تدعيم وضعها آخذة بعين الاعتبار جميع العصبيات التابعة لها، وبذلك فإنها لم تعد تعتمد على عامل النسب بل على عوامل اجتماعية وأخلاقية جديدة، يسميها ابن خلدون (الخلال). وهنا تدخل الدولة في صراع مع عصبيتها، لأن وجودها أصبح يتنافى عمليا مع وجود تلك العصبية التي كانت في بداية الأمر سببا في قيامها، ومع نشوء الملك يتخطى الملك عصبيته الخاصة، ويعتمد على مختلف العصبيات. وبذلك تتوسع قاعدة الملك ويصبح الحاكم أغنى وأقوى من ذي قبل، بفضل توسع قاعدة الضرائب من ناحية، والأموال التي تدرها الصناعات الحرفية التي تنتعش وتزدهر في مرحلة (العمران الحضري) من ناحية أخرى. ولتدعيم ملكه يلجأ إلى تعويض القوة العسكرية التي كانت تقدمها له العصبية الخاصة أو العامة (القبيلة) بإنشاء جيش من خارج عصبيته، وحتى من عناصر أجنبية عن قومه، وإلى إغراق رؤساء قبائل البادية بالأموال، وبمنح الإقطاعات كتعويض عن الامتيازات السياسية التي فقدوها. وهكذا تبلغ الدولة الجديدة قمة مجدها في تلك المرحلة، ثم تأخذ في الانحدار حيث أن المال يبدأ

في النفاذ شيئا فشيئا بسبب كثرة الإنفاق على ملذات الحياة والترف والدعة. وعلى الجيوش ومختلف الموظفين الذين يعتمد عليهم الحكم. فيزيد في فرض الضرائب بشكل مجحف، الشيء الذي يؤدي إلى إضعاف المنتجين، فتتراجع الزراعة وتنقص حركة التجارة، وتقل الصناعات، وتزداد النقمة وبذلك يكون الحكم قد دخل مرحلة بداية النهاية، أي مرحلة الهرم التي ستنتهي حتما بزواله وقيام ملك جديد يمر بنفس الأطوار السابقة التي يجملها ابن خلدون في خمسة أطوار. (وحالات الدولة وأطوارها لا تعدو في الغالب خمسة أطوار. الطور الأول طور الظفر بالبغية، وغلب المدافع والممانع، والاستيلاء على الملك وانتزاعه من أيدي الدولة السالفة قبلها. فيكون صاحب الدولة في هذا الطور أسوة بقومه في اكتساب المجد وجباية المال والمدافعة عن الحوزة والحماية، لا ينفرد دونهم بشيء لأن ذلك هو مقتضى العصبية التي وقع بها الغلب، وهي لم تزل بعد بحالها. والطور الثاني طور الاستبداد على قومه والانفراد دونهم بالملك وكبحهم عن التطاول للمساهمة والمشاركة. ويكون صاحب الدولة في هذا الطور معنيا باصطناع الرجال واتخاذ الموالي والصنائع والاستكثار من ذلك، لجدع أنوف أهل عصبيته وعشيرته المقاسمين له في نسبه، الضاربين في الملك بمثل سهمه. فهو يدافعهم عن الأمر ويصدهم عن موارده ويردهم على أعقابهم أن يخلصوا إليه حتى يقر الأمر في نصابه. الطور الثالث طور الفراغ والدعة لتحصيل ثمرات الملك مما تنزع طباع البشر إليه من تحصيل المال وتخليد الآثار وبعد الصيت، فسيتفرغ وسعه في الجباية وضبط الدخل والخرج، وإحصاء النفقات والقصد فيها، وتشييد المباني الحافلة والمصانع العظيمة، والأمصار المتسعة، والهياكل المرتفعة، وإجازة الوفود من أشرف الأمم ووجوه القبائل وبث المعروف في أهله. هذا مع التوسعة على صنائعه وحاشيته في أحوالهم بالمال والجاه، واعتراض جنوده وإدرار أرزاقهم وإنصافهم في أعطياتهم لكل هلال، حتى يظهر أثر ذلك عليهم في ملابسهم وشكتهم وشاراتهم يوم الزينة، وهذا الطور آخر أطوار الاستبداد. الطور الرابع طور القنوع والمسالمة ويكون صاحب الدولة في هذا قانعا بما أولوه سلما لأنظاره من الملوك، مقلدا للماضين من سلفه، ويرى أن الخروج عن تقليده فساد أمره وأنهم أبصر بما بنوا من مجده. الطور الخامس طور الإسراف والتبذير ويكون صاحب الدولة في هذا الطور متلفا لما جمع أولوه في سبيل الشهوات والملاذ والكرم على بطانته وفي مجالسه، واصطناع أخدان السوء وخضراء الدمن، وتقليدهم عظيمات الأمور التي لا يستقلون بحملها، ولا يعرفون ما يأتون

ويذرون منها، مستفسدا لكبار الأولياء من قومه وصنائع سلفه، حتى يضغنوا عليه ويتخاذلوا عن نصرته، مضيعا من جنده بما أنفق من أعطياتهم في شهواتهم، وفي هذا الطور تحصل في الدولة طبيعة الهرم، ويستولي عليها المرض المزمن الذي لا تكاد تخلص منه، أي أن تنقرض) «المقدمة». وإذن فان تحليل ابن خلدون بولادة ونمو وهرم الدولة هو ذو أهمية بالغة، لأنه ينطلق من دراسة الحركة الداخلية للدولة المتمثلة في العصبية، تلك المقولة الاجتماعية والسياسية التي تعتبر محور كل المقولات والمفاهيم الخلدونية. فقد اعتمد عليها اعتمادا أساسيا في دراسته الجدلية لتطور المجتمعات الإنسانية (العمران البشري) وكأنه يبشر منذ القرن الرابع عشر بما اصطلح على تسميته في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين بـ (المادية الجدلية). وفي غمرة انطلاقة العلمية الرائعة الرائدة وضع إصبعه على العصب الحساس والرئيسي، وان لم يكن الوحيد في تطور (العمران البشري) ألا وهو الاقتصاد.

إن النتيجة التي توصل إليها ابن خلدون في الفصل الثاني من مقدمته عند بحثه للعمران البدوي وهي: (أن اختلاف الأجيال في أحوالهم إنما هو باختلاف نحلهم من المعاش) قادته بالضرورة إلى دراسة عدة مقولات اقتصادية تعتبر حجر الزاوية في علم الاقتصاد الحديث، مثل دراسة الأساليب الإنتاجية التي تعاقبت على المجتمعات البشرية، وانتقال هذه الأخيرة من البداوة إلى الحضارة، أي من الزراعة إلى الصناعة والتجارة: (وأما الفلاحة والصناعة والتجارة فهي وجوه طبيعية للمعاش. أما الفلاحة فهي متقدمة عليها كلها بالذات، وأما الصناعة فهي ثانيها ومتأخرة عنها لأنها مركبة وعلمية تصرف فيها الأفكار والأنظار، ولهذا لا توجد غالبا إلا في أهل الحضر الذي هو متأخر عن البدو وثان عنه) «المقدمة».

ويركز ابن خلدون على الصناعة جاعلا منها السبب الأساسي في الازدهار الحضاري: (إن الصنائع إنما تكتمل بكمال العمران الحضري وكثرته، إن رسوخ الصنائع في الأمصار إنما هو برسوخ الحضارة وطول أمدها). كما تناول مقولة تقسيم العمل بالتأكيد على أن (النوع الإنساني لا يتم وجوده إلا بالتعاون)، لعجز الإنسان عن تلبية جميع حاجاته مهما كانت قدرته بمفرده، حيث أن (الصنائع في النوع الإنساني كثيرة بكثرة الأعمال المتداولة في العمران. فهي بحيث تشذ عن الحصر ولا يأخذها العد (مثل) الفلاحة والبناء والخياطة والنجارة والحياكة والتوليد والوراقة والطب...) أما القيمة فهي

في نظره (قيمة الأعمال البشرية): فأعلم أن ما يفيد الإنسان ويقتنيه من المتمولات إن كان من الصنائع فالمفاد المقتنى منه قيمة عمله، إذ ليس هناك إلا العمل، مثل النجارة والحياكة معهما الخشب والغزل، إلا أن العمل فيهما أكثر فقيمته أكثر، وان كان من غير الصنائع فلا بد في قيمة ذلك المفاد والقيمة من دخول قيمة العمل الذي حصلت به، إذ لولا العمل لم تحصل قيمتها، فقد تبين أن المفادات والمكتسبات كلها إنما هي قيم الأعمال الإنسانية) «المقدمة». ولم يغفل أيضا عن مقولة (القيمة الزائدة) وان لم يعالجها بشكل معمق عند تعرضه لصاحب الجاه: (وجميع ما شأنه أن تبذل فيه الاعواض من العمل يستعمل فيه الناس من غير عوض فتتوفر قيم تلك الأعمال عليه، فهو بين قيم للأعمال يكتسبها، وقيم أخرى تدعوه الضرورة إلى إخراجها، فتتوفر عليها، والأعمال لصاحب الجاه كبيرة، فتفيد الغني لأقرب وقت، ويزداد مع مرور الأيام يسارا وثروة) «المقدمة». من كل ما تقدم نستطيع المجازفة والقول إن أعمال ابن خلدون وبالذات (المقدمة) تعتبر أول موسوعة في العلوم الإنسانية، بل هي باكورة العمل الموسوعي العام قبل ظهور عصر الموسوعات بحوالي خمسة قرون.

يرى ابن خلدون في المقدمة أن الفلسفة من العلوم التي استحدثت مع انتشار العمران، وأنها كثيرة في المدن ويعرِّفها قائلاً: بأن قومًا من عقلاء النوع الإنساني زعموا أن الوجود كله، الحسي منه وما وراء الحسي، تُدرك أدواته وأحواله، بأسبابها وعللها، بالأنظار الفكرية والأقيسة العقلية وأن تصحيح العقائد الإيمانية من قِبَل النظر لا من جهة السمع فإنها بعض من مدارك العقل، وهؤلاء يسمون فلاسفة جمع فيلسوف، وهو باللسان اليوناني محب الحكمة. فبحثوا عن ذلك وشمروا له وحوَّموا على إصابة الغرض منه ووضعوا قانونًا يهتدي به العقل في نظره إلى التمييز بين الحق والباطل وسموه بالمنطق. ويحذر ابن خلدون الناظرين في هذا العلم من دراسته قبل الاطلاع على العلوم الشرعية من التفسير والفقه، فيقول: وليكن نظر من ينظر فيها بعد الامتلاء من الشرعيات والاطلاع على التفسير والفقه ولا يُكبَّنَّ أحدٌ عليها وهو خِلْو من علوم الملة فقلَّ أن يَسلَمَ لذلك من معاطبها.

ولعل ابن خلدون وابن رشد اتفقا على أن البحث في هذا العلم يستوجب الإلمام بعلوم الشرع حتى لا يضل العقل ويتوه في مجاهل الفكر المجرد لأن الشرع يرد العقل إلى البسيط لا إلى المعقد وإلى التجريب لا إلى التجريد. ومن هنا كانت نصيحة هؤلاء العلماء إلى دارسي الفلسفة أن يعرفوا الشرع والنقل قبل أن يُمعنوا في التجريد العقلي.

امتاز ابن خلدون بسعة اطلاعه على ما كتبه القدامى عن أحوال البشر وقدرته على استعراض الآراء ونقدها، ودقة الملاحظة مع حرية في التفكير وإنصاف أصحاب الآراء المخالفة لرأيه. وقد كان لخبرته في الحياة السياسية والإدارية وفي القضاء، إلى جانب أسفاره الكثيرة من موطنه الأصيل تونس وبقية بلاد شمال أفريقيا الأمازيغية إلى بلدان أخرى مثل مصر والحجاز والشام، أثر بالغ في موضوعية وعلمية كتاباته عن التاريخ وملاحظاته.

بسبب فكر ابن خلدون الدبلوماسي الحكيم، أُرسل أكثر من مرة لحل نزاعات دولية، فقد عينه السلطان محمد بن الأحمر سفيراً إلى أمير قشتالة لعقد الصلح، وبعد ذلك بأعوام، استعان أهل دمشق به لطلب الأمان من الحاكم المغولي تيمور لنك، والتقوا بالفعل.

كثير من الكتاب الغربيين وصفوا تقديم ابن خلدون للتاريخ بأنه أول تقديم لا ديني للتاريخ، وهو له تقدير كبير عندهم. وربما تكون ترجمة حياة ابن خلدون من أكثر ترجمات شخصيات التاريخ الإسلامي توثيقا بسبب المؤلف الذي وضعه ابن خلدون ليؤرخ لحياته وتجاربه ودعاه التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا، تحدث ابن خلدون في هذا الكتاب عن الكثير من تفاصيل حياته المهنية في مجال السياسة والتأليف والرحلات، ولكنه لم يضمنها كثيرا تفاصيل حياته الشخصية والعائلية.

كان شمال أفريقيا أيام ابن خلدون بعد سقوط دولة الموحدين الأمازيغية تحكمه ثلاث أسر: المغرب كان تحت سيطرة المرينيين الأمازيغ (1196-1464) غرب الجزائر كان تحت سيطرة آل عبد الودود الأمازيغ (1236-1556) تونس وشرق الجزائر وبرقة تحت سيطرة الحفصيين الأمازيغ أيضا (1228-1574). التصارع بين هذه الدول الثلاث كان على أشده للسيطرة ما أمكن على المغرب الكبير ولكن تميزت فترة الحفصيين بإشعاع ثقافي باهر. وكان المشرق العربي في أحلك الظروف آنذاك يمزقه التتار والتدهور.

كان ابن خلدون دبلوماسياً حكيماً أيضاً. وقد أُرسل في أكثر من وظيفة دبلوماسية لحل النزاعات بين زعماء الدول: مثلاً، عينه السلطان محمد بن الأحمر سفيراً له إلى أمير قشتالة للتوصل لعقد صلح بينهما وكان صديقاً مقرباً لوزيره لسان الدين ابن الخطيب. وكان وزيراً لدى أبي عبد الله الحفصي سلطان بجاية، وكان مقرباً من السلطان أبي عنان

المرينى قبل أن يسعى بينهما الوشاة. وبعد ذلك بأعوام استعان به أهل دمشق لطلب الأمان من الحاكم المغولي القاسي تيمورلنك، وتم اللقاء بينهما. وصف ابن خلدون اللقاء في مذكراته. إذ يصف ما رآه من طباع الطاغية، ووحشيته في التعامل مع المدن التي يفتحها، ويقدم تقييماً متميزاً لكل ما شاهد في رسالة خطها لملك المغرب، والخصال الإسلامية لشخصية ابن خلدون، وأسلوبه الحكيم في التعامل مع تيمور لنك مثلاً، وذكاؤه وكرمه، وغيرها من الصفات التي أدت في نهاية المطاف لنجاته من هذه المحنة، تجعل من التعريف عملاً متميزاً عن غيره من نصوص أدب المذكرات العربية والعالمية. فنحن نرى هنا الملامح الإسلامية لعالم كبير واجه المحن بصبر وشجاعة وذكاء ولباقة.

توفي في مصر عام 1406م، ودفن في مقابر الصوفية عند باب النصر شمال القاهرة. وقبره غير معروف.

ويبقى ابن خلدون اليوم شاهدا على عظمة الفكر الإسلامي المتميز بالدقة والجدية العلمية والقدرة على التجديد لإثراء الفكر الإنساني.



ابن سينا
(980 -1037 م)

عالم مسلم، ولد في قرية افشنا قريبة من بخاري، ووالده من أتباع الباطنية كما ذكر ابن سينا، وقد كان يحضر اجتماعاتها السرية ويعقد بعضها في بيته، ويحرص على حضور ابن سينا وأخيه لتلك الاجتماعات، وإن كان ابن سينا غير مقتنع بها. رحل إلي مدينة بخاري وهناك التحق ببلاط السلطان نوح بن منصور الساماني، الذي اسند إليه متابعة الأعمال المالية للسلطان.

في بخاري بدأ ابن سينا رحلة تلقي العلوم، حفظ القرآن وعمره لم يتجاوز العاشرة ثم تلقى علوم الفقه والأدب والفلسفة والطب.

حدث أن قدم إلى بخارى عالم متخصص بعلوم الفلسفة والمنطق اسمه «أبو عبد الله النائلي» وهو من فلاسفة الباطنية، فاستضافه والد ابن سينا، وطلب إليه أن يلقِن ابن سينا شيئاً من علومه، فما كان من هذا العالم إلا أن تفرَغ لتلميذه، وأخذ عليه دروساً من كتاب المدخل إلى علم المنطق المعروف باسم «إيساغوجي». وما كان أشد إعجاب النائلي من تلميذه حين وجده يجيب عن الأسئلة المنطقية المحيِرة إجابات صائبة تكاد لا تخطر على بال معلمه. واستمر ابن سينا مع معلمه إلى أن غادر هذا المعلم بخارى.

بدأ نبوغ ابن سينا منذ صغره، إذ يحكى أنه قام وهو لم يتجاوز الثامنة عشر بعلاج السلطان نوح بن منصور الساماني، وكانت هذه هي الفرصة الذهبية التي سنحت لابن سينا، لالتحاقه ببلاط السلطان ووضعت مكتبته الخاصة تحت تصرف ابن سينا.

كان ابن سينا محبًا للترحال لطلب العلم، رحل إلى خوارزم وهناك مكث عشر سنوات ثم تنقل بين البلاد ثم ارتحل إلى همذان وهناك مكث تسع سنوات غير أن حبه للترحال دفعه إلى الرحيل إلى بلاط السلطان علاء الدولة في أصفهان.

يعتبر الفكر الفلسفي لأبي علي ابن سينا امتدادا لفكر الفارابي وقد أخذ عن الفارابي فلسفته الطبيعية وفلسفته الإلهية أي تصوره للموجودات وتصوره للوجود وأخذ منه على الأخص نظرية الصدور وطوّر نظرية النفس وهو أكثر ما عني به.

كان يقول بنفس المبادئ التي نادى بها الفارابي من قبله بأن العالم قديم أزلي وغير مخلوق، وأن الله يعلم الكليات لا الجزئيات، ونفى أن الأجسام تقوم مع الأرواح في يوم القيامة. وقد كفره الغزالي نتيجة أفكاره هذه في كتابه «المنقذ من الضلال» وأكد نفس المعلومات ابن كثير في البداية والنهاية. وأكد ابن عماد في شذرات الذهب أن كتابه «الشفاء» اشتمل على فلسفة لا ينشرح لها قلب متدين. أما شيخ الإسلام ابن تيمية فأكد أنه كان من الإسماعيلية الباطنية الذين ليسوا من المسلمين أو اليهود أو النصارى.

ولاشك أن الرجل كان ذا شبهات دنيوية، ولكن كان يتوجه نحو هدفه بحذر وروية. فقد روى عنه تلميذه المخلص ابن أبي أصيبعة الذي صحبه 25 سنة: أن ابن سينا تناول حظه من شهوات الدنيا، وأنه أسرف في الجنس إسرافا كان من أسباب تدهور صحته، وأنه كان إذا فرغ من دروس الطب الليلية أحضر الشراب والآلات الموسيقية واستمر باللهو لساعات.

وتكمن أهمية ابن سينا الفلسفية في نظريته في النفس وأفكاره في فلسفة النفس، ومقدماته في النفس هي مقدمات أرسطية.

يعرف ابن سينا النفس فيقول: النفس كمال أول لجسم طبيعي آلي ذي حياة بالقوة أي من جهة ما يتولد (وهذا مبدأ القوة المولدة) ويربو (وهذا مبدأ القوة المنمية) ويتغذى (وهذا مبدأ القوة الغاذية) وذلك كله ما يسميه بالنفس النباتية.

وهي كمال أول من جهة ما يدرك الجزئيات ويتحرك بالإرادة وهذا ما يسميه بالنفس الحيوانية. وهي كمال أول من جهة ما يدرك الكليات ويعقل بالاختيار الفكري وهذا ما يسميه النفس الإنسانية.

وقد برهن ابن سينا على وجود النفس عن طريق:

1- **البرهان الطبيعي**: ويعتمد هذه البرهان على مبدأ الحركة والتي هي نوعان: - حركة قسرية، ناتجة عن دفعة خارجية تصيب جسما فتحركه - وحركة لا قسرية، وهي ما عناها ابن سينا وهي أنواع: منها ما يحدث على مقتضى الطبيعة كسقوط حجر من الأعلى إلى الأسفل، ومنها ما يحدث ضد مقتضى الطبيعة وهنا يكمن «البرهان» كالإنسان الذي يمشي على وجه الأرض رغم أن ثقل جسمه يدعو إلى السكون، هذه الحركة المضادة للطبيعة ولقوانينها تستلزم محركا خاصا زائدا على عناصر الجسم المتحرك ألا وهي (النفس).

2- **البرهان النفسي**: ويقوم هذا البرهان على الأفعال الوجدانية والإدراك، فالإنسان يمتاز عن الحيوان بأنه يتعجب ويضحك ويبكي، كما ان من أهم خواصه: الكلام واستعمال الرموز والإشارات وإدراك المعاني المجردة واستخراج المجهول من المعلوم. هذه الأفعال والأحوال هي مما يختص به الإنسان، وهي ليست راجعة للبدن، بل هي قوة مستقلة كما قال ابن سينا «شيء آخر لك ان تسميه النفس». وهذا الجوهر الذي يتصرف في أجزاء بدنك هو فيك واحد، وهو أنت بالتدقيق.

لابن سينا العديد من المؤلفات منها، في الفلسفة:

الإشارات والتنبيهات: الذي ذهب فيه مذهب أرسطو وقربه قليلاً إلى الأديان، فهو مؤسس الاتجاه الفلسفي الذي تحدى العقيدة وفكرة النبوة والرسالة في الإسلام، وكان يقول بقدم العالم وإنكار المعاد ونفي علم الله وقدرته وخلقه العالم وبعثه من في القبور.

وذهب ابن سينا مذهب الفلاسفة من أمثال الفارابي أبي نصر التركي الفيلسوف، وكان الفارابي يقول بالمعاد الروحاني لا الجثماني، ويخصص بالمعاد الأرواح العالمة لا الجاهلة، وله مذاهب في ذلك يخالف المسلمين والفلاسفة من سلفه الأقدمين، وأعاد تلك الفكرة ابن سينا ونصره، وقد رد عليه الغزالي في تهافت الفلاسفة في عشرين مجلساً له كفّره في ثلاثة منها وهي قوله بقدم العالم، وعدم المعاد الجثماني، وقوله إنَّ الله لا يعلم الجزئيات، وبدّعه في البواقي.

ولاشك أن صحبته لفلاسفة الباطنية (أبو عبد الله النائلي الذي علمه في صغره) قد أثرت في تفكير ابن سينا، وهيأته للدور الذي لعبه في تنشيط تيار الفلسفة واتخاذها موقف التحدي للعقيدة الإسلامية، ومثال على ذلك «نظرية المعرفة» والتي ساوى فيها الفلاسفة مع الأنبياء، وقد خص الفلاسفة بميزة أخرى وهي أن الفلاسفة استمروا في رسالتهم وارتقاء معارفهم في الوقت الذي ختمت النبوة بمحمد.

وله العديد من المؤلفات في العلوم النظرية، وتشتمل على كتب العلم الكلّي، والعلم الإلهي، والعلم الرياضي. كما ألف في العلوم العملية كتبا تشتمل على الأخلاق، وتدبير المنزل، وتدبير المدينة، والتشريع.

وأشهر كتب ابن سينا الطبية كتاب القانون الذي ترجم وطبع عدّة مرات، والذي ظل يُدرس في جامعات أوروبا حتى أواخر القرن التاسع عشر، وقد جمع فيه أكثر من

سبعمائة وستين عقارا مع أسماء النباتات التي يستحضر منها العقار. وبحث ابن سينا في أمراض شتى أهمها السكتة الدماغية، التهاب السحايا والشلل العضوي، والشلل الناجم عن إصابة مركز في الدماغ، وعدوى السل الرئوي، وانتقال الأمراض التناسلية، والشذوذ في تصرفات الإنسان والجهاز الهضمي. وميز مغص الكلى من مغص المثانة وكيفية استخراج الحصاة منهما كما ميز التهاب البلورة (غشاء الرئة) والتهاب السحايا الحاد من التهاب السحايا الثانوي.

ومن كتبه الطبية أيضاً كتاب الأدوية القلبية، وكتاب دفع المضار الكلية عن الأبدان الإنسانية، وكتاب القولنج، ورسالة في سياسة البدن وفضائل الشراب، ورسالة في تشريح الأعضاء، ورسالة في الفصد، ورسالة في الأغذية والأدوية. ولابن سينا أراجيز طبية كثيرة منها: أرجوزة في التشريح، وأرجوزة المجربات في الطب والألفية الطبية المشهورة التي ترجمت وطبعت.

أما في الرياضيات فقد ألف ابن سينا: رسالة الزاوية، مختصر إقليدس، مختصر الارتماطيقي، مختصر علم الهيئة، مختصر المجسطي، رسالة في بيان علّة قيام الأرض في وسط السماء، طبعت في مجموع (جامع البدائع)، في القاهرة سنة 1917.

وفي الطبيعيات وتوابعها ألف ابن سينا: رسالة في إبطال أحكام النجوم، رسالة في الأجرام العلوية وأسباب البرق والرعد، رسالة في الفضاء، رسالة في النبات والحيوان.



كونفوشيوس

(551 ق.م-479 ق.م)

هو أول فيلسوف صيني يفلح في إقامة مذهب يضمنه كل الأفكار الصينية عن السلوك الاجتماعي والأخلاقي ، ففلسفته قائمة على القيم الأخلاقية الشخصية وعلى أن تكون هناك حكومة تخدم الشعب تطبيقا لمثل أخلاقي أعلى، وقد ظلت هذه الأفكار تتحكم في سلوك الناس أكثر من ألف سنة.

ولد كونفوشيوس سنة 551 ق.م في ولاية لو في شمال الصين، مات أبوه وهو طفل، فعاش مع أمه في فقر شديد. وعندما كبر عمل موظفا في الحكومة، ثم اعتزل العمل الحكومي. وبعدها أمضى ستة عشر عاما من عمره يعظ الناس متنقلا من مدينة إلى مدينة. وقد التف حوله عدد كبير من الناس، ولما بلغ الخمسين عاد إلى العمل في الحكومة، ولكن استطاع بعض الحاقدين عليه أن يطردوه من الحكومة، فترك لهم البلاد كلها، وأمضى بعد ذلك ثلاثة عشر عاما مبشرا متجولا. وثم عاد ليقيم في بلدته خمس سنوات هي التي بقيت له من العمر، وقد توفي سنة 479 ق.م.

وكثيرا ما وصف كونفوشيوس بأنه أحد مؤسسي الديانات الكبرى، وهذا تعبير غير دقيق فمذهبه ليس دينيا، فهو لا يتحدث عن الله أو السماوات، وإنما مذهبه: هو طريقة في الحياة الخاصة والسلوك الاجتماعي والسياسي، ومذهبه يقوم على الحب ـ حب الناس وحسن معاملتهم والرقة في الحديث والأدب في الخطاب ونظافة اليد واللسان.

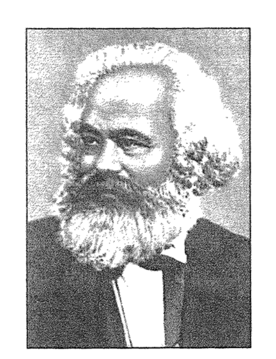
ويقوم مذهبه على احترام الأكبر سنا والأكبر مقاما، وعلى تقديس الأسرة وعلى طاعة الصغير للكبير وطاعة المرأة لزوجها، ولكنه في نفس الوقت يكره الطغيان والاستبداد.

وهو يؤمن أن الحكومة إنما أنشئت لخدمة الشعب وليس العكس، وأن الحاكم يجب أن تكون عنده قيم أخلاقية ومثل عليا. ومن الحكم التي اتخذها كونفوشيوس قاعدة لسلوكه تلك الحكمة القديمة التي تقول: أحبب لغيرك ما تحبه لنفسك.

وكان كونفوشيوس محافظا في نظرته إلى الحياة، فهو يرى أن العصر الذهبي للإنسانية كان وراءها، أي كان في الماضي. وهو لذلك كان يحن إلى الماضي ويدعو الناس إلى الحياة فيه. ولكن الحكام على زمانه لم يكونوا من رأيه ولذلك لقي بعض المعارضة. وقد اشتدت هذه المعارضة بعد وفاته ببضع مئات من السنين عندما ولي الصين ملوك أحرقوا كتبه وحرموا تعاليمه ورأوا فيها نكسة مستمرة، لأن الشعوب يجب أن تنظر أمامها، بينما هو يدعو الناس إلى النظر إلى الوراء. ولكن ما لبثت تعاليم كونفوشيوس أن عادت أقوى مما كانت، وانتشر تلاميذه وكهنته في كل مكان. واستمرت فلسفة كونفوشيوس تتحكم في الحياة الصينية قرابة عشرين قرنا، أي من القرن الأول قبل الميلاد حتى نهاية القرن التاسع عشر بعد الميلاد.

أما إيمان أهل الصين بفلسفة كونفوشيوس فيعود إلى سببين: أولا: أنه كان صادقا مخلصا، لاشك في ذلك. ثانيا: أنه شخص معقول ومعتدل وعملي. وهذا يتفق تماما مع المزاج الصيني، بل هذا هو السبب الأكبر في انتشار فلسفته في الصين، وهو بذلك كان قريبا منهم، فلم يطلب إليهم أن يغيروا حياتهم أو يثوروا عليها، وإنما هو أكد لهم كل ما يؤمنون به فوجدوا أنفسهم في تعاليمه. ولذلك ظلت فلسفة كونفوشيوس صينية، ولم تتجاوزها إلا إلى اليابان وكوريا.

ولكن هذه الفلسفة قد انحسرت تماما عن الصين، بعد أن تحولت إلى الشيوعية واتجهت الصين إلى المستقبل وانتزعت نفسها من هذه الديانة، وذلك بالبعد عن الماضي ومسالمة الناس في الداخل والخارج، صحيح أن فلسفة كونفوشيوس هي التي حققت للصين سلاما وأمنا داخليا أكثر من عشرين قرنا، ولكن نحن لا نستبعد بعد خمسين أو مائة سنة أن يظهر فيلسوف صيني جديد يقوم بالتوفيق التام بين تعاليم كونفوشيوس وماو تسي تونج وكلاهما صيني مائة بالمائة.



كارل ماركس

(1818-1883م)

كارل ماركس هو مؤسس «الاشتراكية العلمية» ولد في مدينة ترير في ألمانيا سنة 1818، أبوه محام، وفي السابعة عشرة من عمره دخل جامعة بون يوم الكريسماس وانتقل بعد ذلك إلى جامعة برلين، ثم حصل على الدكتوراه في الفلسفة من جامعة فينا.

ثم اشتغل بالصحافة وعمل رئيسا لتحرير «صحيفة الراين» في مدينة كولونيا، وبسرعة أوقعته أفكاره السياسية في مشاكل كثيرة، ولذلك انتقل إلى باريس وهناك التقى فريدريك إنجلز، وطرد من فرنسا فانتقل إلى بلجيكا. وفي بلجيكا سنة 1847 أصدر أول مؤلفاته «إفلاس الفلسفة» وفي السنة التالية أصدر هو وفريدريك إنجلز «البيان الشيوعي» ثم انتقل إلى كولونيا وطرد منها فسافر إلى لندن حيث عاش فيها حتى نهاية حياته.

وأمضى ماركس معظم الوقت يدرس ويكتب، وكان صديقه إنجلز هو الذي يعوله ماديا. وفي سنة 1867 أصدر كارل ماركس الجزء الأول من كتابه الشهير «رأس المال» وصدر الجزءان الأخيران بعد وفاته.

ولا شك أن مؤلفات كارل ماركس والأسس التي وضعها للشيوعية تعطيه مكانا بارزا في هذه القائمة ولكن ما هو المكان الذي يستحقه بالضبط؟

إن جانبا كبيرا من قيمة كارل ماركس يعتد على رأيه الخاص في الشيوعية. من المؤكد أنها أحدثت أثرا بالغا في الفكر الإنساني وفي تفسير مسار التاريخ والاقتصاد والعلاقات الاجتماعية. وبعد ما يزيد على مائة سنة من وفاة ماركس فإن عدد المؤمنين بها يزيد على عدة مئات من ملايين الناس، وهذا أكبر عدد حصل عليه أي مذهب سياسي في كل العصور. ولكن أحدا لا يستطيع أن يقطع بأن هذا المذهب الذي دبت فيه الخلافات العنيفة والتمزقات سوف يبقى طويلا، فقد حدث أن اعتقد الناس أن المانوية مذهب سوف يعيش طويلا، ولكت ذلك لم يحدث!

وفي سنة 1900 أعلنوا أن الديمقراطية البرلمانية هي الصورة المثالية للعلاقات بين الحاكم والمحكوم، ولكن سرعان ما تغيرت هذه الصورة، وظهرت أشكال وعلاقات شعبية أخرى متنوعة!

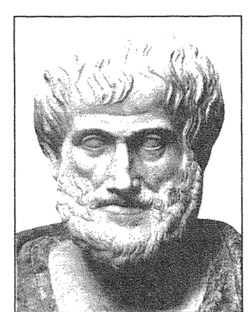
وحتى عندما نعترف بخطورة الشيوعية في العالم، فإننا يجب أن نتساءل عن أهمية كارل ماركس نفسه داخل هذا المذهب. إن الاتحاد السوفيتي (السابق) كان قد طور الشيوعية بما يجعلها تختلف تماما عن الصورة المثالية العتيقة التي كتبها كارل ماركس، بل إنها تبعد كثيرا عن الإطارات القواعد التي وضعها ماركس، فلا أثر لما كان يسميه كارل ماركس: المادية الجدلية، ولا فائض القيمة.

ويمكن أن نقول إن الشيوعية السوفيتية تدين بكثير من الفضل لستالين ولينين أكثر مما تدين به لكارل ماركس، كما أن الكثير من تعاليم ماركس قد سبقه إليها فلاسفة أوروبيون كثيرون، ولكن عبقرية كارل ماركس ظهرت في أنه ربطها ربطا جدليا حديديا، وراح ينقب في التاريخ القديم والحديث عما يدلل به على صحة نظريته في الماضي، وفي المستقبل أيضا، وقد أثبت التاريخ بهد وفاته خطأ كثير مما استنتجه.

ولكن زعماء الشيوعية قد أعلنوا جميعا أنهم قرأوا ماركس وساروا وراءه وأضافوا إليه، أعلن ذلك لينين وماوتسي تونج، تماما كما أعلن أتباع الديانات الكبرى: الإسلام والمسيحية والبوذية.

ولا شك أن فريدريك إنجلز قد شارك في تطوير أفكار كارل ماركس وخصوصا كتاب «رأس المال»، صحيح أن إنجلز كانت له كتب خاصة به، ولكن من المؤكد أن ماركس كان هو الأعمق وهو الأعظم، ولكن ليس من العدل استبعاد إنجلز عند الحديث عن كارل ماركس وأثره في الفكر السياسي العالمي.

صحيح أن الكثير من تنبؤات ماركس قد جاءت خاطئة، فهو قد تنبأ بأن الطبقة العاملة في المجتمعات الصناعية الرأسمالية سوف تزداد فقرا، فقد تأكد أن هذا خطأ، وتنبأ أيضا أن الطبقة المتوسطة سوف تزول وتنهار في أحضان الطبقة العاملة إلى الأبد، ولم يحدث ذلك. وتنبأ أيضا أن استخدام الآلات الحديثة سوف يؤدي إلى إفلاس أصحاب رؤوس الأموال، والعكس هو الصحيح تماما!



أرسطـو

(384 ق.م -322 ق.م)

أعظم فيلسوف وعالم في كل العصور القديمة. وهو الذي أسس علم المنطق، وهو الذي أثرى الفلسفة، وساهم بكثير من المبادئ والملاحظات في كل العلوم الإنسانية.

إن الكثير من نظرياته قد بطلت الآن، ولكن أخطر ما تركه أرسطو لنا هو البحث العقلي في كل شيء.

وهو الذي جعل كل شيء وكل فكرة وكل عقيدة خاضعة للعقل الإنساني، وهو الذي أكد أن الكون كله لا يخضع للصدفة أو للآلهة أو للسحر، إنما لقوانين منطقية عقلية ثابتة لا تتغير حسب رغبات الأفراد. هذا الأسلوب في التفكير هو الذي كان أساسا للحضارة الغربية ضد كل الأساليب التقليدية الصوفية السحرية الخرافية في كل العصور.

ولد أرسطو سنة 384 قبل الميلاد في مدينة سياجيرا في ولاية مقدونيا، وكان أبوه طبيبا شهيرا، وفي السابعة عشرة ذهب إلى أثينا ليتتلمذ على الفيلسوف العظيم أفلاطون، ولعل أرسطو قد تعلم الملاحظة والبحث من والده، وتعلم التأمل والتفكير الفلسفي من أستاذه أفلاطون.

وعاد أرسطو إلى مقدونيا سنة 432 قبل الميلاد ليكون أستاذا للأمير الشاب الإسكندر المقدوني، وكان عمره 13 عاما، وهو الذي عرف فيما بعد باسم الإسكندر الأكبر.

وفي سنة 335 قبل الميلاد ولي الإسكندر العرش، وعاد أرسطو إلى أثينا ليفتح مدرسة خاصة به اسمها: الليسية. وأمضى في أثينا 12 عاما. ولم يطلب الإسكندر من أستاذه أية نصيحة، ولكنه كان يعينه بالمال ليكمل أبحاثه وتعاليمه الفلسفية. وكانت هذه هي أول مرة في التاريخ يتلقى فيها عالم معونات مالية من الحكومة، وظلت آخر مرة لمئات السنين بعد ذلك!

وكان أرسطو ديمقراطيا أكثر مما يجب، هذه وجهة نظر الملك الشاب، ولذلك فقد أعدم الملك أحد أقارب أرسطو، وضايقه ذلك كثيرا. ولما قامت ثورة الإسكندر الأكبر

اتهموا أرسطو بأنه ملحد، ولما مات الإسكندر تذكر أرسطو ما الذي لحق بالفيلسوف العظيم سقراط قبل ذلك بست وعشرين سنة عندما حكم عليه بالموت بالسم، وهرب أرسطو قائلا: لن أسمح لأثينا أن ترتكب خطيئة ثانية ضد الفلسفة! ومات أرسطو في منفاه بعد ذلك بشهور في الثانية والستين من عمره.

وقد ألف أرسطو مائة وسبعين كتابا، احتفظ التاريخ بسبعة وأربعين منها فقط، وعدد هذه الكتب لا يهم كثيرا، إنما الأثر العميق الذي ليس له مثيل في تاريخ الحضارة الإنسانية هو الذي كان له كل الوزن والقيمة.

فقد كانت أصالته مذهلة، وأبحاثه العلمية موسوعة كاملة. فقد كتب عن الفلك وعلم الحياة وعلم الأجنة والجغرافيا والجيولوجيا والفيزياء والتشريح ووظائف الأعضاء وكل مجال من مجالات العلوم في ذلك الوقت، وأبحاثه العلمية تضم ما جمعه كثير من مساعديه في ذلك الوقت، ولكن النتائج هي من استخلاصه وصياغته هو.

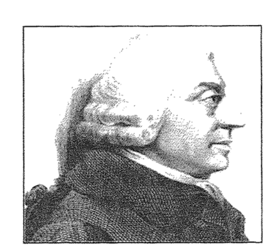
وهو في الفلسفة أستاذ ومفكر عظيم، كتب في «ما بعد الطبيعة» وعلم النفس والأخلاق وعلم الجمال واللاهوت والاقتصاد والسياسة. وهو الذي أسس علم المنطق، وهو الذي كتب في الخطابة وكتب عن الدساتير، وقد وقع في أخطاء كثيرة، ولكن هذه الأخطاء لا أثر لها إذا ما قورنت بالحقائق الرائعة التي اهتدى إليها في كل شيء.

وأخطر من هذا كله الأثر الذي تركته فلسفة أرسطو في الحضارة الغربية والشرقية لدرجة أن أحدا لم يستطع أن يفلت من سيطرته على العقول.

وقد حاول الفيلسوف الإسلامي ابن رشد أن ينقله ويضيف إليه، كما حاول الفيلسوف اليهودي موسى بن ميمون أن ينقله، وأن يمشي على ضوئه في تفسير الديانة اليهودية وآثارها.

وقد ترجمت مؤلفات أرسطو إلى كل اللغات، وتركت أعمق الأثر، بل إنها كانت عقبة ضد التفكير الفلسفي، رغم أن أرسطو كان يدعو إلى التفكير وإلى التحرر من القوالب التقليدية للفكر.

وكانت له أفكار كثيرة خاطئة، فهو يرى أن الرق أو الاستعباد ضروري وطبيعي، وهو يرى أن المرأة متخلفة في تفكيرها وتكوينها عن الرجل، ولكنه على حق عندما قال إن النقد هو أبو الثورات، وأن الحضارة تبدأ بتعليم الشباب.



آدم سميث

(1723-1790م)

الرجل الذي قام بتطوير النظريات الاقتصادية قد ولد في مدينة كيركلادي في اسكتلندا.

درس في جامعة أكسفورد، ومن عام 1751 حتى عام 1754 كان أستاذا للفلسفة في جامعة جلاسكو. وأثناء تدريسه للفلسفة أصدر كتابه «نظرية المواطن الأخلاقية» وعلى هذا الكتاب قامت شهرته بين المثقفين في ذلك الوقت.

ولكن عظمته قد قامت على كتابه الشهير «البحث عن طبيعة وأسباب ثروة الأمم» وقد نشر هذا الكتاب سنة 1776، وقد نجح هذا الكتاب فور صدوره، وظل آدم سميث يتمتع بشهرة هذا الكتاب مدى حياته. وتوفي آدم سميث في المدينة التي ولد فيها ولم يتزوج.

ولم يكن آدم سميث هو الوحيد الذي تفرغ تماما لتطوير النظرية الاقتصادية، كما أن الكثير من آرائه لم تكن جديدة تماما، ولكنه كان أول من قدم مذهبا اقتصاديا متكاملا، يصلح أن يكون أساسا لأي تقدم في مجال الاقتصاد.

ويمكن أن يقال إن كتابه «ثروة الأمم» هو نقطة البداية لدراسة الاقتصاد السياسي الحديث.

ومن أهم نتائج هذا الكتاب أنه قام بتصحيح كثير من الأفكار الخاطئة في الاقتصاد. وقد عارض آدم سميث النظرية التجارية القديمة، كما عارض نظريات الاقتصاديين الزراعيين الذين يرون أن الأرض وحدها هي مصدر القيمة، وإنما أكد سميث أهمية العمل، كما أنه هاجم كل العوائق التي وضعتها الحكومات ضد التوسع الصناعي.

أما جوهر كتاب «ثروة الأمم» فهو أن ما نسميه فوضى السوق الحرة ليس إلا جهازا دقيقا يقوم بتنظيم نفسه بنفسه، وأن السوق تقوم بتنظيم بيع وعرض ما يحتاج إليه الناس.

مثلا: لو فرضنا أن بعض السلع قد نقصت من السوق، فسوف يرتفع سعرها، وأن السعر المرتفع سوف يؤدي إلى كسب أكيد لمن ينتجون هذه السلعة. وبسبب هذا الكسب

الكبير سوف يحاول آخرون إنتاج نفس السلعة، وكثرة الإنتاج سوف تؤدي إلى وفرة السلعة المعروضة، والتنافس بين المنتجين سوف يؤدي إلى أن تصبح هذه السلعة في متناول عدد كبير من الناس مما يؤدي إلى انخفاض سعرها حتى تصل إلى سعرها الطبيعي، أي ثمن التكلفة، ولم يتدخل أحد لخفض الأسعار، ولكن حيوية السوق والإنتاج والمنافسة والعرض والطلب هي التي قامت بكل العمل، وهكذا نرى أن المشكلة قد حلت نفسها بنفسها.

ويقول آدم سميث إن كل إنسان يبحث عن مكسبه ولكنه مسوق دون أن يدري إلى تحقيق هدف لم يكن في حسابه، والإنسان في حرصه المستمر على أن يحقق هدفه الخاص فإنه أيضا يحقق أهداف المجتمع حتى لو لم يكن ذلك في نيته.

وهذه القوة الحقيقية التي تدفع الإنسان إلى أن يحقق رغبته ورغبة المجتمع من الممكن أن لا تتم إذا وضعنا أمامها العقبات، ولذلك فآدم سميث يؤمن بحرية التجارة، ويرفض التعريفات الجمركية الباهظة، ويعارض تدخل الحكومات في التجارة وفي حركة السوق، وهذا التدخل الحكومي يؤدي إلى عجز الحركة التجارية والإنتاج، ويؤدي في النهاية إلى أن يدفع المستهلكون أثمانا أكبر.

وبعض الناس تثور أن آدم سميث كان معنيا بالكسب التجاري فقط، ولكن هذا ليس صحيحا، بل إنه هاجم الاحتكارات وبمنتهى الوضوح والعنف.

يقول آدم سميث في كتابه ثروة الأمم: إن أبناء التجارة الواحدة من النادر أن يدور بينهم حوار لا ينتهي بالتآمر على المستهلكين عن طريق رفع أسعار السلع.

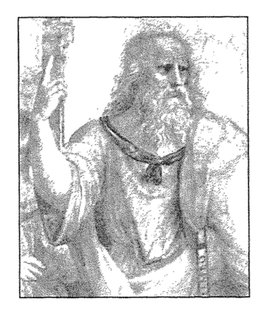
وآدم سميث قد عرض لكثير من الأفكار الاقتصادية التي سبقته، ولكنه استطاع أن ينسقها وأن ينظم فيها مذهبا اقتصاديا سياسيا متكاملا. وجاء من بعده فلاسفة آخرون صوبوا أخطاءه وسددوا خطاه مثل الأب توماس مالتوس والعالم الاقتصادي ريكاردو. ومن المؤكد أن النظريات الاقتصادية لكارل ماركس ليست إلا استمرارا لنظريات آدم سميث.

وكتاب «ثروة الأمم» تنبأ بنظريات مالتوس عن تزايد السكان في العالم وأثره على الحياة العامة للبشرية، وبينما رأى كل من كارل ماركس وريكاردو أن الضغط الشعبي يحول دون ارتفاع الأجور، فإن آدم سميث رأى أن زيادة الإنتاج تؤدي إلى ارتفاع الأجور، وقد أثبتت الأيام بعد ذلك أن آدم سميث كان على صواب في هذه النقطة بينما

أخطأ كل من ماركس وريكاردو. وكان لآدم سميث أيضا أثره في التشريع وتدخل الحكومات.

وقد كتب سميث كتاب «ثروة الأمم» بمنتهى الوضوح والقدرة على الإقناع، وكان في متناول الكثيرين، وكان لنظريته بعدم تدخل الدولة في التجارة أو في حرية السوق أثرها الكبير طوال القرن التاسع عشر، ولا يزال أثره ملموسا حتى اليوم.

ولما كان الكثير من نظرياته قد تغيرت، ولما كان أثره قد تضاءل، فمن السهل أن تنظر إلى آدم سميث على أنه لا يستحق هذه المكانة المتقدمة في قائمة الخالدين، ولكن لأنه استطاع أن ينسق أفكاره وأفكار الآخرين في بناء منطقي متكامل، فإنه استحق هذا التقدير العظيم.



أفلاطون

(427-370 ق.م)

إنه الفيلسوف الإغريقي أفلاطون بداية فلسفة الغرب السياسية، وكذلك بداية الفكر الأخلاقي والإلهي. وقد درس العالم كله أفكار هذا الرجل أكثر من 2300 سنة، وهو لذلك يعتبر أعظم آباء الفكر الغربي كله.

ولد من أسرة غنية في مدينة أثينا، وهو شاب صغير عرف الفيلسوف سقراط وظل صديقا له ومتحدثا باسمه. وفي سنة 399 ق.م. حوكم سقراط، وكان في السبعين من عمره، بتهمة إفساد عقول الشباب وتم إعدامه، وقد ترك هذا الإعدام أثرا سيئا في نفس أفلاطون الذي احتقر الحكم الديمقراطي حتى الموت، فقد أعدمت الديمقراطية رجلا وصفه أفلاطون بأنه أحكم الناس وأعدلهم وأعظمهم جميعا.

وترك أفلاطون مدينة أثينا بعد ذلك، وأمضى عشرا أو اثنتي عشرة سنة في الخارج، وحتى 387 ق.م. عاد أفلاطون إلى أثينا وأسس مدرسة هناك وسماها الأكاديمية، وظلت هذه الأكاديمية تؤدي عملها أكثر من تسعة قرون. وكان من أشهر تلامذته فيلسوف عظيم هو أرسطو. فقد جاء إلى هذه الأكاديمية وهو في السابعة عشرة من عمره، وكان أفلاطون في الستين من عمره، وتوفي أفلاطون سنة 347 في الثمانين من عمره.

وألف أفلاطون 36 كتابا أكثرها عن السياسة والأخلاق وكذلك عن أمور ما بعد الطبيعة وعن الإلهيات. وليس في الإمكان تلخيص هذه الكتب هنا، ولكن يمكن التعرض لأهم كتبه السياسية وهو كتاب «الجمهورية»، ففي هذا الكتاب يعرض أفلاطون المجتمع المثالي الذي يحلم به.

ويرى أفلاطون أن أحسن الحكومات هي المجتمع الأرستقراطي، وهو لا يعني بذلك أن يحكمنا الأرستقراطيون أو الملوك الذين يتوارثون العرش، إنما يقصد الأرستقراطية الفكرية أي حكم يتولاه أحسن الناس وأحكم الناس. وهؤلاء الناس يتم اختيارهم لا عن طريق الانتخابات أو الاستفتاء وإنما عن طريق الاختيار المتبادل للحكماء

أنفسهم. وهؤلاء الناس المختارون وهم حراس الدولة يجب أن يختاروا آخرين إلى مصاف الحكومة ويكون الاختيار على أساس القيمة الحقة للإنسان.

ويرى أفلاطون أن الرجال والنساء يجب إعطاؤهم فرصا متكافئة في إدارة شؤون الدولة، وأفلاطون هو أول فيلسوف يقرر المساواة بين الرجل والمرأة. ولكي تكون الفرصة واحدة أمام الجميع رأى أن تتولى الدولة تربية الأطفال، وهؤلاء الأطفال يجب أن يتلقوا تعليما رياضيا بدنيا ولا يصح تجاهل الموسيقى والرياضيات أيضا، ويجب إجراء الامتحانات في كل مرحلة من مراحل نمو الأطفال، والطلبة الفاشلون يجب تحويلهم إلى دراسة الاقتصاد، أما الطلبة الناجحون فالدولة تمضي في تعليمهم، كأن يتعلموا إلى جانب الدروس العادية موضوعات الفلسفة.

وفي سن الخامسة والثلاثين وبعد أن يثبت هؤلاء الطلبة كفاءتهم العظيمة فإننا يجب أن نعلمهم 15 سنة أخرى فن الإدارة العملية لشؤون الدولة، الناجحون فقط هم الذين يحق لهم أن يقوموا بوظيفة حراس المدينة، أو حراس الدولة.

وهذه الوظيفة لا تروق لكل الناس، إنما بعض الناس هم الذين يفضلون هذا العمل على أي شيء آخر. لأن حارس المدينة يجب أن لا يكون غنيا، ولا يسمح له إلا بقدر قليل من امتلاك الأشياء والأموال، ويتقاضى مرتبا محدودا ضئيلا، ولا يحق له أن يملك شيئا مصنوعا من الذهب أو الفضة، ولا تكون له حياة خاصة، وإنما كل حراس المدينة يجب أن يعيشوا معا، يأكلون معا ويشربون معا.

هؤلاء هم الملوك الفلاسفة، أي العقلاء الذين يتفرغون تماما لحكم الدولة وإدارة شؤونها، فإذا حدث ذلك فهذه هي الجمهورية الفاضلة أو الدولة المثالية.

وقد ظل هذا الكتاب في أيدي الناس يقرأونه ويتأملونه 23 قرنا، وعلى الرغم من تنوع أشكال الحكم منذ أيام أفلاطون حتى اليوم، فإن أحدا لم يتبع سياسة هذه الدولة المثالية التي كان يحلم بها أفلاطون. ولم تكن هذه الدولة الأفلاطونية أساسا لأي نظام من هذه النظم. فهل يمكن أن يقال إن هذه الأفكار التي ننظر إليها باحترام، قد تجاهلها المفكرون والساسة في كل العصور؟

من العدل أن يقال إن بعض الحكومات الأوروبية كانت صورة متواضعة من حكومة أفلاطون، فهناك تشابه بين وضع الكنيسة الكاثوليكية في العصور الوسطى وبين

الطبقة الحارسة في جمهورية أفلاطون. فالكنيسة الكاثوليكية تتكون من قساوسة يختارون أنفسهم، وكلهم قد تدرب على دراسة الفلسفة، فهم جميعا دون تمييز في الطبقة أو اللون قد دخلوا المدارس اللاهوتية - وإن كانت المرأة مستبعدة - ولم تكن لهؤلاء القساوسة عائلات خاصة، وإنما كانوا يعيشون معا، تماما كما تصور أفلاطون. وكذلك دور الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفيتي السابق كثيرا ما قورن بطبقة حراس الدولة في جمهورية أفلاطون، وهناك تشابه كبير بين واضعي الدستور الأمريكي وحكماء أفلاطون، كما أن الدستور كان يهدف إلى اكتشاف المواهب التي تصلح لإدارة شؤون الشعب الأمريكي.

وإذا كان أفلاطون قد جاء ترتيبه تاليا على ترتيب تلميذه أرسطو، فلأن أرسطو كان فيلسوفا له عقلية علمية، فقد كان من العلماء الهامين جدا في الفكر الإنساني. كما أن أفلاطون قد جاء ترتيبه أعلى من مفكرين آخرين مثل جون لوك الإنجليزي وتوماس جفرسون الأمريكي وفولتير الفرنسي، وسبب ذلك أن أفكار هؤلاء قد أثرت على الفكر الأوروبي قرابة قرنين أو ثلاثة قرون، بينما أثرت أفكار أفلاطون على الحضارة الغربية كلها ثلاثة وعشرين قرنا.



ألبير كامو

(1960 - 1913)

ألبير كامو، مؤلف وفيلسوف فرنسي، ولد يوم 7 نوفمبر 1913 بمدينة الذرعان بالجزائر وتوفي يوم 4 يناير 1960 وواحد من النجوم الاجتماعيين لتيار الوجودية (مع جان بول سارتر).

كامو كان ثاني أصغر حائز على جائزة نوبل بعد روديارد كبلنغ، كما انه اصغر من مات من كل الحائزين على جائزة نوبل.

ولد كامو في الجزائر، إبان الاحتلال الفرنسي، لعائلة من المستوطنين الفرنسيين. كانت والدته تعود لأصول أسبانية، وتوفي والده في الحرب العالمية الأولى. عاش كامو في ظروف من الفقر والعوز في الجزائر.

أثناء دراسته الجامعية في الجزائر التقط كامو مرض السل واثر ذلك على نشاطاته الرياضية والدراسية. وعمل خلال سني دراسته في أعمال يدوية بسيطة. حصل على إجازته في الفلسفة عام 1935م، وفي العام اللاحق قدم بحثه في الأفلاطونية الجديدة.

التحق كامو بالحزب الشيوعي الفرنسي عام 1934م، وذلك مساندة للوضع السياسي في اسبانيا (والذي أدى إلى الحرب الأهلية الإسبانية) أكثر مما كان إيمانا بالماركسية - اللينينية.

في عام 1936م شارك كامو في نشاطات شيوعية جزائرية تنادي بالاستقلال، ولم يعجب ذلك رفاقه في الحزب الشيوعي الفرنسي الذين وصموه بالتروتسكية، الأمر الذي عزز انفصامه عن العقيدة الستالينية.

عمل بشكل متقطع في المسرح والصحافة وقد كتب أثناء عمله الصحفي عن ظروف العرب السيئة الأمر الذي كلفه وظيفته.

في الفترة الأولى من الحرب العالمية الثانية، كان ألبير كامو من دعاة السلم، لكن فيما بعد، وبالذات عندما اعدم النازيون جابرييل بيري، تبلور موقفه من المقاومة ضد

الاحتلال النازي وانضم إلى خلية «الكفاح»، وعمل محررا لجريدة تحمل نفس الاسم. وكان أحد المؤسسين لجريدة الجزائر الجمهورية ومن طاقمها الصحفي.

في هذه الفترة، وتحديدا في عام 1942م انتقل إلى بوردو، وأنهى في هذه السنة بالذات أول مؤلفاته «الغريب وأسطورة سيزيف». في العام 1943 التقى بالفيلسوف المعروف جان بول سارتر في افتتاح مسرحية الذباب التي كتبها الأخير، ونشأت بينهما صداقة عميقة نتيجة تشابه الأفكار بينهما وإعجاب كل منهما بالآخر الذي كان قبل اللقاء بسنوات وذلك من خلال قراءة كل منهما كتابات الآخر.

مع نهاية الحرب، ظل كامو رئيسا لتحرير جريدة الكفاح، إلى أن فقدت مغزاها النضالي وصارت مجرد جريدة تجارية، فتركها عام 1947م، وصار مقربا أكثر من دائرة سارتر، وصار أهم أعضاء حاشية سارتر في جادة السان جرمان. كما انه قام بجولة في الولايات المتحدة وقدم عدة محاضرات عن الوجودية. ورغم أنه حسب على اليسار السياسي إلا أن انتقاداته المتكررة للستالينية أكسبته عداء الشيوعيين، وعزلته لاحقا حتى عن سارتر.

في عام 1949م عادت إليه آثار مرض السل وعزلته في مصح لمدة عامين. وفي عام 1951م نشر كتابه «التمرد» الذي قدم فيه تحليلا فلسفيا للتمرد والثورة، وأعلن فيه رفضه الصريح للشيوعية، الأمر الذي اغضب الكثير من زملائه وأدى إلى انفصاله النهائي عن سارتر. الاستقبال القاسي الذي استقبل به هذا الكتاب ادخله في كآبة وعزلة، واتجه، بدلا من الإنتاج والتأليف، إلى ترجمة المسرحيات.

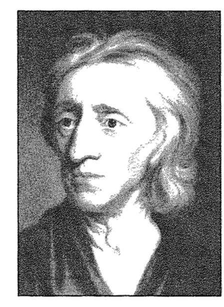
أهم انجازات كامو الفلسفية كانت فكرة العبث أو اللامعقول: الفكرة الناتجة عن حاجتنا إلى الوضوح والمعنى في عالم مليء بظروف لا تقدم لا الوضوح ولا المعنى. وهي الفكرة التي أبدع في تقديمها في أسطورة سيزيف، وفي الكثير من أعماله الأدبية. البعض يرى أن كامو لم يكن وجوديا بقدر ما كان عبثيا.

في عقد الخمسينات من القرن العشرين تفرغ كامو للعمل الإنساني. وفي عام 1952 استقال من منصبه في منظمة اليونسكو احتجاجا على قبول الأمم المتحدة لعضوية أسبانيا وهي تحت حكم الجنرال فرانكو. كما أن انتماءه لليسار لم يمنعه من انتقاد السوفييت بسبب الطريقة التي قمعت بها انتفاضة العمال في برلين الشرقية عام 1953. كما انتقد نفس الأمر في المجر في عام 1956.

الثورة الجزائرية التي اندلعت عام 1954 سببت لكامو حيرة نفسية أمام معضلة أخلاقية. كان كامو يتصور إمكانية حصول حكم ذاتي في الجزائر، أو حتى حصول العرب على فيدرالية خاصة بهم، لكنه لم يتصور فكرة الاستقلال التام. كانت تلك الأفكار مرفوضة من الجانبين، لكن ذلك لم يمنعه من مساعدة السجناء الجزائريين - سرا - والذين كانوا يواجهون عقوبة الإعدام في السجون الفرنسية في الجزائر.

في الفترة بين 1955 و 1956 كتب لصحيفة الاكسبريس، وفي السنة اللاحقة حاز على جائزة نوبل في الآداب، ليس من اجل كتابه (السقطة) الذي صدر في السنة السابقة، ولكن من اجل سلسلة مقالات كتبها وانتقد فيها عقوبة الإعدام.

توفي كامو في حادث سيارة في الرابع من حزيران - 4 يونيو 1960. ومن السخرية أنه كان قد علق في أوائل حياته الأدبية، أن أكثر موتٍ عبثية يمكن تخيله هو الموت في حادث سيارة.

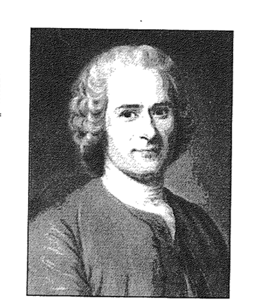


باروخ سبينوزا

(1632-1677م)

ولد سبينوزا في عام 1632م في أمستردام، هولندا، عن عائلة برتغالية تنتمي إلى طائفة المارنيين. كان والده تاجرا ناجحا ولكنه متزمت للدين اليهودي، فكانت تربية باروخ أرثوذوكسية، ولكن طبيعته الناقدة والمتعطّشة للمعرفة وضعته في صراع مع المجتمع اليهودي. درس العبرية والتلمود في يشيبا (مدرسة يهودية) من 1639 حتى 1650م. في آخر دراسته كتب تعليقا على التلمود. وفي صيف 1656 نُبذ سبينوزا من أهله ومن الجالية اليهودية في أمستردام بسبب إدّعائه أن الله يكمن في الطبيعة والكون، وأن النصوص الدينية هي عبارة عن استعارات ومجازات غايتها أن تعرّف بطبيعة الله. بعد ذلك بوقت قصير حاول أحد المتعصبين للدين طعنه. من 1656 حتى 1660 اِشتغل كنظّارتي لكسب قوته. ثم من 1660 حتى 1663 أسس حلقة فكر من أصدقاء له وكتب نصوصه الأولى. من 1663 حتى 1670 أقام في بوسبرج وثم بعد نشر كتابه رسالة في اللاهوت والسياسة سنة 1670 ذهب ليستقرّ في لاهاي حيث اِشتغل كمستشار سرّي لجون دو ويت. في سنة 1676 تلقّى زيارة من الفيلسوف الألماني «لايبنيتز». توفّي سبينوزا 1677 في 21 أبريل.

عرف فلاسفة العرب واليهودي ومؤلفات ديكارت وكتب «مقالة في إصلاح الإدراق» (1662). صدر له أثناء حياته «مبادئ فلسفة ديكارت» 1664 و«رسالة في اللاهوت والسياسة» 1670. امتاز باستقامة أخلاقه وخطّ لنفسه نهجا فلسفيّا يعتبر أنّ الخير الأسمى يكون في «فرح المعرفة» أي في «اتحاد الروح بالطبيعة الكاملة»، ويظهر في فكره تأثره بالفيلسوفين الحلاج وابن العربي. والله في نظره جملة صفات لا حدّ لها نعرف منها الفكر. ويرى أنّ أهواء الإنسان الدينية والسياسيّة هي سبب بقائه في حالة العبوديّة. لقد ألف هذا الفيلسوف كتاباً مهماً بعنوان «رسالة في اللاهوت والسياسة»، شرح مضمونها بقوله: وفيها تتم البرهنة على أن حرية التفلسف لا تمثل خطراً على التقوى (الدين) أو على سلامة الدولة، بل إن في القضاء عليها قضاءً على سلامة الدولة وعلى التقوى ذاتها في آن واحد.



جان جاك روسو

(1712- 1778م)

ولد جان جاك روسو من عائلة فرنسية الأصل في مدينة جنيف في سويسرا عام 1712. تميزت حياة روسو ومنذ ولادته بالشقاء والتشرد والتعاسة، فبعد ولادته بأسبوع توفيت والدته لتتركه يتلقى العناية من الآخرين. وفي وصف شخصيته التعسة نراه يتذكر في كتاب «الاعترافات»: «لقد ولدت ضعيفاً ومريضاً، وقد دفعت والدتي حياتها ثمن ولادتي، هذه الولادة التي كانت أول مصائبي».

لم يبلغ السادسة من عمره إلا وكان أبوه يحمله على قراءة القصص الروائية والكتب الفلسفية مثل خطاب عن التاريخ العام من تأليف بوسويه ومحاورات الموتى لفونتينيل وبعض مؤلفات فولتير وبلوتارك.

بعد دخول والده في مشاجرة عنيفة واعتدائه بالضرب على الغير واضطراره للهرب من جنيف خوفاً من ملاحقة العدالة له، بدأت حياة الشقاء والتشرد تلاحق روسو لتبني شخصيته المعقدة. فقد أدخل في مدرسة بقي فيها سنتين اضطر لتركها بعد أن أخضع ظلماً لعقاب صارم. وبعد المدرسة وضع ليتعلم على أيدي أحد النقاشين حرفة النقش ولكن ظلم معلمه وجوره اضطراه للهرب من جنيف ليقيم عند سيدة محسنة في مدينة آنسي الفرنسية، والتي بدورها دفعته للتخلي عن المذهب البروتستانتي واعتناق المذهب الكاثوليكي وهو في السادسة عشرة من عمره. وبعد ذلك وبسبب حاجته للمال أخذ روسو ينتقل من عمل لآخر دون أن يجد ما يرضيه أو يوفر له الاستقرار، فمن سكرتير عند سيدة عجوز وحاجب عند آخر إلى مؤلف ومدرس موسيقى ومن ثم إلى منصب سكرتير لسفير فرنسا في البندقية والذي سرعان ما قدم استقالته من عنده ليعود إلى باريس ليعمل سكرتيراً ومن ثم في التنقيح الموسيقي.

خلال إقامته في باريس وبعد أن وثق علاقته بنخبة المجتمع الباريسي اشترك روسو بمسابقة علمية أقامتها أكاديمية ديجو حول دور النهضة العلمية والفنية في إفساد الأخلاق

أو إصلاحها. فما كان من مقالته التي اشترك فيها في المسابقة وهي «خطاب في العلوم والفنون» إلا أن نالت الجائزة لعام 1750 وهذا ما جلب لروسو الشهرة الواسعة مما شجعه على المضي في الكتابة، فاشترك بمسابقة علمية حول أصل التفاوت بين الناس، فوضع مقالة بعنوان «خطاب في التفاوت بين الناس» عام 1755. وفي عام 1756 بدأ إكمال مؤلفه هيلويز، وبدأ بكتابة مؤلفيه الشهيرين «العقد الاجتماعي» و «إميل» اللذين نشرهما عام 1762، ثم نشر قاموس الموسيقى في عام 1767.

بالرغم من أن مؤلفات روسو لاقت الشهرة الواسعة والإقبال الشديد على قراءتها عبر الأرجاء الأوروبية، فإن كتابيه «العقد الاجتماعي» و «إميل» قد جلبا له الانتقاد والسخط وغضب المؤمنين والملحدين، المسيحيين والفلاسفة. فقد حكم برلمان باريس، وبعد عشرين يوماً فقط، بحرق الكتابين وسجن مؤلفهما مما اضطره إلى الهرب إلى سويسرا والتي بدورها كانت قد أصدرت حكماً مماثلاً على الكتابين. فلجأ روسو إلى إنجلترا حيث تعرف هناك على دافيد هيوم ونزل ضيفاً عليه ولكنه ما لبث أن تخاصم مع هيوم وعاد إلى فرنسا ليعمل كناسخ نوتات حتى وفاته في عام 1778.

في مؤلفه العقد الاجتماعي يقول جان جاك روسو: ولد الإنسان حرا إلا أنه مكبل في كل مكان بالأغلال. على ذلك النحو يتصور نفسه سيد الآخرين الذي لا يعدو أن يكون أكثرهم عبودية. فكيف جرى هذا التغيير؟ أجهل ذلك. وما الذي يمكنه أن يجعله شرعيا؟ أعتقد أنني أستطيع حل هذه المسألة.

ولو كنت لا أولي اعتباراً إلا للقوة لقلت: ما دام أي شعب يُكرَه على الطاعة وأنه يطيع، فانه يحسن صنعا، وما أن يستطيع خلع نير الطاعة ثم يخلعه فعلا، فانه يحسن صنعا أكثر: إذ يكون قد استعاد حريته بنفس الحق الذي سلبت منه به، أو أنه يكون موطد العزم على استردادها، أو أنه لم يكن ثمة من يستطيع أن ينتزعها منه. على النظام الاجتماعي حق مقدس، بمثابة أساس لجميع الحقوق الأخرى، ومع ذلك فان هذا الحق لا يصدر قط عن الطبيعة، انه إذن مبني على تعاقدات. إلا أنني قبل الاستطراد بالبحث في ذلك يجب علي أن أثبت ما قدمت.

إن الأقوى لا يبقى أبدا على جانب كاف من القوة ليكون دائما هو السيد إن لم يحول قوته إلى حق، والطاعة إلى واجب. وما كان حق الأقوى، وهو حق أُخذ على محمل السخرية

في الظاهر وفي حقيقة الأمر، أُقر كمبدأ. ولكن أفلا ينبغي أن يفسر لنا أحدهم هذه الكلمة. إن القوة هي قدرة مادية لست أرى أية أخلاقية يمكن أن تنتج عن آثارها. فالخضوع للقوة هو فعل من أفعال الضرورة، لا من أفعال الإرادة، إنه على الأكثر فعل يمليه الحرص. فبأي معنى يمكنه أن يكون واجبا؟

لنفترض لحظة وجود هذا الحق المزعوم. فإنني أقول بأنه لا ينجم عن هذا الافتراض إلا هراء لا يمكن تفسيره. إذ ما إن تكون القوة هي التي تصنع الحق حتى يتغير المعلول مع تغير العلة. فكل قوة جديدة تتغلب على الأولى ترث حقها. وما إن نتمكن من خلع الطاعة بلا عقاب حتى يصبح في مكنتنا فعل ذلك شرعيا. وما دام الأقوى على حق دائما تصبح بغية المرء أن يعمل بحيث يكون هو الأقوى. فما قيمة حق يتلاشى بتلاشي القوة؟ فإذا وجبت الطاعة بالقوة فلا حاجة للطاعة بالواجب، وإذا لم يقسر المرء على الطاعة فانه لا يكون ملتزما بها. وهكذا نرى إذن أن كلمة حق هذه لا تضيف شيئا إلى القوة، فهي هنا لا تعني شيئا البتة.

أطيعوا السلطات، فإذا كان هذا يعني الخضوع للقوة يكن التعليم جيدا، إلا أنه لا حاجة له وجوابي أنه سوف لا تنتهك حرمته أبدا. وأنا أعترف بأن كل قوة تأتي من الله، لكن كل مرض يأتي منه كذلك. فهل يعني ذلك أن يكون ممنوعا اللجوء إلى الطبيب؟ لئن فاجأني قاطع طريق في ركن من غابة: فلا يجب إعطاؤه نقودي بالقوة فحسب، ولكن هل أكون مجبرا، بصراحة، عندما يمكنني إخفاؤها عنه، على تسليمها إليه؟ ذلك أن المسدس الذي يمسك به هو بالتالي قوة كذلك. لنعترف إذن بأن القوة لا تصنع حقا وإننا لسنا ملزمين بالطاعة إلا للسلطات الشرعية. وهكذا نعود دائما إلى طرح سؤالي الأولي.

حيث إنه ليس لإنسان سلطة طبيعية على أقرانه وان القوة لا تنتج أي حق، فإن الاتفاقات تبقى إذن هي الأساس لكل سلطة شرعية بين البشر.

هكذا فان حق الاستعباد، من أية زاوية نظرنا إلى الأمور، حق باطل، ليس فحسب لأنه غير شرعي وإنما لأنه محال ولا يعني شيئا. إن هذين اللفظين: «استعباد» و «حق» لفظان متناقضان، أحدهما ينفي الآخر. وسواء أكان الأمر من إنسان لإنسان أم من فرد لشعب، فانه لمن البلاهة دائما أن نقول: «إنني اعقد معك اتفاقا كله على حسابك وكله في صالحي وسأنفذه طالما يروق لي وانك ستنفذه طالما يروق لي».

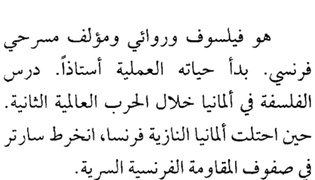
يعتبر روسو أهم كاتب في عصر العقل. وهو فترة من التاريخ الأوروبي، امتدت من أواخر القرن السابع عشر إلى أواخر القرن الثامن عشر الميلاديين. وقد ساعدت فلسفته في تشكيل الأحداث السياسية، التي أدت إلى قيام الثورة الفرنسية. حيث أثرت أعماله في التعليم والأدب والسياسة.

قام روسو بانتقاد المجتمع في رسائل عديدة. ففي رسالته تحت عنوان: بحث في منشأ وأسس عدم المساواة (1755م)، هاجم المجتمع والملكية الخاصة باعتبارهما من أسباب الظلم وعدم المساواة. وكتابه هلويز الجديد (1761م) مزيج من الرواية الرومانسية والعمل الذي ينتقد بشدة زيف المبادئ الأخلاقية التي رآها روسو في مجتمعه. وفي كتابه العقد الاجتماعي (1762م)، وهو علامة بارزة في تاريخ العلوم السياسية، قام روسو بطرح آرائه فيما يتعلق بالحكم وحقوق المواطنين. وفي روايته الطويلة إميل (1762م) أعلن روسو أن الأطفال، ينبغي تعليمهم بأناة وتفاهم. وأوصى روسو بأن يتجاوب المعلم مع اهتمامات الطفل. وحذر من العقاب الصارم ومن الدروس المملة، على أنه أحس أيضًا بوجوب الإمساك بزمام الأمور لأفكار وسلوك الأطفال. كان روسو يعتقد أن الناس ليسوا مخلوقات اجتماعية بطبيعتهم، معلنًا أن من يعيشون منهم على الفطرة معزولين عن المجتمع، يكونون رقيقي القلب، خالين من أية بواعث أو قوى تدفعهم إلى إيذاء بعضهم بعضًا. ولكنهم ما إن يعيشوا معًا في مجتمع واحد حتى يصيروا أشرارًا. فالمجتمع يُفسد الأفراد من خلال إبراز ما لديهم من ميل إلى العدوان والأنانية. لم يكن روسو ينصح الناس بالعودة إلى حالة من الفطرة. بل كان يعتقد أن الناس بوسعهم أن يكونوا أقرب ما يكونون إلى مزايا هذه الحالة، إذا عاشوا في مجتمع زراعي بسيط، حيث يمكن أن تكون الرغبات محدودة، والدوافع الجنسية والأنانية محكومة، والطاقات كلها موجهة نحو الانهماك في الحياة الجماعية. وفي كتاباته السياسية، رسم روسو الخطوط العريضة للنظم التي كان يعتقد أنها لازمة لإقامة ديمقراطية يشارك فيها كافة المواطنين. يعتقد روسو أن القوانين يتعيّن عليها أن تعبر عن الإرادة العامة للشعب. وأي نوع من الحكم يمكن أن يكتسب الصفة الشرعية مادام النظام الاجتماعي القائم إجماعيًا. واستنادًا إلى ما يراه روسو، فإن أشكال كافة الحكم تتجه في آخر الأمر إلى الضعف والذبول. ولا يمكن كبح التدهور إلا من خلال الإمساك بزمام المعايير الأخلاقية، ومن خلال إسقاط جماعات المصالح الخاصة. وقد تأثر روبسْبيير وغيره من زعماء الثورة الفرنسية بأفكار

روسو بشأن الدولة، كما أن هذه الأفكار كانت مبعث إلهام لكثير من الاشتراكيين وبعض الشيوعيين.

وقد مهدت أفكار روسو لقيام الرومانسية، وهي حركة سيطرت على الفنون في الفترة من أواخر القرن الثامن عشر إلى منتصف القرن التاسع عشر الميلاديين؛ فلقد ضرب روسو، سواء في كتاباته أو في حياته الشخصية، المثل على روح الرومانسية، من خلال تغليبه المشاعر والعواطف على العقل والتفكير، والنزوة والعفوية على الانضباط الذاتي. وأدخل روسو في الرواية الفرنسية الحب الحقيقي المضطرم بالوجدان، كما سعى إلى استخدام الصور الوصفية للطبيعة على نطاق واسع، وابتكر أسلوبًا نثريا غنائيًا بليغًا. وكان من شأن اعترافاته أن قدمت نمطًا من السير الذاتية التي تحوي أسرارًا شخصية.





جان بول سارتر

(1905-1980 م)

هو فيلسوف وروائي ومؤلف مسرحي فرنسي. بدأ حياته العملية أستاذاً. درس الفلسفة في ألمانيا خلال الحرب العالمية الثانية. حين احتلت ألمانيا النازية فرنسا، انخرط سارتر في صفوف المقاومة الفرنسية السرية.

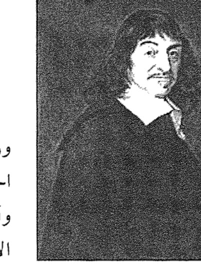
بعد الحرب أصبح رائد مجموعة من المثقفين في فرنسا. وقد أثرت فلسفته الوجودية، التي نالت شعبية واسعة، على معظم أدباء تلك الفترة. منح جائزة نوبل للآداب عام 1964. تميزت شخصياته بالانفصال عنه وبدت وكأنها موضوعات جدال وحوار أكثر منها مخلوقات بشرية، غير أنه تميز بوضع أبطاله في عالم من ابتكاره.

لم يكن سارتر مؤلفاً مسرحياً محترفاً، وبالتالي فقد كانت علاقته بالمسرح عفوية طبيعية. وكان بوصفه مؤلفاً مسرحياً، يفتقر أيضاً إلى تلك القدرة التي يتمتع بها المحترف بالربط بين أبطاله وبين مبدعيهم. كما كان يفتقر إلى قوة التعبير الشاعري بالمعنى الذي يجعل المشاهد يلاحق العمق الدرامي في روح البطل الدرامي.

تميزت موضوعات سارتر الدرامية بالتركيز على حالة أقرب إلى المأزق أو الورطة. ومسرحياته «الذباب» و «اللامخرج» و «المنتصرون» تدور في غرف التعذيب أو في غرفة في جهنم أو تحكي عن طاعون مصدره الذباب. وتدور معظمها حول الجهد الذي يبذله المرء ليختار حياته وأسلوبها كما يرغب والصراع الذي ينتج من القوى التقليدية في العالم التقليدي الذي يوقع البطل في مأزق ويحاول محاصرته والإيقاع به وتشويشه وتشويهه.

وإذا كان إدراك الحرية ووعيها هي الخطوة الأولى في الأخلاقية السارترية فإن استخدامه لهذه الحرية وتصرفه بها - التزامه - هو الخطوة الثانية. فالإنسان قبل أن يعي حريته ويستثمر هذه الحرية هو عدم أو هو مجرد «شيء» أي أنه أقرب إلى الأشياء منه إلى الكائن الحي. إلا أنه بعد أن يعي حريته يمسي مشروعاً له قيمته المميزة.

في مسرحيتيه الأخيرتين «نكيرازوف» (1956) و «سجناء التونا» (1959) يطرح سارتر مسائل سياسية بالغة الأهمية. غير أن مسرحياته تتضمن مسائل أخرى تجعلها أقرب إلى الميتافيزيقيا منها إلى السياسة. فهو يتناول مواضيع مثل: شرعية استخدام العنف، نتائج الفعل، العلاقة بين الفرد والمجتمع، وبين الفرد والتاريخ. من مسرحياته أيضاً: «الشيطان واللورد» و «رجال بلا ظلال».



رينيه ديكارت

(1596-1650م)

يعرف أيضا بكارتيسيوس، فيلسوف فرنسي ورياضياتي وعالم، يعتبر من مؤسسي الفلسفة الحديثة ومؤسس الرياضيات الحديثة. يعتبر أهم وأغزر العلماء نتاجا في العصور الحديثة. الكثير من الأفكار والفلسفات الغربية اللاحقة هي نتاج وتفاعل مع كتاباته التي درّست وتدرّس من أيامه إلى أيامنا. لذلك يعتبر ديكارت أحد المفكرين الأساسيين وأحد مفاتيح فهمنا للثورة العلمية والحضارة الحديثة في وقتنا هذا. يمجد اسمه بذكره في ما يدعى هندسة ديكارتية التي يتم بها دراسة الأشكال الهندسية ضمن نظام إحداثيات ديكارتي ضمن نطاق الهندسة المستوية التي تدمجها مع الجبر.

يعارض ديكارت الكثير من أفكار أسلافه. ففي مقدمة عمله «عاطفة الروح» يذهب بعيدا للتأكيد أنه سيكتب في هذا الموضوع حتى لو لم يكن أحد سبقه لطرح هذا الموضوع. بالرغم من هذا فإن العديد من الأفكار توجد بذورها في الأرسطية المتأخرة والرواقية في القرن السادس عشر أو في فكر أوغسطين.

يعارض ديكارت هذه المدرسة في نقطتين أساسيتين: أولا يرفض تقسيم الأجسام الطبيعية إلى مادة وصورة (شكل) كما تفعل معظم الفلسفات اليونانية. ثانيا يرفض مبحث الغائية، سواء كانت غايات ذات طبيعة إنسانية أو إلهية لتفسير الظواهر الطبيعية. أما في الإلهيات فهو يدافع عن الحرية المطلقة لفعل الله أثناء الخلق.

وقد أسهم في الشك المنهجي واستهدف من شكه الوصول الى اليقين، وأسباب الشك لديه أنه يلزم أن نضع موضع الشك جميع الأشياء بقدر الإمكان ويبرر الشك أنه تلقى كثيرا من الآراء الباطلة وحسبها صحيحة، فكل ما بناه منذ ذلك الحين من مبادئ على هذا القدر من قلة الوثوق لا يكون إلا مشكوكا فيها، إذن يلزم أن نقيم شيئا متينا في العلوم، أن نبدأ بكل شيء من جديد وأن نوجه النظر إلى الأسس التي يقوم عليها البناء، مثال المعطيات الخاصة للحواس، فالحواس تخدعنا أحيانا والأفضل ألا نثق بها أما الأشياء

العامة كالعيون والرؤوس والأيدي التي يمكن أن تتألف منها الخيالات يمكن أن تكون نفسها خيالية محضة.

استطاع ديكارت إثبات وجود نفسه عن طريق انه يشك فهو متأكد من شيء واحد فقط هو انه يشك بوجوده وبما انه يشك فهو موجود.

وقد تمكن ديكارت من «إثبات وجود الله» من خلال انه إنسان غير كامل لأنه يشك، وبما أنه غير كامل، فهو لا يستطيع أن يأتي بفكرة الكامل، لأن الكامل لا يستنتج من الناقص، فهناك مسبب واحد لفكرة الله بعقله هو الله نفسه أي أن الله هو من وضع فكرة الله بعقله.

لقد أثر هذا الفيلسوف على شعب بأسره وطبعه بطابعه الى حد أننا لم نعد نستطيع التمييز بين الشعب والشخص. لقد كان أمة وحده. وحتى تنظيم الشوارع والساحات العامة في فرنسا يحمل سمات المنهجية الديكارتية من حيث الوضوح والدقة. ولكن من يعرف بأن ديكارت كان يخشى رجال الكنيسة إلى أقصى حد، وانه عاش طيلة حياته تقريبا وهو يتحاشى سيفهم المسلط فوق رأسه؟ نقول ذلك على الرغم من كل الاحتياطات التي اتخذها وأساليب التقية التي اتبعها لكي ينجو من شرهم. ولهذا السبب غادر بلاده فرنسا التي كانت مليئة بالأصوليين المتعصبين على طريقة المذهب الكاثوليكي، وذهب للعيش في بلد بروتستانتي أكثر حرية أو ليبرالية هو: هولندا، لكن حتى هناك كان يغيّر منزله باستمرار ويعيش متواريا عن الأنظار إلى حد كبير لكي يكتب ويفكر بحرية. فديكارت كان يعرف انه اكتشف حقائق ضخمة في مجال العلوم والفلسفة، لكن سابقة لأوانها. فهي تصطدم بشكل مباشر بالأخطاء الشائعة في عصره والتي تفرض نفسها وكأنها يقينيات مطلقة لا تناقش ولا تمس. وفي مقدمتها بالطبع القول بأن الأرض هي مركز الكون وان الشمس تدور حولها وليس العكس. وهي مقولة أرسطوطاليسية وبطليموسية كانت الكنيسة المسيحية قد تبنتها وخلعت عليها المشروعية القدسية للدين. وبالتالي فمن يعترض عليها لا يعترض على نظرية علمية من جملة نظريات أخرى وإنما يعترض على الدين ذاته ويعرض نفسه بالتالي للخطر الأعظم. لذلك فعندما سمع ديكارت بإدانة غاليليو من قبل المكتب المقدس في الفاتيكان خاف وسحب كتابه من المطبعة. وكان على وشك أن يعلن آراءه على الملأ من خلال رسالة تشرح نظام العالم الطبيعي وتؤيد نظرية كوبرنيكوس بخصوص دوران الأرض حول الشمس وأشياء أخرى. وقال لأصدقائه

الخُلص: لا أريد أن أضحي بطمأنينتي الشخصية من اجل أفكاري. وقد اتهمه البعض بالجبن والتخاذل من جراء ذلك.

لكن هؤلاء لا يطرحون على أنفسهم هذا السؤال: ما الفائدة من تعريض نفسه للملاحقة، أو ربما للتصفية الجسدية، قبل أن يكون قد أكمل رسالته؟ فديكارت في ذلك الوقت كان قد أكمل الأربعين، وبالتالي فإن اكتشافاته كانت لا تزال أمامه لا خلفه، ولو انه دخل في صراع مكشوف مع الكنيسة لسحقته بسهولة ولما استطاع إنضاج أفكاره على مهل ومواصلة بحثه عن الحقيقة. وبالتالي فإستراتيجية المهادنة والكتمان كانت إجبارية لكي يستطيع أن يعيش بضع سنوات إضافية ويصنع قنابله الفكرية الموقوتة التي فجرت الأصولية المتزمتة بعد موته مباشرة. وعندما شعر الأصوليون بخطورته كان من ضرب قد ضرب، ومن هرب قد هرب، ولم يعودوا بقادرين على تدارك الحريق أو إطفائه. وكان ديكارت قد سلّم الأمانة وأصبح يرقد هادئا في قبره. بالطبع فإنهم وضعوا كتبه على قائمة المطبوعات المحرّم تبادلها بالإضافة إلى كتب كوبرنيكوس وغاليليو، وباسكال، وكيبلو، وعشرات العلماء والفلاسفة الآخرين. ولكن ما همّه! ففكره كان قد انتشر كالحريق في شتى أنحاء أوروبا، وفلسفته أصبحت تُدرس في العديد من جامعات هولندا وسواها.

وهكذا ضرب ديكارت ضربته على مهل وبدون أي ضجيج أو استفزاز. كان يعرف أن المعركة طويلة وصعبة، وان قوى الظلام والانغلاق راسخة الجذور ولا يمكن زحزحتها بسهولة، وبالتالي فلا ينبغي أن نواجهها بشكل مباشر وإنما بشكل موارب.

وأحيانا ينبغي أن نخوض معها حرب مواقع حقيقية. وكان يقول عبارته الشهيرة والغامضة إلى حد ما: «الفيلسوف يتقدم مقنّعا على مسرح العالم» الفيلسوف لا يكشف أوراقه بسهولة، أو من أول ضربة. نقول ذلك وبخاصة إذا كان فيلسوفا ضخما يقسم التاريخ الى قسمين، ما قبله وما بعده. فديكارت تجرأ على أن يقوم بأكبر انقلاب فلسفي في تاريخ العصور الحديثة. انه الانقلاب الذي أزاح أرسطو عن عرشه وقضى على هيمنته التي استمرت ألفي سنة. وهي هيمنة شملت العرب، المسلمين مثلما شملت الأوروبيين المسيحيين سواء بسواء، الآن ابتدأت الفلسفة الحديثة.

الصدام بين الطرفين كان محتوما وإجباريا. ولذلك كثرت الملاحقات في شتى أنحاء أوروبا. ففي هولندا اعتقل العالم الكيميائي والطبيب (فان هيلمونت) بعد محاكمة غاليليو

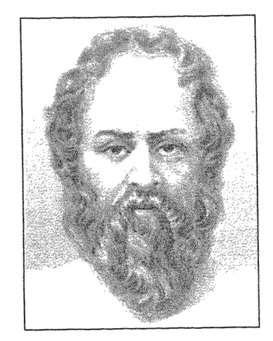
مباشرة. وفي بلجيكا اضطر العالم (بيرنوي) إلى الهرب. وأما البروفيسور (فان فيلدين) من جامعة (لوفان) فقد سجن أيضا بتهمة تأييد النظريات العلمية الحديثة عن نشأة الكون. وهي تتعارض بالطبع مع ما ورد في سفر التكوين.

وفي إسبانيا حيث كانت محاكم التفتيش تخنق الأنفاس قبل العقول نشر الطبيب (سابيكو) كل مؤلفاته تحت اسم ابنته، ولم يكتشفوا الخديعة إلا بعد أربعمائة سنة من موته! وشاعت في ذلك الزمان ممارسة الرقابة الذاتية على الذات. فالعلماء ما كانوا ينشرون أبحاثهم إلا بعد موتهم، وإذا ما نشروها كانوا يحذفون منها المقاطع الخطرة التي تتعارض مع أفكار رجال الكنيسة. وفي عام 1546 أُعدم المفكر الإنساني (ايتيان دوليه) حرقا بتهمة الزندقة والإلحاد لأنه كان يدافع عن التسامح الديني. وأما المفكر الإيطالي (كامبانيلا) فقد اعتقل أكثر من ربع قرن بعد أن سرقت محاكم التفتيش مخطوطاته. هذا في حين أن العالم والفيلسوف الشهير (جيوردانو برينو) قتل قتلة رهيبة ثم ألقي بجسده طعمة للنيران في كهوف الفاتيكان المظلمة عام (1600) بالضبط. وبالتالي فكيف يمكن لديكارت ألا يخاف منهم ومن بطشهم؟! لذلك فإنه نشر كتابه الشهير (مقال في المنهج) عام (1637) بدون توقيع. نقول ذلك على الرغم من انه اتخذ فيه كل الاحتياطات اللازمة وصرح أكثر من مرة بأنه متقيد بمبادئ الدين الذي ولد في أحضانه، بل وأهدى كتابه الكبير (التأملات الميتافيزيقية) لفقهاء السوربون الكبار لكي يكسب رضاهم. والسوربون آنذاك لم تكن هي الجامعة التي نعرفها الآن. كانت عبارة عن كلية لاهوت مسيحية وذات سمعة ضخمة داخل فرنسا وخارجها.

كانت هي التي تصدر الفتاوى بإدانة الكتب وتحريمها، أو على العكس إجازتها وإعطائها رخصة الانتشار. كما وكانت تصدر الفتاوى اللاهوتية بحق المفكرين فتكفر من تكفر، أو تبرئ من تبرئ على هواها. ولكن كل هذه الاحتياطات والمجاملات لم تنفع ديكارت كثيرا في نهاية المطاف. ففي عام (1649) أي قبل موته بسنة واحدة، أصدر احد اليسوعيين فتوى تدين كتابه (مبادئ الفلسفة) باسم الزندقة. وفي عام (1663) أي بعد موته بثلاث عشرة سنة وضع الفاتيكان كتبه على لائحة الكتب المحرمة. وهي الكتب التي تنصح الكنيسة الكاثوليكية رعاياها بعدم قراءتها بأي شكل لأنها مخالفة لصحيح العقيدة. وقد عاش ديكارت وهو يتحسر لأن العلم الطبيعي لم يحصل على استقلاليته بالقياس إلى العلم اللاهوتي. وموقفه من هذه الناحية لا يختلف في شيء عن موقف غاليليو وباسكال.

كانوا يقولون بها معناه: إذا ما حصل تعارض بين تعاليم الكنيسة وأفكارها وبين إحدى نظريات العلم الحديث من جهة أخرى فإنه ينبغي أن نعيد تأويل تعاليم الكنيسة لكي تتماشى مع العلم والعقل.

سارت حركة التاريخ في الاتجاه الذي رسمه هؤلاء الفلاسفة فيها بعد. صحيح أن عصرهم لم يستمع لهم، لكن العصور اللاحقة اتبعتهم واكتشفت أنهم كانوا على صواب وعصرهم كله على خطأ. بل وحتى البابا الحالي راح يعترف بعظمتهم ويعتذر عما فعلته الكنيسة من أخطاء في تاريخها السابق.



سقـراط

(469-399 ق.م)

فيلسوف ومعلم يوناني جعلت منه حياته وآراؤه وطريقة موته الشجاعة، أحد أشهر الشخصيات التي نالت الإعجاب في التاريخ. صرف سقراط حياته تمامًا للبحث عن الحقيقة والخير. لم تعرف لسقراط أية مؤلفات، وقد عُرِفت معظم المعلومات عن حياته وتعاليمه من تلميذيه المؤرخ زينفون والفيلسوف أفلاطون، بالإضافة إلى ما كتبه عنه أرسطو فانيس وأرسطو.

وُلد سقراط وعاش في أثينا. وكان ملبسه بسيطًا. وعُرف عنه تواضعه في المأكل والمشرب. وتزوج من زانْثِب التي عُرف عنها حسب الروايات أنها كانت حادة الطبع ويصعب العيش معها. وقد أنجبت له طفلين على الأقل. ولد سقراط في أثينا حوالي العام (469 ق.م). وكان أبوه نحاتا وأمه قابلة. ولا يعرف عن حياته الأولى سوى أنه لما بلغ منتصف العمر أصبح شخصا مرموقا في المدينة، إذ جعلت منه أفكاره الجديدة وشخصيته الفريدة رجلا مشهورا. وكان سقراط قبيح المنظر جاحظ العينين، أفطس الأنف، ولكن كان يملك قدرات خارقة للعادة من حيث ضبط النفس والصبر.

كانت الفلسفة قبل سقراط تختص أساسا بمسائل تتعلق بوجود العالم وماهيته. ولقد اقتنع سقراط بأنه من المستحيل الإجابة عن هذه التساؤلات، وان دراسة هذه المسائل لن تلقي على أية حال ضوء على السبيل الصحيح للحياة، هذا السبيل الذي كان بالنسبة له هو الموضوع الوحيد ذو الأهمية الفعلية. وهكذا فان هدفه كان جعل الناس يفكرون بوضوح في الطبيعة المجردة للأخلاقيات كالعدل والشجاعة مثلا، وذلك بدلا من مجرد المضي في حياتهم خلف العقائد التي جرى العرف عليها. وهو لم يطالب بتدريس أية تعاليم، واكتفى بالتساؤلات التي تعين الناس على انتزاع الحقيقة من داخل أنفسهم بالتفكير.

لقد آمن سقراط بأن الآثام كلها وليدة الجهل، وان الناس لو عرفوا فقط ما هو الحق، إذن لما وجدوا صعوبة في إتباعه.

كان سقراط يعلم الناس في الشوارع والأسواق والملاعب. وكان أسلوب تدريسه يعتمد على توجيه أسئلة إلى مستمعيه، ثم يُبين لهم مدى عدم كفاية أجوبتهم. قُدِّمَ سقراط للمحاكمة وُوجهت إليه تهمة إفساد الشباب والإساءة إلى التقاليد الدينية. وكان سقراط يُلمحُ إلى أن الحكام يجب أن يكونوا من أولئك الرجال الذين يعرفون كيف يحكمون، وليس بالضرورة أولئك الذين يتم انتخابهم. وقد قضت هيئة المحلَّفين بثبوت التهمة على سقراط وأصدرت حكمها عليه بالإعدام. ونفذ الحكم بكلِّ هدوء متناولاً كوبًا من سم الشوكران.

لقد كان سقراط يؤمن بأن الأسلوب السليم لاكتشاف الخصائص العامة هو الطريقة الاستقرائية المسماة بالجدلية؛ أي مناقشة الحقائق الخاصة للوصول إلى فكرة عامة. وقد أخذت هذه العملية شكل الحوار الجدلي الذي عرف فيها بعد باسم الطريقة السقراطية.



فريدريك نيتشه

(1844-1900 م)

فريدريك فيلهيلم نيتشه فيلسوف وشاعر ألماني، كان من أبرز الممهدين لعلم النفس، وكان عالم لغويات متميزا. كتب نصوصا وكتبا نقدية حول المبادئ الأخلاقية، والنفعية، والفلسفة المعاصرة، المادية، المثالية الألمانية، الرومانسية الألمانية، والحداثة عُموماً بلغة ألمانية بارعة. يعد من بين الفلاسفة الأكثر شيوعا وتداولا بين القراء. كثيرا ما تفهم أعماله خطأ على أنها حامل أساسي لأفكار الرومانسية الفلسفية والعدمية ومعاداة السامية وحتى النازية لكنه يرفض هذه المقولات بشدة ويقول بأنه ضد هذه الاتجاهات كلها. في مجال الفلسفة والأدب، يعد نيتشه في أغلب الأحيان إلهاما للمدارس الوجودية وما بعد الحداثة. روج لأفكار توهم كثيرون أنها مع التيار اللاعقلاني والعدمية، استخدمت بعض آرائه فيما بعد من قبل إيديولوجيي الفاشية. رفض نيتشه الأفلاطونية والمسيحية والميتافيزيقيا بشكل عام، ودعا إلى تبني قيم جديدة بعيدا عن الكانتية والهيغيلية والفكر الديني والنهلستية. سعى نيتشه إلى تبيان أخطار القيم السائدة عبر الكشف عن آليات عملها عبر التاريخ، كالأخلاق السائدة، والضمير. يعد نيتشه أول من درس الأخلاق دراسة تاريخية مفصلة. قدم نيتشه تصورا مهما عن تشكل الوعي والضمير، فضلا عن إشكالية الموت. كان نيتشه رافضا للتمييز العنصري ومعاداة السامية والأديان ولاسيما المسيحية لكنه رفض أيضا المساواة بشكلها الاشتراكي أو الليبرالي بصورة عامة.

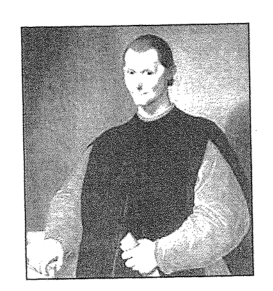
ولد نيتشه عام 1844 لقس بروتستانتي وعاش حياة مدرسية عادية ومنضبطة تأثر في صغره بقيم الوحدة الألمانية وزعيمها بسمارك ورأى فيه كمالا للشخصية الألمانية. توفي والده وهو في الخامسة عشرة من عمره فعرف انقلابا وجهه إلى التشاؤم واكتشف في نفس الوقت الفيلسوف الألماني شوبنهاور وانغمس في قراءاته كما عشق الموسيقى الكلاسيكية وقام بمحاولات لتأليفها. في الجامعة درس نيتشه الفيلولوجيا وتعلم اللغات القديمة

واهتم في سنة التخرج بالمسرح والفلسفة الإغريقية القديمة وبعد تخرجه ومزاولته لتدريس الفلسفة في المعاهد الألمانية بدأت صحته تتدهور. تعرف نيتشه على الموسيقار الألماني الشهير ريشارد فاغنر ورأى فيه تجسيدا للعبقرية وعاش معه فترة رافقه فيها في رحلاته ولكن سرعان ما انقلب نيتشه ضده وكانت القطيعة بينهما هي الشرارة التي أطلقت فكر نيتشه مثل العاصفة على القيم الأوروبية إذ رأى في المسيحية انحطاطا وأن النمط الأخلاقي الصائب هو النمط الإغريقي.

كتب نيتشه في فترة قصيرة العديد من الكتب التي أثارت النقد الشديد وهاجم كل القيم دون استثناء معيدا إلى الفلسفة دورها في إعادة النظر في كل شيء وعدم التسليم بالبديهيات وصاغ فكره في فلسفة إرادة القوة ومنها خرجت فكرة السوبرمان حيث أراد نيتشه تجاوز مرحلة الإنسان بإعلان موت الإله ومنه نهاية وصايته. كتب نيتشه في السنوات الأخيرة من حياته أعظم أعماله وأكثرها تعقيدا «هكذا تكلم زاردشت».

دخل نيتشه عالم الفلسفة عبر الفيلولوجيا (وهي دراسة الكتب التاريخية في إطارها التاريخي الصحيح من دون ترجمة) ومكنته دراسته الجامعية من تحصيل ثقافة كونية شاملة. كان اهتمامه الأولي ومهنته هي الكتب الفلسفية اليونانية القديمة. وكان الرافد الأساسي لكل ما سيقدمه في التفكير الفلسفي هو الفكر الإغريقي القديم الذي كان بالنسبة إليه مقياس الأشياء والذي رأى من خلاله انحطاط عصره. لقد كان نيتشه اقرب إلى أن يكون أخلاقيا من أن يكون فيلسوفا بالمعنى المعروف في عصره إذ نظر للأخلاق وبحث فيها ولم ينظر للماهيات.

من مؤلفاته: من حياتي 1858 ، عن الموسيقا 1858 ، نابليون الثالث كرئيس 1862 ، القدر والتاريخ 1862 ، الإرادة الحرة والقدر 1862 ، هل يستطيع الحسود أن يكون سعيدا حقا 1863 ، حياتي 1864 ، الفلسفة في العصر المأساوي الإغريقي، مولد التراجيديا 1872 ، هو ذا الإنسان 1878 ، المسافر وظله 1879 ، الفجر 1881 ، العلم المرح 1882 ، هكذا تكلم زرادشت 1883-1885 ، ما وراء الخير والشر 1886 ، قضية فاغنر 1888 ، أفول الأصنام 1888 ، عدو المسيح 1888 ، نيتشه مقابل فاغنر 1888 ، إرادة القوة (مجموعة ملاحظات قدمتها أخته، لا تعبر بالضرورة عن رأي نيتشه) 1901 ، العلم الجزل (أو المرح).



مكيافيللي

(1463-1527 م)

ولد نيكولو مكيافيللي في 3 مايو 1463 ومات 22 يونيه 1527 أي عاش نحو 60 سنة تقريبا. وهو فيلسوف مشهور وصاحب مبدأ أن الغاية تبرر الوسيلة وجملته «حبي لنفسي دون حبي لبلادي» ومن أشهر كتبه كتاب الأمير.

ولد مكيافيللي في فلورنسا في إيطاليا، وقد أتاح له وضعه الاجتماعي فرصة للتعليم العالي في مجالات مختلفة مثل الأدب والقانون والتاريخ والفلسفة. بدأ مكيافيللي حياته كموظف بسيط في حكومة مدينة فلورنسا، وحين اجتاحت الجيوش الفرنسية مدينة فلورنسا وأطاحت بالحكم فيها – حكم أسرة مديتشي- سارع لتأييد النظام الجديد وتنقل في وظائف حكومية كثيرة تحت ظل هذا النظام حتى وصل إلى منصب السكرتير الأول لحكومة فلورنسا.

وفي عام 1512 عادت أسرة مديتشي للحكم بمساعدة في البابا وتم القبض على مكيافيللي ونفيه إلى مزرعته الواقعة على أطراف فلورنسا حيث عاش هناك حتى توفي سنة 1527.

عرف فيما بعد بصاحب مذهب الميكافيللية فيقال أنت إنسان مكيافيللي، أو صاحب قرارات ميكافيللية، أي أنك تتبع مبدأ مكيافيللي الأول «الغاية تبرر الوسيلة»، وهو أشهر مبدأ عرف به مكيافيللي، فهو يرى بأن الهدف النبيل السامي يضفي صفة المشروعية لجميع السبل والوسائل التي تؤهل الوصول لهذا الهدف مهما كانت قاسية أو ظالمة، فهو لا ينظر لمدى أخلاقية الوسيلة المتبعة لتحقيق الهدف، وإنما إلى مدى ملائمة هذه الوسيلة لتحقيق هذا الهدف فالغاية تبرر الوسيلة وكان هذا المبدأ هو ما استند عليه في أغلب نصائحه في أشهر كتبه «الأمير» الذي يعتبر كتاب السياسة لكل العصور، إذ لم يحظ كتاب بشهرته ولم يذع اسم مؤلف كما ذاع اسم مكيافيللي.

وهو كتاب قرأه هتلر والملك بودوان وستالين والعديد من كبار القادة على مستوى العالم. أن أسلوب مكيافيللي في هذا الكتاب يبين مدى شغفه بالتاريخ وكثرة استخدامه

للأحداث التاريخية للتدليل على صحة أفكاره وبذلك يعتبر مكيافيللي أحد مؤسسي طريقة التحليل التاريخي الحديث.

لقد حاول بعض الفلاسفة عبر مصطلح النهضة أن يقدموا إسهاماتهم حول التواجد الحضاري الإنساني الجديد في مجالات الإبداع الفكري والفني بحيث جعلوا من مصطلح النهضة التي غدت تشكل نقلة كبيرة مضموناً شاملاً في مسيرة التطوّر البشري التي تعدّت آثارها الحدود الأوروبية بشكل يحس فيه المرء إلى هذا اليوم إشعاعاتها النيّرة أي أفادوا من القدرات والمصادر المهمّة جدّاً للباحثين في المجال الإنساني، ومنهم مكيافيللي الذي ينتمي إلى أسرة فلورنسية نبيلة عريقة تدهور وضعها الاقتصادي إلى حد الإفلاس قبل مجيئه للحياة.

وقف مكيافيللي بشدّة ضد سياسة الإقطاعيين والبابويّة لأنّه اعتبرهما من أهم العراقيل التي تحول دون تقدّم عملية التوحيد السياسي واعتبر تعاليم الكنيسة بمثابة عبء يحول دون إبداع النشاط للإنسان، إلا أن هذا لا يعني أن مكيافيللي كان يناهض الدين بل على العكس كان يؤمن بإمكانية تحويله إلى أداة سياسيّة فاعلة في حياة الشعب كما انتقد مكيافيللي بشدة النظام العسكري القائم في البلاد لاعتماده على المرتزقة الوقتيين الذين وصفهم كحثالات المجتمع لا يهمهم سوى النهب فدعا إلى تأسيس جيش منظّم دائمي يعتمد على التجنيد العام للشباب - وهذه العبارات كم هي مهمّة وذلك لأن مكيافيللي قصد الميليشيات المسلّحة وأثرها في تكوينات المجتمع وهذه دعوة إلى تبنّي منهجيات حقيقيّة في إدارة البلاد والتأكيد على وحدة الجيش والشرطة والابتعاد عن تكوين الميليشيات المسلّحة، التي تعيث فساداً في الدولة وأجهزتها، والاعتماد على الشباب حتّى يتحوّل إلى قوّة تحرير وردع حقيقيّة بيد الأمير الدكتاتور فقد كان مكيافيللي يحلم مخلصاً بأن تتحرّك جيوش المدن الإيطاليّة (بدافع الأهداف الوطنيّة) كي يغدو بإمكان الطليان رفع كرامتهم عالياً. كما لعبت آراء مكيافيللي السياسيّة دوراً مهمّا في تطوير الدراسات التاريخيّة ونظرياتها فقد تخطّى في بحوثه حدود التفسير البراغماتي للأحداث في وقت مبكّر وبدأ ينظر إلى الدولة وقوانينها نظرة واقعيّة نابعة من التجربة والتحليل لأمن اللاهوت ونظرية الحق الإلهي في الحكم كما آمن بحتميّة الأحداث التاريخيّة وبالترابط فيما بينها بغض النظر عن إرادة المشتركين فيها وتوصّل إلى رأي غاية في الأهميّة بأن الصّراع السياسي هو المحرّك الأساس للتاريخ وغالباً ما يتخذ ذلك الصراع طابعاً اجتماعيّاً وطبقيّاً ما دام يوجد

- كما ذكر في كتاباته - تناقض مستفحل بين مصالح الشعب والفئات المالكة ففي كتابه الضخم تاريخ فلورنسا يتتبع النضال بين الجماهير والارستقراطية ومما زاد في الإساءة إلى سمعة مكيافيللي وآرائه موقف الكنيسة المعادي منه وقرارها منع تداول كتبه علما بأنه ألف (تاريخ فلورنسا) تلبية لطلب البابا نفسه وأساء إليه تأكيد العديد من المؤرخين البرجوازيين لاسيما علماء الاجتماع على نظريته حول السلطة الدكتاتورية المطلقة بشكل مجرد وسكوتهم المطبق عن أفكاره حول النظام الجمهوري الذي أقرّ بأنه خير نظام للحكم لأن في ظله تقرّر الكفاءة، كما تجدر الإشارة إلى أن مكيافيللي كان ذا باع طويل في الأدب فقد خلف من بعده عدداً من الأناشيد والقصائد والرسائل والكتابات النثرية التي انتقد فيها بشدة تقاليد المجتمع البالية مع سلبيات الكنيسة وقد أغنى بها الأدب الإيطالي بقوة ووضوح وعمق أدائها السلس البعيد عن الإسهاب والإطناب وحسبنا أننا لا نبتعد عن الواقع إذا قلنا إن مؤرخ عصر النهضة الكبير يستحق بجدارة الكلمات المعبّرة التي حفرت على شاهدة ضريحه في فلورنسا تخليداً لذكراه (من أين للمديح أن يفي هذا الاسم حقه).

لم يكن مكيافيللي الوحيد من بين أعلام النهضة الذي اصطدم بالواقع فقد شاركه في ذلك إنسانيون آخرون عاصروا المرحلة الأخيرة من النهضة. وفي هذا الصدد لا يمكن أن ننسى كتابه (الأمير) الذي تأثر به العديد من سلاطين ومستبدي العالم الحديث والذي - على الرغم من صغر حجمه - طرح الكثير من الآراء حول استخدام السلطة. هذا الكتاب حفر أخاديد في الخريطة السياسية بحكم اعتماده المذهب البراغماتي الغائي الذي يعتمد فكرة: الغاية تبرّر الوسيلة.

فهرس

أعظم شخصيات التاريخ

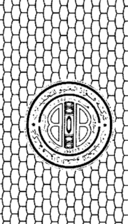
السياسية

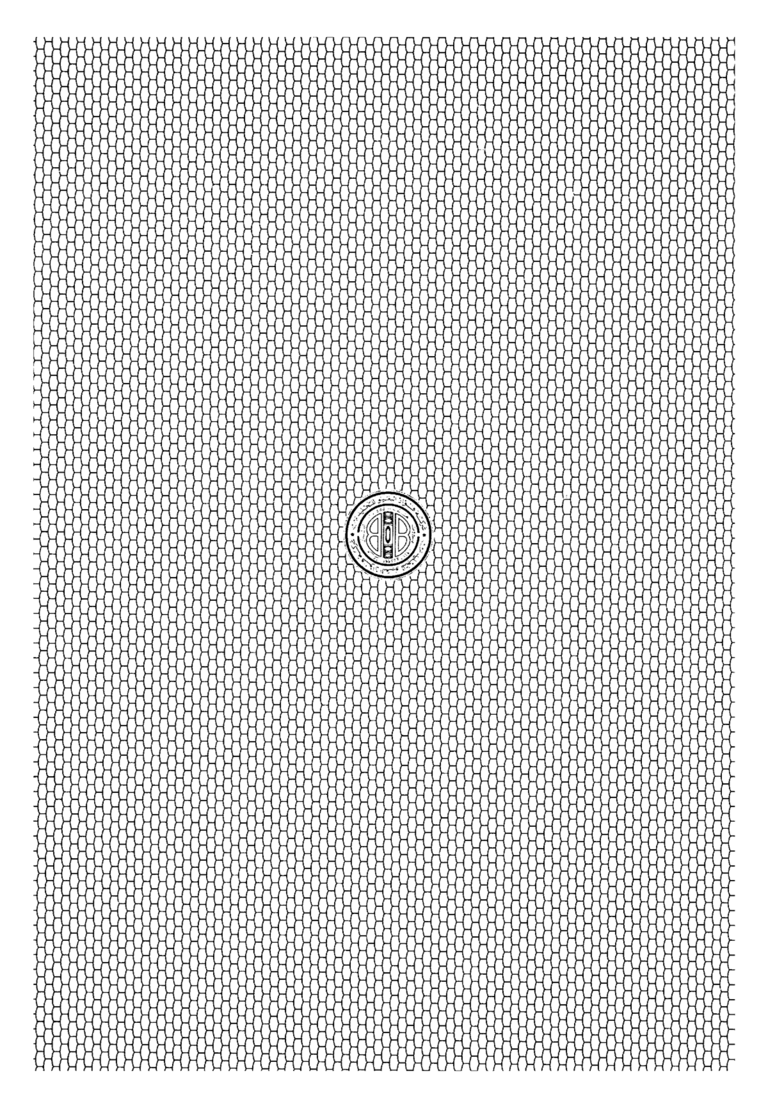
أعظم شخصيات التاريخ

العلمية

أعظم شخصيات التاريخ

الفلسفية





أعظم شخصيات التاريخ

دينية، أدبية، سياسية، علمية، فلسفية

هذا الكتاب يجمع بين دفّتيه سيرًا مختصرة لعشرات من أبناء البشريّة الّذين أثروا الحياة الإنسانيّة وأفادوها على مرّ القرون بما مكّنها من تحسين حياتها ويسّر لها عمارة الأرض كهدف من أهداف وجودها عليها ، وكواجب .. ولا رابط بين الشخصيّات سوى أنّها اشتهرت بين الناس ، سواء بسبب خدمتها للبشريّة أو بسبب إلحاقها الأذى بها ...

ومن هؤلاء المشاهير من انحصر أثره في زمن معيّن بينما امتدّ أثر بعضهم حتّى يومنا هذا

أمّا المشاهير والمتميّزون و « العالقون في ذهن البشريّة » ، من المسلمين الّذين اختارهم مؤلّف هذا الكتاب ، فلم يكن من بينهم واحد ممّن يمكن أن يقال إنّه أضرّ بالبشريّة أو ألحق بها الأذى .




ISBN 978-6589-07-946-3
9 786589 079460

الأهلية
الأردنّ ، عمّان ، وسط البلد ، بجوار مطعم القدس ، ص . ب 7855
هاتف 4638688 6 00962 فاكس 4657445 6 00962 ◆ منشورات العام 2010
الغلاف : ، هاتف 95297109 7 00962